

الدكتور مشعل عبد العزيز الفلاح



خَلِّصْنَا مِنْكَ

فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ



الجزء السادس

مِنْ سُورَةٍ وَآ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ

دار القضاء
دمشق

دهشوق

رَحِلْتُمْ ذِكْرًا
فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ



أَسَّسَهَا:
مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

ص.ب: ٢١٤٦١ هاتف: ٢٨٩٥ فاكس: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

ISBN: 978-9933-29-328-4



9 789933 293284

رَحَلَتْ رِجْلُكَ رِجْلًا فِي رِحَابِ الْقُرْآنِ

الجزء السادس

مِنْ سُورَةِ قَدْ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ



الدكتور مشعل عبد العزيز لفلاح

دار القلم
دمشق



سُورَةُ قَافٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ② أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ
③ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ ④ بَلْ
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِیْجٍ ⑤ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى
السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ⑥
وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِیْجٍ
⑦ تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِیبٍ ⑧ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ⑨ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا
طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑩ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ
⑪ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ⑫ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ
وَإِخْوَنُ لُوطٍ ⑬ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُيُوعٍ ⑭ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
⑮ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑮

التفسير

- ﴿قَ﴾ من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١﴾ العظیم الواسع الکریم.
- ﴿بَلْ عَجَبُوا﴾ المکذّبون للرسالة ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ أي رسول الله ﷺ ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ الجاحدون لأمر الله تعالى: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢﴾ هذا أمر يستحقّ العجب؛ يعنون ما جاء به النبي ﷺ من أمر البعث بعد الموت.
- ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣﴾ غير ممکن.
- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ما تأكل من أجسادهم في البلى ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ٤﴾ حافظ لذلك.
- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي الذي حملهم على التعجب تكذيبهم بأمر الله تعالى ووعدده ووعيده ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ٥﴾ مختلف مضطرب.
- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ نظر اعتبار واستدلال على قدرة الله تعالى ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ بهذا الشكل وهذه الدقة ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالنجوم ﴿وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ٦﴾ من شقوق وصدوع.
- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ فرشناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل صنف ﴿بِهَيْجٍ ٧﴾ في منظر حسنٍ وشكلٍ جميل.
- ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى﴾ عظة وعبرة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ٨﴾ لكل من يخاف الله تعالى ويرجو لقاءه.



- ﴿وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَرَكًا﴾ غيثاً مباركاً ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾﴾ الزرع الذي يزرع ثم يحصد.
- ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طوال شاهقات ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ ثمر متراكب.
- ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ ذلك كله عطاءً من الله تعالى لعباده ﴿وَآحِينَائِهِ﴾ بالغيث ﴿بَلَدَةً مِّنَّا﴾ لما فيها من الجذب والقحط ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ من القبور.
- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل كفار قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَبُ الرِّيسِ﴾ أصحاب البئر ﴿وَتَمُودُ ﴿١٢﴾﴾.
- ﴿وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾ وَأَصْحَبُ الْأَيْكَةِ﴾ قوم نبي الله شعيب؛ والأيغة: المكان كثير الأشجار ﴿وَقَوْمُ ثَيْعٍ﴾ أحد ملوك اليمن ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلِ﴾ جميعهم ﴿فَقَدْ وَعِدَ ﴿١٤﴾﴾ حق عليهم وعيد الله تعالى وعذابه.
- ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ لم نعجز عن خلقهم أول مرة، فكيف نعجز بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ في شكٍّ من إرجاعهم بعد موتهم.

التدبر

١ - الصراع بين الحق والباطل سنة ربانية ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ بَلْ يَجْحَوْنَ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ والإيمان بهذا المعنى موجبٌ للحركة والفاعلية في حياة كلِّ مصلح.

٢ - الغيرة والحسد مانعان من كثيرٍ من الخيرات التي تعرض لأصحابها ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ بَلْ يَجْحَوْنَ أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾﴾ لَأَنَّ المنذرين منهم رفضوا الدعوة من أصلها.



٣ - الجاهلية ترفض الحقائق، وتتصلب أمام انتشارها ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ الْيَوْمَ﴾ ١ ينكرون رسالة الرسل، ويؤمنون بالحجر والصنم إلهاً يدير الكون!

٤ - الوحي يتولى تصحيح التصورات، ويعيد بناءها ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾ ٢.

٥ - مشكلة كثيرين أنهم يكذبون بالوحي، ويردونه، ويقفون دونه، ويأبون ما فيه ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ ٣.

٦ - لم يقبل الحق، فعاش في الشكوك والظنون والأوهام ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ ٤.

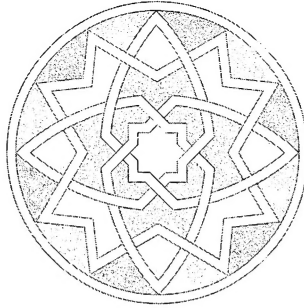
٧ - لو نظروا بأبصارهم وعقولهم إلى هذا الكون لعرفوا الحقائق، وأقبلوا إليها مدعين ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ٥ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ﴾ ٦ ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ٧ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ٨ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ ٩ ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ ١٠.

٨ - من فقهك وكمال عقلك إذا قرأت في الوحي شيئاً مباركاً، أن تلقى بنفسك في رحابه لتصيبك الحياة ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ١١ وقد كان نبيك يحسر ثوبه ليصيبه المطر، ويقول: «إنه حديث عهد بربه»^(١)، هذا والله الفقه.



٩ - التاريخ طافح بالمعارضين والمكذبين منذ فجره إلى يومك هذا ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴿١٤﴾ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٥﴾

١٠ - كلُّ من كَذَّبَ بالحق وعارضه لقي وعيد الله تعالى، وعاین عذابه، واصطلى به أفراداً وجماعات ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾.



وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْ جَلِّ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتْلِفَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ
 ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
 الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ
 يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ
 كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ
 ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
 عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ
 وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُونِي لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ
 إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
 يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتْ
 الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ
 ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا
 بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ من الخواطر والمشاعر ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾ جبل العنق؛ وهو عرق بين الحلقوم والودجين إذا قُطِعَ مات الإنسان؛ يُضرب به المثل في القرب، والمراد قرب الله تعالى إليه بملائكة الموت.

• ﴿إِذْ يَنْفَلِی الْمَتَلَقَّيَانِ﴾ الملكان اللذان يكتبان أعمال الإنسان ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾ أحدهما عن يمين الإنسان، والآخر عن شماله مترصد.

• ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ ما يقول من كلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ﴿١٨﴾ يراقب ما يقوله ويكتبه؛ وعتيد: مُهيأ لذلك مُعدُّ له.

• ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ شدَّته ﴿بِالْحَقِّ﴾ الذي لا مهرب منه ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ﴿١٩﴾ تهرب وتفتر.

• ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ ﴿٢٠﴾ يوم القيامة.

• ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ﴿٢١﴾ سائق من الملائكة يسوقها إلى أرض المحشر، وشهيد عليها بأعمالها من الملائكة.

• ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ الموقف ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ غطاء الغفلة ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ﴿٢٢﴾ حادُّ قويٌّ من أثر ما يرى وما يحيط به من الخوف.

• ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ مَنْ كتب أعماله من الملائكة: ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ﴾ ﴿٢٣﴾ هذا الذي وكلتني به في الدنيا قد أحضرته، وكتبت عنه كل شيء.



- ﴿أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب للسائق والشاهد ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٢٤﴾ جاحدٍ للحق كثير العناد ﴿مَنَاجٍ لِلْحَيِّرِ﴾ في أيام الدنيا ﴿مُعْتَدٍ مَّرِيْبٍ﴾ ﴿٢٥﴾ مُعْتَدٍ على حدود الله تعالى، وشاكٌّ في أمر الله تعالى ووعدته ووعيدته.
- ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ فأشرك مع الله تعالى ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ﴿٢٦﴾ عذاب جهنم.
- ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ أي الشيطان الذي وكل به ﴿رَبَّنَا مَا أَطَفَيْتُهُ﴾ لست أنا الذي جعلته طاغياً متجاوزاً للحد ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾ كان هو الضَّالُّ.
- ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ ﴿٢٨﴾ حذرتكم وأنذرتكم.
- ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ فيما قرّرتَه على من خالف أمري ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعِيدِ﴾ ﴿٢٩﴾ ولا أظلم أحداً من الناس.
- ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٣٠﴾ لم أمتلئ بعد.
- ﴿وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أدنيت وقُربت ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ يوم القيامة.
- ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾ أي الجنة ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجّاعٍ تائبٍ إلى الله تعالى ﴿حَفِيطٍ﴾ ﴿٣٢﴾ حفظ أوامر الله تعالى ونواهيه.
- ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ السّر ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿٣٣﴾ خاضع لله تعالى مُقْبِلٍ عليه.
- ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي الجنة ادخلوها والسلام يحفكم فيها من الله تعالى وملائكته ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾ يوم القيامة.



- ﴿لَهُمْ﴾ أي للمتقين ﴿مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ في الجنة من نعيم ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ﴿٣٥﴾
رؤية الله تعالى، وألوان النعيم.

التدبر

- ١ - هل تخيلت علم الله تعالى المحيط بك! حتى نسائم أنفاسك وسؤالات ضميرك لا يخفى عليه منها شيء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾.
- ٢ - ترفع عن خواطر الحضيض؛ فالله تعالى يراها ويرقبها ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾.
- ٣ - كم مرة خجلت من الخلق من أن تسمعهم صوت مكالمتك وأنفاس حديثك، فماذا عن الله؟! ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾.
- ٤ - ترقق بلسانك! فما يجري منه مكتوب ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾.
- ٥ - لو كُنَّا نفقه خطر ما نقول لتحرج أحدنا من مباح الكلام؛ فكيف بحديث العورات! ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾.
- ٦ - لحظة الموت هي اللحظة الفارقة التي لم يقم لها حظ من الاستعداد عند كثيرين ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾.
- ٧ - الإيمان والعمل الصالح أعظم ما تواجه به قصة الموت في حياة إنسان ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾.



٨ - أحدهم مات عن مرض، وآخر في حادث، وثالث على سرير نومه، ورابع وهو يتحدث عن قضيتته، وخامس وهو راكب سيارته، وسادس وسابع وعاشر؛ لَقِيَهُمُ الْمَوْتُ فِي سَاعَةٍ غَيْرِ مَتَوَقَّعةٍ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ١٩.

٩ - كثير من الأغطية لا تُكشَفُ إلا في نهاية الطريق ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكْشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ٢٢.

١٠ - مشكلة الغفلة أنها طويلة الأمد ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكْشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ٢٢.

١١ - يمكنك أن تتغافل عن مصالحك الشخصية، أما قصة وجودك فلا يُقبل فيها العمى ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكْشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ٢٢.

١٢ - مشكلته الكبرى الكبر؛ وهي ذاتها التي قيّدت كثيرين عن نهايات التوفيق ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيْبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ ٢٦.

١٣ - جماعة كبيرة من أهل الباطل لم يقفوا عند حد الخطيئة، بل كانوا أنصاراً لها ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيْبٍ﴾ ٢٥.

١٤ - مَنْ شَرِبَ مِنْ حَنْظَلِ الضَّلَالَةِ يَلْقَى بِحِمْنِهَا عَلَى الْآخِرِينَ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيْبٍ﴾ ٢٥.

١٥ - ما أكثر صور هذه الخصومة في ذلك اليوم ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ٢٩.



١٦ - أمس كان يحتفي به، ويدلُّه على الطريق، ويُسانده في الضلالة! واليوم يقول ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٢٧﴾ هذه صناعة الشياطين!

١٧ - ليس هو أول الساقطين في قعرها! ما زالت تطلب لاحقين له ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٣٠﴾.

١٨ - الأعناق المستكبرة تحتاج إلى نارٍ تلتفتها للحقيقة من جديد ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٣٠﴾.

١٩ - لا تُجهد نفسك، أو تُعني جسدك! هي التي ستخطو إليك، وتمسح كدَّ الأيام من قلبك ومشاعرك ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾.

٢٠ - هل تحسب بأن خطواتك إليها ذهبت سدى! كلاً، سَتَرْدُ جميلك، وتأتي إليك، وتغمرك بالفرح ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾.

٢١ - رجوعك عن خطيئتك ثمينٌ للغاية؛ فلا تكلَّ عن تكرار التوبة ﴿هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ﴿٣٢﴾.

٢٢ - إجلالك لشريعة الله تعالى؛ وحفظك لأوامره هو الذي يبلغك منك ﴿هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ ﴿٣٢﴾.

٢٣ - الذين حفظوه في السرِّ وعظّموه في الخلوة، وأجلّوه في الظلام، يستحقُّون شرف الجنان ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿٣٣﴾.

٢٤ - تخيّل ضيفك، وهو يرحّب بك، ويجلُّ مجيئك، ويكثر من الترحاب بك! وتخيّل في المقابل ملائكة الرحمن وهم يستقبلونك بالتهاني والإكرام! ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ﴿٣٤﴾.

٢٥ - تعبك، جهدك، معاناتك، لن يبقى منها شيء ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (٣٤).

٢٦ - كُلُّ مُتَعِ الدُّنْيَا مَشْوُوشَةٌ؛ إِلَّا مُتَعِ الْآخِرَةِ، فَلَيْسَ فِيهَا سِوَى النِّعَمِ ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (٣٤).

٢٧ - الْجَنَّةُ فَوْقَ تَصَوُّرِكَ، وَأَبْعَدُ مِنْ خَيَالِكَ، وَمَعَ ذَٰلِكَ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥).

٢٨ - لَا يَفْرُطُ فِي هَٰذَا النِّعَمِ إِلَّا مَخْذُولٌ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥).

٢٩ - إِذَا اجْتَهَدْتَ فِي طَاعَةٍ أَوْ تَأَقَّتْ نَفْسُكَ لِمَعْصِيَةٍ، فَأَلْقِ عَلَى قَلْبِكَ بِهَٰذِهِ الْمَشَاهِدِ الْكُبَارِ ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٣٢) أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥).





وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي
 الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ
 لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا
 مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
 قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
 وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ
 ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا
 نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ
 عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
 وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

التفسير

- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ كم أهلكنا من أمم مضت على غير هدى
 ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ أكثر قوة من كفار قريش ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ ساروا
 فيها ﴿هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ﴿٣٦﴾ من مهرب ومفرّ من الله تعالى.
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ إهلاك هذه القرون ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ لب وعقل



﴿أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعَ﴾ أصغاه واستمع للعة والذكرى ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ حاضر بكلِّ حواسه.

• ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ﴿٣٨﴾ من تعبٍ ونصبٍ.

• ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا رسول الله ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ من كفر وتكذيب واستهزاء ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ نزهه وأجله وقدره ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ﴿٣٩﴾ بالصلاة والذكر.

• ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ ﴿٤٠﴾ كذلك بالطاعات.

• ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿٤١﴾ وذلك حين ينفخ إسرافيل في الصور يوم القيامة.

• ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ ﴿٤٢﴾ من القبور إلى أرض المحشر والجزاء.

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤٣﴾ المرجع والمآب.

• ﴿يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ مسرعين إلى موقف الحساب ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ ﴿٤٤﴾ جمع الناس في مواقف العرصات وحسابهم.

• ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من أقوال الشرك والكفر والاستهزاء ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الهداية ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ﴿٤٥﴾ عظة وذكر به من يخاف لقاء الله تعالى يوم القيامة.



التدبر

١ - قلب بصرك يميناً وشمالاً؛ فالعبر تفوق الوصف ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾.

٢ - الذكرى لا تقع إلا في قلب حي ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾.

٣ - أثر القرآن في قلبك وقف على صدق إقبالك وتوق مشاعرك إليه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧).

٤ - الذي خلق هذا العالم قادرٌ على نصر المؤمنين وإرْكَاس الضالِّين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (٣٨).

٥ - هل أقلقك واقعك، وأدمى قلبك، وأزق مشاعرك؟! تجمل بالصبر واجتهد في الإقبال على ربك ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾.

٦ - الكلام الذي يقال لك أشدُّ عثرات الطريق، ودواء عواصفه أخلاق الصابرين ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٧ - قصة النهاية باختصار ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ نَشَقُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾.

٨ - لا تحمّل خاطرك فوق طاقته، ولا تجادل الضالّين فوق وسعك، الله تعالى يدبّر شأن كل شيء ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

٩ - ليس دورك هداية الناس وإقناعهم بالشرب من ماء الحياة المعين! دورك عرض مباهجه فحسب ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

١٠ - يا معاشر الدعاة والمصلحين! القرآن لم ينزل للتلاوة حتى تزداد به الحسنات فحسب، بل نزل لتهتدي به قلوب العالمين ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذِكْرٌ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.





سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا ۝١ فَالْحَمَلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقْسِمَاتِ
أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُوا ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ
۝٧ إِنَّكُمْ لَعِنَى قَوْلٍ مُخْلِيفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُلِ الْمُحَرِّصُونَ
۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ
عَلَى النَّارِ يُقْنَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ
ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ
لِّلْمُتَوَقِّينَ ۝٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا
تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۝٢٥ فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلَهُ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦
فَرَقَّبَهُ إِلَهُهُمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ
وَبَشِّرُوهُ بِنُعْلَمِ عَلَيْهِ ۝٢٨ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ
مَحْجُورٌ عَقِيمٌ ۝٢٩ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝٣٠

التفسير

- ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾ ① الرياح تذرُ التراب، فتنقله وتسوقه وتحركه.
- ﴿فَالْحَمَلَاتِ وَقَرًا﴾ ② السحاب تحمل الماء الكثير، ووقراً: أي ثقلًا من الماء.
- ﴿فَالْجَرِيدَ يَسْرًا﴾ ③ النجوم التي تسير وتجري يسر وسهولة.
- ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ ④ الملائكة تقسم ما أمرها الله تعالى بتقسيمه، كلُّ مَلَكٍ فيما يخصه.
- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ ⑤ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِعُ ⑥ البعث والجزاء واقع صادق لا مرية فيه.
- ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ⑦ ذات الصنع البديع المستوي ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ ⑧ في أمر الوحي والرسالة.
- ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ﴾ ⑨ يُصرف عن الإيمان بالله من صُرف في علم الله تعالى.
- ﴿قُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ ⑩ لُعِنَ وَأُهْلِكَ الْكَذَّابُونَ الْمُرْتَابُونَ.
- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ غفلة وجهالة ﴿سَاهُونَ﴾ ⑪ غافلون.
- ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ ⑫ متى يوم القيامة؟! سؤال تهكم واستبعاد.
- ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنَّنُونَ﴾ ⑬ يُعذَّبون.
- ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ عذابكم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ⑭ هذا هو العذاب الذي كنتم تستعجلونه وتكذبون بوقوعه.



- ﴿إِنَّ الْمَتِّينَ﴾ وهم الذين جعلوا بينهم، وبين عذاب الله تعالى وقاية؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٥﴾ بساتين وأنهار.
- ﴿ءَاخِذِينَ مَا آَنَاهُمْ بِهِمْ﴾ من أصناف النعيم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ في أيام الدنيا.
- ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ قليلاً ما ينامون لأنهم يتعبدون الله تعالى في جوف الليل.
- ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ السَّحَر ما قبل الفجر؛ يستثمرونه في الاستغفار، وهو وقت إجابة للدعاء.
- ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ﴿١٩﴾ نصيبٌ مُّقَدَّرٌ لِمَن يسألهم من الناس، وللمحروم الذي يتعفف عن سؤالهم.
- ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ عبر وعظات للمتفكرين.
- ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وكذلك في الأنفس آيات وعبر وعظات.
- ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ الدينية والدينية ﴿وَمَا تَوْعَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ من أمر الساعة والقيامة والجنة والثواب والنعيم.
- ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قسم من الله تعالى بنفسه ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ يوم القيامة وما فيه من الجزاء ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ كما أنكم تتكلمون.
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ﴾ ﴿٢٤﴾ أما جاءك نبأ وخبر ضيوف إبراهيم الذين وفدوا عليه من الملائكة في قصّة هلاك قوم لوط.

- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٢٥) ﴿غَيْرَ مَعْرُوفِينَ﴾ ﴿فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ (٢٦) ﴿ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ خَفِيَةً، مَبَالِغَةً فِي كَرَمِهِمْ، وَجَاءَ لَهُمْ بِعَجَلٍ مَشْوِيٍّ، سَمِينٍ الْجِسْمِ، طَيِّبِ الْأَكْلِ.﴾
- ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) ﴿رَأَاهُمْ لَمْ يَمْدُوا أَيْدِيَهُمْ فِدَعَاهُمْ إِلَى الْأَكْلِ.﴾

- ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ ﴿لَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَى الطَّعَامِ﴾ ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ ﴿لَا تَقْلُقْ﴾ ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٢٨) ﴿أَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ سَيُولَدُ لَهُ غُلَامٌ صَاحِبُ عِلْمٍ.﴾
- ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ ﴿وَهِيَ سَارَةٌ فِي صَرْفٍ﴾ ﴿صَرْخَةً شَدِيدَةً﴾ ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ ﴿ضَرَبَتْ وَجْهَهَا تَعَجُّبًا وَاسْتِعْظَامًا لِلْأَمْرِ﴾ ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩) ﴿كَيْفَ أَلِدُ، وَأَنَا عَجُوزٌ عَقِيمٌ كَبِيرَةٌ؟﴾

- ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ ﴿هَذَا أَمْرٌ قَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا نَحْنُ إِلَّا مَبْلَغِينَ﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠) ﴿لَمَّا قَرَّرَ وَحَكَمَ بِهِ.﴾

التدبر

- ١ - عظم مخلوقات الله تعالى ﴿وَالَّذَرِيَّتِ ذَرَوْا﴾ (١) ﴿فَالْحَمِلَتِ وَفَرَا﴾ (٢) ﴿فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾ (٣) ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ (٤) ﴿وَلَا يَقْسَمُ رَبُّكَ إِلَّا بِعَظِيمٍ!﴾

- ٢ - حكمة الله تعالى من خلقه، فلا ترى مخلوقاً في هذا الكون إلا لحكمة وغاية ﴿وَالَّذَرِيَّتِ ذَرَوْا﴾ (١) ﴿فَالْحَمِلَتِ وَفَرَا﴾ (٢) ﴿فَالْجَرِيَّتِ يُسْرًا﴾ (٣) ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ (٤) ﴿فَأَجَلَّ رَبُّكَ وَعَظَّمَهُ، وَقَمَّ لَهُ بِحَقِّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا تَرَاهُ، فَلِلَّهِ تَعَالَى فِيهِ أَسْرَارٌ وَغَايَاتُ.﴾



٣ - ثَمَّة يَوْمٌ يَجْرِي فِيهِ حِسَابُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٥﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُوا ﴿٦﴾

٤ - مَا كُلُّ مَوْفَقٍ لِهَذَا الدِّينِ، كَمَ مِنْ مَصْرُوفٍ عَنْ طَرِيقِهِ! وَضَالٌّ عَنْ مَبَاهِجِهِ! ﴿٨﴾ يُوَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أُولَكَ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ فَلَا تَغْتَرَّ بِمَوَاهِبِكَ وَقَدْرَاتِكَ وَإِمَكَانَاتِكَ.

٥ - مَاذَا يَبْقَى لِلْإِنْسَانِ إِذَا صُرِفَ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ؟! ﴿٨﴾ يُوَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أُولَكَ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا فِي يَدَيْهِ مَا تَصْنَعُ لَهُ! وَمَا تَنْفَعُهُ فِي شَيْءٍ.

٦ - الْغَفْلَةُ أَسْوَأُ مَا ابْتُلِيَ بِهِ إِنْسَانٌ ﴿١٠﴾ قُتِلَ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَعْرِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ أَعْظَمِ الْقَضَايَا الضَّائِعَةِ فِي حَيَاتِهِمْ.

٧ - مِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ أَنْ تُجَرِّيَ حِسَاباً لِلطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْرِفَ أَيْنَ بَلَغْتَ مِنْ حَقَائِقِ تِلْكَ الْأَيَّامِ ﴿١٠﴾ قُتِلَ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ ﴿١٢﴾

٨ - مِنْ سَقَطَ فِي فِتْنِ الشَّهَوَاتِ؛ تَعَرَّضَ لِفِتْنِ النَّارِ حَتَّى يَفِيقَ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَنَتَكُمُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

٩ - مُشْكَلَةُ الْكَثِيرِينَ أَنَّهُمْ لَا يَفِيقُونَ حَتَّى يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَنَتَكُمُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

١٠ - إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَشْرَفَ عَلَى مَبَاهِجِ أَهْلِ التَّقْوَى، فَالْقُ بَقْلِكَ وَمَشَاعِرِكَ فِي هَذَا النِّعَمِ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٥﴾ أَخِذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْهُمْ رِزْقُهُمْ إِنَّهُمْ كَانَوْا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾



١١ - الجزاء من جنس العمل ﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ ءِئِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾.

١٢ - الإحسان مع ربك والإحسان مع خلقه مؤذنٌ بمباهج النهايات ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ ءِئِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٣ - من إحسانك مع ربك أن تقيم عبادته، وليس في قلبك سواه، وأن تصرف له كل شيء من قلبك ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ ءِئِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٤ - من إحسانك مع ربك أن تقيم شأن العبادة إخلاصاً وخشوعاً ورغبة ورهبة ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ ءِئِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٥ - ومن إحسانك مع خلق الله تعالى أن تحب لهم ما تحب لنفسك، فترحم ضعيفهم، وتحنو على صغيرهم، وتجلُّ كبيرهم، وتعينهم على قضاء حوائجهم، وتنصح لهم، وتقيم فيهم شأن دين الله تعالى من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة العامة على حسب قدرتك واستطاعتك ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانْتَهُمْ رَبُّهُمْ ءِئِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

١٦ - من أكثر مشاهد الإحسان التي بَلَغَتْ بهؤلاء إلى النعيم الكبير قيام الليل، والاستغفار بالأسحار، وإنفاق الأموال ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ وَإِلَاسْتَحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.

١٧ - اقْبِضْ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَأَحْسِنِ الْعَمَلَ فِيهَا، وَتَمَسَّكْ بِهَا، وَأَدِرْ فِيهَا شَأْنًا مَعَ رَبِّكَ، وَاسْتَبْلِغْ أَحْلَامَكَ الَّتِي تَرِيدُ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ وَإِلَاسْتَحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾.



١٨ - كم مرّة احتاجت قلوبنا ومشاعرنا إلى أن تروى من التفكّر في بدائع الله تعالى في هذا الكون؟! ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾.

١٩ - خلق السماء والأرض والإنسان أعظم مشاهد الكون وأكثرها دهشة في واقع الحياة ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾.

وتزعم أنك جِزْمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

٢٠ - ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ فلا تقلق على رزقك، سيأتي في موعده، ولن يتخلف منه شيء.

٢١ - ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ حتى لو وقف العالم كله ليمنعك منه ويحجبه عنك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾.

٢٢ - موعد الجزاء يستحق هذا القسَم الكبير ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَظِّفُونَ ٢٣﴾.

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

٢٣ - ما لم تتحوّل مشاهد هذا اليوم إلى واقع حيّ في حياتك، فلا مفروح بعد ذلك بشيء من العلم ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَظِّفُونَ ٢٣﴾ وَهَبْنِي قَلْتُ هَذَا الصُّبْحَ لَيْلٌ أيعمى العالمون عن الضياء

٢٤ - القصّة هي الطريق الأمثل لبناء قيمك ومفاهيمك، وبابّ يمكن أن يُشيد للتصوّرات واقعاً كبيراً في حياتك مع الأيام ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا



لَا تَخَفْ^{٢٦} وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ^{٢٨} فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ
عَجُوزٌ عَقِيمٌ^{٢٩}.

٢٥ - إذا أردت أن تحيي مفهوماً أو تبني تصوراً أو تقيم شأنك لفضيلة وقيمة، فادخل
إلى ذلك من باب القصة والمثال ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾^{٢٤} إِذْ
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ^{٢٥} فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ^{٢٦}
فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ^{٢٧} فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ^{٢٨} وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ
عَلِيمٍ^{٢٩} فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ^{٣٠} وهي نصيحة
للآباء والمربين والمعلمين، ومن له علاقة بشأن التربية من قريب أو بعيد.

٢٦ - العناية بقراءة سير الكبار والقدوات والمؤثرين وضئاع الحياة ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ
حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾^{٢٤} إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ^{٢٥}
فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ^{٢٦} فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ^{٢٧} فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ^{٢٨} وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ^{٢٩} فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا
وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ^{٣٠}.

٢٧ - إكرام ضيفك ديناً وأدباً ﴿ فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾^{٢٦} وليس
بالضرورة أن يصبح العجل السمين هو رأسها وقاعدتها، فعالم اليوم يموج بكثير
من النعيم، وحسبك من الاستقبال الود والتقدير.

٢٨ - من لطيف أدبك وكمال ضيافتك؛ حسن الاستقبال والترحيب بضيفك ﴿ إِذْ
دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾^{٢٥}.

٢٩ - حرصك على إسعاد ضيفك أدباً ينبغي أن يجري في واقعك ﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ
أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾^{٢٧} وهذا السؤال من إبراهيم عليه السلام حين رأى أنهم لم يقرّبوا طعامه
بالكلية، وإلا فمن الإكرام أن تدع ضيفك على سجيته وألا تحرجه بكثرة السؤال.



٣٠ - من جمال أدب الضيف وحسن خلقه أن يبلغ مضيفه بسبب مجيئه حتى لا يبقى نوافذ مفتوحة للقلق ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢٨).

٣١ - إذا أراد ربك أمراً قال له كن فيكون ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢٨) على خلاف العوائد التي جرت في جنس بني آدم! امرأة كبيرة وعاقرة، ومع ذلك أدار الله تعالى شأنها على غير عادة.

٣٢ - إذا أراد ربك أن يمنحك ويعطيك ويكرمك؛ فلا راداً لفضله ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢٨).

٣٣ - يمكن أن تُغيّر السنن من أجل إكرامك؛ فتفاءل ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ (٢٨).

٣٤ - قلة صبر المرأة وضعف تحملها للأحداث الكبيرة والمفاجئة ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (٢٩) انظر للفارق الكبير في استقبال هذا الخبر بينها وبين زوجها إبراهيم عليه السلام! ولهذه اللطيفة، وغيرها صار الزوجان مكملان لبعضهما مثيران لأحداث واقعهما.

٣٥ - إياك أن تقول: (صعب) و(مستحيل)، و(لا يمكن)؛ فالله تعالى أقدر على كل شيء ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (٢٩).

٣٦ - حتى لو قال الأطباء كلهم: ليس لمرضك علاج، وأراد الله تعالى شفاءك، فلا راداً لقضائه ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (٢٩).

٣٧ - العلم يصنع فارقاً في الأحداث ﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٠) لكمال علمهم ببرهم أصبح ذلك شيئاً عادياً مستقراً في الأذهان والعقول.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ
 ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ
 ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ
 الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾
 وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَكَالَ
 سَاحِرٍ أَوْ مُّجْنُونٍ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّنَتْهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾
 وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ
 إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾
 فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
 اسْتَطَعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ
 كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾
 وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا
 زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾
 وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾



التفسير

- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) ﴿مَا شَأْنُكُمْ وَلِمَ جِئْتُمْ؟!﴾
- ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢) ﴿قَوْم لوط﴾.
- ﴿لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ﴾ (٣٣) ﴿حِجَابَةُ السَّجِيل؛ وهو الطين الذي أُوقد عليه حتى تحجّر﴾.
- ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤) ﴿معلّمة؛ كل حجر عليه اسم صاحبه﴾.
- ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿أنجينا من كان في قرية لوط من أهل الإيمان، وهم لوط وأهل بيته سوى امرأته﴾.
- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) ﴿بيت لوط ﷺ﴾.
- ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧) ﴿تركنا في هذه القرية عبرة وعظة لكل من يخاف الله تعالى﴾.
- ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ في ذكر قصته عبرة وعظة وآية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَدَلِيلٌ قَاطِعٌ، وهي الآيات التسع؛ كالعصا واليد﴾.
- ﴿فَنَوَلَّىٰ وَرُكْبَهُ﴾ أعرض إلى جنوده مغترّاً بهم، فهم ركنه وعونه ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٣٩) ﴿يعني موسى إما ساحر أو مجنون﴾.
- ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ألقيناهم في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿ملوم على ما هو فيه من الكفر والطغيان﴾.
- ﴿وَفِي عَادٍ﴾ عبرة وعظة، وهم قوم نبي الله هود عليه السلام ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) ﴿الريح المهلكة المدمّرة﴾.



• ﴿مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾ ﴿٤٢﴾ كَالْهَشِيمِ الْهَالِكِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

• ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ عِبْرَةٌ وَآيَةٌ وَعِظَةٌ ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٤٣﴾ تَمَتَّعُوا وَابْقُوا عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ فِيهِ حَتَّىٰ يَنْزِلَ بِكُمْ الْعَذَابُ، وَتَحُلَّ بِكُمْ النِّقْمَةُ، وَكَانَ ذَلِكَ الْحِينُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٥٦].

• ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ عَصَوْا وَتَمَرَّدُوا وَبَغَوْا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ الصَّيْحَةُ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ عِقَابِهِمْ بِأَعْيُنِهِمْ.

• ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ بَعْدَ مَا حَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ دَفْعِ مَا حَلَّ بِهِمْ.

• ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ كَانُوا كَهَؤُلَاءِ، فَوَقَعَ بِهِمْ مَا وَقَعَ بِهِؤُلَاءِ.

• ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِيمَانٍ﴾ بِقُوَّةٍ ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ لِأَرْجَائِهَا وَأُنْحَائِهَا.

• ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ بِسَطْنَاهَا وَجَعَلْنَاهَا فَرَاشًا وَذُلُولًا ﴿فَنِعَمَ أَلْمِهْدُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ ثَنَاءً مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ.

• ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ خَلَقَ صَنَفَيْنِ اثْنَيْنِ، وَنَوْعَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ.



• ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ اعملوا كلَّ ما أمركم به، واتركوا كلَّ ما نهاكم عنه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ محذّر ومخوِّف لكم من عقابه.

• ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لا تشركوا به ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ محذّر ومخوِّف من عقابه.

التفسير

١ - إذا جرت أحداث العقوق في أرض، فإنَّ لها زمناً يقع فيه العذاب ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

٢ - لا تستبطئ عقوبة ربك، وإذا زلّت قدمك في معصية عن عمدٍ، فترقّب حلول أجل القصاص، ولو بعد حين ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

٣ - الكثرة ليست دليلاً على الحق ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ أمة بأسرها عكفت على باطل، وعاشت عليه، ولم ينج منهم من تلك الفتنة إلا آل لوط عليه السلام.

٤ - لا تغترّ بهذه الجماهير الغائبة عن منهج الله، والضائعة في طريق الهوى؛ فالكثرة ليست برهاناً على الحقائق ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.



٥ - عادة الله تعالى الجارية، وسننه المقررة، أن كل من تجاوز حدّه جعله الله تعالى عبرة للناس ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

٦ - (اللواط) قصة انتكاس الفطر، وخسّة الطباع ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

٧ - أجيال اليوم مع التقنية الحديثة مُهَدَّدة في أعراضها، ومُقبلة بالأمة على فواجع النقم إن لم يُعدَّ بناء الفضائل والقيم في نفوسهم من جديد ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

٨ - لم تعد التقنية التي تثير الفواحش، وتبثُّ الغرائز بمنأى عن أبنائنا وأجيالنا، وإنّما باتت تسامره في سرير نومه، وتقضي معه وقت فراغه، وتشاركه همومه حتى في الطريق العام ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

٩ - هل تصوّرت أنّ ولدك وابنتك حين يغلق كلّ عليه باب غرفته، ويطفئ ضوءها يجوب العالم بعينه، ويقف على مجهضات الحياء من واقعه كل ليلة ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

١٠ - لا يمكن أن تواجه ماديّات اليوم التي تثير مكامن الشهوات في نفوس الأجيال إلا من خلال التربية على الإيمان، والعمل الصالح والرقابة الذاتية ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.



١١ - عصر الشهوات يقضي على كل الحلول التي تفرض الرقابة الخارجية حلاً لعلاج مشكلاتها، وليس بين يدي الأمة اليوم إلا أن تعيد تأهيل نفوسها وأجيالها على القيم والمثل والمبادئ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾.

١٢ - ليس من شأنك حساب أتباعك في مشروعك، ومتابعيك في وسائل التواصل الاجتماعي، الكبار قبلك لم يكن من شأنهم مثل هذا ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦).

١٣ - ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) وما ضره شيء، وما حوسب عليه، وما سئل عنه قط.

١٤ - لن يضيع إيمانك في غمرة الأحداث ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) سيرعاك الله تعالى ويكلؤك بحفظه حتى في أشد الظروف.

١٥ - من سار على الطريق ذاته فليتنظر النهاية ذاتها، ولو بعد حين ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧).

١٦ - ليس من شأنك هداية العالمين، وإنما حسبك إبلاغ دين الله تعالى ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ، وَقَالَ سَحَرُ أَوْ يُجْنُونُ﴾ (٣٩) ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُوْدُهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ (٤٢) ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٤٣) ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٤٤) ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤٦) وهذا العرض لدعوة المصلحين وعدم استجابة أقوامهم لهم دليل على هذا المعنى.



١٧ - دروس التاريخ أكثر الدروس أثراً وعبرة ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكُوبَهُ وَقَالَ سَحَرُ أَوْ يُجْنُونُ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَدَّتْهُمْ فِي الْيَمِّ
 وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا
 جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي نَمُودٍ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
 فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٤٥﴾
 وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا تلقِ بالاً للذين يعارضون
 الحق، ويجهتدون في إعاقة انتشاره، سيأتي يومٌ للنهايات.

١٨ - ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْهُدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ
 كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ نافذة على بعض مظاهر قدرة الله تعالى
 في الكون.

١٩ - ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ فَرُّوا من حولكم وقوتكم إلى حول
 الله تعالى وقوته، فَرُّوا من صور الجاهلية ووعثائها وظلامها إلى صور الحق وصفاء
 الوحي، فَرُّوا من الأرض المثقلة بالعوائق إلى السماء المليئة بأحداث الروح.

٢٠ - اقرأ درسك بإمعان! لا تمضِ إلى ربِّك ماشياً، بل انفر قدر وسعك وبكل
 جهدك؛ فذلك هو القرار ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٢١ - فراك إلى الله تعالى بفرار قلبك من رجاء المخلوقين، والتماس رضاهم إلى
 رجاء الخالق والتماس رضاه ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.

٢٢ - فراك إلى الله يستلزم أن تُقبل على طاعته، وتستنفد فيها طاقتك، وتجهتد قدر
 وسعك، وألا تبقي شيئاً من جهدك لم تصنعه، وأن تفرَّ من معصية الله تعالى؛ كبائر
 الذنوب وصغائرها، قليلها وكثيرها، وأن تعظَّم شعائره تعالى، وتجلَّ أحكام شريعته
 ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾.



٢٣ - إذا أذن المؤذن، ففرارك إلى الله تعالى بترك كل ما في يدك والإقبال إلى مراتع العز والتمكين ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾.

٢٤ - إذا قامت فضيلة، أو دُعيت إلى قضية للأمة ففرارك إلى الله تعالى أن تمسك بناصيتها، وتأتي على آمالها، وتقوم بها في العالمين غير ملتفت لكل عوارض الطريق ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾.

٢٥ - ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ فلا يراك الله تعالى في موقع ليس لك، ولا من شأنك، ولا يليق بطريقك ومنهجك في الحياة.

٢٦ - ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ ليس بالضرورة صنم الجاهلية وحجرها الذي كانت تلتمس فيه البركة بالأمس، وإنما كل صورة يُجَلُّ فيها مخلوق أو عادة أو شيء على حساب منهج الله تعالى وشريعته.

٢٧ - كلُّ عملٍ أو فكرة أو قضية قَدِّمْتَ مرادها على مراد الله تعالى، فهي من الآلهة التي نهاك الله تعالى عنها ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾.

٢٨ - يمكن أن يكون الإله نظامك الذي تديره في مسؤوليتك، أو مسؤولك الذي تؤلِّه في قلبك، أو عادة قبيلتك وصنمها الذي تصادم به شريعة الله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾.



كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾
 أَتَوَصَّوُا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَنَوَّلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ
 بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا
 خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
 ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ
 ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير

- ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ ما قاله لك قومك هو ما قاله الأولون لرسولهم.
- ﴿أَتَوَصَّوُا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ هذا الذي يتهمونك به على سبيل الوصاية بينهم أم لطغيانهم ورفضهم للحق.
- ﴿فَنَوَّلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ﴿٥٤﴾ أعرض عنهم فلا لوم عليك بعد البلاغ.
- ﴿وَذَكَرَ﴾ بالموعظة والترغيب والترهيب ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ ينتفع بها المؤمنون المتقون.



- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ ليقوموا بحق الله تعالى من الأمر والنهي.
- ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ ﴿٥٧﴾ ولا أنتظر منهم عطاءً ولا إطعاماً.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ ﴿٥٨﴾ واسع الرزق وكثير العطاء ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٩﴾ صاحب القوة والقدرة التامة.
- ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ﴿٦٠﴾ نقضوا عهد الله تعالى، ولم يقوموا بأمانة الحق الذي جاء لسعادتهم ﴿ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ ﴿٦١﴾ لهم نصيب من العذاب كنصيب أصحابهم ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ طلب العقوبة والعذاب، فهو واقع بهم.
- ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ تهديد ووعد للكافرين من يوم القيامة.

التدبر

- ١ - دفاع عدوك عن شهواته سيظل ما بقيت الحياة، فتشبث بمنهجك ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ اتواصوا به بل هم قوم طاعون ﴿٥٣﴾.
- ٢ - خذ مشروحك، وابدأ فكرتك، واستلم قضيتك وفي ذهنك أن عدوك على الطريق ينتظرك ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ اتواصوا به بل هم قوم طاعون ﴿٥٣﴾.
- ٣ - الباطل متفق في جذوره وأسسهِ مع بعضه بعضاً، مهما تباعدت أقطاره والخلاف لا يعدو الوسائل ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ اتواصوا به بل هم قوم طاعون ﴿٥٣﴾.



٤ - لا تلتفت للناعقين في عرض الطريق! امض في سبيلك ومنهجك، ودع نواح الباكين ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ فَمَّا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ٥٤.

٥ - لا تتوقف عن دعوتك ورسالتك وفكرتك لأجل معارضة عدوك ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ فَمَّا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ٥٤.

٦ - كم من إنجازٍ ثمينٍ من أثر دعوتك، ولو لم تره في حياتك! ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٤.

٧ - لا تحتقر جهداً تقدّمه، فما يدريك كم تحيي به من قلب! ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٤.

٨ - لا تبتئس من قيام المعرضين عن دعوتك! لعلهم لا يصلحون للهداية ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٥.

٩ - موعظتك ستترك ربيعاً في قلوب المؤمنين؛ ولو بعد حين ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٥.

١٠ - لا تفوت فرص هذه الدعوة! فلعل مستمعاً ينتظر أفراحها، ويقوم بها بعد ذلك في العالمين.

١١ - إياك أن يقول لك الشيطان: الوقت غير مناسب، ومرة أخرى، والوقت ضيق، ثم يحرمك أفراح دعوتك ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٥.

١٢ - العبادة أعظم غاية وجد لها الإنسان في الحياة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦.

١٣ - شأن العبادة أعظم من الصور التي تراها في واقعك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦.

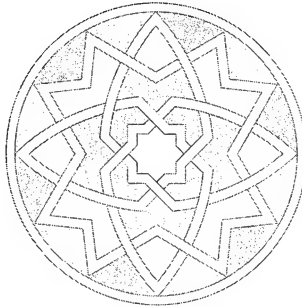


١٤ - العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦.

١٥ - ثمة يوم لكل ظالم وكافر ومعارض للحق، سيرد فيه على الحقائق، ويُجازى على كل شيء ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥٩ فويل للَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾.

١٦ - مواعيد الانتظار مُملة إلا هذا الميعاد ينتظر بشوق ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥٩ فويل للَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾.

١٧ - الفرح بفوزك ونصرك وموعدك مع الحياة شيء، والفرح بميعاد الظالمين والانتصار عليهم شيء آخر ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ٥٩ فويل للَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾.



سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ① وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ② فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ
الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّكَ لَوَقِعٌ ⑦ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
مَوْرًا ⑨ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ⑩ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ
الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑪ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
جَهَنَّمَ دَعَا ⑫ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑬

التفسير

- ﴿وَالطُّورِ ①﴾ الجبل الذي كلم الله تعالى عليه نبي الله تعالى موسى ﷺ.
- ﴿وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ②﴾ القرآن الكريم.
- ﴿فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ③﴾ في جلد مُسَطَّرٍ مكتوب.
- ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④﴾ البيت الذي في السماء بحذاء الكعبة معمر كل الأوقات بالملائكة.



- ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ السماء.
- ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ المملوء ماءً.
- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فَعٌ ﴿٧﴾﴾ مُتَحَقِّقٌ.
- ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ يَرُدُّهُ وَيُدْفَعُهُ.
- ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾﴾ تدور وتضطرب حركتها.
- ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾ تزول عن أماكنها، وتسير كما يسير السحاب.
- ﴿فَوَيْلٌ ﴿١١﴾﴾ كلمة تهديد ووعيد ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ بوقوع يوم القيامة.
- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ ﴿١٢﴾﴾ في باطل ﴿يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ لعبثون.
- ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾﴾ يدفعون إليها دفعاً.
- ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ في الدنيا.

التدبر

- ١ - هذه عوالم تدفع بك للحياة ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾﴾ وَكُنْتُ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ وَالْيَبْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾.
- ٢ - ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فَعٌ ﴿٧﴾﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ الْحَقِيقَةُ الَّتِي لَمْ يَسْتَوْعِبْهَا كَثِيرُونَ! وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ وَعِلْمِكَ إِجْلَالُكَ لِهَذَا الْيَوْمِ وَالْعَمَلِ لَهُ.
- ٣ - سَيَتَغَيَّرُ الْعَالَمُ يَوْمًا مَا لِأَجْلِ تِلْكَ الْغَايَةِ الْكُبْرَى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾﴾.



٤ - يا حسرة على فوات الفرص من حياة كثيرين! ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾.

٥ - متى كان دين الله تعالى، ومنهج الحق عبثاً ولهواً في الحياة؟! ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾.

٦ - دين الله تعالى منهج ضابط لشهوات الإنسان، وكابح لجماحها، وليس فوضى، كلما رغب الإنسان في شيء فعله ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾.

٧ - كثير من صور التدئين التي تراها مغشوشة في واقع صاحبها لأنه خلط حقها بباطلها ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾.

٨ - لا تستغرب في مثل زمانك أن تجده في واجب ثم في مُحَرَّم، في مستحب وفي مكروه، في فضيلة وفي رذيلة، حامل للواء دينه وحامل للواء النفاق، كنافذة من مساحات هذا الخوض والعبث ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾.

٩ - ثمة يومٌ تتبين فيه الحقائق الكبرى ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾.

١٠ - يُدْفَعُونَ إِلَيْهَا بلا كرامة كما لم يحتفلوا بدين الله تعالى في واقع الحياة ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾.



أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا
 تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ
 فِي جَهَنَّمَ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَفَيْهِمْ بِمَا آَلَتْهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمُ رَبُّهُمْ
 عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
 مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ
 عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ
 وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْشَرَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْسٍ ﴿٢٣﴾
 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
 ﴿٢٦﴾ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
 مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ
 بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
 الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَزِعِينَ ﴿٣١﴾

التفسير

- ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٥) ﴿هذا الذي ترونه من العذاب والنار هل هو مجرد سحر أم أنكم لم تكونوا أصحاب بصيرة في الدنيا؛ فلم تنتفعوا بما جاءكم من الآيات.﴾
- ﴿أَصْلَوْهَا﴾ ادخلوا النار، وقاسوا حرَّها ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ صبركم عليها أو عدمه سواء؛ لأنه لا فكاك منها ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) ﴿هذا جزاء أعمالكم في الدنيا.﴾
- ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ﴾ الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية؛ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَعِيمٍ﴾ (١٧) ﴿في أرواحهم وأبدانهم وقلوبهم.﴾
- ﴿فَكَيْهِنَ يَمَاءً إِنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾ متمتعين به على وجه الفرح والسرور ﴿وَوَقَّهْمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (١٨) ﴿أنجاهم من عذاب النار.﴾
- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ هانئين متلذذين ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿بسبب أعمالكم.﴾
- ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ أرائك مزينة، يجلسون عليها على وجه الراحة والنعيم ﴿وَزَوْجَتُهُمْ يَمْشُونَ فِي بَحْرِ عَيْنٍ﴾ (٢٠) ﴿وصف الزوجة بالحور، وهو شدة بياض العين وشدة سوادها، وهذا غاية ما يكون من الجمال.﴾
- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقَّانِيَّتِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ وما نقصناهم من عملهم من شيء، فلم نحط من درجة الوالدين مقابل رفع ذريتهم معهم ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢١) ﴿مرتحن بعمله؛ فلا يؤخذ أحد منهم بذنب غيره.﴾



- ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ أعطيناهم كل ما يتفكّه به الإنسان من نعيم ﴿وَلَحْوِمًا يَشْنُونُ﴾ ﴿٢٢﴾ مما تستلذُّ نفوسهم وتشتهيه ﴿يَنْزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ يتناولون فيها كؤوس الخمر على سبيل الأُنس والمداعبة ﴿لَّا لَغْوُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيُ﴾ ﴿٢٣﴾ لا يحصل بسبب شربها كلامٌ لاغٍ من الباطل، ولا إثم فيها لأنها لا تسكر.
- ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ يدور عليهم غلمان يخدمونهم ويقضون حوائجهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُكُمْ مَكُونٌ﴾ ﴿٢٤﴾ في جمال هيئتهم وحسنها.
- ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ يتساءلون ويتذكرون حالهم في الدنيا ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ كُنَّا في الدنيا خائفين من الله تعالى.
- ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّتْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ ﴿٢٧﴾ تفضّل علينا، وأنجانا من النار.
- ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ نعبده، ونتضرّع إليه رغبة ورهبة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٨﴾ صاحب البرّ والإحسان والرحمة.
- ﴿فَذَكَّرَ﴾ بالحقّ الذي معك ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ﴿٢٩﴾ أم يقولون شاعرٌ نرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ بل يقولون هو مجرد شاعرٍ ننتظر به الموت لنرتاح منه.
- ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَاصِينَ﴾ ﴿٣١﴾ انتظروا، فإنني معكم من المنتظرين.

الذِّكْرُ

- ١ - نافذة على سوء النهايات التي يجلبها التفریط ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾.



٢ - هل ترى بأنَّ الله تعالى ظلمهم! كَلَّا ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إنما سعوا جادّين بأنفسهم لخسارة الدارين.

٣ - على قدر عملك تصنع مستقبلك ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٤ - أعظم نعيم بعد رؤية ربِّك نعيم الجنان ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ فَكَهَيْنَ بِمَا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَامْدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٨﴾ دع خيالك يسرح في مباهاج هذا النعيم.

٥ - من كمال نعيمك أن تأمن فواته، وتطمئن لاستمراره ﴿فَكَهَيْنَ بِمَا آتَاهُمُ رَبُّهُمْ وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٨﴾ كم من لذيذٍ يطارده خوف الزوال! وكم من لذيذٍ يداهمه الخوف فيذهب بلذته؟!

٦ - أرقُّ لحظات المتعة تلك التي يتقابل فيها الأصدقاء مجتمعين مؤتلفين فرحين بعد عناء الطريق ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾.

٧ - نعيم الروح من أرقى المباهاج التي يعيشها المؤمن في الجنان ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴿٢١﴾ ماذا بقي بعد لقاء من تحب؟!



٨ - هل تريد لقاء صديقك وروح قلبك ومشاعرك وأنس حياتك؟! أَقْبِلْ عَلَى العمل، وأثر مساحات الأمان كما تشاء ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾.

٩ - إِيَّاكَ أَنْ تَتَخَلَّفَ عَنْ سَاحَاتِ الشَّرَفِ، فتأتي متخلفاً عن الركب! ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٢٠) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾.

١٠ - من إكرامك أَنْ يُلْحَقَ بِكَ وَلَدُكَ لِيَكْتَمَلَ أَنْسُكَ، وتزداد مباهجك ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢١).

١١ - الجزاء من جنس العمل ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿تَعْبُوا فِي الطَّرِيقِ، واستراحوا في النهاية.

١٢ - من بالغ الشوق تُسْتَدْعَى الذِّكْرِيَّاتُ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾.

١٣ - جهدك، وعملك، أيامك ولياليك، وثوران الغبار من أقدامك! ستأتي في مشهد الذكريات ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥).

١٤ - اجتماعاتكم، أنسكم، أحاديثكم، نقاشاتكم الطويلة من أجل دينكم! ستعود محفلاً للذكرى! ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾.

١٥ - حتى أحاديثك التي دارت مع زوجك على فضيلة، ومع ولدك على قضية، ومع صديقك على مبدأ! ستأتي ضمن أشواق الذكرى ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾.



١٦ - فُم إِلَى سَاحَاتِ الْعَمَلِ وَالْبِنَاءِ وَالتَّضَحِّيَاتِ وَالْحَيَاةِ الَّتِي سَتُعِيدُ ذِكْرَهَا فِي عَالَمِ الْجَنَانِ مِنْ جَدِيدٍ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ٢٥ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿.

١٧ - كَانُوا يَضَعُونَ لِلْمَوْتِ أَلْفَ حِكَايَةٍ! ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿.

١٨ - إِذَا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ الْمَوْتِ قَالَ: دَعْنَا نَعِيشَ، فَاتَهُ أَنَّهُ هُوَ الْحَيَاةُ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿.

١٩ - حِينَ يَكُونُ خَوْفُكَ سَرَجًا يَبْدُدُ ظِلَامَ اللَّيْلِ، وَحَادِي الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿.

٢٠ - حِينَ يَأْتِي الْعَمَلُ وَالِدَعَاءُ مُتَعَاضِدِينَ فِي تَحْقِيقِ الْهَدَفِ وَالرَّوْيَةِ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ٢٦ ﴿فَمَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ ٢٧ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ٢٨ ﴿.

٢١ - الدَّعَاءُ نَافِذَةٌ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْحَيَاةِ، فَخَذَ مِنْهُ كِفَايَتَكَ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ٢٨ ﴿.

٢٢ - هَلْ تَظَنُّهُ يَخْذَلُكَ، أَوْ يَتْرُكُكَ، أَوْ يَدْعُكَ تَدْعُو دُونَ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكَ؟! كَلَّا سَتَرَى حِينَهَا كَيْفَ قَبْلَ دَعَاكَ. وَخَتَمَ لَكَ بِمَشَاهِدِ التَّوْفِيقِ! ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ٢٨ ﴿.

٢٣ - هَلْ تَذْكُرُ دَعَاكَ، وَالْحَاحَكَ، وَتَرْدَادَ طَلْبِكَ مِنْ رَبِّكَ؟! ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ٢٨ ﴿.

٢٤ - أَعَدَّ أَجْرَاسَ الذِّكْرِ كُلِّ حِينٍ ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ٢٩ ﴿.



٢٥ - لا تتخلف عن رسالتك، أو تتأخر عن مشاهد الذكرى في حياتك! القلوب في انتظار قارع الأبواب ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩).

٢٦ - لا تُرخِ سمعك إلى الاستهزاء والسخرية والأحاديث العابثة، امض بمشروعك وفكرتك ورسالتك، وافتح نافذة الربيع ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩).

٢٧ - ردّدوا الإرهاب، وعاشوا لفكرة وهمية، وطاردوا دين الله تعالى في الأرض؛ وغداً سيظهر كل شيء ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّيْنَاهُ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١).





أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلِمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ
 بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
 ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ
 رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ هُمْ سُلَّامٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
 مُسْمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ
 نَسْتَلْهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ
 يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ
 لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ
 السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
 وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾



التفسير

- ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا﴾ بل تأمرهم عقولهم بهذا القول ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ أو أن هذا من تجاوزهم للحد في الكفر والمعصية.
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ افتراه من عند نفسه ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ إنما حملهم على ذلك كفرهم وعدم إيمانهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ إن كان من قوله فليأتوا بمثله.
- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ هل خلقوا من غير خالق أم خلقوا أنفسهم؟!
- ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ هل هم الذين خلقوا السموات والأرض؟!
- ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ﴾ يملكونها ويدبرونها ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ على الملك والسلطان.
- ﴿أَمْ هُمْ سُلَّاسٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يصعدون فيه ليستمعوا خبر السماء ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٣٨﴾ بحجة ظاهرة بيّنة على ذلك.
- ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ كما يزعمون.
- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ مالا على إبلاغ الرسالة ﴿فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مَثْقُلُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ مجهدون متعبون من آثار ذلك.
- ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٤١﴾ فيكتبون لأنفسهم منه ما يريدون.

- ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ إنما غرضهم الكيد ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿إِنْ كَانُوا كَذَلِكَ فَعَاقِبَةُ كَيْدِهِمْ وَمَكْرِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ هل لهم إله غير الله تعالى ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ﴾.
- ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ قطعة من السماء ساقطة ﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿إِنَّمَا هِيَ سَحَابٌ مَتْرَاكِمٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ﴾ ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿دَعَهُمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ يَهْلِكُونَ مِنَ الْعَذَابِ﴾.
- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ لا يدفع عنهم من ذلك شيء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿لَا أَحَدٌ يَنْصَرُهُمْ﴾.
- ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا والبرزخ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿حَقِيقَةُ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى﴾.
- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ من تبليغ الرسالة والصبر على هؤلاء المعرضين ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في حفظنا ورعايتنا ﴿وَسَيَجْزِيكِ جَيْزُ نَفْسِكَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى حِينَ تَقُومُ لِلصَّلَاةِ أَوْ لغيرِهَا﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ ﴿نَزَّهَ﴾ ﴿وَلَا دَبَّرَ النُّجُومِ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿وَنَزَّهَ وَقْتُ غِيَابِهَا﴾.

التَّدْبِيرُ

- ١- من فقهك ودليل علمك أن تنوع في الأدلة التي تناقش بها خصمك ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا﴾ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٣﴾



فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ نَسْتَأْذِنُ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمُ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾

٢ - إذا دهمك اليأس فإليك العلاج ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

٣ - ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ حقها أن يقام لها حفل عظيم!

٤ - ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ كيف نبلغ هذه الغاية، ونعيش واقعها، ونلتذ بأحلامها الكبار؟!

٥ - ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أروع من ألف رواية في الحب، وأجمل من كل قصص العشاق في الأرض!

٦ - ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بلغها ﷺ بجهد، بعمله، بتاريخه، بنضاله، بتضحياته، وإذا كنت على هذا الطريق بلغت هذه المنى.

٧ - استعن على نجاحك وثبات عزيمتك بالصلة بالله تعالى والإقبال عليه ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

٨ - كُلَّمَا طَالَ طَرِيقُكَ، وَأَظْلَمَ وَاقِعُكَ، وَضَاقَ عَيْشُكَ، فَأَدِرْ شَأْنَ الصَّلَاةِ فِي حَيَاتِكَ مِنْ جَدِيدٍ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

٩ - إِذَا كَلَّ جَسَدُكَ، وَتَعَثَّرَ طَرِيقُكَ، وَازْدَحَمَتِ الْمَشْكَلاتُ فِي وَاقِعِكَ فَيَمِّمْ وَجْهَكَ إِلَى اللَّهِ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.





سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَبْطِئُ عَنِ
الْمَوْتِ ③ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَاقٍ
فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا
رَأَىٰ ⑪ أَفَتَسْمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِنْدَ
سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ⑭ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱ أَفَرَأَيْتُمْ
أَلَلَّتْ وَالْعُرَىٰ ⑲ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَىٰ ⑳ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ
㉑ تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضِيزَىٰ ㉒ إِن هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى
الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ㉓ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ㉔
فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ㉕ وَكَمْ مِنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ㉖

التفسير

- ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) ﴿إِذَا سَقَطَ وَغَرَبَ، أَوْ رُمِيَ بِهِ الشَّيَاطِينُ.﴾
- ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما ترك طريق الحق عن جهل ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢) ﴿ما ترك المسلك الصحيح عن عمدٍ وعلم.﴾
- ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٣) ﴿ما يقول قولاً صادراً عن هواه.﴾
- ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) ﴿من عند الله تعالى.﴾
- ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (٥) ﴿جبريل عليه السلام.﴾
- ﴿ذُو مِرْقٍ﴾ أي جبريل ذو قوة وخلق، وحسن هيئة ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ (٦) ﴿علا أو كمل.﴾
- ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ (٧) ﴿حال كونه في أفق السماء.﴾
- ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ (٨) ﴿أي جبريل لإيصال الوحي.﴾
- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (٩) ﴿من الرسول ﷺ.﴾
- ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾ (١٠) ﴿ما أوحاه من الشرع.﴾
- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (١١) ﴿اتفق قلبه على ما رآته عينه.﴾
- ﴿أَفْتَمَرُونَهُ﴾ تحاجونه وتجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا بَرَأَ﴾ (١٢) ﴿من الحق.﴾
- ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) ﴿أي أن محمداً ﷺ رأى جبريل مرةً ثانية.﴾



- ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ١٤ ﴿وهي شجرة عظيمة فوق السماء السابعة، وإنما سميت بذلك؛ لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله تعالى.
- ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ ١٥ ﴿عند تلك الشجرة.
- ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ ١٦ ﴿يغشاها من أمر الله تعالى شيء عظيم، لا يعلم وصفه إلا الله تعالى.
- ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ ما مال بصره ﷺ يمنية ولا يسرة عن مقصوده ﴿وَمَا طَغَى﴾ ١٧ ﴿وما تجاوز حده.
- ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ١٨ ﴿الدالة على عظمة الله تعالى وربوبيته.
- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني عن ﴿الَّتِ﴾ صنم عبارة عن صخرة بيضاء منقوشة كانت بالطائف ﴿وَالْعَزَى﴾ ١٩ ﴿صنم عبارة عن شجرة عليها بناء وأستار بين مكة والطائف.
- ﴿وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى﴾ ٢٠ ﴿صنم كان يعظم على ساحل البحر عند قُديد بين مكة والمدينة.
- ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ ٢١ ﴿أتجعلون لله تعالى البنات ولكم البنون.
- ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ ٢٢ ﴿قسمة جائرة.
- ﴿إِنْ هِيَ﴾ هذه الأصنام ﴿إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ من قبلكم ليست من شرع الله تعالى ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ من حجة ولا دليل، بل هي افتراء من قبلكم ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في هذه الأفعال، ولا سبيل لهم إلى الحقيقة ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ ويتبعون ما تشتهيهم أنفسهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ ٢٣ ﴿الحق البين الواضح.



- ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ (٢٤) من شفاعة الأصنام وغيرها من الأماني الباطلة.
- ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ (٢٥) لا مجال فيهما لأمنية إنسان.
- ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢٦) فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أنتم شفاعة هذه الأصنام، أو تؤمّلون في أماني بناءً على شهواتكم.

التدبّر

١ - خذ ما جاء عن نبيك ﷺ ورأسك يطاول السماء، المسألة فوق ترّهات المنافقين ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾.

٢ - إذا جاء حديث عن نبيك ﷺ ولم يقبله عقلك، فاستدرك نفسك قبل الفوات ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ فالمسألة وحي!

٣ - العقل الصريح لا يخالف النصّ الصحيح، وإذا اختلفا لديك فإنّ النصّ الذي بين يديك ضعيف، أو أنّ العقل مريض ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾.

٤ - تصحيح التصورات وبناء المفاهيم واجب شرعي تولاه الوحي، وأرسى له قواعد التمكين ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾.

٥ - من فقه الأمة ووعيتها بمقدّراتها أن تشكّل مجموعات قادرة على ردّ الشبه ودفعها بالعلم، والإغارة على كل خطة تنال منها، وتتنقص من قدرها ﴿وَالنَّجْمِ



إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤) ﴿٤﴾ تولى الله تعالى الرد على هؤلاء فَمَنْ يَنْبَغُ من خلال العلم هذا المعنى من جديد؟!

٦ - من كمال فقهك ووعيك وتوفيقك أن تحمل راية في هذا المشروع قدر وسعك وتخصّصك ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤)﴾ الردُّ على الأفاكين والضالّين يحتاج إلى حُرّاس ثغور.

٧ - طلب العلم، وحفظ السنة، وفتح مراكز خاصة لتوسيع أثرها، وطباعة كتبها، وتكوين مراكز لحفظها مساهمة في نصر الحق وتوسيع رقعة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ (٤)﴾.

٨ - إذا التزمت بأدب، أو تخصّص أو فنّ عرفك الناس به، ولم يختلفوا عليك فيه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ (٣)﴾.

٩ - حتى القلوب المؤمنة لها عين ترصد بها الواقع الذي تراه، وتحكم فيه بالحقائق ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ (١١)﴾.

١٠ - الأصل في حملة العلم القوة والأمانة، وكل من ضعف عنده شيء من هذه المقومات؛ فقد تخلف عن الاقتداء ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ (٥)﴾.

١١ - من أدبك وكمال فقهك وعلمك أنك إذا تحدّثت مع إنسان فأثّق بصرك عليه، لا تحيد عنه مهما كان الصارف في ذلك الوقت ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ (١٧)﴾.

١٢ - من سوء الخلق أنه يفتح حديثاً معك، ثم يصرف بصره عنك يمنةً ويسرةً؛ فلا تكاد توصل له فكرة ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ (١٧)﴾.



١٣ - يدخل بيتك زائراً؛ فلا يترك مساحة إلا نظر إليها، وتأمل فيها، وعرف عنها كل شيء! فضول ممقوت ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧).

١٤ - يحدثك وهو يرد على جواله في كل وقت؛ فلا هو استكمل معك حديثه، ولا هو انصرف عنك ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧).

١٥ - الأدب جزء من مباحج الكبار، وغالباً لا تجد كبيراً إلا وقد أخذ نصيباً وافياً من هذا المعنى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (١٧).

١٦ - إذا أردت أن تحبط شبهة فتوسّع في مداخلها حتى تقف على جميع أبوابها ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) ﴿ هذا الاستطراد البديع من لازم ذلك المعنى.

١٧ - إذا لم يكن للتطويل حاجة فهو نقص في حديثك وعيب يستحق أن تجافيه من واقعك ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨) ﴿

١٨ - الجهل بالله تعالى يصنع هذه الطامات ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذْ قَسَمَ صَبْرَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا



أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى
الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ ❁

١٩ - لا تستغرب أن يبني الجهل بالله تعالى عقائد، ويؤسس أفكاراً، ويشيد مفاهيم
كلها من وحي الشياطين ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾
أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ
وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۖ وَلَقَدْ
جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ ❁

٢٠ - دين الله تعالى يقف في وجه الشهوات ويعارضها، ويعمل على إضعاف
قيمتها في نفوس المؤمنين ويميتها في القلوب ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ❁

٢١ - الاستسلام لله تعالى في كل شيء أكبر قضية يؤسس لها دين الله تعالى في
نفوس المؤمنين ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ❁

٢٢ - الإسلام يحارب الأماني التي تجري في فلك الشهوات ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا
تَمَنَّى﴾ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ❁ ويؤسس للأماني التي تجري في فلك
الشريعة وحياض الإسلام.

٢٣ - في دين الله تعالى ليس من حَقِّك أن تشتهي وتتمنى إلا ما كان في فلك هذه
الشريعة ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ❁

٢٤ - حتى ملائكة السماء لا تملك الحركة في شيء إلا بإذن الله تعالى ورضاه،
وكذلك كل شيء ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ
يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ ﴿٢٦﴾ ❁

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الَّلَّيَّكَةَ سَمِيَةً الْأَثْنَى ٢٧
 وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ
 الْحَقِّ شَيْئًا ٢٨ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا ٢٩ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
 فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا
 بِالْحُسْنَى ٣١ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ
 إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنِ اتَّقَى ٣٢ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ٣٣ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
 ٣٤ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
 مُوسَى ٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ٣٧ أَلَا نَزَّرْنَا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى
 ٣٨ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣٩ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ
 يُرَى ٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ٤١ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى
 ٤٢ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى ٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٤٤



التفسير

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ (٢٧) فيقولون الملائكة بنات الله؛ تعالى الله عن ذلك.
- ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ بهذه التسمية ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ صحيح ﴿إِنْ يَلْبِغُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ مجرد ظنون كاذبة ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٢٨) لا يقوم مقام الحقيقة البينة الظاهرة.
- ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ اترك كل من أعرض عن أمر الله تعالى ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٩) فهي غاية مقصده ومطلبه.
- ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ طلب الدنيا والسعي لها ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ (٣٠) لا يخفى عليه من ذلك شيء.
- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وتصرفاً ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣١) كل على قدر عمله؛ إن كان صالحاً أو سيئاً.
- ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ كبائر الذنوب وقبائح المعاصي ﴿إِلَّا اللَّعْمَ﴾ صغائر الذنوب ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ يغفر للمذنب ويتجاوز عنه ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ تزعمون طهارتها وسلامتها من الذنوب ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢) أعلم بمن خافه وعظمه، وفعل أوامره واجتنب نواهيه.
- ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ (٣٣) أعرض عن أمر الله تعالى.



- ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ من الطاعة ﴿وَأَكْدَى﴾ ﴿٣٤﴾ انقطع وترك الخير.
- ﴿أَعِنْدَهُ، عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ ﴿٣٥﴾ هل انقطاعه وتركه للخير بناءً على معرفته بالغيب، وأن هذا أحسن وأفضل له.
- ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ﴾ يُخبر ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ﴿٣٦﴾ التوراة ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٣٧﴾ أي الذي تَمَّ جميع ما أمر به.
- وأن فيها ﴿أَلَّا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرَ آخَرَى﴾ ﴿٣٨﴾ أَلَّا تُحْمَلْ نَفْسٌ مَذْنِبُهُ ذَنْبَ نَفْسٍ أُخْرَى.
- ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿٣٩﴾ ليس له إِلَّا عمله.
- ﴿وَأَنْ سَعْيَهُ، سَوْفَ يُرَى﴾ ﴿٤٠﴾ في يوم القيامة.
- ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ ﴿٤١﴾ الأكمل والأتم.
- ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ ﴿٤٢﴾ نهاية كل شيء وخاتمته.
- ﴿وَأَنَّهُ، هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ﴿٤٣﴾ خلق في الإنسان الضحك، وسببه السرور، والبكاء، وسببه الحزن.
- ﴿وَأَنَّهُ، هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ ﴿٤٤﴾ أوجد الموت والحياة.

التدبر

- ١ - الجاهلية بناء وهمي مبناه على الظنون ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ ﴿٢٧﴾ وما لهم به من علمٍ إن يتبعون إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ وما كان كذلك فلا قرار له!



٢ - كل قضية لا تملك فيها خارطة الطريق لا يمكن أن تصل منها إلى مرادك ومبتغاك ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ ﴿الظنون لا تبلغك النهاية التي تريد.

٣ - لا يمكن لفرد أو جماعة أو أمة أن تبني حياتها على الظنون والأوهام ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾.

٤ - إذا وجدت مُعْرِضاً عن دين الله تعالى فوله ظهرك، واستقبل المقبلين الراجين ما عند الله تعالى ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾.

٥ - إياك أن تعقد صحبة وخلّة، أو أملاً ورجاء في المعرضين عن الله تعالى! تلك أوهام الطريق ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾.

٦ - سلّم أمرك لله تعالى في كل شيء ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ صحتك، عافيتك، فقرك، غناك، كل ذلك بيد الله تعالى، لا يخرج عن إرادته شيء.

٧ - الجزاء من جنس العمل ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣١).

٨ - من فضل الله تعالى عليك ورحمته بك أنه يجازيك بعملك ويزيدك على إحسانك ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣١).



٩ - لن يهلك على الله تعالى إلا هالك ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٣١﴾ الجزء في السيئات بما عملوا، وفي الحسنات بالحسنى، يا لجلال الله تعالى وكمال رحمته وحلمه!

١٠ - للاسم علاقة بالمسمى ودلالة عليه؛ فإن السيئة من سوء، والحسنة من الإحسان ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٣١﴾ فأرغ هذا الجانب حقّه، وقم له بواجبه في بيتك وأسرتك، ومع ولدك وأهلك.

١١ - إحسانك يصنع لك كل شيء، وتلقى من خلاله أمانيك ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

١٢ - إحسانك في صلاتك وعبادتك سيترك لك أثراً جميلاً في قادم أيامك ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

١٣ - إذا تهيات لك فرصة إحسان؛ فلا تفرط فيها، فقد نُقلت امرأة بغية إلى الجنان لأنها سقت كلباً في عرض الطريق^(١). ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾.

١٤ - اصعد عالياً فكبائر الإثم والفواحش ليست لك ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٣٢﴾.

١٥ - من تعظيمك لربك ألا تكون مرتعاً لكبائر الإثم والفواحش ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ ﴿٣٢﴾.

(١) حديث رواه البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



١٦ - من بشرتك وطبيعتك وضعف خلقت قد تقع في صغائر الذنوب، ومن كمال علمك وأدبك ألا تستهين بشيء من ذلك ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢).

١٧ - لا تعثر الصغيرة، ولا تشيك عن الاستعتاب من ربك والإقبال عليه ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَيْدَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢).

١٨ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لا يضره ذنبك، ويغفر لك خطيئتك، ويقبل منك اعتذارك، ويعينك على القيام من عثراتك، ويهبك توفيقاً جديداً في سبيل مجدك وأمانيك.

١٩ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لا تقلق من كبائر ذنوبك، وفجائع إثمك، وظلام واقعك! يمكنك أن تعود، ويقبل الله تعالى منك.

٢٠ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ غفر لقاتل المئة لمجرد نيّة صالحة^(١)، وغفر لبغيّ لسقيها كلباً^(٢)، ومدد للكافرين أملاً ووعدهم بالقبول.

٢١ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ من تقرب إليه شبراً تقرب إليه باعاً، ومن تقرب إليه باعاً تقرب إليه ذراعاً، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة^(٣).

٢٢ - ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ لا يفوت على ربك من عملك شيء.

(١) حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه عند الفقرة (١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



٢٣ - ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ من يعلم بدايتك وأصل خلقك ونطفتك؛ أفلا يعلم عملك وأسرارك وأحداثك التي تمارسها كل يوم؟!

٢٤ - ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أقم لهذا المعنى شأنًا في واقعك، وتهيئاً لنظر الله تعالى في كل شيء تصنعه في أيامك.

٢٥ - ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ من لم يفته علم أصلك وبدايتك لا يمكن بحال أن يفوته ماثيل الذر من سيرتك.

٢٦ - عملك، جهدك، تاريخك، غبار قدمك، حتى نية قلبك، كل شيء يعلمه الله تعالى؛ فلست بحاجة أن تزكي نفسك لأحدٍ من العالمين ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

٢٧ - من الفراغ الذي يجب أن تنأى بنفسك عنه أن تذهب تعدد إنجازاتك وأحداثك ومشروعك وعملك في تاريخ أمتك ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

٢٨ - لا يضرك حديث الآخرين عنك في شيء! ربك يعلم تفاصيل قصتك كاملة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

٢٩ - كم من تاريخ كَبُرَ في عينك، ولم تُبق له نيتك شيئاً ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

٣٠ - العبرة بقبول جهدك وركضك إليه وسعيك في مراضيه، وليست العبرة بقدر ذلك الجهد الذي قدّمته في حياتك ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

٣١ - كم من صانع حَدَثٍ ليس له منه سوى الحسرات! ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.



٣٢ - إعراضك عن ربك، وإدبارك عن مواطن الخيرات لن تضرب به إلا نفسك ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ﴾ (٣٢) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ (٣٥) أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ (٣٧) أَلَا نَزَرُ وَأَزْرَهُ ۖ وَزَرَ أُخْرَى ۖ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۖ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۖ (٤١) وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۖ ﴿٤٢﴾.

٣٣ - كم من مقبلٍ على ربه بدأ جاداً، ثم أثر في النهاية العاجلة، وترك مباحج الحياة! ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ﴾ (٣٢) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ (٣٥) أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ (٣٧) أَلَا نَزَرُ وَأَزْرَهُ ۖ وَزَرَ أُخْرَى ۖ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۖ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۖ (٤١) وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۖ ﴿٤٢﴾ خسارة فادحة تلك التي نجد فيها أفراح قلوبنا، ثم نعود مدبرين من جديد.

٣٤ - تنبه لمستقبلك، وارع قلبك، وحافظ على إيمانك، فكم من ضالٍّ عن الحقيقة بعد عناقها! ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ﴾ (٣٢) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ (٣٥) أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ (٣٧) أَلَا نَزَرُ وَأَزْرَهُ ۖ وَزَرَ أُخْرَى ۖ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۖ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۖ (٤١) وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۖ ﴿٤٢﴾.

٣٥ - لا تغتر بإيمانك، وسل الله تعالى الثبات، وردد كما كان نبيك ﷺ يردد: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(١). ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ﴾ (٣٢) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۖ (٣٥) أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ (٣٧) أَلَا نَزَرُ وَأَزْرَهُ ۖ وَزَرَ أُخْرَى ۖ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۖ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ۖ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۖ (٤١) وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۖ ﴿٤٢﴾.



٣٦ - تاريخك ومجدك وبلوغ أمانيك صناعةٌ تكتبها بجهدك وعملك ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾.

٣٧ - انشغل بنفسك، وركّز على مشروعك، واجهد في البناء قدر وسعك! فلن ترى سوى أثرك يوم القيامة ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾.

٣٨ - تخيل أن تجمع شيئاً لتكاثر به الآخرين في يومٍ ما، ماذا ستصنع؟! الحياة سباق؛ فلا تفنك في شيء ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾.

٣٩ - إن استطعت أن تحيا مرتين فافعل! ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾ أن تصنع شيئاً يبقى لك بعد موتك، ويُجري عليك مباحج العمل بعد رحيلك.

٤٠ - قال نبيك ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»^(١)، ينبئك أن الأصل في الموت أنه قاطع للحياة وللأثر، والناس فريقان: أصل؛ وهم من يتوقف عملهم بموتهم، واستثناء؛ وهم من لا يتوقف عملهم بالموت، فكن من ذلك الاستثناء ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾.

٤١ - نوع عملك، وركّز، وحاول جهدك أن تشارك في كل بناءٍ لا يعطلك عن فكرتك الأصل! لعلّ حلاً منها يأتي على أمانيك ولو بعد حين ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾.

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة ؓ.



٤٢ - مشاريع بناء الأجيال أوقافٌ بشريّةٌ تجري عليك بما لا تتوقّعه؛ فربط في سبيلها، واجتهد في ثرائها قدر وسعك ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ (٤١).

٤٣ - زرت كوسوفا فرأيت وقفاً من حجر عمره مئتي سنة ضربه الصرب في عدوانهم، وما زال واقفاً فكيف بوقفٍ بشريٍّ يسعى في العالمين بفكرتك ومشروعك وقصة رحلتك في الحياة ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَنِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ (٤١).

٤٤ - ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (٤٢) رسالة أملٍ وفألٍ لكلٍّ صالحٍ في الأرض! ما دمت ستلقى ربك ستلقى النعيم.

٤٥ - ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (٤٢) رسالة نذيرٍ وتحذيرٍ لكلٍّ غائبٍ عن أهدافه ضائع في الحياة! ما دمت ستلقى ربك ستلقى الجزاء.

٤٦ - هذه هي بوصلة الحقيقة التي نحتاج من خلالها إلى معرفة أين نحن من الطريق! ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (٤٢).

٤٧ - لا تُتعب نفسك، وتُجهد روحك في الفرار! ستعود إلى ربك يوماً ما ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (٤٢).

٤٨ - اقرأ سيرتك، ورتّب عملك، وشُدّ نوافذ الخلل في واقعك؛ فثمّة يومٌ للجزاء والحساب ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (٤٢).

٤٩ - إلى كل الشاردين عن الله تعالى، العابثين في المنهج، الضالّين عن الطريق، الصادّين عن سبيل الله تعالى! ثمّة يومٌ تُدار فيه أحداث الجزاء ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (٤٢).

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ
عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ
الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّيْنَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ نَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾
هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۖ ﴿٦٢﴾

التفسير

- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٤٥﴾﴾ أوجد الصنفين من الذكر والأنثى
﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾﴾ تراق وتُصبُّ في الأرحام.
- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخَرَى ﴿٤٧﴾﴾ إعادة الخلق بعد موتهم.
- ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الخلق بتمليكهم للمال ﴿وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ جعل لهم من
الأموال ما يتخذونه قنيةً يدخرونه، ويتمتعون به.
- ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾﴾ الكوكب المسمَّى بالشعري.
- ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾﴾ عاد إرم قوم هود عليه السلام.



- ﴿وَنُوحِدَا﴾ قوم صالح ﴿فَمَا أَتَقَى﴾ ٥١ ﴿أَهْلَكَهُمْ جَمِيعًا﴾
- ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أهلكهم قبل هؤلاء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ ٥٢ ﴿أَشَدُّ ظُلْمًا وَطُغْيَانًا﴾
- ﴿وَالْمُؤْنِفَكَةَ﴾ قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ ٥٣ ﴿أَسْقَطَهَا بَعْدَ أَن رَفَعَهَا لِلسَّمَاءِ﴾
- ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَّى﴾ ٥٤ ﴿غَطَّاهَا مَا غَطَّى مِنَ الْعَذَابِ، أَي شَيْءٍ عَظِيمٍ مَهُولٍ﴾
- ﴿فِي أَيِّ آيَاءِ رَبِّكَ﴾ نَعَمْ رَبِّكَ ﴿نَتَمَارَى﴾ ٥٥ ﴿تَشْكُكَ﴾
- ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِرِ الْأُولَى﴾ ٥٦ ﴿رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ جِنْسٍ مِنْ سَبْقِهِ مِنَ الرُّسُلِ﴾
- ﴿أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ﴾ ٥٧ ﴿قَرِبَتِ الْقِيَامَةُ﴾
- ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ ٥٨ ﴿لَا كَاشِفَ لَهَا﴾
- ﴿أَفَنَ هَذَا الْخَبِيرُ تَعَجَّبُونَ﴾ ٥٩ ﴿مِنَ الْقُرْآنِ تَتَعَجَّبُونَ؟﴾ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ ٦٠ ﴿مِنْهُ سَخِرِيَّةً وَاسْتَهْزَاءً﴾ ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ ٦١ ﴿عِنْدَ سَمَاعِهِ﴾
- ﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾ ٦٢ ﴿سَاهُونَ لَاهُونَ غَافِلُونَ﴾
- ﴿فَاتَّخِذُوا لِلَّهِ عِبَادَةً﴾ ٦٣ ﴿قَوْمُوا لِلَّهِ تَعَالَى بِحَقِّهِ مِنَ الْعِبَادَةِ﴾

التدبر

١ - كل ما تراه في الكون فهو من صناعة العليم الحكيم حتى هذه المتضادات في النفس والواقع هي من هذا الشأن ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ ٤٤ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ٤٥ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٤٦ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ ٤٧ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى﴾ ٤٨



٢ - ضحكك وبكاؤك، وموتك وحياتك، وغناك وفقرك بيد ربك؛ فلا تبتئس من واقعك، ولا تُلْقِ بهمومك إلى غير ربك ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكٌ﴾ (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (٤٥) مِنْ نُّطْمَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْآخِرَى﴾ (٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَعَنَى وَأَقْنَى ﴿﴾ (٤٨).

٣ - كل هذه الأمم لم تفلت يوماً من قبضته، ولم تنجُ من عذابه وعقابه ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ (٥٠) وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ (٥٢) وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ (٥٤) ﴿﴾.

٤ - من يقدر على إهلاك العالمين وعقابهم قادرٌ أن يُجريَ على المعرض ما لا يتوقعه، وما لا يكون له في الحساب ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ (٥٠) وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ (٥٢) وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ (٥٤) ﴿﴾.

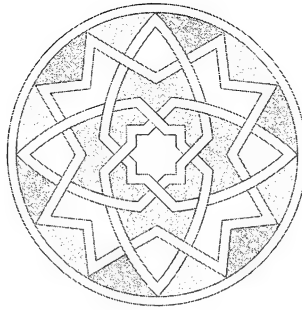
٥ - لا يغرُك صوت الباطل، وبقاء الضالِّين والمفسدين، وهيئات الضالِّين التي تراها! سيجري عليهم ما جرى على السابقين ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ (٥٠) وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَى ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى﴾ (٥٢) وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَى ﴿فَغَشَّاهَا مَا عَشَى﴾ (٥٤) ﴿﴾.

٦ - يا لغفلة أولئك الذين لم يضعوا القرآن في الموضع اللائق به في قلوبهم حتى الآن! ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ (٦١) ﴿﴾.

٧ - إذا سجدت في هذا الموضع طاعةً لربك؛ فليسجد قلبك ومشاعرك قبل أن تسجد جوارحك ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ (٦١) ﴿﴾.

٨ - امتثالک للقرآن فی سجودک یجب أن یتحوّل إلى کل شیء فیہ، ولیس إلى سجود الأجساد فحسب ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.

٩ - سجودک هنا یعنی إذعانک لکل أوامره، وقبولک لکل ما فیہ ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾.



سُورَةُ الْقِيَمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ ۖ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا
وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۖ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ۖ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا
فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۖ (٤) حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۖ (٥)
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ۖ (٦)

التفسير

- ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ قَرُبَ وقت القيامة ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (١) انفلق؛ وهذا في زمان رسول الله ﷺ.
- ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ دليلاً وحجةً وبرهاناً ﴿يُعْرِضُوا﴾ فلا يصدقوا ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ (٢) مجرد سحرٍ ذاهبٍ زائل.
- ﴿وَكَذَّبُوا﴾ بالحق الذي جاءهم ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ من الأقوال والأفعال ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ (٣) راجع إلى نهايته وخاتمته من فلاح أو خسارة.



- ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ من أخبار الماضين المكذبين بالرسول ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ﴿٤﴾ واعظ عن الغي والتكذيب.
- ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ هداية من يهدي الله تعالى وإضلال من يضل ﴿فَمَا تُغْنِ الْأَنْذُرُ﴾ ﴿٥﴾ ما تنفع فيهم العبر والذكرى شيئاً.
- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ دعهم يا رسول الله وأعرض عنهم ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ إسرافيل بالنفخ في الصور ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكِّرٍ﴾ ﴿٦﴾ فظيع عظيم، وهي مواقف القيامة.

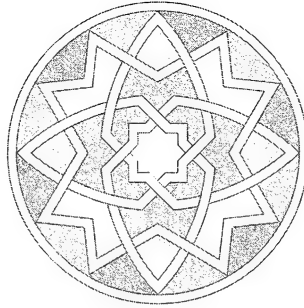
التدبر

- ١ - من كمال رحمة الله تعالى بعباده أن أراهم كل ما هو سبيل للإيمان والتقوى ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾.
- ٢ - هل تخيلت يوماً أن يجري الله تعالى في كونه غير العادة من أجلك! ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾.
- ٣ - إذا عمي قلب الإنسان لم تنفع فيه الآيات والحجج والبراهين ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ﴿٢﴾.
- ٤ - حتى الأوهام تأخذ حظها من عقول أصحابها، وتكتب عليهم الضلال ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ﴿٢﴾.
- ٥ - حين تتحوّل الحقائق إلى أوهام وشكوك وظنون في عقول أصحابها ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ﴿٢﴾.



٦ - إذا لم تبعث فيك آيات الله تعالى وحوادث الزمان حياة؛ فأذرك نفسك فقلبك مريض ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ ٢ ﴿﴾.

٧ - لا تشغل بالبيئات التي لا تقتنع بدعوتك وفكرتك ورسالتك، لها يوم ترى فيه نتائج إعراضها ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ٤ ﴿﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ٥ ﴿﴾ فَنَوَّلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ تُكْرِهُ ٦ ﴿﴾.



خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ
﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ
كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ
عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ
﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلِ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا
مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلْمَلَيْ الذِّكْرَ عَلَيْهِ
مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ
الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَ لَّهُمْ فَارَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

التفسير

- ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ﴾ ذليلة خائفة ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ ٧ ﴿من كثرتهم وتفرقتهم وذهولهم.
- ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين إلى إجابة الداعي لمواقف القيامة ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ٨ ﴿صعب شديد.
- ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا بَحْتُونُ﴾ لا عقل له ﴿وَأَزْدِجِرَ﴾ ٩ ﴿نهي وتوعد على دعوته لهم.
- ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ لا سبيل لي إلى النصر عليهم ﴿فَأَنْصَرْنَا﴾ ١٠ ﴿لدينك ورسالتك.
- ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ ١١ ﴿غزارة وكثرة.
- ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ النازل من السماء والمتفجر من الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ﴾ ١٢ ﴿قدره الله تعالى وكتبه.
- ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي نوح ﷺ ﴿عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ﴾ ١٣ ﴿على سفينة من الألواح والمسامير.
- ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ بأمرنا ومرأى منا ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ ١٤ ﴿عقاباً وجزاء لقوم نوح على كفرهم.
- ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾ قصة نوح وما أحلَّ الله تعالى بقومه المعاندين، أو جنس السفن في جريانها على ظهر الماء ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ١٥ ﴿من معتبر.
- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ١٦ ﴿ما أشدَّ عذابي لمن كفر بي وكذب برسلي!



﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهَّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ١٧﴾ هل من معتبرٍ ومتعظٍ!

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ قوم نبي الله هود عليه السلام؛ وهي قبيلة إرم في جنوب الجزيرة العربية ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ١٨﴾ ما أشدَّ عذابي وعقوبتي لهم!

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة قوية ﴿فِي يَوْمٍ نَخَسٍ﴾ بائس عليهم ﴿مُسْتَمِرٍّ ١٩﴾ متصل على مدار سبع ليالٍ وثمانية أيام.

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ من شدتها فترفعهم إلى السماء ثم تلقيهم على الأرض ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنْقَعِرٍ ٢٠﴾ كأن جشثهم كجدوع النخل الخاوي.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ٢١﴾ ما أشدَّ عذابي لمن كفر بي وكذب برسلي!

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهَّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ٢٢﴾ هل من متعظٍ ومعتبرٍ!

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ٢٣﴾ ثمود قبيلة نبي الله صالح عليه السلام؛ وهم بعد عاد، وهم كذلك في اليمن في جنوب الجزيرة العربية، وهي كذلك كذبت برسولها ﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وُجِدَا نَتَّبِعُهُ﴾ نتبع صالحاً وهو واحد مثلاً، لم يتميز علينا بشيء ﴿إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ﴾ بعداً عن الحق ﴿وَسُعُرٍ ٢٤﴾ جنون واضح.

﴿أَلَفِئَ الذِّكْرِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ كيف يُخصُّ بالرسالة من بيننا ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ﴾ كثير الكذب ﴿أَشْرٌ ٢٥﴾ بطر ومتكبر.

﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابًا﴾ يوم القيامة ﴿مَنْ أَلْكَذَابُ الْأَشْرِ ٢٦﴾ نبي الله صالح أم هم! ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ التي سألوها ﴿فِنَّةٌ لَهُمْ﴾ اختباراً ﴿فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ٢٧﴾ انتظر ما يؤول إليه حالهم واصبر عليهم حتى يحين موعد العذاب.



التدبُّر

١ - ثَمَّةٌ يَوْمٌ تَخْشَعُ فِيهِ أَبْصَارُ أَهْلِ الضَّلَالِ، وَتَنْوُءُ بِأَثْقَالِهَا وَهَمُومِهَا وَعَوَاقِبُ التَّفْرِيطِ فِي أَيَامِهَا ﴿خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾.

٢ - إِذَا ضَاقَتْ ظُرُوفُكَ، وَصَعِبَ طَرِيقُكَ، وَكَثُرَتْ عَثْرَاتُكَ، وَازْدَحَمَتْ هَمُومُكَ فِي قَلْبِكَ؛ فَيَمِّمْ وَجْهَكَ لِرَبِّكَ، وَانْتَظِرْ فَوَاتِحَ التَّوْفِيقِ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾.

٣ - تَعَلَّمَ أَنْ تَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى فِي أَمْرٍ شَسِعَ نَعْلُكَ! فَكَيْفَ بِضَائِقِ الظُّرُوفِ، وَعَقَبَاتِ الزَّمَانِ، وَمَشْكَلاتِ الْحَيَاةِ؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾.

٤ - لَا تَقِفْ حَائِرًا مُتَوَجِّعًا مُتَأَلِّمًا! افْتَحْ نَافِذَةً عَلَى أَبْوَابِ الْأَمَلِ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾.

٥ - حَتَّى فِي مَشْرُوعِكَ الَّذِي تَنْوُءُ بِأَثْقَالِهِ، وَفِي هَمُومٍ وَلَدِكَ الَّذِي تَرْجُو اسْتِقَامَتَهُ، وَفِي وَجْعِكَ الَّذِي تَتَمَنَّى شِفَاءَهُ، وَفِي حَاجَتِكَ الَّتِي لَمْ تَبْلُغْهَا بَعْدُ! يَمِّمْ وَجْهَكَ لِمَن عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾.



٦ - هل تكابد وجعاً مزمناً! وظرفاً قاسياً، ومشكلة قاهرة! ثمة رب ينتظر منك أن تقول يا رب! ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ⑩﴾ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجِّ وَدُسِّرَ ⑬ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭﴾.

٧ - هل تشكو من ضياع ولدك، وهروبه من طريق الحق، وضياعه في رفقة الشتات! توجه إلى ربك وصدق في طلبك، وتذلل بين يديه حتى تبلغ أمانيك ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ⑩﴾ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجِّ وَدُسِّرَ ⑬ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭﴾.

٨ - بدعوة غير الله تعالى معالم الحياة في لحظة ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ⑩﴾ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجِّ وَدُسِّرَ ⑬ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭﴾.

٩ - هل تخيلت اللحظة التي رفع فيها نوح يديه؟ هل كان يدري بأنها ستغير العالم كله؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ⑩﴾ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجِّ وَدُسِّرَ ⑬ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭﴾.

١٠ - كم هو الفارق بين هاتين اليدين الممدودتين وإجابة الدعاء! ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ⑩﴾ فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ⑪ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ⑫ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجِّ وَدُسِّرَ ⑬ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ⑭﴾ يا لقدرة الله تعالى!

١١ - تأمل في لطف هذه الدعوة وضراعة صاحبها وحكاية قصة فقره ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ⑩﴾.



١٢ - كم مرّة دعوت الله تعالى وفي قلبك هذا الرجاء الضارع وهذه المسكنة العظيمة؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٠).

١٣ - كم مرّة دعونا الله تعالى وقلوبنا متكبرة نافرة غير مستوعبة؟! ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٠).

١٤ - اقرأ التاريخ ففي التاريخ عبر! ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾.

١٥ - أحلامك التي تريدها من كتاب ربك بين يديك ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (١٧).

١٦ - إلى الذين يتوقون لحفظه وتدبره وفقه معانيه! ليس بينكم وبين ذلك سوى الإرادة وبداية الخطوة الأولى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (١٧).

١٧ - هل تخيلت أعجمياً لا يفقه حرفاً في لغتك، ولا يستطيع أن يتواصل معك في شيء يحفظ كتاب الله تعالى، لا يكاد يخرم منه حرفاً؟! ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (١٧).

١٨ - إذا أخذت مشروعاً، وبدأت فكرته، وتحملت قضيته؛ فاعلم أن الطريق مليئة بالعقبات وتحتاج إلى صابرين ﴿كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّا وَحَدَّا تَبَعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِئَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَقِ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْآشُرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَ لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾.



١٩ - دين الله تعالى منصورٌ وغالبٌ وماضٍ في طريق آماله، مهما كانت عوارض ذلك الطريق ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَزْعُ النَّاسَ كَانْتَهُمُ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّثْنًا وَاحِدًا تَبِعَ إِيَّاهُ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلْهَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّافَةِ فَنَنَّهُ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ ألقى هؤلاء صرعى على الطريق، ثم مضى يبعث الحياة في العالمين.



وَنَبِّئْتَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ تُمْخَضٌ ﴿٢٨﴾ فَادَّادُوا صَاحِبَهُمْ
فَغَطَّاهُ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ
﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ
أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْنَدٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي
الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهَرُمُ الْجَمْعُ
وَيَقُولُونَ الذُّبُرُ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ
﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ
عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾



التفسير

- ﴿وَنَبِّئُهُمْ﴾ أخبرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ يومٌ لهم، ويومٌ للناقة ﴿كُلُّ شَرِبٍ تُخَضَّرُ﴾ (٢٨) يحضره من كان قسمته.
- ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف ﴿فَنَعَاطَى﴾ فباشر الأمر ﴿فَعَقَرَ﴾ (٢٩) قتل الناقة.
- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٣٠) ما أشدَّ عذابي لمن كفر بي، وكذب برسلي!
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ رجفت بهم الأرض ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخَضَّبِ﴾ (٣١) كالزرع اليابس المتكسر المتفتت.
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهَّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (٣٢) متعظ بما فيه.
- ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾ (٣٣) بالرسل.
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ حجارة ﴿إِلَّا آءَالُ لُوطٍ﴾ أتباعه المؤمنين ﴿تَجِيئُهُمْ﴾ من العقوبة ﴿بِسَحَرٍ﴾ (٣٤) قبيل الفجر.
- ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ نجاتهم ﴿كَذَلِكَ يَجْزَى مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥) هذه عاقبة الله تعالى في كل شاكر.
- ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ ذكَّرتهم لوط ﴿بَطُشْتَنَا﴾ عاقبة أمرنا في المخالفين ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ﴾ (٣٦) شكوا وكذبوا بذلك.
- ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ﴾ حاولوا فعل الفاحشة في الملائكة ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناهم ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٣٧) فتجرَّعوا عذابي في المخالفين.



- ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ ﴿٣٨﴾ حال بهم وواقع فيهم.
- ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ﴾ ﴿٣٩﴾ تجرّعوا عاقبة عذابي.
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهّلنا حفظ ألفاظه وفهم معانيه ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ﴿٤٠﴾ متّعظ بما فيه.
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ﴾ أهله وقومه ﴿النَّذْرُ﴾ ﴿٤١﴾ من عند الله تعالى.
- ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ فلم يصدّقوا منها بشيء، وهي الآيات التي جاء بها موسى ﷺ ﴿فَاخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب والعقوبة ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ مُقَدِّرٌ﴾ ﴿٤٢﴾ لا غالب لأمره.
- ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ أيها المشركون من قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ﴾ الذين تقدّم ذكرهم ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٤٣﴾ معكم براءة من عذاب الله تعالى في الكتب التي نزلت على رسل الله.
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْصِرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ لا نُغْلِبُ ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ جمعهم مهما كان ﴿وَيُولُونِ الدُّبُرَ﴾ ﴿٤٥﴾ هاربين مشرّدين.
- ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾ ﴿٤٦﴾ أشدّ وأعظم.
- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ تيه وبُعدٍ عن الحق ﴿وَسُعْرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ نار يوم القيامة.
- ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٤٨﴾ يقال لهم توبيخاً وتبكيّاً.
- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ سابق مدوّن في الأزل.



التدبر

١ - الباطل صاحب مبادرة ورائع راية وموسّع في الظلام ﴿فَادَاوْا صَاحِبَهُمْ فَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ (٢٩).

٢ - يا أصحاب الحق! لا يقوم بأفعال المبادرات إلا المبادرون ﴿فَادَاوْا صَاحِبَهُمْ فَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ (٢٩).

٣ - سقى الله ذكريات بطل لا يقوم في واقعه منكر، ولا يجرو سفيه على الفوضى ﴿فَادَاوْا صَاحِبَهُمْ فَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ (٢٩).

٤ - صاحب الباطل يرفع راية، ويقف في وجه دين الله تعالى، وصاحب الحق لا يستطيع أن يحرك ساكناً، ما أبعد الفرق! ﴿فَادَاوْا صَاحِبَهُمْ فَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ (٢٩).

٥ - حين قعدنا عن المبادرات الجادة أخذ العدو مساحته في الفوضى ﴿فَادَاوْا صَاحِبَهُمْ فَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ (٢٩).

٦ - ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (٣٠) رسالة للمعرضين الصادقين عن الطريق، المدبرين عن الهداية في كل زمان ومكان.

٧ - هذه سنة الله تعالى التي لا تتخلف مع المعارضين الضالين ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ (٣٢) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّنَّا وَجِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٣٤﴾ أَلَمَلَىٰ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ ﴿٣٥﴾ سَيَعْلَمُونَ عَدَا مَنِ الْكَذَابُ الْأَشْرُ ﴿٣٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَّةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٣٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ ﴿٣٨﴾ فَادَاوْا صَاحِبَهُمْ فَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحُظِيرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ



بَطَشْنَا فَنَاصَرُوا بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِيهِ فَنَظَمْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بَكْرَةٌ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾

٨ - لا تستغرب ضلال المجرمين وعناءهم في الدارين ﴿٤٧﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٨﴾ يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٩﴾

٩ - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ فلا تقلق على ما يصيبك، ولا تحزن على ما فاتك، ولا تجزع لحوادث الزمان! فتلك أقدار ربك وألطاف مولاك.

١٠ - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ حتى نجاحك وإخفاقك، وفشلك ونهوضك، ومجدهك وعزك.

١١ - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ حتى وجعك الذي يصيبك، ومرضك الذي يداهمك، وأحزانك التي تلقاك في عرض الطريق.

١٢ - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ حتى سفرك، وتعبك، وحادث طريقك، وما تلقاه في مستقبل أيامك.

١٣ - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ حتى فقرك وغناك، وفرحك وحزنك، ونجاحك وفوزك، وأحداث يومك وليلتك.

١٤ - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ حتى خطواتك على الأرض، ونومك على الفراش، وسعيك في العالمين.



وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ
 أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَذْكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ
 شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ
 مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ
 صَدَقَ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

التفسير

- ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ كلمة كن فيكون ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ كسرعة البصر.
- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أمثالكم وأشباهكم ﴿فَهَلْ مِنْ مَذْكِرٍ﴾ معتبر.
- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مسطور ومدون في تلك الصحف.
- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ في مقعد ﴿في مكانٍ ومجلسٍ﴾ ﴿صَدَقَ﴾ لا مجال فيه للشك ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ﴾ عند الله تعالى.



التدبِيرُ

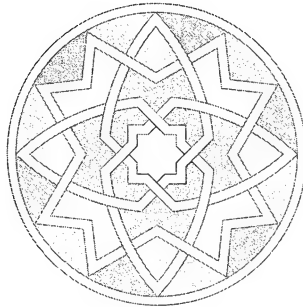
- ١ - سبحانه إذا أراد أمراً صنعهُ في الحال ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٠.
- ٢ - كل آمالك وأحلامك لا يعدو تحقيقها لحظة ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٠.
- ٣ - تفاعل فكل ما تحتاجه من ربك لا يحتاج إلى زمن يقضي فيه حاجتك ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٠.
- ٤ - لا تلتفت للمخلوقين في شيء؛ فوض أمرك لربك ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ ٥٠.
- ٥ - التاريخ يحدثك عن أجيال الضياع لتعتبر ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ﴾ ٥١.
- ٦ - من كمال فقهك وعلمك أن تقرأ سير الضالِّين، وتأخذ درس الذكرى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّيرٍ﴾ ٥١.
- ٧ - ما يجري لك أو عليك قد سبق به القدر؛ فلا تكثر لحوادث الزمان ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ ٥٢.
- ٨ - إياك والتألم على فائت، فما يجري قد كُتِبَ قبل أن تُخلق ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ ٥٢.
- ٩ - تخيّل هذا النعيم الذي ستلقاه في رحاب الجنان! ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ٥٤.
- في مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ٥٥.



١٠ - إذا أمضت الألم، وكلّ جسدك من الطريق، وتعبت نفسك من وعشاء السفر؛ فتذكر حادي الأشواق ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾.

١١ - يستحقّ مثل هذا النعيم منك أن تعيش مجاهداً في الحياة! ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾.

١٢ - تصوّر ذلك النعيم الذي ينتظرك، والحياة الكبرى التي تستقبلك، وأيام الربيع القادمة في عمرك! ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾.



سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنْسَانَ ③
 عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ⑤ وَالنَّجْمُ
 وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ⑥ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ
 ⑦ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
 وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ⑪
 فِيهَا فَتْكَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ⑫ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
 وَالرَّيْحَانُ ⑬ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ⑭ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ⑮ وَخَلَقَ الْجَانَّ
 مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ⑯ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ⑰



التفسير

- ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ يَسِّرْ حفظه وفهمه.
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ النُّطْقَ وَيَسَّرَ لَهُ.
- ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ يَجْرِيَانِ مَتَعَابِقَانِ بِحِسَابٍ مَقْنَنٍ وَمُحَدَّد.
- ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦﴾ تَسْجُدُ لِلَّهِ تَعَالَى.
- ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ٧﴾ بِأَعْيُنٍ مُّسَوِّغَةٍ ﴿٧﴾ وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ وَوَضَعَ الْعَدْلَ.
- ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨﴾ لَا تَجُورُوا وَلَا تَظْلَمُوا.
- ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ٩﴾ بِالْعَدْلِ ﴿٩﴾ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ تَنْقُصُوا
الوزن والكيل.
- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ١٠﴾ مَهْدَهَا وَسَوَّاهَا لِلنَّاسِ.
- ﴿فِيهَا فَكِكُهُ ١١﴾ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَطَعْمٍ ﴿١١﴾ وَالنَّخْلَ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ أَوْعِيَةِ
الطَّلَعِ الَّتِي يَخْرُجُ فِيهَا الثَّمَرُ.
- ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ١٢﴾ ذُو السَّاقِ ﴿١٢﴾ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ الرِّزْقُ عَمُومًا كَمَا قَالَ
ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو الرزق، أو كل نبات طيب الرائحة.
- ﴿فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ١٣﴾ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ نِعْمَةٍ تُكْذِبَانِ.
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ١٤﴾ طِينٍ مَبْلُولٍ قَدْ جَفَّ حَتَّى

صار له صوتٌ صلصلةٌ يشبه صوت الفخار ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ۝١٥ ﴾ من لهب النار الصافي.

• ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦ ﴾ فبأي نعمه تُكذبان.

التدبير

١ - ما أكثر نعم الله تعالى على الإنسان! ﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ ﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ ﴾ وما أحوج العاقل لشكرها وإيفاء حقها والقيام بواجبها!

٢ - خلقك وعلمك، وسخر الكون لك فماذا بقي؟! ﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ ﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ ﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ ﴾.

٣ - الرحمة من أعظم صفات الله تعالى، وهي تجري في حكمه وشريعته وفي كل شيء! ﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ ﴾.

٤ - سبقت رحمته غضبه، وقد خلق الله مئة رحمة أنزل منها في الأرض رحمة واحدة يتراحم بها العالمون فيما بينهم، وأبقى عنده تسعة وتسعين رحمة ليغيث بها الخلق في يوم القيامة^(١). ﴿ الرَّحْمَنُ ۝١ ﴾.

(١) انظر الحديث في البخاري (٥٦٥٤)، ومسلم (٦٩٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



٥ - من أثر رحمته أنه أمهل الظالمين والمجرمين والمعرضين رغم كل ما صنعوه، ولم يعاجلهم بعقوبة ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾.

٦ - ومن رحمته أنه مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بعد طغيانه قَبْلَهُ وعفا عنه، وغفر له، وأبدل سيئاته حسنات ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾.

٧ - مِنْ مِّنَ اللَّهِ تعالى عليك أن يهبك من هذا الخلق، ويرزقك من آثاره، ويجعله جزءاً من أخلاقك وحياتك فيما بعد ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾.

٨ - أعظم مِنَّةٍ مِنَ اللَّهِ تعالى بها عليك هذا الوحي الذي به حياة الروح ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾.

٩ - احتف بنعم الله تعالى وأجلّها وقُمْ بحَقِّهَا تلقى ما كنت تتمناه ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾.

١٠ - إِنَّ حَدِيثَكَ، إِفْصَاحَكَ، كَلَامَكَ، إِيْصَالُ رِسَالَتِكَ للعالمين؟! نعمة من نعم ربك ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ وفي عالم الأرض جموع لا تستطيع أن تقول حرفاً، أو تشارك برأي، أو تطلب حاجة.

١١ - من حق هذه النعمة أن يُمدَّ بها في دين الله تعالى حتى يبلغ بها شأنه في العالمين ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾.

١٢ - من خسارته الفادحة أن ينعم الله تعالى بهذه النعمة على عبده، ثم يذهب هذا العبد يؤسس بها باطلاً، أو يقف بها في طريق الحق ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾.

١٣ - كُلُّ هَذَا الْخَلْقِ من أجل هذه الغاية الكبرى ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨﴾ وَأَقِمْوْا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾.



١٤ - العدل من أعظم المقاصد التي جاءت بها الشريعة ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩﴾.

١٥ - أجر هذه الغاية الكبرى ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩﴾ حتى مع زوجك وولدك وأهل بيتك، كما تجربها في عملك ومع موظفيك، وتعاملك مع الآخرين.

١٦ - قسم أحد الصحابة رضي الله عنه لبعض ولده مالا دون أولاده الآخرين فاستشهد النبي ﷺ فقال ﷺ: «أَكُلْ وَلَدُكَ نَحْلَتَهُ ذَلِكَ؟» قال: لا، قال: «فإني لا أشهد على جور»^(١). ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩﴾.

١٧ - وحذر رسول الله ﷺ المتزوج بأكثر من واحدة ألا يطغى في معاملته لزوجته على أخرى، وإلا «جاء يوم القيامة وشقه مائل»^(٢) من أثر الظلم ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩﴾.

١٨ - كما تجري هذه الفضيلة في التعامل مع الأقوال والأشخاص والأحداث فكل قول يؤخذ منه ما وافق الحق، ويُردُّ منه ما عدا ذلك، ولا يُترك الحق الذي فيه لمجرد ما به من باطل ومنكر. ومثل ذلك الأشخاص: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٢] ومثل ذلك الأشياء.

١٩ - قلب بصرك في نعم الله تعالى، وتذكر بذلك مشاهد قدرة الله تعالى ونعمه في الكون ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠﴾ فِيهَا فَكَّهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾.

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٣٣) والنسائي (٣٩٤٢) وابن ماجه (١٩٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



٢٠ - من لطيف نعمة الله تعالى على هذا الإنسان أنه خلقه من مادةٍ لينةٍ قابلةٍ للتهذيب والكمال والترقي في مدارج الفلاح والخير ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ١٤.

٢١ - للتكرار مقاصد كبرى، وهو هنا تقرير نعم الله تعالى على عبده، وتذكيرهم بتلك النعم في حياتهم ﴿فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكْذَبَانِ﴾ ١٦ وإذا أردت إيصال رسالة فاجعل تكرارها في أساليب مختلفة ومتنوعة هدفاً، وستأتي في النهاية على منك.





رَبُّ الشَّرِيقَيْنِ وَرَبُّ الْغَرْبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْخٌ لَا يَتَّعِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
 ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
 ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى
 وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
 ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
 ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
 أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
 إِلَّا بِإِذْنِ سُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
 شَوْاطِئُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ
 ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ
 إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾



التفسير

- ﴿رَبُّ الشَّرْقَيْنِ وَرَبُّ الْغَرْبَيْنِ﴾ (١٧) ﴿مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما.
- ﴿فَإَيَّ آءَاءِ رَبِّكَما تُكذِّبانِ﴾ (١٨) ﴿فبأي نعمة تكذبان.
- ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ خلط ماء البحرين العذب والمالح ﴿يَلْقِيَانِ﴾ (١٩) ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز ﴿لَا يَتَّبِعَانِ﴾ (٢٠) ﴿لَا يَبْغِي بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَيُفْسِدَانِ بَتَغْيَرُهُمَا بعد اللقاء﴾ ﴿فَإَيَّ آءَاءِ رَبِّكَما تُكذِّبانِ﴾ (٢١) ﴿فبأي نعمة من نعمة تكذبان.
- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ (٢٢) ﴿يخرج من البحار اللؤلؤ وهو صغار الدر، والمرجان كباره.
- ﴿فَإَيَّ آءَاءِ رَبِّكَما تُكذِّبانِ﴾ (٢٣) ﴿فبأي نعمة تكذبان.
- ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ السفن الضخمة ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢٤) ﴿كالجبال.
- ﴿فَإَيَّ آءَاءِ رَبِّكَما تُكذِّبانِ﴾ (٢٥) ﴿فبأي نعمة تكذبان.
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢٦) ﴿زائل فانٍ غير باق.
- ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ حي لا يموت ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) ﴿ذو العظمة والكبرياء.
- ﴿فَإَيَّ آءَاءِ رَبِّكَما تُكذِّبانِ﴾ (٢٨) ﴿فبأي نعمة تكذبان.
- ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حاجاتهم ورغباتهم ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) ﴿يجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويفك عانياً، ويشفي سقيماً.
- ﴿فَإَيَّ آءَاءِ رَبِّكَما تُكذِّبانِ﴾ (٣٠) ﴿فبأي نعمة تكذبان.
- ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣١) ﴿سنفزع لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم.



- ﴿فَبَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ﴾.
- ﴿يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾
إخبار عن عجز الثقليين عن الفرار من أمر الله تعالى وقدره ﴿لَا تَنْفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ﴾.
- ﴿فَبَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ﴾.
- ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ إن أردتم الهرب من أمره، فإنه يُرْسَلُ عليكم أمران
﴿شَوَاطِئُ مِّنْ نَّارٍ﴾ لهب صافٍ من نار ﴿وَنُحَاسٌ﴾ لهب يخالطه دخان ﴿فَلَا
تَنْصِرَانِ﴾ ﴿٣٥﴾ لا تجدون ناصرًا من أمره وحكمه.
- ﴿فَبَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ﴾.
- ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ﴿٣٧﴾ تتلون كما
تتلون الأصباغ التي يُدهن بها.
- ﴿فَبَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ﴾.
- ﴿فَبَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٣٩﴾ لا يسألون سؤال استعلام بما
وقع منهم في الدنيا.
- ﴿فَبَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ﴾.

التدبر

- ١ - قَلْبٌ بَصْرُكَ لِمَشَاهِدِ هَذِهِ النِّعَمِ، وَاجْعَلْهَا سَبِيلًا لِّتَعْظِيمِ رَبِّكَ وَقِيَامِكَ بِحَقِّهِ
﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿فَبَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾
يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴿فَبَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾



فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِيءُ الْآلَاءَ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾

٢ - واجه نفسك بهذه الحقيقة في كل مرة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾

٣ - تعلم أن تجعل هذه الحقيقة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾ سلماً لبناء مجدك، وحادياً لبلوغ أمانيك.

٤ - الموت ليس قصة شؤم تُقعّدك عن العمل، وتحاصرك عن البناء، بل أجل يعينك على إعداد مستقبلك، ويفيض على روحك استثمار أوقاتك فيما ينفعك في الدارين ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾

٥ - لا تعلق قلبك ومشاعرك وأمانيك بمن تجري عليه أحداث الموت، وارفع بصرك للحي الذي لا يموت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾

٦ - كل من حولك مهما بلغ ما في أيديهم تجري عليهم هذه السُّنَّة، ويرحلون إلى الله في يومٍ ما، فتعلق بالكبير المتعال ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾

٧ - تعلم إجلال الله تعالى وتعظيمه، ألا تراه كل يوم في شأن؟! ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٣٩﴾

٨ - ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٣٩﴾ لا يردُّ أحداً، ولا يصرف دعوة، ولا يقف دون أمنية، يجيب كل شيء.

٩ - ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٣٩﴾ يسأله المؤمن التقى، والفاجر المعرض فيعطى هذا، ويعطى هذا، لا يردُّ أحداً، وإذا ردّه فلمصلحته وشأنه في الدارين.



١٠ - ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾ يَفْرَجُ كَرْباً لِسَائِلٍ، وَيَفْتَحُ بَاباً لِمُؤَمِّلٍ، وَيَعِينُ مُحْتَاجاً، وَيَشْفِي مَرِيضاً، وَيَفْكُ مَسْجُوناً، وَيَغْنِي فَقيراً.

١١ - ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾ فَلَا تَحْزَنْ لِمَرْضِكَ، وَلَا تَقْلُقْ لِمَشْكَلَتِكَ، وَلَا تَيَاسَ لظُرُوفِكَ.

١٢ - حَتَّى ظُرُوفِكَ الْبَائِسَةِ، وَأَحْدَاثِكَ الْمُؤَلِّمَةِ، وَمَشْكَلَاتِكَ الْمَزْمَنَةِ سَتَجْرِي عَلَيْهَا أَحْلَامُ الْغَدِ الْكَبِيرِ، وَأَمَالُ الْحَيَاةِ الْقَادِمَةِ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾.

١٣ - مَنْ يَكُونُ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ قَادِرٌ أَنْ يَبْدُلَ أَحْزَانِكَ، وَيَشْفِي مَرَضَكَ، وَيُدَاوِيَ جِرَاحَكَ، وَيُعِيدَ أَمَالَكَ، وَيَحَقِّقَ لَكَ أَمَانِيكَ، وَيَبْنِي لَكَ صَرْحَ مَجْدِكَ مِنْ جَدِيدٍ ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢٩﴾.

١٤ - ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ﴿٣١﴾ لَيْسَ بِهِ تَعَالَى شُغْلٌ عَنَّا، وَلَكِنَّهُ يَبَيِّنُ لَكَ أَنَّ الْأَمْرَ جَدُّ يَسْتَحِقُّ الْإِلْتِفَاتَ، فَتَنْبِه!

١٥ - لَوْ قَالَ لَكَ مَسْئُولٌ هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَكُنْتَ تَجِدُ لَذَّةَ النَّوْمِ! فَكَيْفَ بِاللَّهِ؟! ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ﴿٣١﴾.

١٦ - أَدْرَكَ نَفْسَكَ قَبْلَ حُلُولِ سَاعَاتِ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ مِنْ عَمْرِكَ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ﴿٣١﴾.

١٧ - أَنَّى لَهُمْ أَنْ يَنْفَعُوا مِنْ سُلْطَانِكَ يَا رَبِّ! ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَنْفَعُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿٣٣﴾.

١٨ - لَا مَهْرَبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا إِلَيْهِ، ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَنْفَعُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿٣٣﴾.



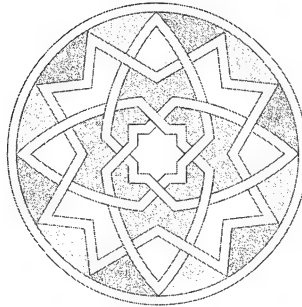
١٩ - ماذا يصنع الآبق عند لقاء ربه! وأين يجد مسلماً يفتر منه! وكيف يتواري عن لقاء جلال الله تعالى وسؤاله؟! ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ﴿٣٢﴾.

٢٠ - تخيل هذه السماء حين تذوب وتنصهر! ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ﴿٣٧﴾ هذه بعض مشاهد ذلك اليوم العظيم!

٢١ - ذنوبهم لا تحتاج إلى سؤال، فهي معلومة مرصودة مكتوبة لا يغيب منها شيء ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٣٩﴾.

٢٢ - لا نحتاج إلى سؤال عن سالف الأيام! سنجدها منشورة معروضة بلحظاتها وظروفها وأحداثها في ذلك الحين ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٣٩﴾.

٢٣ - كم من عمل ذهب وتلقته الصحف بالتدوين ويأتي معروضاً، لا يغيب منه شيء ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٣٩﴾.



يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسَمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ
رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكْذِبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾
وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾
ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ
﴿٥٠﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْحَانِ
﴿٥٢﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾
فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾
فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾
فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا
الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا
جَنَّاتٍ ﴿٦٢﴾ فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾
فَيَأْيِءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ﴿٦٦﴾



التفسير

- ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ سِيمَاهُمْ﴾ سواد الوجوه وزرقة الأعين.
- ﴿فِيؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فِيأخذون بمقدمات شعر رؤوسهم وأقدامهم.
- ﴿فِيَأْيِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فبأي نعمه تكذبان.
- ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿يقال لهم ذلك توبيخاً وتقريراً.
- ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿فتارة يُعذَّبون في النار، وأخرى يُسقون من الحميم الحار.
- ﴿فِيَأْيِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿فبأي نعمه تكذبان.
- ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما.
- ﴿فِيَأْيِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿فبأي نعمه تكذبان.
- ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿أغصان نضرة حسنة.
- ﴿فِيَأْيِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فبأي نعمه تكذبان.
- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿تسقي تلك الجنان.
- ﴿فِيَأْيِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿فبأي نعمه تكذبان.
- ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿صنفان.



- ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾﴾ فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ مَا غَلِظَ مِنَ الدِّيْبَاجِ الْمَزِينِ بِالذَّهَبِ.
- ﴿وَحَنَى الْجَنَيْنَ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ ثَمَرَهَا قَرِيبَ مَتَى شَاوُوا تَنَاوَلُوهُ.
- ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَتُ الطَّرْفِ﴾ لَا يَرِينَ غَيْرَ أَزْوَاجِهِنَّ ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾ لَا زَلْنَ أَبْكَارًا.
- ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾ فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿كَانَتْهُنَّ أَلْيَاقُوتٌ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ لَصَفَائِهِنَّ وَجَمَالَ مَنْظَرِهِنَّ.
- ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾ فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾﴾ فَلَيْسَ جَزَاءُ حَسَنِ الْعَمَلِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا حَسَنُ الْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
- ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾ فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ هَاتَانِ الْجَنَّتَانِ دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ.
- ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾ فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿مُدَّهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ سَوْدَاوَتَانِ مِنْ شِدَّةِ الْخَضِرَةِ لِأَثَرِ الرِّيِّ.
- ﴿فَيَايَا آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾ فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.



- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَصَّاحَتَانِ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿فِيَا ضَتَانِ﴾.
- ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿فَبَايَ نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ﴾.

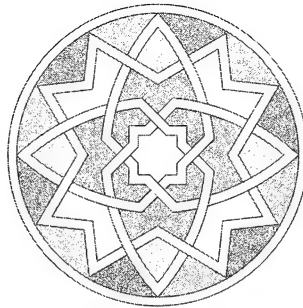
التَّذِيرُ

- ١ - لا يحتاجون إلى استقصاء! الوجوه السوداء الشاحبة والأعين الزرق أخض صفاتهم في ذلك اليوم ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٤١﴾.
- ٢ - حتى الوجوه تصيبها الدهشة ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٤١﴾.
- ٣ - الحقائق المتأخرة عن وقتها لا تصنع جديداً في حياة المضيّع لها ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ﴿٤٤﴾.
- ٤ - جزاؤك على قدر عملك، ونعيمك على قدر مرابطتك ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكَةٍ زَوْجَانِ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَفٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿فِيَهُنَّ قَصَصَتْ الْأَطْرَفُ لَمَ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿فِيَايَ ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٩﴾.
- ٥ - هذه سنة الله تعالى التي لا تتخلف ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾.
- ٦ - لا تدع فرصة إحسانٍ تمرُّ بك دون استثمار، فلعلَّك تلقى مقابلاً لم يخطر لك على بال ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾.

٧ - كم كان في أعطاف الخطوة الأولى من آمال؟! ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾.

٨ - ما إحسانك إلى جانب إحسان ربك؟! وما جهدك في مقابل هبات الرحمن؟! ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾.

٩ - الجزاء من جنس العمل ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ﴿٦٢﴾ فَإَيَّ ءَالَءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَإَيَّ ءَالَءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ ﴿٦٦﴾ فَإَيَّ ءَالَءٍ رِيكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾.





فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهَا فَتَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ
 ﴿٦٨﴾ فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾
 فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ
 ﴿٧٢﴾ فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ
 وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى
 رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
 ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ أَنْتُمْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

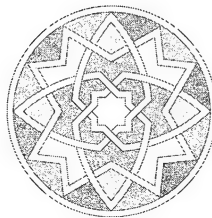
التفسير

- ﴿فِيهَا فَتَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ﴿٦٨﴾ من جميع أصناف الفاكهة وأخص هذه الفاكهة النخل والرمّان.
- ﴿فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٦٩﴾ فبأي نعمه تكذبان.
- ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ ﴿٧٠﴾ في الوجوه.
- ﴿فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧١﴾ فبأي نعمه تكذبان.
- ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ ﴿٧٢﴾ محبوسات في الخيام في انتظار أزواجهنّ.
- ﴿فَيَايَ ءَالِئِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧٣﴾ فبأي نعمه تكذبان.

- ﴿لَمْ يَطْمِئْنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٧٤) ﴿لَمْ يَجَامِعْهُنَّ أَحَدٌ قَبْلَكُمْ.
- ﴿فَبَإِيءَ الْآءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٥) ﴿فَبَإِي نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٧٦) ﴿نَوْعٌ مِنَ الْبَسْطِ يَبْسُطُ عَلَى الْفُرَشِ لِيَنَامَ عَلَيْهِ، جَمِيلٌ فِي وَصْفِهِ، عَظِيمٌ فِي نَعِيمِهِ.
- ﴿فَبَإِيءَ الْآءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٧) ﴿فَبَإِي نَعْمَهُ تَكْذِبَانِ.
- ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) ﴿تَعَاضَمَ وَجَلٌّ فِي عِلَافِهِ.

التَّـدْبِيرُ

- ١ - هذه بعض صور جزائك يوم القيامة ﴿فِيهَا فَتْكُهُمْ وَنَحْلُ وَرُمَانٌ﴾ (٦٨) ﴿فَبَإِيءَ الْآءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٦٩) ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (٧٠) ﴿فَبَإِيءَ الْآءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧١) ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٧٢) ﴿فَبَإِيءَ الْآءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٣) ﴿لَمْ يَطْمِئْنِ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٧٤) ﴿فَبَإِيءَ الْآءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٥) ﴿مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٧٦) ﴿فَبَإِيءَ الْآءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٧٧) ﴿نَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨).





سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
 ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾
 فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ
 الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشْأَمِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ
 ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾

التفسير

• ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ قامت القيامة ﴿لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾﴾ ليس
 لوقوعها صارف.

• ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ تخفض أقواماً وترفع آخرين.

- ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ ﴿٤﴾ حُرِّكَتْ وَزُلْزِلَتْ فَاضْطَرَبَتْ.
- ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ ﴿٥﴾ فَتَّتْ فِتْنًا.
- ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ﴿٦﴾ شَيْئًا حَقِيرًا كَالْمُتَطَايِرِ فِي الْجَوِّ لَخْفَتِهِ.
- ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ﴿٧﴾ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً بِحَسَبِ أَعْمَالِكُمْ.
- ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ﴿٨﴾ أَصْحَابُ الْيَمِينِ.
- ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ ﴿٩﴾ أَصْحَابُ الشِّمَالِ.
- ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ﴿١٢﴾ فِي أَعْلَى الْمَنَازِلِ مِنَ الْجَنَّةِ.
- ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣﴾ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.
- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.
- ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ ﴿١٥﴾ مَنسُوجَةٌ بِالذَّهَبِ.
- ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ مُتَقَابِلِينَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.

التدبير

- ١ - ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِعَادَةُ بِنَاءِ
- التَّصَوُّرَاتِ وَالْمَوَازِينِ، فَالرَّفْعُ وَالْخَفْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَتْ كَقَضَايَا الدُّنْيَا،
- بَلْ مَرْدُّ ذَلِكَ لِلْعَمَلِ وَالْمَوَازِينِ.



٢ - كم من مرفوع في الدنيا مخفوض في الآخرة! وكم من مخفوض في الدنيا مرفوع في الآخرة! ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ (١) لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۝ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ (٣)﴾.

٣ - أيها الفقراء والمساكين! انتظروا يوماً يُعاد فيه ترتيب الأعمال من جديد ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ (١) لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۝ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ (٣)﴾ كم من فقير كبير بعمله، وكم من كبير بمكانته قليل بضعيف بعمله؟!

٤ - من كمال فقهك ألا تغبط مخلوقاً إلا على الإيمان والعمل الصالح، وما عداه مظاهر لا تغني عن صاحبها شيئاً! ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ (١) لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۝ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ (٣)﴾.

٥ - تمايز الناس واختلافهم في ذلك اليوم على قدر أعمالهم فحسب ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝ (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ (٩) وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۝ (١٠)﴾.

٦ - كل الانتصارات التي تحقّقها في الدنيا إذا لم يكن لها علاقة بالآخرة؛ فلا مفروح بها في شيء ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝ (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ (٩) وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۝ (١٠)﴾ هذه هي موازين الحقيقة.

٧ - الفوز الحقيقي، والانتصار الكبير، والأفراح التي تستحقّ العيش هي تلك التي تُبين في ذلك اليوم ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝ (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ (٩) وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۝ (١٠)﴾.

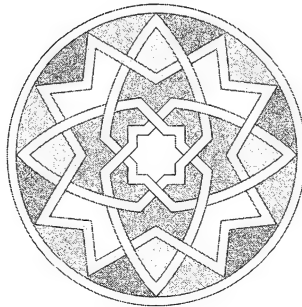
٨ - مَنْ يَأْتِي أَوَّلًا! هذا هو سؤال النصر في المعركة الكبرى! ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١١ ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ ١٢ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾.

٩ - على قدر خطواتك تبلغ أملك ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١١ ﴿سَابِقُوا، ثُمَّ كَانُوا مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

١٠ - مَنْ يَقُمُ أَوَّلًا يَصِلُ كَذَلِكَ أَوَّلًا ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١١.

١١ - من أبرز صفات هذا الجيل القيام للمؤذن، والمسابقة في الخيرات، والمدافعة على فضائل الصفوف، والمسارة في كل شأن من شؤون تلك الدار ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١١.

١٢ - لا يتحرك لصلاة الجماعة إلا مع الإقامة أو يكاد، ولا يأتي يوم الجمعة إلا قبيل الخطيب، ويجتهد غير أنه لا يأتي أولاً، وفاته شرف هذه الذكريات، وليأتين يوم كثير الحسرات ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ﴾ ١٠ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ١١.





يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنَزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفِيكِهِمْ مِمَّا يَتَخَبَّطُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ
الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ
﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِيكِهِمْ كَثِيرٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُمْ
أَنْبَكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ
الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ
الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ
عَلَى الْخَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَا بَأُؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنْ
الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

التفسير

- ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾ يمرُّ على أهل الجنة لخدمتهم ولدان صغار السن، لا يتغيرون عن حالتهم.
- ﴿بِأَكْوَابٍ ﴿﴾ وهي الكيزان التي لا خراطيم لها ﴿وَأَبَارِيقَ ﴿﴾ أواني لها خراطيم ﴿وَكُلِّسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ من خمر لذيد المشرب.
- ﴿لَّا يَصْدَعُونَ عَلَيْهَا وَلَا يَزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ لا تتصدع رؤوسهم ولا تذهب بعقولهم.
- ﴿وَفَلَكَهٖ مِّمَّا يَتَخِفُّونَ ﴿٢٠﴾﴾ حسب أهوائهم.
- ﴿وَلَحِمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ على أذواقهم ورغباتهم.
- ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ نساء جميلات واسعات العين مع شدة البياض والسواد فيها.
- ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ كأنهن اللؤلؤ المصون عن الأيدي.
- ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ نالوا ذلك جزاءً على أعمالهم.
- ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا ﴿﴾ في الجنة ﴿لَفَوْا ﴿﴾ كلاماً لا فائدة فيه ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٥﴾﴾ وليس فيه إثم.
- ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ إلا التسليم على بعضهم البعض.
- ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ ثمر لا شوك فيه.
- ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ متراكم الثمر.
- ﴿وَضَلَلٍ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ ممتد دائم.



- ﴿وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ﴾ (٣١) يجري في غير أحدود.
- ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ (٣٢) مختلفة متنوعة.
- ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (٣٣) مستمرة لا يتخللها انقطاع ولا منع.
- ﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ (٣٤) عالية وطيبة ناعمة.
- ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنِشَاءً﴾ (٣٥) أي نساء أهل الجنة.
- ﴿فَجَعَلْنَهُمْ أَتْبَارًا﴾ (٣٦) لم تفتض من أحد.
- ﴿عُرْبًا﴾ متحبيبات إلى أزواجهن ﴿أَتْرَابًا﴾ (٣٧) في سنٍّ واحدة.
- ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨) هذا الفضل لمن كان من أهل اليمين في الدرجة.
- ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) جماعة من الأولين ﴿وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠) جماعة من الآخرين.
- ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَحْبَبُوا الشِّمَالِ﴾ (٤١) ما حالهم ومآلهم؟!
- ﴿فِي سَمُومٍ﴾ هواء حار ﴿وَحَمِيمٍ﴾ (٤٢) ماء حار.
- ﴿وَوَيْلٌ مِّنَ يَّحْمُومٍ﴾ (٤٣) دخان أسود.
- ﴿لَا بَارِدٍ﴾ في هبوبه ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ (٤٤) في منظره.
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في أيام الدنيا ﴿مُتَرَفِّفِينَ﴾ (٤٥) مُنْعَمِينَ بالملذات منشغلين بها عن الحق.
- ﴿وَكَاوُوا يَصْرُورًا﴾ يقيمون ﴿عَلَى الْحَنَثِ الْعَظِيمِ﴾ (٤٦) الذنب العظيم، وهو الشرك، وما يتبعه من الكبائر ونحوها.



- ﴿وَكَاْنُوا يَقُوْلُوْنَ اِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا اَنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ﴾ (٤٧) ﴿اَوْءَاْبَاؤُنَا اَلْاَوَّلُوْنَ﴾ (٤٨) ﴿مَكْذِبِيْنَ مُسْتَبْعِدِيْنَ لَوْقُوْعِهِ﴾.
- ﴿قُلْ اِنَّ اَلْاَوَّلِيْنَ وَالْاٰخِرِيْنَ﴾ (٤٩) ﴿لَمَجْمُوْعُوْنَ اِلَىٰ مِيْقَتٍ يَّوْمٍ مَّعْلُوْمٍ﴾ (٥٠) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

التَّدْبِيرُ

- ١ - يكفي جهدك السابق ورحلتك المضنية وأيامك المجهدية، أنك ستجد من يتولى خدمتك، ويقوم على أفراحك في الجنان ﴿يَطُوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنُّ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكُاسٍ مِّنْ مَّعِيْنٍ﴾ (١٨) ﴿لَّا يَصْدَعُوْنَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُوْنَ﴾ (١٩).
- ٢ - تلك أيام العمل، وهذه أيام الجزاء ﴿جَزَاءُ يِّمًا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤).
- ٣ - من عدل هذه الشريعة أنها تجزيك على عملك وجهدك ورسالتك حتى إنها تجمع لك غبار قدمك وأثر رحلتك ﴿جَزَاءُ يِّمًا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤).
- ٤ - من كمال نعيمك أنك لا تسمع ما يجرح مشاعرك ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيْمًا﴾ (٢٥) ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ (٢٦).
- ٥ - حتى منازل الجنة تتفاوت بتفاوت أعمال أصحابها ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِيْنِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِيْنِ﴾ (٢٧) ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُوْدٍ﴾ (٢٨) ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُوْدٍ﴾ (٢٩) ﴿وَزُلْجَلٍ مَّدْوُوْدٍ﴾ (٣٠) ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوْبٍ﴾ (٣١) ﴿وَفِيْكَهْمُ كَثِيْرٌ﴾ (٣٢) ﴿لَّا مَقْطُوْعَةٌ وَلَا مَمْنُوْعَةٌ﴾ (٣٣) ﴿وَفُرْشٌ مَّرْفُوْعَةٌ﴾ (٣٤) ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (٣٥) ﴿فَعَلَّنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ (٣٦) ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (٣٧) ﴿لِّأَصْحَابِ الْيَمِيْنِ﴾ (٣٨) ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْاَوَّلِيْنَ﴾ (٣٩) ﴿وَنُثْلَةٌ مِّنَ الْاٰخِرِيْنَ﴾ (٤٠).
- ٦ - الجزاء من جنس العمل ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِيْنِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِيْنِ﴾ (٢٧) ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُوْدٍ﴾ (٢٨)



وَطَلِحَ مَنُصُورٍ ﴿٢٩﴾ وَظَلَّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكَهَتْ كَثِيرٌ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَجَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾

٧ - إذا اشتقت لحسناء فمُدَّ بصرك إلى تلك الدار ﴿٣٤﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَجَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾

٨ - وما تصنع بنساء الدنيا كلهن أمام حسناء على مشارف تلك الدار؟! ﴿٣٧﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٩﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَجَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾

٩ - الجزاء من جنس العمل ﴿٤١﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾

١٠ - ترف الشهوات مؤذنٌ بنهايات السوء ﴿٤٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾

١١ - الكبر على الحق، والإصرار على الباطل يصنع خواتيم السوء ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾

١٢ - كم مرّة نهوا عن تلك المنكرات، ولم يرتدعوا عنها! ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾

١٣ - كم من واعظٍ رُدَّوه! وناصحٍ استهزؤوا به! ومحبٍّ لم يسمعوا صوته؟! ﴿٤٧﴾

١٤ - غياب الرؤية من أكبر الأسباب المؤذنة بالفشل والإخفاق.

١٥ - ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ الحقيقة

التي يجب أن تُقرأ قراءة واعية كل يوم!

ثُمَّ إِنكُمْ آتِيهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾
 فَالِثُونَ مِنْهَا الْبَطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا
 شَرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا
 تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
 الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
 عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ امْتِلَاكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ
 عَلَّمْتُ النَّسَاءَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ
 ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
 حُطَامًا فَظَلِمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ
 ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ
 نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ
 الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾
 فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ
 النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾



التفسير

- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَتَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾﴾ تهديد ووعيد.
- ﴿لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾﴾ شجر كريه المنظر والطعم.
- ﴿فَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ مع سوءها وكرامتها زيادةً في عذابهم.
- ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ الماء الذي انتهى إلى غاية حره.
- ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ كشرب الإبل العطاش.
- ﴿هَذَا نَزَّاهُمْ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٥٦﴾﴾ كرامتهم وضيافتهم.
- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ ﴿٥٧﴾﴾ أول مرة ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ بما أعد الله لكم وتعملون له.
- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ما تضعونه من المنى في أرحام النساء.
- ﴿إِنَّكُمْ تَخْلُقُونَهُ ۚ ﴿٥٩﴾﴾ تصوِّرون منه الإنسان ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ المقدِّرون المصوِّرون.
- ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ ﴿٦٠﴾﴾ قدرناه وصرَّفناه بينكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ عاجزين.
- ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْلَئِكُمْ ﴿٦١﴾﴾ نغيِّر خلقكم يوم القيامة ﴿وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ من الصفات والأحوال.
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ إذ خلقتكم من نطفة قبل أن تكونوا شيئاً ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فهلاً تذكِّرون أن من قَدَرَ على البداية قادرٌ على الإعادة.



- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ﴿تزرعون.﴾
- ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تُنْبِتُونَهُ فِي الْأَرْضِ ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٦٤) ﴿الذين نُنبِئُهِ وَنَتَكْفَلُ بِحَيَاتِهِ.﴾
- ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ متكسرًا بعد الاستواء ﴿فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (٦٥) ﴿تَتَعَجَّبُونَ وَتَتَلَاوَمُونَ وَتَتَنَدَّمُونَ.﴾
- ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ (٦٦) ﴿أَيُّ أَصَابِنَا النِّقْصُ وَحَلَّتْ بِنَا الْخُسَارَةُ﴾ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ (٦٧) ﴿من فضل الله تعالى.﴾
- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ من السحاب.
- ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (٦٩) ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ مُرًّا لَا مَذَاقَ لَهُ.
- ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٠) ﴿فَهَلَّا تَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَى نِعَمِهِ.﴾
- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (٧١) ﴿توقدون.﴾
- ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ التي توقد منها النار ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ (٧٢) ﴿الذين خلقناها لذلك.﴾
- ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ أي هذه النار عظة للنار الكبرى يوم القيامة ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ (٧٣) ﴿المستمتعِينَ بِهَا مِنَ النَّاسِ.﴾
- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤) ﴿نَزَّ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا وَصَفَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ.﴾
- ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾ (٧٥) ﴿أقسم بمطالع النجوم ومغاريبها.﴾
- ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (٧٦) ﴿أي هذا الذي أقسم الله تعالى به عظيم.﴾

التدبر

١ - هل تصورت هذه الحقائق المرة! والمواقف المؤلمة؟! ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَآ الضَّآلُونَ الْمَكْذِبُونَ﴾ ٥١ ﴿لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ﴾ ٥٢ ﴿فَالِثُونَ مِنهَا الْبَطُونَ﴾ ٥٣ ﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِّن الْحَمِيمِ﴾ ٥٤ ﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ﴾ ٥٥ ﴿هَآذَ نَزَّهْتُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٥٦ ﴿يَا لَخَسَارَ الْحَيَاةِ!﴾

٢ - العقيدة أعظم القضايا، ألا ترى كيف أفرد الله تعالى لها هذا الجزء الكبير من الوحي!! ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ٥٧ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ٥٨ ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ؟ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥٩ ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٦٠ ﴿عَلَىٰ أَن يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ٦٣ ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ؟ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ٦٤ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ٦٥ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ ٦٦ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ ٦٧ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ٦٨ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِن الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ٦٩ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ٧٠ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ٧١ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ ٧٢ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ ٧٣ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٧٤ ﴿

٣ - إذا أردت أن تقرّر قضية، أو تعمق مفهوماً فاحشد له من الأمثلة ما يكفي لبنائه ﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ٥٧ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ٥٨ ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ؟ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ ٥٩ ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٦٠ ﴿عَلَىٰ أَن يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ٦٣ ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ؟ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ ٦٤ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ ٦٥ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ ٦٦ ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ ٦٧ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ٦٨ ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِن الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ ٦٩ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ٧٠ ﴿



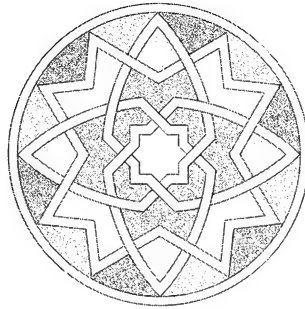
أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾.

٤ - كلما كانت الأمثلة المطروحة مما يعيشه الإنسان ويراها ويلحظه كانت أكثر أثراً في وصول المفاهيم التي ترغب في تحقيقها (أمثلة النسل والزرع والماء والنار) ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾.

٥ - عظيم نعم الله تعالى على الإنسان بدءاً من خلقه، ومروراً بحرثه وزرعه ومائه الذي يشربه ويستقي به، وانتهاءً بناره التي تنضج له ما يريد ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾.



٦ - إثارة التفكير أحد الأساليب المهمة في بناء شخصية المتلقي ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَعْتًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٤﴾



إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا
الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ
أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا
بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾
تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ
﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ
الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ مِنْ حَمِيمٍ
﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

التفسير

- ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ أي هذا الذي نزل على رسول الله ﷺ.
- ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ ﴿٧٨﴾ مصون ومحفوظ من التحريف .
- ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ ﴿٨١﴾ القرآن ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ ﴿٨١﴾ مكذبون.



- ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿شَكَرَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا رَزَقَكُمْ بِهِ مِنْ النِّعَمِ أَنَّكُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ فَتَنْسِبُونَ الْغِيثَ لِلنَّوَى.
- ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الرَّوحَ﴾ ﴿الْحُلُقُومَ﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿الْحَلَقُ.
- ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تُنْظَرُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿إِلَى الْمُحْتَضِرِ وَمَا يَكَابِدُهُ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ.
- ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ ﴿بِمَلَأْنَاكُمْ﴾ ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿لَا تَرَوْنَ.
- ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنْكُمْ غَيْرَ مَبْعُوثِينَ وَلَا مُحَاسِبِينَ فَارْجِعُوا هَذِهِ الرُّوحَ إِلَى بَدَنِهَا.
- ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿هَذَا الَّذِي فَارَقَ الْحَيَاةَ إِنْ كَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ.
- ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ﴿سَعَادَةٌ وَفَرَحٌ وَرَاحَةٌ وَرَحْمَةٌ﴾ ﴿وَجَنَّاتُ نَعِيمٍ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿مِنْ أَهْلِ الْيَمِينِ.
- ﴿فَسَلِّمُوا لَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿٩١﴾ ﴿يَحْيِيهِ الْمَلَائِكَةُ بِذَلِكَ، وَيَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ، وَيَخْبِرُونَهُ بِمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿بِالْحَقِّ﴾ ﴿الضَّالِّينَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿عَنِ الْهُدَى.
- ﴿فَنَزَّلُ مِنَ حَمِيمٍ﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿ضِيَاغَهُ وَكَرَامَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَاءِ الْحَارِ الَّذِي يَصْهَرُ الْبَطُونُ، وَيَقْطَعُ الْأَمْعَاءُ.
- ﴿وَنَصْلِيَّةٌ جَحِيمٍ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿تَصْلِيهِ النَّارِ وَتَحْرِقُهُ.

- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي أخبرناكم به من حال هذه الأصناف الثلاثة ﴿هُوَ حَقٌّ أَلْيَقِينَ﴾ ﴿٩٥﴾ الذي لا شك فيه.
- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ فنزّه الله تعالى عن كل نقص.

التدبر

- ١ - مثلك أوعى بقسم ربك على جلال وكرم كتابه تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ في كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾
فما بلغ منك قسم ربك ومولاك!
- ٢ - افتح قلبك ومشاعرك للقرآن، وانتظر الحياة ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ في كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾.
- ٣ - هذا الكرم يحتاج إلى إقبال حتى تأتي منه على أمانيك ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ في كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾.
- ٤ - استقطع من قلبك ووقتك وتفكيرك وحياتك ما يعينك إلى بلوغ هذه البركة في كتاب ربك الكريم ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾ في كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾.
- ٥ - أسوأ المواقف هو الإعراض عن الغايات الكبرى ﴿أَفَيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾.
- ٦ - كل العالم الحي ستجري عليه هذه اللحظات ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَّظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُورَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾.



٧ - استعد لخوض الرحلة الكبرى يوماً ما ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ
جِنْدٌ نُنْظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصِيرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ
مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ ۞

٨ - اختر طريقك وموقعك ونهايتك كما تشاء ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتٌ يَغِيْرِ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ
﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصْلَةٌ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ
هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ۞ هذا التفاوت في المنازل أصله
توفيق الله تعالى، ومادته اجتهاد الإنسان وسعيه في الحياة.



سُورَةُ الْحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

التفسير

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نزه الله تعالى كل مخلوقاته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾ في تدبير خلقه.
- ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ المالك المتصرف في خلقه يفعل ما يشاء.
- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ فليس قبله شيء ﴿وَالْآخِرُ﴾ ليس بعده شيء ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ فلا تخفى عليه خافية.



التدبر

١ - الكون كله يسير في فلك العبودية الكبرى ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١.

٢ - حتى الجماد يجلُّ ربك وينزّهه عن كل نقص، ويرفع شأنه، ويقوم بواجبه تجاهه في كل شيء ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١. فما أنت صانع أيها الإنسان!

٣ - تخيّل جماداً حولك يسبح ربك وأنت غافل لا تحرك ساكناً! ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١.

٤ - كل لحظة تمر في حياتك لا تُجلُّ فيها ربك هي خسارة في مقابل جماد لا يفتر عن إجلاله وتعظيم شعائره ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١.

٥ - ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢. فلا يخرج عن إرادته وقدرته من أمر الكون شيء.

٦ - ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢. فلا تستثقل شيئاً ممّا تريد فهو آتٍ لك بما تشاء.

٧ - ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢. يحقق أملك، ويدفع عنك مخاوفك، ويجمع لك شملك، ويأتي على كل آمالك، فلا تحتقر شيئاً من أحلامك.

٨ - ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢. فلا تبتئس من عدوك، ولا تخش عقبات طريقك، ولا تملّ من سؤالك! تمنّ كل شيء، وسيأتيك فوق ما تريد.

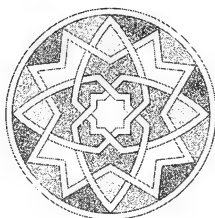
٩ - ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ أبلغه بحاجتك، وابعث إليه بأمانيك، ولا تتردد في شيء؛ فسيبلغك ما يدهشك.

١٠ - إذا خطرت في قلبك أمنية فليكن هو أول من تُهرع إليه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ وإذا اشتقت إلى شيء من آمالك فليكن بابه أول باب تهرعه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ وإذا وقفت العوارض والعقبات والأحداث الكبار في طريقك فليكن هو أول خاطر يخطر ببالك ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾.

١١ - ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ في قلبك عند إرادة أي عمل، وكتابة أي حرف، وسؤال أي قضية، وتحريك أي قدم، هو الأول في كل شيء فتنبه!

١٢ - هو أول من ترقبه وتخافه، وتقوم له وتقعده من أجله، وتسافر وتقيم من أجل رضاه ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾.

١٣ - إياك أن يأتي الأول متأخراً في نية قلبك، أو جهد جوارحك، أو غبار قدمك، أو حديث لسانك، فلا تصل إلى شيء ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾.





هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
 الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
 وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
 ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾
 يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ
 مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ءَانْفِقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا
 لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِنُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ
 مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ
 يَنْتَظِرُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ
 رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٌ
 أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ
 اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ
 اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء يليق بجلاله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من حَبٍّ وَغَيْثٍ وَكُلِّ شَيْءٍ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نباتٍ وَشَجَرٍ وَحَيَوَانٍ وَكُلِّ شَيْءٍ ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من الأقدار والأرزاق والملائكة ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة والأعمال ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ بعلمه وسلطانه وقدرته ﴿وَاللَّهُ يَمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ فلا تخفى عليه خافية.
- ﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرّف فيهما كما يشاء ﴿وَالِإِلَهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٥﴾ فيحكم فيها بما أراد.
- ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يدخل الليل على النهار فيغشيه بظلامه، ويدخل النهار على الليل فتذهب ظلمة الليل ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٦﴾ يعلم خفايا القلوب وأسرارها.
- ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ كما أمركم الله تعالى وأرشدكم نبيكم ﷺ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ من المال ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧﴾ الذي جمع بين الإيمان والنفقة له أجرٌ عظيم.
- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أي عذرٍ أو مانعٍ لكم من الإيمان بالله ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ ورسوله يدعوكم إلى ذلك ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَقَكُمْ﴾ أخذ عليكم العهد والميثاق لتؤمنوا به ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ فإن الإيمان يدعو صاحبه للامتثال.
- ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَتَّبِعُ﴾ ظاهرات تدلُّ على صدق ما جاء به



﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُم لَأَرُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩).

• ﴿وَمَا لَكُمُ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وما الذي يمنعكم من النفقة في سبيله ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكل شيء له أولاً وراجع إليه آخراً ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾ فتح مكة ﴿أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ من بعد فتح مكة أو صلح الحديبية ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ من قاتل قبل الفتح أو بعده ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠) فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فيبذل ماله طيبة به نفسه لوجه الله تعالى ﴿فِيضْعَفَهُ لَهٗ﴾ فيعطيه الله تعالى ثواب ما بذله من ماله مضاعفاً ﴿وَلَهٗ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١١) ثواب عظيم.

التدبر

١ - ليكون حاضراً في قلبك ومشاعرك أن الله تعالى يعلم كل شيء ولا يفوته من عملك وجهدك شيء ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤) له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور (٥) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور (٦).

٢ - إن كل ما يدخل الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يجري في علم الله تعالى! ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ



مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُورِلُجُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَيُورِلُجُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ ۖ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ۞

٣ - ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ في حِلِّكَ وترحالك، في سفرك وإقامتك، في خلوتك ووحدتك، وفي جمعك وسَمَّارك.

٤ - ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ في ظروفك القاهرة، وأيامك الصعبة، وأوضاعك الحرجة، ومحنتك وآلامك، وتحديات واقعك.

٥ - ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ في مرضك وصحتك، في عافيتك وسقمك، في غناك وفقرك، في يومك وليلتك.

٦ - حين تنفق من مالك إنما تنفق من ودائع ربك ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فلا تبخل على نفسك بشيء.

٧ - ليس من شأن الخليفة أن يبخل بما استُخْلِفَ عليه وقد سأله الله تعالى الإنفاق ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

٨ - من لطيف رحمة الله تعالى بالإنسان محاولة إقناعه بالإيمان وإكرامه به ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

٩ - يا لغبن إنسان يعرف هذه الحقيقة ثم لا يشرع في استثمارها! ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ آيات بيِّنات، ومن عادة البَيِّن أن يصنع لك كل شيء.



١٠ - الإسلام يحفظ سوابق المجاهدين، ويجلّ سالف الأيام ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولِيكٍ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٠﴾.

١١ - فرق بين من ينفق عن حاجة وآخر ينفق ممّا وسّع الله تعالى عليه ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولِيكٍ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾.

١٢ - فرق بين أيام القلّة وأيام الكثرة، وأيام الفتن وأيام السلامة، وأيام الضيق والحرّج والمشقة وأيام السعة ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولِيكٍ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾.

١٣ - ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾ جرّب إيمانك في معركة الإنفاق والسخاء بما في يدك.

١٤ - هل تصوّرت أن الله تعالى يطلبك، ويسألك أن تقرضه! إنها الفرصة التي تدقّ بابك ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾.

١٥ - كل الذين لم يدفعوا بعض ما في أيديهم لم يدركوا هذا الوعد الكبير بعد! ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾.

١٦ - حين تنفق من مالك فلا تنقصه، وإنما تضاعفه وتزيده ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى ثَوْرُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَاثِمِهِمْ
بُشْرَتُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفَقُّونَ وَالْمُتَفَقِّتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ
بَيْنَهُمْ سُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ
﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ
وَتَرْتَضَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَكْثَرُ فَاسْتَوُوا
بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مَأْوَانُكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا
يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ
الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ
لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾



التفسير

• ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يتقدمهم نورهم بين أيديهم وبأيمنهم ﴿بُشِّرَنُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ﴾ هنيئاً لكم هذا الفوز يوم القيامة ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ فما أعظمه من فوز!

• ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ انتظرونا ﴿نَقْنَسَ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نستضيء به في الظلمة ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ خلفكم ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ اطلبوا نوراً ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ حائطٍ أو حصنٍ منيعٍ ﴿لَهُ بَابٌ بِأَطْنَبِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ وهو ما يلي المؤمنين، وهو الجنة ﴿وَوَظَّهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ ﴿١٣﴾ أي ما يلي المنافقين، وهو النار.

• ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ على الإسلام ﴿قَالُوا بَلَى﴾ كنتم معنا ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالنفاق والمعاصي ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالحق وأهله ﴿وَأَرْتَبْتُمْ﴾ شككتهم فيما جاءكم من الحق ﴿وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَاقِي﴾ فخدعتكم بطول الأمل ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي الموت ﴿وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ﴿١٤﴾ الشيطان.

• ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ قَدْبَةٌ﴾ من مال ولا غيره ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كذلك لا يؤخذ منهم شيء ﴿مَأْوَانِكُمُ النَّارُ﴾ فهي مستقركم ﴿هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ التي تتولاكم وتضمكم ﴿وَيَسِّرَ الْمَصِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ ما أسوأ العاقبة حين تكون النار!

• ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ ألم يأت الوقت الذي ترق في هذه القلوب وتلين وتخضع لذكر الله تعالى وأمره ونهيه بعد سماع القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ من اليهود

والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ العهد والزمان بينهم وبين الرسالات
﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ غلظت وتحجّرت ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ خارجون
عن طاعة الله.

• ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بإنزال الغيث عليها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ
الْآيَاتِ﴾ الدالة على قدرة الله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ عن الله
تعالى أمره.

• ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ مَنْ أنفق ماله في سبيل الله تعالى ﴿وَأَقْرَضُوا
اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ كأنهم أعطوه سلفاً ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾
يزاد لهم بالخلف والعوض في الدنيا، وبالأجر في الآخرة.

التدبِير

١ - كم من تعبٍ مخلوفٍ وأحداثٍ تركت عواقب فضل وإحسان في حياة صاحبها!
﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَمْنٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ حَسَنَتْ تَجَرُّهُ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾.

٢ - ﴿بُشِّرْنَكُمْ الْيَوْمَ﴾ لو قيلت لك في الدنيا لثارت مشاعرك فرحاً وسروراً! فكيف
وهي تقال لك في أخرج اللحظات؟!

٣ - ﴿بُشِّرْنَكُمْ الْيَوْمَ﴾ في أضيق اللحظات، وأخرج المواقف، وأصعب الأحداث.
فيا لفرح النهايات!

٤ - ﴿بُشِّرْنَكُمْ الْيَوْمَ﴾ بعد زمنٍ طويلٍ من العناء، والتعب، والجهد، والمحاولات
في سبيل ذلك المعنى الكبير.



٥ - ﴿بُشِّرْكُمْ الْيَوْمَ﴾ تُخَفِّفْ لَأَوَاءِ الْأَيَّامِ، وتعب الطريق، وأيام البؤس والشقاء، وتسقي أيامها بالفرح الكبير.

٦ - كيف لو رأيتهم وهم يُستقبلون بالفرح، ويُبشرون بالفوز، ويكرمون بالجنان، وتجري عليهم أفراح تلك النهايات! ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢).

٧ - سوء الخواتيم أعظم ما ينتظر المفرطين في ذلك اليوم ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣) يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (١٤) قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٥).

٨ - كانوا يحرضون عليهم، ويقعدون لهم في منتصف الطريق شامتين مستهزئين! واليوم يسألونهم الوقوف في عرض الطريق ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣) يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (١٤) قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٥).

٩ - فتنة الشهوات والتربص بأهل الإيمان وغرور الأماني هي التي وقفت حاجزاً بين النفاق وموارد الخيرات ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (١٣) يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ

وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْعِزُّورَ ﴿١٤﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾.

١٠ - للفرص أوان إذا فاتت لا ينفع الندم ﴿فَأَلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَتْكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

١١ - من علامات إيمانك وصفاء نفسك أن تجد أثراً للواعظ في قلبك ومشاعرك ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٢ - قراءة القرآن من أكبر الأسباب الجالبة لخشوع القلب ورفقته ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٣ - إذا قسى قلب الإنسان ففيه شبهة بأهل الكتاب ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ومن علامة قسوته أنه لا تصدعه مواعظ القرآن، ولا يلتفت إليها بقلبه ومشاعره فضلاً أن يتحوّل منها مادةً صالحةً للعمل والتطبيق.

١٤ - في الصدقة مضاعفةً لمالك، وأجرٌ كبيرٌ في ميزان حسناتك ﴿إِنَّ الْمَصَدِّقِينَ وَالْمَصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.



وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشَّٰهَدَةُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰوةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ۚ ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مَن
مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا
عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ
بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

التفسير

• ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ قَوْلًا وَعَمَلًا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ الَّذِينَ بَلَّغُوا غَايَةَ التَّصَدِيقِ فِيمَا جَاءَهُمْ ﴿وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِهِ ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ جَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالنُّورِ التَّامِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿١٩﴾﴾ أَهْلُهَا الْمَعَذَّبُونَ فِيهَا.

• ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ هَذِهِ هِيَ الدُّنْيَا عَلَى حَقِيقَتِهَا ﴿كَمَثَلٌ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ الزَّرَّاعِ ﴿نَبَاتُهُ﴾ زَرْعُهُ ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ ذَلِكَ الزَّرْعُ ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ تَغْيِيرُ لَوْنِهِ مِنَ الْخَضِرَةِ إِلَى الصَّفَرِ ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ يَابِسًا مُتَحَطِّمًا ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لِلْكَفَّارِ ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ مَجْرَدُ مَتَاعٍ.

• ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنَ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بَادِرُوا وَسَارِعُوا وَاغْتَنِمُوا هَذِهِ الْمَنَازِلَ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَانِ ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أَيُّ الْجَنَّةِ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ تَوْفِيقُهُ ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ.

• ﴿مَا أَصَابَ مَن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ قَحْطٍ وَجَدْبٍ وَزَلَازِلٍ وَنَحْوِهَا ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ مِنْ مَرَضٍ وَمَوْتٍ وَفَقْرٍ وَنَحْوِهِ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ مُقَدَّرٍ وَمَكْتُوبٍ ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ بَسِيطٌ فِي مَلِكِ اللَّهِ تَعَالَى.

• ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ لَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ فَائِتٍ ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أَعْطَاكُمْ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ مُتَكَبِّرٍ ﴿فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ مُتَعَالٍ.



• ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ فلا يعطون حقَّ الله تعالى ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ فلم يقتصروا على أنفسهم، بل منعوا غيرهم من الإنفاق ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ يُعرض عن الله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٤) لا حاجة به إلى المعرضين.

التبدير

١ - إنما تنال في آخرتك قدر جهدك وتعبك وإقبالك في أيام دنياك ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩).

٢ - تاريخك صناعتك ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩).

٣ - الجزء من جنس العمل، والنتائج موكولة بأسبابها ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩).

٤ - رسالة للتعريف بالدين ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَعَةٌ الْفُورِ (٢٠).

٥ - إذا رأيت ربيعاً يملأ أرجاء الأرض فلا تغترَّ بالمظاهر، فتأمل في نهايته ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾.



٦ - لا تندھش بهذه الفانية، فمالها إلى الزوال ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَّهُ مُصَفًّراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

٧ - هذا هو الواقع الذي لا يحتاج إلى دليل ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

٨ - لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد فحسب ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

٩ - لو أن القاتل فقه هذا المعنى لما قُتل، ولو أن السَّارق أدرك هذا المعنى لما سرق، ولو علم أصحاب الشهوات هذه الحقيقة لتنازلوا عنها غير أبهين بما فيها من لذات ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَّهُ مُصَفًّراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

١٠ - يا لحسرة أولئك الذين يرابون، ويبيعون حراماً، ويغشون، ويظلمون، ويقتلون، ويسرقون من أجل هذه الفانية! ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرَّهُ مُصَفًّراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

١١ - ارفع ثوبك؛ فالأرض مليئة بالوحل ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾﴾.



١٢ - شَمِّرْ عن ساعدك؛ فلن تبلغ أمانيك إلا من خلال الشعور بأهمية الفرص
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾.

١٣ - الأناة في كل شيء إلا في المعالي ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾.

١٤ - تحرَّك؛ فالحياة أكبر من هذا الإبطاء الذي تعيشه في واقعك ﴿سَابِقُوا إِلَى
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٤﴾.

١٥ - سابق بقلبك؛ فكثير من القلوب مكلومة في طريق الإخلاص ﴿سَابِقُوا إِلَى
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾.

١٦ - سابق ببنيتك، وحسن إقبالك على ربك قبل أن تسابق بشيء من جوارحك
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٦﴾.

١٧ - تحرَّر من قيود فشلك، وأقبل على ربك، وكن كعمرو بن الجموح رضي الله عنه الذي
أقسم ليطأن بعرجته الجنان، وكان له ما أراد ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٧﴾.

١٨ - قرّر بلال أن يمشي في الجنة وهو ما زال حياً، وكتبت امرأة في
تاريخها أنها من أهل الجنان وهي تجوب مساحات الدنيا، وصنع صاحب

القلب السليم مباهج نهايته وهو لم يغادر الدنيا بعد ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾.

١٩ - لا تقلق، فما كتب عليك سيصيبك ولو بعد حين ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾.

٢٠ - لا تحزن على فائت، لو كان لك لما برح ساحتك ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾.

٢١ - تخفّف من هذا الأرق الذي يلاحقك! فكل شيء جرى في كتاب الأعمال ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾.

٢٢ - إيمانك بقدر الله تعالى، ويقينك بأن «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»^(١)، يفتح لك آفاقاً، ويجعلك سعيداً في خضم الأحداث والمفاجآت ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾.

(١) تقدم تخريجه من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «يا غلام إني أوصيك بكلمات...».



٢٣ - لا تبخل بمالك، ولا بقدراتك، ولا بمهاراتك، ولا بمواهبك فإنك إن فعلت فقد فاتتكَ أرباحك ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

٢٤ - السيئة تجرُ أختها، وتدعو صاحبها ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

٢٥ - بخلك بأي شيء نوع تولّ عن الله تعالى، واستغناء عن مدده وتوفيقه وسعة رزقه؛ فإياك وفوات الأرباح! ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.



لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ
شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ
إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي
ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عِشْرَانِ مِنْهُمْ بِرُسُلِنَا وَفَقَّيْنَا
يَعْسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً أَبَدَعُوهَا مَا كُنَّا نَهَا
عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا
فَأَتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْخَذْ مِنْكُمْ
كِفَالِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ

ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾



التفسير

- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾
جنس الكتب السماوية ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾
ليعينهم على القيام بالحق والعدل ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أودعنا مادته في
الأرض ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ شدة وقوة ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ دينية ودنيوية
﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ وليرى الله تعالى من ينصر دينه ورسله
﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ في أخذه ﴿عَزِيزٌ﴾ (٢٥) غالب في أمره وحكمه.
- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ﴾ جعل النبوة في نسلهما
﴿وَالْكِتَابَ﴾ جنس الكتب السماوية ﴿فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ﴾ من ذريتهما
وقومهما ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٦) خارجون عن طاعة الله تعالى.
- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ أتبعنا آثار نوح وإبراهيم، أو آثار ذريتهما
بموسى وإلياس وداود وسليمان ويونس عليهم السلام وغيرهم ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ
ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وأتبعنا رسل بني إسرائيل بعيسى ابن مريم ﴿وَعَائِينَٰهُ
الْإِنْجِيلَ﴾ أعطيناه الإنجيل ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي
الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ رقة وخشية وليناً ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ انقطاعاً
واشتغالاً بالعبادة ﴿مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِنَّ﴾ وإنما شرعوها من قبل أنفسهم
﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وإنما فعلوا ذلك ابتغاء رضوان الله تعالى، وقيل:
ما أمرناهم إلا بما يرضي الله تعالى ﴿فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فما قاموا بها
حق القيام ﴿فَعَائِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ مَنْ هو مستقيم على أمر الله
تعالى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٧) خارجون عن طاعة الله تعالى.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية؛ بفعل ما أمر، واجتناب ما نهى ﴿وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ صدَّقوه فيما جاءكم به ﴿يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ نصيبين من رحمته ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ تعرفون به مواضع الهدى من الضلال ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتاب أي حتى يعلم أهل الكتاب ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ فيردُّونه عن أحد ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) سبحانه وتعالى.

التدبر

١ - كل ما خلق الله تعالى إنما خلقه لحكمة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥).

٢ - قامت الحياة على العدل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥) ومن فقهك وكمال وعيك أن تستكمل فصوله في واقعك وسيرتك.

٣ - ركّز على الجوانب المشرقة، وضع عينك في كل شيء على إيجابيته، واستفد من كل مخلوق بما فيه من خير ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢٥).



٤ - كل نعم الله تعالى التي تجدها في حياتك إنما هي للاختبار فتنبه! ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

٥ - لا حاجة بالله تعالى إلى قوتك ومهارتك وإمكانيتك، وإنما يريد أن يختبر الله تعالى استجابتك ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

٦ - التوفيق عزيز، وما كلُّ راغبٍ ناله، فتشبت بتوفيق الله تعالى وابلغ وسعك في تحقيق غاياته ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

٧ - العبرة بإصابة الحق وليست بالكثرة! ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

٨ - خشيتك لربك خير ما فتح الله تعالى به عليك ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

٩ - ليست العبرة بكثرة تعبدك، وإنما بموافقتك لسنة نبيك ﷺ ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

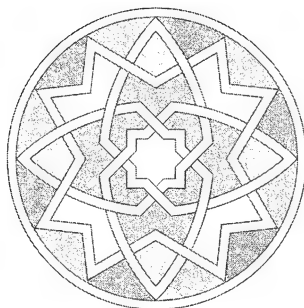
١٠ - ما كلُّ قاصدٍ للخير نائله، ولا كلُّ مقبلٍ على الطريق بالغه ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

١١ - الإيمان والتقوى تصنع لك مباحج الحياة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨).

١٢ - نورك في الدارين على قدر ما معك من إيمان ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨).

١٣ - إعادة بناء التصورات مسؤولية الوحي ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى
شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩).

١٤ - بناء المفاهيم والأفكار، وإعادة تصحيح التصورات ضرورةٌ كبرى في بناء
الإنسان ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ
بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩).





سُورَةُ الْمَجَادِلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ
نِسَاءَهُمْ مَا هِيَ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّا نَمُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَاهُمْ وَإِنَّهُمْ
لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾
وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّنْ
قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾
فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ
يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَلِتُكَحِلُوا لِللَّهِ وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُرُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَفَدَّرْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَلِلَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّ لَكَ﴾ تحاجُّك وتخاصمك، وهي خولة بنت ثعلبة ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ ترفع أمر زوجها وما حصل منه من الظهار إلى الله ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تَخَاطَبَكُمَا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿بَصِيرٌ﴾ ١ ﴿بِأَفْعَالِهِمْ﴾.
- ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُم مِّن نِّسَائِهِمْ﴾ بأن يقول أحدهم لزوجته: أنت علي كظهر أمي ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في الحقيقة ﴿إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ على الحقيقة ﴿إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ﴾ وليست زوجاتهم ﴿وَلَا يَتَمَسَّكُونَ مِنْكَ﴾ مِنَ الْقَوْلِ ﴿شِرْعًا وَعَقْلًا﴾ وَزُورًا ﴿كَذِبًا حِينَ جَعَلَ الزَّوْجَةَ أُمًّا﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ ﴿فَيَتَجَاوَزُ عَنِ الزَّلَّاتِ﴾ عَفُورٌ ٢ ﴿سَاتِرٌ لِلْخَطِيئَاتِ﴾.
- ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ بأن يريدوا الجماع لمن ظاهروا منها ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ فكفارة ذلك تخلص رقبة من الرِّقِّ بإعتاقها ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ من قبل الجماع ﴿ذَلِكَ تَوَعُّظٌ بِهِ﴾ أي هذه الأحكام التي ألزم بها المظاهر عظة وعبرة له ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٣ فلا تخفى عليه خافية.
- ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ عتق رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ متواصلين ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ من قبل جماعهما ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ عتق الرقبة أو صيام الشهرين ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ ما يكفي لغداء أو عشاء ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ هذه الأحكام إنما شرعت لتحقيق الإيمان بالله تعالى ورسوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي النهي عن الظهار وكفارته بعد الوقوع فيه ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٤ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يخالفون أمره ﴿كَبُتُوا كَمَا



كَيْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٥﴾ أَخْرَوْا وَأُذِّلُوا كَمَا أَخْزَى وَأُذِلَّ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٦﴾ وَقَدْ أَنْزَلْنَا
ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿٧﴾ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَالْبِرَاهِينِ عَلَى الْمَعَانِدِينَ ﴿٨﴾ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
مُهِينٌ ﴿٩﴾ مُخْزٍ وَمُذِلٌّ.

• يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ﴿١٠﴾ وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿١١﴾ فَيُنْزِلُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ﴿١٢﴾
يُخَبِّرُهُمْ بِمَا فَعَلُوا ﴿١٣﴾ أَحْصَاهُ اللَّهُ ﴿١٤﴾ أَعَدَّهُ وَرَّصَدَهُ ﴿١٥﴾ وَنَسُوهُ ﴿١٦﴾ مَعَ مَرُورِ
الْأَيَّامِ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٨﴾ مُطَّلِعٌ رَقِيبٌ لَا تَغِيبُ عَلَيْهِ غَائِبَةٌ مِنْ
أَفْعَالِ الْمَخْلُوقِينَ.

التبليغ

١ - شمول هذه الشريعة وكمالها ورعايتها لحقوق الأسر والأزواج، وعلاجها
لمشكلات الواقع ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ
أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۖ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ تَوَضَّعَ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ ۖ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾.

٢ - شريعة الله تعالى لا تقيم عبادتك مع ربك فحسب، وإنما تشاركك في بيتك
وأسرتك، وتعينك على حلول مشكلاتك الشخصية ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ
فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ

مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ۖ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينَ ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

٣ - رقابة الله تعالى على خلقه، فلا يغيب عنه شيء من أحوالهم ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾.

٤ - لا تقلق! فالذي سمع حوار تلك الشاكية سيسمعك، ويلبّي لك حاجتك ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾.

٥ - أول ما تلج بظرفك ومشكلتك وحالتك التي تعانيتها إلى ربك ومولاك لا إلى أحدٍ من الخلق ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾.

٦ - في ظروف بيتك، ومشكلات زوجك، وأحداث ولدك! تعلم كيف تعرضها على ربك ومولاك ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾.

٧ - آمن بقلبك ومشاعرك وجوارحك أن الله تعالى يرى ويسمع كل شيء حتى ما يجري في نجواك ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾.

٨ - من فقهك وكمال علمك أن تحسن اختيار من يعينك على حلول مشكلاتك، وألا تُلقِي بها على المتعالمين ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿١﴾.



٩ - ما كُلُّ مُسْتَشَارٍ مُؤْتَمِنٌ، وكم من بيوت تهدمت باستشارة جاهل ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١).

١٠ - كم مِنْ امْرَأَةٍ اسْتَشَارَتْ مُسْتَشَارًا غَيْرَ مُؤْتَمِنٍ، فكانت بداية الانحراف من ذلك الطريق ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١).

١١ - لا حرج في عرض مشكلتك وظرفك على من تتوسم فيه إعانتك، بشرط أن يكون قلبك متصلاً بالله تعالى مقبلاً عليه ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١).

١٢ - جهل الإنسان يودي بمصالحه، ويضيع عليه كثيراً من مقدراته ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ (٢) ما له ولهذا التضييق على نفسه، وقد جعل الله تعالى له مخرجاً!

١٣ - اختيار الله تعالى لك أفضل من اختيارك لنفسك، وأعود عليها بالخيرات ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ (٢) اختار الله تعالى له الطلاق، واختار الإنسان لنفسه الظهار؛ فانظر الفرق بين الحالين!

١٤ - رحمة الله تعالى بعباده ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ (٢) ألا تراه عفا عن أخطائهم، وغفر لهم زلاتهم!

١٥ - عقوبة الشريعة على قدر ذنبك وتعدّيك على حدوده ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ۝٢﴾ اعتبر الشريعة الظهار منكرًا من القول وزورًا.

١٦ - من فقه الشريعة ورعايتها للإنسان أنها سنّت له أنظمة كفيلة برده عن أخطائه، وتأديبه على سوء تصرفاته ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَٰلِكَ لِمُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾.

١٧ - من فقه المرئي أن يسنّ أنظمة تكفّ من يربّيه عن تكرار خطئه، والاستمرار في مشكلاته ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَٰلِكَ لِمُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾.

١٨ - من أدب المؤمن مع ربه تعالى إجلال شعائره تعالى، وتعظيم حدوده ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَٰلِكَ لِمُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤﴾.

١٩ - هل تصوّرت يوماً أن ترى مخلوقاً ينازع الله تعالى في شريعته، ويجادله في أحكامه! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقدْ أُنزِلْنَآ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾.



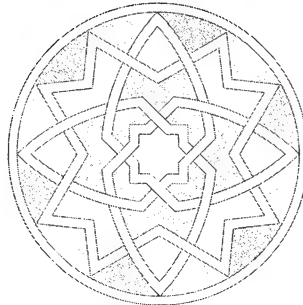
٢٠ - بشاره لكل من نازع الله تعالى في حكمه، وجادله في شريعته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوتًا كَمَا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَلَّا أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿٥﴾.

٢١ - ثمّة يومٌ ترد على أخبارك، وأحداث دنيائك، وتاريخ عمرك فاستعدّ لذلك! ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٦﴾.

٢٢ - كم مِنْ كلمة، ونظرة، ولحظة غشٍّ، وظلام ليلٍ، وسفرٍ طويلٍ، وأماناتٍ ومسؤولياتٍ ستأتي تحكي تفاصيل تلك الأيام ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

٢٣ - لا تحتقر ذنبك، أو تستقلّ خطيئتك! فثمّة يومٌ يجري فيه كشف الحسنات والسيئات ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

٢٤ - تحفّظ قدر وسعك، فما يجري منك يُدوّن في سجلّاتك ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ
 مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ
 وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَقِبُهُمْ
 بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ
 بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ
 جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
 تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا
 بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى
 مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ
 اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

التفسير

• ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾ من سرٍّ أو حديثٍ بين عدد من الناس ﴿ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ بعلمه وإحاطته ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يخبرهم بكل ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرسول ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ من اليهود أو المنافقين الذين كانوا يتناجون فيما بينهم بما فيه إثم ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من النجوى المحرمة ﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ﴾ بالذنب ﴿وَالْعُدْوَنِ﴾ على الآخرين ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ مخالفة أمره ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ كقولهم: السام عليك ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ لو كان الرسول حقاً لعاجلنا بالعقوبة ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾ يكفيهم عذاباً نار جهنم يوم القيامة ﴿يَصَلَوْنَهَا﴾ يذوقون حرّها ﴿فَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٨﴾ المرجع والمآب.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ فيما بينكم ﴿فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ﴾ بالذنب ﴿وَالْعُدْوَنِ﴾ على الآخرين ﴿وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ مخالفة أمره ﴿وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ﴾ بالخير والمعروف ﴿وَالنَّقْوَى﴾ ما يقربكم إلى الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذابه وعقابه وقاية؛ بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ﴿الَّذِينَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٩﴾ ترجعون.

• ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ المسارة بين اثنين دون الثالث ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ من تسويله ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ليدخل على نفوسهم الحزن والألم ﴿وَلَيْسَ

بِصَارِهِمْ شَيْئًا ﴿لَنْ يَنَالَهُمْ مِنْ أَثَارِ الشَّيْطَانِ شَيْءٌ يَسُوؤُهُمْ﴾ ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
بتقديره وإذنه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾ فلا يلتفتوا إلى غيره فيما
ينفعهم أو يضرهم.

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ توسَّعوا فيها
﴿فَافْسَحُوا﴾ توسَّعوا ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يوسِّع الله تعالى لكم في دينكم
ودنياكم ﴿وَإِذَا قِيلَ آنشُرُوا﴾ ارتفعوا من مجالسكم وقوموا منها
﴿فَآنشُرُوا﴾ قوموا منها ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ﴾ يُعلي الله تعالى منازل أهل الإيمان والعلم بقدر إيمانهم
وعلمهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ فلا تخفى عليه خافية.

التَّادِيرُ

١ - كل ما يجري في الأرض لا يفوت على الله تعالى منه شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾.

٢ - إِنَّ نَبْتَكَ يراها الله تعالى ويرقبها، ويعرف تطلعاتها وأحداثها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾.



٣ - خطواتك، وجهدك، وتعبك، وأيام رحلتك لا يفوت على الله تعالى منها شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٤ - حتى الذين يتناجون على قارعة الطريق، أو من خلف الجدران، أو في ظلام الليل! كلُّها تجري في هذا المعنى الكبير ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٥ - غاب عن عمله ورسالته ووظيفته وجاء لمسؤوله بورقةٍ من مستوصف أنه تلقى العلاج لديهم، وهم لم يرونه، وفات الجميع هذا المعنى الدقيق ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٦ - في نهاية كلِّ شهرٍ يسجِّل له انتداباً خارج دوام، ويأخذ من مال المسلمين العام، وهو لم يشارك في شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

٧ - دينك يرعى نفسك، ويحارب كلَّ طارئٍ يذهب بأمنك، ويدخل التشويش على ذاتك ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ



لَوْلَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فِئَسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

٨ - قبح الله النفاق وأهله! ما حضر مجلساً إلا شوشه، ولا جاء في صفٍ إلا فرقته ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجُبُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فِئَسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾

٩ - طهر لسانك عن كل ما يعارض منهج الله تعالى، وترفع عن كل نقيصة تراها، أو تسمع بها في مخلوق ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ وَيَنْجُبُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فِئَسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

١٠ - افتح قلبك ومشاعرك لكل طارق ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

١١ - لا تكدر خاطر زميلك في السفر، وصاحبك في الغربة، وصديقك في الطريق بنجوى مع إنسان وهو بمنأى عن تلك الأسرار ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾



١٢ - أثر العقيدة في حفظ توازن النفوس واستقبال عوارض الحياة ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾.

١٣ - رَمَمَ عقيدتك؛ فلن يضرك أحدٌ من العالمين ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠﴾.

١٤ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ فافسحوا في مجالسكم، وصدوركم، وأوقاتكم، وأموالكم، يفسح الله تعالى لكم في كل شيء.

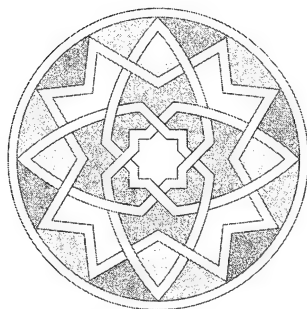
١٥ - الخطوة الأولى تصنع مباحج الحياة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ تفسحوا يفسح الله لكم.

١٦ - كان في مجلس، فلما رأى قادماً ازورّ وانشغل بنفسه حتى لا يُخْرِجَ في ترك مكانه من أجله، وفاته بذلك خيرٌ كبير ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾.

١٧ - كان في مجلس، فأقبل زائر، فلما رآه توسّع له في محله رغبةً في وارف العطاء ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ وآخر ازورّ بوجهه حتى لا يفارق مكانه.

١٨ - الإيمان والعلم سببان في علو صاحبهما، ورفعة درجاته في الدارين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ١١ ﴿

١٩ - تفاضل الناس بحسب ما معهم من الإيمان والعمل الصالح ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ١١ ﴿ وليس على قدر مسؤولياتهم ومناصبهم ووظائفهم!





يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ
 صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
 ١٢ ءَاسْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَّمْ تَفْعَلُوا
 وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ؕ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلًا قَوْمًا
 غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ
 شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ
 اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ءَلَا
 إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْذَوْهُمْ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ
 أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾
 إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ ﴿٢٠﴾
 كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

التفسير

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ﴾ حَدَّثْتُمُوهُ سِرًّا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَةً﴾ تدفعونها إلى الفقراء ﴿ذَلِكَ﴾ أي الصدقة عند إرادة النجوى ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأَطْهَرُ﴾ لقلوبكم ﴿فَإِنْ لَّمْ يَجِدُوا﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢) يتجاوز ويغفر لكم مناجاتكم بدون صدقة.

• ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ خشيتم الفقر من ذلك ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ أي الصدقة عند إرادة النجوى ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ في عدم تصدُّقكم ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ أعطوها مستحقيها ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بفعل ما أمرا به، وترك ما نهيا عنه ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣) فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرسول إلى المنافقين ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من اليهود ﴿مَا هُمْ بَيْنَكُمْ﴾ في إيمانكم ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤) أنهم يكذبون.

• ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قاسياً ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥) ما أسوأ أعمالهم!

• ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ جعلوا تلك الأيمان الكاذبة وقايةً لنفاقهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أعرضوا عن طريقه وشرعه ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٦) مُخْزٍ وَمُذِلٌّ.

• ﴿لَنْ نُنْفِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَدَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ لا تدفع عنهم من عذاب الله تعالى شيئاً ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٧) لا يحولون عنها ولا يزولون.



• ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أنهم على الحق والهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ في حلفهم وأنه نافعهم ودافع عنهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٨) ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ غلبهم وسيطر عليهم ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أغفلهم عن طاعة الله ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أنصاره وأعدائه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩) في الدارين.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (٢٠) ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بِي أَنَا وَرُسُلِي﴾ كل مخالف ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١) فلا غالب لأمره.

التدبر

١ - مكانة النبي ﷺ عند ربه تبارك وتعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى كُمْ صَدَقَةٌ﴾ ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢) ﴿أَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى كُمْ صَدَقَةٌ﴾ فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلوة وءاتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله، والله خير مما تعملون (١٣) ﴿دفع الله تعالى عنه المشقة التي كان يلقاها من كثرة الأسئلة بدفع صدقة لمن أراد أن يناجيه.

٢ - قيمة أوقات العلماء والمصلحين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى كُمْ صَدَقَةٌ﴾ ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢) ﴿أَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى كُمْ صَدَقَةٌ﴾ فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلوة وءاتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله، والله خير مما تعملون (١٣) ﴿فرض عليهم صدقة عند مناجاته ﷺ حتى لا تُنتهك أوقاته، وتضيع في غير طائل!

٣ - الواجب على عامة الناس احترام هؤلاء الكبار من أن تذهب في هوامش الحياة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٢ ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾.

٤ - الوقت هو الحياة! ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٢ ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ لقد حفظ الله تعالى وقت نبيه ﷺ بفرض هذا المقابل حين أخذ جزءاً منه.

٥ - كل ما ينفقه الإنسان من مالٍ في سبيل العلم ومعرفة حكم الله تعالى فهو أجل ما ينفقه في حياته ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٢ ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ألا ترى كيف أن الله تعالى اقتطع مالاً واجباً يدفعه الإنسان مقدمة لحديثه مع رسوله ﷺ!؟

٦ - سعة شريعة الله تعالى ورحمتها بالضعفاء والمعوزين ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٢ ءَاشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ فقد نُسخ هذا الحكم لما فيه من مشقة على الفقراء ولم يُعمل به.



٧ - بذل الأموال في سبيل الله تعالى من أشق الأشياء على النفوس ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ ۖ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ فَإِنْ قَوْمًا تَرَكَوا تَكْلِيمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، وَخَشْيَةً مِنْ إِنْفَاقِهِ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ.

٨ - الصلاة أعظم ما تقرب به الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى؛ لأنها كانت أول عوض عن الصدقة بين يدي رسول الله ﷺ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ ۖ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

٩ - المنافقون أسوأ جماعة في تاريخ الإسلام ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ تَوَلَّوْا الْيَهُودَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَحْلِفُونَ كَذِبًا وَزُورًا وَلَا يَبَالُونَ! وَهَكَذَا هُمْ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

١٠ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ هذه صورة الأمس كما هي ذاتها صورة اليوم لا فرق! يلهثون وراء اليهود، ويشترون ولاءهم على حساب الإسلام بكل ما يملكون.

١١ - ما أشبه الليلة بالبارحة! ها هم يخاصمون من أجل اليهود، وينازعون الإسلام والمسلمين في حبهم والولاء لهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

١٢ - سوء عاقبة النفاق والمنافقين ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نُنْفِیَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَدَهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ



لَهُ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ ۖ فَآنَسَهُمْ ذِكْرُ اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۖ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ ۞

١٣ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ۞ تحذير كل من وقف دون منهج الله تعالى وجعل من نفسه عدوًّا لشريعة الله تعالى ودينه في الأرض. سيظلُّ ذليلاً ما عاش!

١٤ - إذا رأيته ينازع في دين الله تعالى، ويقف دون مباحج الحق؛ فاعلم أن ذلك من أعظم مواقف الخذلان في حياته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ۞

١٥ - كل من خالف أمر الله تعالى، وتولَّى طريقاً غير طريقه؛ فهو ذليل لا كرامة له ولا عزة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ۞

١٦ - الغلبة والنصر والعزُّ والتمكين لمن أطاع الله تعالى، وسار على طريقه ومنهجه ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ ۞

١٧ - هذه الحقيقة ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ ۞ يجب ألا تفارق قلبك وعقلك ومشاعرك كل حين.

١٨ - لو زحفوا عليك بكلِّ ما يملكون من قوَّةٍ وعتادٍ! تأكد أنك الأقوى والأغلب في النهاية ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ ۞

١٩ - يجب أن تتحوَّل هذه الحقيقة ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَ أَنَا وَرُسُلِي ۖ إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ ۞ إلى عقيدة في قلبك، وقوَّةٍ قاهرةٍ في مشاعرك وعقلك.



لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

التفسير

• ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾
يحبُّون من خالف أمر الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ قبيلتهم ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾
فأتممه وثبته فيها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ بوحيه ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يوم القيامة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لإيمانهم
وأعمالهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما وفَّقهم إليه من أسباب الإيمان والثبات
﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أنصاره وأعوانه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٢﴾
في الدارين.

التدبِيرُ

١ - البراءة من أهل الكفر أصلٌ في عقيدة أهل الإيمان ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٢ - كلُّ عقيدةٍ لا تقوم على الولاء والبراء فهي عقيدةٌ هشةٌ لا تمثل شيئاً في حياة صاحبها ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٣ - العقيدة عملٌ وتطبيقٌ وممارسةٌ، وليست شعارات قَبَلِيَّةٌ لا علاقة لها بواقع صاحبها ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

٤ - للعقيدة في قلب صاحبها مكاسب ضخمةٌ من أهمّها ثبات الإيمان واستقراره في قلوب أصحابه، وتأيد الله تعالى لهم، ودخول الجنة، ورضا الله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ



أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾

هـ - كُلُّ مَنْ فَقَدَ شَيْئًا مِنْ أَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَوْضَهُ اللَّهُ تَعَالَى خَيْرًا مِنْهُ ﴿٢١﴾ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾

فقدوا من أجل هذه العقيدة صلات النسب، فعوضهم الله تعالى رضاه!





سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
 لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ
 حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي
 قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ
 فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِ الْآبَصِرِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)

التفسير

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَخْلُوقَاتِهِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ فِي مُلْكِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ (١) فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.
- ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أَيُّ يَهُودِ بَنِي النَّصِيرِ ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الَّتِي يَسْكُنُونَ فِيهَا ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ الْحَشْرُ: الْجَمْعُ، أَيُّ إِنَّ أَوَّلَ حَشَرٍ وَجَلَاءَ عَلَى يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ إِلَى خَيْرٍ، وَتَبَعَهُ حَشَرٌ آخَرٌ بِالْإِخْرَاجِ مِنْ



خير، ثم كان عاقبة الأمر إخراجهم كلياً ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لم تتوقعوا خروجهم من ديارهم ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وهم كذلك حسبوا لجهلهم أن حصونهم مانعتهم من الإجماع أو القتل ﴿فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ جاءهم أمر الله من حيث لم يتوقعوا ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أوقع في قلوبهم الخوف والهزيمة ﴿يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ كان الواحد منهم يهدم بيته لينقل ما يستطيع معه أثناء الفرار ﴿وَأَيَّدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين أجبروهم على الخروج ﴿فَاعْتَرِوْا﴾ خذوا العبرة والعظة من حال هؤلاء ﴿يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾ يا أهل العقول.

• ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج من ديارهم وترك أموالهم ﴿لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل أو السبي كما فعل بغيرهم ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ يوم القيامة.

التبصير

١ - من مباهج علمك وكمال وعيك أن تجلَّ ربك وتعظّمه وتنزّهه عن كل نقیصة ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٢ - هل تريد أن تشعر بمعیة هذا الكون! اشترك في قافلة المسبّحين ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٣ - إذا أراد الله تعالى أمراً كان، وإذا كتب على شيء الزوال زال ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيَّدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرِوْا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾.

٤ - لكلِّ قَدَرٍ سببٌ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْأَبْصَرَ ﴿٢﴾﴾ قَدَّرَ اللهُ تعالى جلاء هؤلاء اليهود، وهَيَّجَ رسوله ﷺ وعباده المؤمنين لحربهم وجلانهم.

٥ - كل من اعتصم بغير الله تعالى وتعلَّق به خُذِلَ من جهته ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْأَبْصَرَ ﴿٢﴾﴾ ظَنُّوا أَنْ حُصُونَهُمْ مَانِعَتَهُمْ فَسَلَّطَ اللهُ تعالى عليهم رسوله ﷺ والمؤمنين.

٦ - عذاب الله تعالى وعقابه للمتخلفين عن منهجه فوق تصوُّرك وأكبر من خيالك ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْأَبْصَرَ ﴿٢﴾﴾ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وكتب عليهم الجلاء، وسلَّطَ عليهم عباده المؤمنين فقط؛ فكيف لو أراد لهم شيئاً أكبر من هذا؟!

٧ - حياتك وشقاؤك وقف على صلاح قلبك وعطيه ﴿فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْأَبْصَرَ﴾ كيف يعتبر من ليس في قلبه حياة!

٨ - جنود الله تعالى أكبر من تصوُّرك ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٩ - إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب الكفيلة بتمامه ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ



مَانَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِّنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ^٢ يُخْرِبُونَ يَوْمَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْآبَصِرُ ﴿٢﴾ ما كانوا يظنون الخروج فسلط الله تعالى عليهم الخوف والرعب الذي بدد تلك الثقة وأغراهم بالفرار!

١٠ - لَا تَتَّكِلْ عَلَى نَفْسِكَ وَمَقْدَرَاتِكَ وَمَوَاهِبِكَ؛ فَمَا يَدْرِيكَ مَتَى يَجْرِي عَلَيْكَ الْخِذْلَانُ ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِّنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ^٢ يُخْرِبُونَ يَوْمَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْآبَصِرُ ﴿٢﴾.

١١ - تَعَلَّمَ دَائِمًا اللُّجُوءَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالضَّرَاعَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّشَبُّثَ بِتَوْفِيقِهِ، وَإِيَّاكَ وَالْاعْتِدَادَ بِالنَّفْسِ! ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانَعَتْهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِّنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ^٢ يُخْرِبُونَ يَوْمَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَتَّوَلَّى الْآبَصِرُ ﴿٢﴾.



ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً
 عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ
 عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ
 دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَانَتْكُمْ الرَّسُولُ فخذوهُ وَمَا
 نَهَكُمُ عَنْهُ فَأْتُوهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
 لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
 يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ
 هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
 مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ
 وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾



التفسير

• ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﴿حلَّ بهم ذلك بسبب مخالفتهم لأمر الله تعالى ﴿وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ﴾ يخالف أمره، ويرتكب نهيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٤﴾ عظيم الجزاء لمن فعل ذلك.

• ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ﴾ من نخلة ﴿أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا﴾ فلم تقطعوها ﴿فِيَاذِنْ اللَّهَ﴾ فذلك كله بأمر الله تعالى وإرادته ﴿وَلِيُخْرِزِ الْفُلُوسِينَ﴾ ﴿٥﴾ لِيُذِلَّ الْخَارِجِينَ عن طاعة الله تعالى.

• ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ ما رده الله تعالى وأرجعه على رسوله ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فما أسرعتم عليه ونلتموه ﴿مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ بخيلكم ولا إبلكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ وإنما ذلك أمر الله تعالى في تسليط رسله على هؤلاء ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ ما رده الله تعالى من أموال أهل القرى بدون قتال ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ سهم ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ لقرابة رسول الله ﷺ سهم ﴿وَالْيَتَامَى﴾ سهم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ سهم ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ سهم ﴿كَنْي لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ يتداوله الأغنياء بينهم ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ سواء من الفيء أو الأحكام عامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره، واجتناب نواهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ عظيم المؤاخذه على الذنب.

• ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿٨﴾ أي إن الفيء

لهؤلاء الفقراء الذين خرجوا من ديارهم وتركوا أموالهم ابتغاء ما عند الله تعالى وتحقيقاً لنصرة دينه.

• ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْآيَمَنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ سكنوا دار الهجرة - المدينة - من قبلهم من الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ لا يحسُّون ولا يجدون شيئاً في صدورهم تجاه إخوانهم المؤمنين ﴿حَاجَةً﴾ من حسدٍ أو ضغينةٍ أو حزازةٍ ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ بسبب ما أُعطي إخوانهم المهاجرون من الغنيمة دونهم، حيث قسم رسول الله ﷺ غنائم بني النضير في المهاجرين، ولم يعطِ الأنصار منها شيئاً ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ يقدمون إخوانهم على أنفسهم في كل شيء ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجةٌ وفقرٌ وفاقةٌ ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ يسلم من بخلها وبقترها ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١ الفائزون بخيري الدنيا والآخرة.

التدبُّر

١ - كلُّ ما يصيب الإنسان من سوء؛ بسبب إغراضه عن الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٤.

٢ - غالب النعم التي تتبدد من حياتك من خطو ظالمٍ وأثرٍ سيِّئٍ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٤ كهؤلاء الذين شاقوا الله تعالى وشاقوا رسوله ﷺ.

٣ - كل ما يجري في حياتك فهو بإذن الله تعالى وسابق توفيقه وفضله عليك ليس إلا ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَلْسِيقِينَ﴾ ٥.



٤ - كمال دين الله تعالى وجماله ورعايته لمصالح الدارين ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَانُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ حتى المال نظمته ورتبه وسنّ الأنظمة الكفيلة بحمايته.

٥ - وحدة المصدر الذي تأخذ منه الأمة منهاجها ورسالتها ﴿ وَمَا إِلَانُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۝٧﴾.

٦ - ﴿ وَمَا إِلَانُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۝٧﴾ خارطة الطريق التي لا يمكن أن تسير الأمة بدونها.

٧ - التقوى هي الوصية التي تكفل صلاح صاحبها وفوزه وتحقيق غاياته في الحياة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۝٧﴾.

٨ - نصر دين الله تعالى وقف على الحركة الفاعلة والإيجابية ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨﴾ أخرجوا من أجل الله تعالى، وما قعدوا، بل قاموا ينصرون الله تعالى!

٩ - صحح مقصدك من كل خروج، وتأكد من خلو نيتك من شوائب الرياء ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨﴾.

١٠ - العيش لدين الله تعالى وللأفكار الناهضة حياة في حد ذاته ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨﴾.

١١ - جزء من مشكلة الأمة اليوم ضعف الشعور بحاجة الأمة إلى مشاركتها واقعياً ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ٨.

١٢ - التشكي البارد على أوجاع الأمة ليس من شأن الصادقين ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ٨.

١٣ - مشاعر الحب بين المؤمنين أصل لضمان وحدة الأمة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١ ما أحوجنا لهذا المعنى الكبير في بيوتنا، ومع إخواننا، وبين جيراننا، ومع كل مسلم يهتف بالتوحيد.

١٤ - إذا أردت أن تتخلص من شح نفسك فتعلم الإيثار ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١.

١٥ - جرب إثارك حين ينتهي جوالك من الشحن مع حاجة أخيك إلى الشاحن، وحين يوجد فراش واحد والمحتاجون أكثر من ذلك، وحين تنتظر عند دورات المياه مع جموع كثيرة، وعند ازدحام الطريق وحاجتك وحاجة غيرك إلى هذا الموقف، ترى أين حقيقة الإسلام من واقعك؟! ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١.



وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ
أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ ﴿١٢﴾
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ
جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾
كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

التفسير

• ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِلَّاخَوْنَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ وذلك لكمال محبتهم لهم، واعترافهم بفضلهم.

• ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ كعبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿يَقُولُونَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْبِ﴾ من يهود بني النضير ﴿لَئِنْ أَخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ فلا نبقى فيها بعدكم ﴿وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ في عدم نصرتكم ﴿وَإِنْ قُوِلْتُمْ﴾ من قبل محمد وأصحابه ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ بالقتال معكم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ في كل ذلك.

• ﴿لَئِنْ أَخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ فلا يبرحون المدينة، ولا يصُدُّون في عددهم لهم ﴿وَلَئِنْ قُوِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ بالقتال معهم ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ﴾ بأن قاتلوا معهم ﴿لَيُؤْلَظَّ الْأَدْبَرُ﴾ هرباً ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ لَأَنْتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أعظم خوفاً من الله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ لا علم عندهم بأمر الله تعالى.

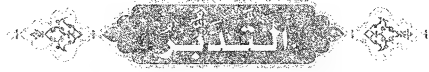
• ﴿لَا يَقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ لا يقوى اليهود على قتالكم ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ إلا وهم داخل الحصون ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ من خلف الحيطان والأسوار ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ عداوتهم لبعضهم كبيرة شديدة ﴿تَحْسَبُهُمْ﴾ حين تنظر إليهم ﴿جَمِيعًا﴾ مؤتلفين مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ



سَتَى ﴿ متفرقة متباعدة ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ فلا عقول لهم يدركون بها ما حلَّ بهم.

• ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾ أي أن يهود بني النضير كيهود بني قينقاع الذين أجلاهم رسول الله ﷺ قبل ذلك ﴿ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ ذاقوا عاقبة أمرهم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿١٥﴾ يوم القيامة.

• ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ مثل المنافقين مع اليهود كمثل الشيطان مع الإنسان ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾.



١ - ما أخرج الأمة إلى هذه المشاعر الفيضة في قلوب المؤمنين ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٠﴾.

٢ - تفقد قلبك من أكثر أمراض العصر خطورة: الغل والحسد والبغضاء والنفاق ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٠﴾ وعلامة صحتك وعافيتك خلو قلبك من هذه الأمراض.

٣ - يُجري كشفاً سنوياً على جسده، وفاته أن قلبه يحتاج إلى مراجعة يومية ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٠﴾.

٤ - الكذب والتلؤن من صفات المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١).

٥ - تأجيج الفتن، وإثارة الرأي العام، وتشويش المجتمعات بأفكار الفرقة، كل ذلك من صفات المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١).

٦ - لا تستكثرون بهم في موقف، ولا تؤمّلون عليهم في راية ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّوكَ﴾ (١٢) ﴿خونة في كلّ بيئة أو مساحة أو مجتمع عاشوا فيه!

٧ - الخوف والجبن والهلع من صفات المنافقين ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّوكَ﴾ (١٢) ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣).

٨ - نافذة على جبن اليهود وخوفهم وذعرهم ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤).

٩ - كُتروا عليهم، وقِفُوا في وجوههم، وحاصروهم في كلّ مكان، سيشهد العالم على موتهم مذعورين ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤).



١٠ - لَا تَظُنُّ أَنَّ يَهُودَ مَجْتَمِعِينَ مُؤْتَلِفِينَ مُتَحَابِّينَ ﴿لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٤.

١١ - لَا تَهْوِلَنَّ تِلْكَ الْمُؤْتَمِرَاتِ وَالتَّحَالِفَاتِ وَالرَّايَاتِ، بَيْنَ قُلُوبِهِمْ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِينَ وَالْمَغْرِبِينَ ﴿لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٤ كل ما تراه من العهود والمواثيق بين القوم إنما هي صورة لا واقع لها.



فَكَانَ عِقَابُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاُ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا
الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾



التفسير

﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ الشيطان الأمر بالكفر والإنسان الواقع فيه ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا سبيل لخروجهما منها ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾
الخلود في النار.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ اجعلوا بينكم وبين عذاب الله تعالى وقايةً بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَلَتَنْظُرَنَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فلا تخفى عليه خافية.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ غفلوا عن أمره ونهيه، وتركوا العمل لدينه ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ فلم يعملوا لها ما ينفعها ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٩﴾
الخارجون عن طاعة الله تعالى.

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾ من الكافرين والمنافقين والفاسقين ﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ من المؤمنين المتقين ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ عند الله تعالى يوم القيامة.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا﴾ ذليلاً خاضعاً ﴿مُتَصَدِّعًا﴾ متشققاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ من خوفه وتقديره وإجلاله وتعظيمه، ومعنى الآية: أنه لو جعل في الجبل عقل كما جعل فيكم، ثم أنزل عليه القرآن لخشع وخضع وتشقق من خشية الله تعالى ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ فيما ينفعهم ويعينهم على الخير.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا معبود سواه ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ ما خفي ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ ذو الرحمة الواسعة.

• **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾** المالِك لجميع الخلق
﴿الْقُدُّوسُ﴾ الْمُعْظَمُ الْمُمَجَّدُ **﴿السَّلَامُ﴾** السَّالِم من كلِّ عيبٍ ونقص
﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق لأُنبِيَاءه ورسله **﴿الْمُهَيِّمُ﴾** الشَّهيد على خلقه
﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب في ملكه **﴿الْجَبَّارُ﴾** القاهر لجميع الخلق
﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ من له الكبرياء والعظمة **﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾** تنزهه عن كلِّ
 عيبٍ ونقص **﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** (٢٣) عما يلحق به أهل الشرك من
 الأوصاف والأمثال.

• **﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾** لجميع المخلوقات **﴿الْبَارِئُ﴾** الذي أنشأ الخلق وأخرجهم
﴿الْمُصَوِّرُ﴾ مصوِّر الأشياء على هيئات مختلفة **﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** لفظاً
 ومعنى **﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** ينزهه كلُّ المخلوقات **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾**
 الغالب في أمره **﴿الْحَكِيمُ﴾** (٢٤) في حكمه وتصرفه.

التدبر

١ - ذكّر نفسك بوصية الله تعالى في كل حين **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**
وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) **وَلَا تَكُونُوا**
كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩).

٢ - من كمال عقلك وفقهك في دينك أن تُجري حساباً دقيقاً لواقعك كل حين
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ**
الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩) يمكنك أن تُجري كشفاً للأسبوع الفائت من حياتك، وسترى
 أين أنت من هذا المعنى الكبير في مستقبلك!؟



٣ - لا يشعر بفقد صلاة الجماعة في قلبه، ويحضر المنكر، ويشارك في تكثير سواد الضالين، ويقع في المحرمات ولا يبالي؛ هذه صور من نسيان الإنسان لنفسه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١).

٤ - إذا وجدت من نفسك أنك لا تكثر بالمنكر، ولا تتألم لمشاركتك في مظاهره، وتتخلف عن الطاعة، وليس في قلبك شيء من الألم فتلك بواد النسيان عافانا الله تعالى وإياك من الخذلان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١).

٥ - إذا لم تتألم على ذهاب يومك في غير طائل، ولم تجد في قلبك حرقة لتلك الأوقات البائدة من وقتك فذلك من علامات النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١).

٦ - إذا كان يومك فارغاً من كل قضية، وليس لك هموم لمجتمعك ورحمك ومن حولك، فذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١).

٧ - إذا لم تجد ألماً لفوات صلاة الجماعة، ولم تكثر بمحرم تواقعه؛ فاعلم أن ذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١).

٨ - إذا كان لسانك يلغ في عباد الله تعالى صباح مساء، ولا تشعر بأسف على واقعك؛ فذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١).

٩ - إذا كنت ترى الصالحين المقبلين على الخيرات والمسابقين على الفضيلة، ولا تجد في قلبك دافعاً للحاق بهم؛ فذلك من النسيان ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١).

١٠ - شتان بين النهايتين ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

١١ - لا يستوي عبدة الأهواء وأصحاب الشهوات، والمتقون المصلحون في الحياة! ولا يستوي خائف من ربه خاضع لأمره يجري في فلك حكمه، وضائع ضال في طريق الشبه والشهوات ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

١٢ - يمكنك أن تختار مكانك، وتحدد مصيرك بنفسك ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

١٣ - إذا أردت أن تعرف حقيقة هذا القرآن فألقِ ببصرك إلى جبل يتصدع من خشيته، ويتفلق من أثره! ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾.

١٤ - ما حاجة الأمة اليوم إلى شيء كحاجتها إلى تدبر هذا القرآن ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾.

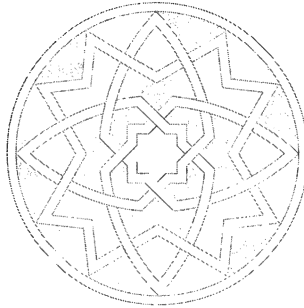
١٥ - إذا لم تتحوّل جلق التحفيظ إلى العناية بتدبر هذا القرآن، وإلا ستظل بعيداً عن الحقيقة الكبرى لهذه النعمة ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾.

١٦ - يمكنك أن تبدأ هذه الحقيقة مع نفسك وأهل بيتك وجماعة مسجدك وأهل حيك ومجموعة زملائك ورفاق العمل، وسترى كيف تتهادى الأفراس إلى قلبك ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾.



١٧ - أَقِمْ لِرَبِّكَ شَأْنًا فِي قَلْبِكَ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) ﴿.

١٨ - قراءة الأسماء والصفات أوسع الطرق إلى تعظيم ربك وإجلاله ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) ﴿.



سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم
بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن
تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي
سُرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ
مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١ إِن يَشْقَوْكُمْ بِكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ
وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن
تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمَ إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا
بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَحْدَهُ ۝٤ إِنَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن
شَيْءٍ ۝٥ رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَلُّكَ وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ وَالِاتِكَ الْعَصِيدُ ۝٦ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۝٧ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨

التفسير

• ﴿يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾ من الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أنصاراً ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تواؤونهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ فهم كفار لا إيمان معهم يقتضي مودتكم لهم ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾ من أرضه بمكة ﴿وَأَيَّاكُمْ﴾ ويخرجونكم كذلك من أرضكم ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ وليس لذلك سبب سوى إيمانكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ إن كان سبب خروجكم الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته ﴿تُشِرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تواؤونهم وتخفون ذلك ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ فلا يخفى عليّ شيء من إسراركم أو جهركم بتلك المودة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ فيودهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١) فقد خالف طريق الحق.

• ﴿إِنْ يَشْفُقُوكُمْ﴾ يقدرتون عليكم ويتمكنون منكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ﴾ تظهر عداوتهم حينئذ ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالبطش ﴿وَالسِّنَنَّهُمْ﴾ بالقول ﴿بِالسُّوءِ﴾ بما يسوؤكم ويؤذيكم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢) فتركوا إيمانكم وتعودون كافرين.

• ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ فلا ينفع قريب قريبه إذا اتصل به على غير مراد الله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣) فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ قدوة في خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) وأتباعه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

• ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ بدينكم وطريقكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾ فلا مودة تجمع بيننا ﴿أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ فتعبدوه وتوحدوه ﴿إِلَّا



قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴿﴾ فهذا ممَّا ليس لكم فيه أسوة؛ لأنَّ ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه قبل أن يتبيَّن له أنه له عدوٌّ لله تعالى ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من هداية ونحوها ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ﴿﴾ اعتمدنا ﴿وَالَيْكَ أُنَبِّئَا ﴿﴾ ثُبْنَا ورجعنا ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ المرجع والمآل.

• ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿﴾ فلا تسلطهم علينا بالأذى من القتل ونحوه ﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ﴿﴾ استر ذنوبنا واعف عنها ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ ﴿﴾ الغالب في ملكك ﴿الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ في تدبير خلقك.

التدبير

١ - تعرّف على عدوك أولاً، ثم أدِر شأن قصة البراء معه بإمعان ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

٢ - الخطأ جبلة في حياة كلِّ إنسان ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ نزلت هذه السورة في الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة في كتابه الذي كتبه لقريش يخبرهم بخبر جيش رسول الله ﷺ.



٣ - مهما بلغ شأنك وعظم جنابك لن تتخلص من بشريتك، وستقع في الأخطاء مراراً ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَاءَ تَلْقَوْتِ الْيَهُم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ مَنْ حاطب! وكيف يوالي عدوًّا في الأرض لولا هذا المعنى!

٤ - إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَاءَ تَلْقَوْتِ الْيَهُم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ يكتب خطاباً لعدوِّ الله تعالى وعدوِّ رسوله ﷺ، ويصفه الله تعالى بالإيمان!

٥ - إذا أخطأت زوجتك أو ولدك وطالبك ومن تربيته، فانظر إلى الجزء المملوء من الكوب قبل نظرك للجزء الفارغ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَاءَ تَلْقَوْتِ الْيَهُم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.

٦ - لا عاصم لك من الفتن ومواقف السوء والخذلان إلا بتوفيق الله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ءَوِيَاءَ تَلْقَوْتِ الْيَهُم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾.



٧ - أخطر ما على دينك موالاته عدوك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ لهذا المعنى أنزل الله تعالى قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة.

٨ - هذه حقيقة عدوك ولو أطعمته عسلاً طيلة عمرك ﴿إِنْ يَتَفَقَّهْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوَى وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

٩ - إياك أن تُقدِّم شيئاً على رضا ربك ومنهجه وشريعته ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

١٠ - كلُّ عملٍ لا يصلح بالآخرة؛ فلا مفروح به ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ حتى لو كانوا أبناءً يعيشون معك.

١١ - في كلِّ عملٍ ورسالةٍ ووظيفةٍ تأكد أنها تدفع بك إلى نهاية الطريق الصحيح ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

١٢ - ارفع رأسك! فجدورك ضاربة في التاريخ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾.

١٣ - إذا أردت أن تكتب حظك من النجاح؛ فانظر ببصرك إلى قدوةٍ وشمرٍ للحاق بها ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

١٤ - ركِّز في قدوتك على مَنْ تولى الله تعالى تزكيتهم ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.



١٥ - إذا أردت تجربةً دعويَّةً ضخمةً في التعامل مع المعرضين على مستوى الأسرة والمجتمع؛ فاقراً قصة إبراهيم عليه السلام بإمعان ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.

١٦ - من كمال عقلك ووعيك أن تُحسِّنَ قرع باب الدعاء كثيراً ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

١٧ - سل الله تعالى أن يُثَبِّتَ قلبك على دينه ومنهجه كل حين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

١٨ - إذا أردت أن تعرف صدق هذه الدعوة وعمقها؛ فانظر لواقعك! كم من شباب الأمة مسجون في ديار الغرب من سنين وتهمته الأولى والأخيرة أنه من أنصار الله ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.



لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ
دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾
إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ
وظَلَمُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
﴿٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ
فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ
إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاثِمْتُمُوهُنَّ أَجْرُهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا
بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنفَقُوا دَلِيلٌ حَكَمَ اللَّهُ
بِحَكْمِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ
إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا
وَأَنفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾



التفسير

- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ في إبراهيم عليه السلام ﴿لَمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يرجو ما عند الله تعالى من ثواب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن ما أمره الله تعالى به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ ٦﴾ المحمود بكرمه وجوده.
- ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً﴾ لعل الله تعالى يغير الحال فيسلم الكافر، فيجعل بينكم وبين من عاديتهم من أقاربكم محبة ومودة ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تبديل تلك العداوة بإسلام الكافر منهم، وتبديل تلك العداوة بمحبة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧﴾ على ما وقعتم من إسرار المودة بينكم وبينهم أول مرة.
- ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ تحسنوا إليهم ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ وتعزلوا معهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٨﴾ يحب من يعدل، ويحرص على تحري العدل في معاملتهم.
- ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ عاونوا على إخراجكم من دياركم ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بأن تكونوا لهم أولياء وأنصاراً ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ فيجعلهم أنصاراً وأولياء ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٩﴾ المخالفون لأمر الله تعالى وشرعه، وهذه الآية في المحاربين، وقد علمت ما ورد فيهم من الزجر والتعنيف.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَتُ مِهْجِرَتٍ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ اختبروهن في خروجهن وسبب هجرتهن ﴿اللَّهُ



أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴿ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرُهُنَّ ﴾ ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴾ صَادَقَاتٍ فِي إِيْمَانِهِنَّ ﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ لَا تَرُدُّوْنَهُنَّ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ الْكُفَّارِ ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ فَلَا تَحِلُّ الْمُؤْمِنَةُ لِكَافِرٍ ﴿ وَءَاتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا ﴾ أَعْطَوْا أَزْوَاجَهُمُ الْكُفَّارَ مَا أَنْفَقُوهُ مِنَ الْمَهْرِ وَنَحْوِهِ ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ لَا حَرَجٌ ﴿ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ﴾ أَنْ تَتَزَوَّجُوا هَؤُلَاءِ إِذَا بَدَلْتُمْ مَهْوَرَهُنَّ كَغَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ بَعْدَ وِفَاءِ الشُّرُوطِ ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ ﴾ لَا تُمْسِكُوا بِعُقُودِ زَوْجَاتِكُمُ الْكَافِرَاتِ، فَلَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ عِصْمَةٌ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ فَرَّقَ بَيْنَكُمْ، وَهَذَا نَهْيٌ عَنِ الْإِسْتِمْرَارِ فِي النِّكَاحِ، فَكَذَلِكَ بَدَأَ الزَّوْجَ، فَكَمَا أَنَّ الْمُسْلِمَةَ لَا تَحِلُّ لِلْكَافِرِ، فَكَذَلِكَ الْكَافِرَةُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا تَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ ﴿ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ ﴾ خَذُوا مَهْوَرَكُمْ الَّتِي بَدَلْتُمُوهَا فِي أَزْوَاجِكُمُ اللَّاتِي رَجَعْنَ إِلَى الْكُفَّارِ ﴿ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ﴾ هُمْ كَذَلِكَ يَأْخُذُونَ مَا أَنْفَقُوهُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَتْ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمُ الْإِسْلَامُ ﴿ ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَنْحَكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ مِنَ الْمَفَارِقَةِ وَبَدْلِ الْمَهْوَرِ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَشُرْعُهُ ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بِمَا يَصْلَحُ عِبَادَهُ ﴿ حَكِيمٌ ١٠ ﴾ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ.

• ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ ذَهَبَتْ بَعْضُ زَوْجَاتِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْكُمْ مَا أَنْفَقْتُمْ عَلَيْهِمْ ﴿ فَعَاقِبْتُمْ ﴾ غَزَوْتُمْ وَأَصَبْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ غَنِيمَةً ﴿ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ فَأَعْطَوْا مِنَ الْغَنِيمَةِ لِمَنْ فَرَّتْ زَوْجَتُهُ مِثْلَ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَهْرِ تَعْوِضًا لَهُ ﴿ وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ١١ ﴾ رَاقِبُوهُ فِي أَقْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَأَحْكَامِكُمْ.

التدبر

- ١ - إذا كثرت القدوات بين عينيك فيمّم وجهك لخيار الله تعالى لك ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦).
- ٢ - قراءة سيرة إبراهيم بإمعان، وتتبع مواطن القدوة في سيرته استجابة لأمر ربك، ودرس عمليّ كبير في العناية بباب القدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦).
- ٣ - قد تجد في مكتبة أحدهم عشرين سيرة ذاتيّة لكفار وأنصار باطل، ولم يُتمّ قراءة سيرة إبراهيم عليه السلام حتى الآن ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦).
- ٤ - الخصام الدائر بينا وبين أعدائنا مرّده للعقيدة فحسب، فإذا ما عادوا للحقّ عدنا لمباهج الإخاء ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧).
- ٥ - ما ألطف هذا المعنى على قلب مؤمن ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧).
- ٦ - لا تياس من ذلك الشارد عن منهج الله تعالى، الواقف في صف الأعداء، المناهض للدعوة والرسالة! لعل يوماً يأتي به ويعود الإخاء ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧).
- ٧ - رفقا بإخوانكم في الحق ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٧) هذا المعنى مع كافر وعدو؛ فيكيف بمؤمن وصديق!

٨ - الأصل في معاملة غير المحارب أن يُعامل بكلِّ برٍّ ومعروفٍ إلا في مسألة الولاء والحب ومشاركتهم في أعيادهم الدينية، وما عدا ذلك فيجري على فاضل الأخلاق وموائد المعروف ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨).

٩ - إذا لم تعرف الإسلام فيكفيك قراءة هذه الآية ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨).

١٠ - هذه الآية ردُّ على الذين يصفون الإسلام بأنه دين لا يقوم إلا على قتل الأبرياء، وإراقة الدماء، وإشاعة الفوضى ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨).

١١ - الذين سلُّوا سيف العدا، وانتهكوا الحرمات، واعتدوا على حقوق المسلمين ليس لهم في الإسلام إلا بوارق السيوف ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٩).

١٢ - حتى مع العدو المحارب يتعامل الإسلام بالعدل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۚ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَابَتُمُوهُنَّ أَبْوَهُنَّ وَلَا تُنكِسُوا بَعْضَ الْكَافِرِ وَسْئَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَّا أَنْفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠) لا تعود زوجه له لكفره، ويُعطى ما دفعه من مال في زواجها!

١٣ - الإيمان أعظم مكتسبات الإنسان في الحياة، فإذا وُجدَ لا يضُرُّ فائتٌ بعد ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ



فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا^٤
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَّا
أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ ذَلِكُمْ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

١٤ - رعاية الإسلام لنفس الإنسان وتقديره لمشاعره ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى
الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ
مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ عوّضوا من فقد زوجته بشيء من لعاع الحياة العاجل!

١٥ - تكافلوا وأعينوا بعضكم بعضاً، وسدّوا حاجة صاحب الجراح والآلام
والمصيبة ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ
مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.



يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(١٢) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

التفسير

• ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ﴾ يعاهدنك ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لا يأتين بحملٍ يلدنه وينسبنه كذباً إلى أزواجهنَّ ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ تأمرهن به ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ فعاهدهنَّ على الإسلام ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ اطلب لهن المغفرة من الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿لَا تَتَّخِذُوا مَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى﴾ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ ﴿فَلَا حَظَّ لَهُمْ فِيهَا﴾ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) كيأسهم من رجوع موتاهم إليهم لكفرهم بالبعث.



التدبر

١ - للعقيدة مقومات كبرى تتكى عليها، وتكون عماد الحياة فيها ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢) ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُّوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣) لا يمكن للعقيدة أن تقوم إلا على قلوب صافية متحررة من الشرك والأوثان وأصنام الجاهلية، ثم عليها بعد ذلك أن تتهدب بمكارم الأخلاق ومعالى الأمور.

٢ - ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيسُّوْا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (١٣) رسالة ألا يتدنس القلب بأوساخ الشرك والجاهلية، ويتوجه إلى المغضوب عليهم يطلب مناصرتهم، ويجد لهم من الولاء في قلبه كما يجد للمؤمنين.



سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

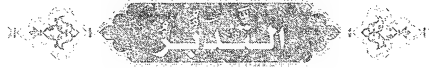
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)
 كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ
 بُيُوتٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ
 تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
 زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)

التفسير

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَخْلُوقَاتِهِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ فِي مُلْكِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ (١) فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) إنكارٌ عَلَى مَنْ يَقُولُ قَوْلًا أَوْ يَحْثُ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْمَلُ بِهِ، أَوْ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ يَقَعُ فِيهِ.



- ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ عظم بغضاً وسوءاً في حكم الله تعالى مثل هذا الفعل، وهذه النقيصة.
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾ من أجل إعلاء دين الله تعالى ﴿صَفًّا﴾ مصطفين في جهة العدو ﴿كَأَنَّهُمْ بُنَيَّنْ مَرْصُوصٌ﴾ ﴿٤﴾ ملتصق ببعضهم البعض دليل اجتماع كلمتهم.
- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ حين قالوا إنه رجل آدر أي منتفخ الخصيتين ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وحق الرسول أن يُعْظَم ويُقَدَّر ﴿فَلَمَّا زَاوَعُوا﴾ عن الحق إلى الباطل ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أمالها عن الهدى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٥﴾ لا يوفقهم للحق ولا يهديهم إليه.



- ١ - هذا العالم كله يسبح ربك، وينزهه، ويجلّه، ويعظمه، فأين موقعك؟! ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾.
- ٢ - هذه هي الوحدة الشعورية التي يشعر بها الكون لخالقه ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾.
- ٣ - كل من تخلف عن هذا المعنى فهو نشاز ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾.
- ٤ - من أسوأ مواقف الإنسان أن يتناقض قوله مع فعله، وظاهره مع باطنه، وقيمه مع سلوكه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾.



٥ - جاهد نفسك أن تكون نسخة طبق الأصل من قيمك التي تؤمن بها ومعتقداتك التي تناضل في سبيلها، وإياك والفوضى! ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٣ ﴿.

٦ - إذا رأيت تناقضاً بين قولك وفعلك، وقيمك وعاداتك، وسلوكك ومعتقداتك، فاعلم أن الطريق مُفضٍ بك للنفاق إن لم يؤب بك واعظ القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٢ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٣ ﴿.

٧ - قال عبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنه: «أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبيٌّ فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي: يا عبد الله! تعال أعطك، فقال لها ﷺ: «وما أردت أن تعطيه!» فقالت: تمرأ، فقال ﷺ: «أما إنك لو لم تفعلني كتبت عليك كذبة»^(١).

٨ - الاجتماع والائتلاف من أعظم مقاصد هذا الدين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرَّضُوصٌ﴾ ٤ ﴿.

٩ - صورة لاتحاد الكلمة، وائتلاف الرأي، ووحدة الجماعة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرَّضُوصٌ﴾ ٤ ﴿.

١٠ - الاجتماع لا يحسب بكثرة أفرادها، وإنما يحسب باجتماع هؤلاء الأفراد، ووعيمهم بمسؤولياتهم، وقيامهم بواجبهم في سلك منظم وروح مؤتلفة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرَّضُوصٌ﴾ ٤ ﴿.

١١ - إن لم يكن الاجتماع بهذه الصورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرَّضُوصٌ﴾ ٤ ﴿ لن تبلغ الأمة أملها كما تريد.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩١) عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه.



١٢ - تَفَقَّدَ نَيْتَكَ فِي جِهَادِكَ الَّذِي تُجْرِيهِ فِي عَالَمِ الْحَيَاةِ! هَلْ هُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ لِرَايَةِ قَوْمِيَّةٍ، أَوْ جَمَاعَةٍ، أَوْ حِزْبٍ أَوْ لَوْنٍ وَجَنَسٍ؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرْصُوصٌ﴾ ﴿٤﴾.

١٣ - حَدَّدَ مَعَالِمَ الطَّرِيقِ أَوَّلًا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرْصُوصٌ﴾ ﴿٤﴾ فِي سَبِيلِهِ وَلَيْسَ إِلَى أَيِّ سَبِيلٍ!

١٤ - دَعْوَتِكَ، وَرِسَالَتِكَ، وَمَشْرُوعِكَ فِي الْحَيَاةِ، وَفِكْرَتِكَ الَّتِي تَعِيشُ مِنْ أَجْلِهَا، لِمَنْ كُلُّ هَذِهِ الْجُهُودِ؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرْصُوصٌ﴾ ﴿٤﴾.

١٥ - تَخَلَّصَ مِنْ حَظْوِظِكَ الشَّخْصِيَّةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرْصُوصٌ﴾ ﴿٤﴾.

١٦ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ سَبِيلَ اللَّهِ تَعَالَى فَلَا يَهْثُكَ أَنْ تُذَكَّرَ أَوْ تُنْسَى، تَجْلِسَ فِي مَقْدَمَةِ الصَّفِّ أَوْ فِي مُؤَخَّرَتِهِ، تَكْتُبَ فِي بَدَايَةِ السُّطُورِ أَوْ فِي هَامِشِ الْوَرَقِ، تُكْرِمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَوْ لَا يَأْتِي لَكَ تَكْرِيمٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرْصُوصٌ﴾ ﴿٤﴾.

١٧ - إِذَا غَضِبْتَ لِنَفْسِكَ، وَتَأَلَّمْتَ لِدَاثِكَ، وَتَعْصَبْتَ لِمَشْرُوعِكَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّكَ فِي خِصَامٍ مَعَ أَكْثَرِ الْغَايَاتِ أَهْمِيَّةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَهُنَّ مَرْصُوصٌ﴾ ﴿٤﴾.

١٨ - مَنْ لَمْ يَقُمْ فِي قَلْبِهِ إِجْلَالُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرُهُ أَوْ يُجَلَّ رِسْلُهُ وَمَنْهَجُهُ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٥﴾.



١٩ - تَخَلَّصْ مِنْ حَظُوظِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْأَنَا! لَا تُؤْذُونَنِي! لَا لِأَنِّي مُوسَى، وَإِنَّمَا لِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَحَامِلُ مَنْهَجِهِ، وَصَاحِبُ رِسَالَتِهِ ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾.

٢٠ - الْخُطْوَةُ الْأُولَى تَقَعُ عَلَيْهَا تَبَعَاتُ النِّهَايَةِ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢١ - هَلْ تَجِدُ شَعَثًا يَظْلِقُكَ، وَوَهْمًا يَطَارِدُكَ، وَقَلَقًا يَهَاجِمُكَ، وَدَيْنًا يَرَهَقُكَ، وَمَسْئُولِيَّةً تَثْقِلُكَ؟! تَفْقِدُ نَفْسَكَ، فَلَعَلَّ عِبْثًا فِي الظَّلَامِ، وَفَسَادًا فِي الْخُلُوتِ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٢ - كُنْ فُطْنًا! أَوَّلُ مَا تَجِدُ عَارِضًا مِنْ سُوءِ تَوْفِيقٍ فَتَفْتَشْ فِي وَاقِعِكَ، وَانْظُرْ فِي أَيَّامِكَ السَّالِفَةِ بِإِمْعَانٍ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٣ - خُطُواتُ الْفَسْقِ مَانِعَةٌ مِنْ هِدَايَةِ الطَّرِيقِ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٤ - جَلَسَ مَعَهُمْ فِي الْمَقْهَى، وَشَارَكَهُمْ فِي سَهْرَةِ مَعْصِيَةٍ، وَرَافَقَهُمْ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي سَفَرٍ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ مِنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٥ - تَسَاهَلَ فِي بَعْضِ الْأَقْوَالِ، وَتَسَامَحَ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ، وَزَعَمَ أَنَّ فِي بَعْضِهَا تَشْدِيدًا، وَمَا زَالَ حَتَّى تَخْلَفَ عَنِ الْهِدَايَةِ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٦ - حَتَّى الضَّلَالُ يَأْتِي مُتَدَرِّجًا! يَبْدَأُ بِشَعْرَاتِ اللَّحْيَةِ الزَّائِدَةِ، وَيَأْخُذُ الثُّوبَ فِي النُّزُولِ وَيَتَخَلَّفُ عَنْ أَوَّلِ الْجَمَاعَةِ، يَتَرَخَّصُ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ، ثُمَّ يُوَدِّعُ الطَّرِيقَ فِي النِّهَايَةِ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ
عَلَى تَحَرُّقِ نَجِيمِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمُنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرُ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي
جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُجْعَلُونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ
اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ
طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾



التفسير

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ مرسل من الله تعالى بالإنجيل ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ فلم آتكم بشيء يخالفها ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وجئت مبشراً ببعثة رسول الله محمد ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحات ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٦﴾ سحر بين واضح لا شك فيه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ لا أحد أظلم ولا أفجر ممن يدعى إلى الإسلام، وتبين له أدلته وبراهينه الصادقة، وهو مع ذلك يكذب رسل الله تعالى، ويستهزئ بهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾ لا يدلهم على الحق.

﴿يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ليبطلوا الحق بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة والمشوهة لدين الله تعالى ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ماضيه وناصره وممكن له ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ ذلك المضي والنصر والتمكين، فلا راداً لأمر الله تعالى.

﴿لِيطْفِئَهُ عَلَى الَّذِينَ كُلِّهِ﴾ ليعليه على ما عداه من الأديان الباطلة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٩﴾ ذلك الإعلاء والتمكين؛ فإن سنة الله تعالى ماضية.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرَةِ نُجُجِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ تشويق وترغيب إلى تجارة رابحة.

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ تصدقون بموعود الله تعالى، وموعود رسوله ﷺ، وتعملون بهما ﴿وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في دين الله تعالى بما يمكن له في



- الواقع ﴿بِأَمْرٍ لَّكُمْ﴾ فتنفقونها في سبيل ذلك ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ فتقدمونها فداءً لدين الله ﴿ذَلِكَ﴾ الإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من التخاذل عن النصر والتمكين ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ طريق نجاتكم وفلاحكم.
- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ بسترها والصفح عنها ومغفرتها ﴿وَيَدْخُلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بساتين تجري من تحتها الأنهار زيادة في النعيم ﴿وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ ويدخلكم قصوراً عالية بهيجة في تلك الجنان الدائمة ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فلا فوز أفضل منه، بل هو المقصد والنهاية.
 - ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ غير عاقبة الدار الآخرة وما يحصل لكم فيها ﴿نَصْرٍ مِنْ اللَّهِ﴾ على أعدائكم، وكبت لهم، وتمكين لكم ﴿وَفَتْحٍ قَرِيبٍ﴾ تتسع به دائرة الإسلام ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا الثواب الحاصل لهم في العاجلة والآجلة.
 - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ أنصار دينه قولاً وفعلاً ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ من يعينني على نصر دين الله تعالى ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أعوانه وأنصاره ﴿فَتَأْمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بسبب هذه النصر وهؤلاء الأعوان ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ فلم تنقذ لأمر الله تعالى ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ قويناهم ونصرناهم ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ عالين منتصرين.



١- إذا أمضيت الانتظار، وتعثرت في طريقك الآمال، فاستحضر في قلبك وفكرك ومشاعرك سير الماضين في هذا الطريق ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.



٢ - قراءة سير الصالحين أكبر مُعين على قيامك بواجباتك، وشقّ طريق مستقبلك بامعان ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرِسُوْلِ يَّآئِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هَذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦﴾﴾.

٣ - وجود الدعاة والمصلحين بين الناس نعمة عظيمة كبيرة ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرِسُوْلِ يَّآئِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هَذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦﴾﴾ هذه البشارة من عيسى ﷺ برسول الله ﷺ من هذا الباب.

٤ - لو لم يكن من وجود المصلحين في الأرض إلا تحقيق تلك الغاية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرْیٰ بِظُلْمٍ وَّأَهْلُهَا مُصْلِحُوْنَ﴾ [هود: ١١٧] لكان كافياً، فكيف وهم يُعلّمون الناس دينهم، ويرونهم ويُجلّون لهم الحقائق، ويدفعون عنهم عوائق الطريق، ويصنعون أماناً للأمة من جارف الأوهام ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيلَ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرِسُوْلِ يَّآئِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمُهُ اَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هَذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦﴾﴾.

٥ - من أقبح الصور، وأسوأ المناظر، وأدهش مواقف الألم، أن ترى مفترياً على الله تعالى متبجحاً بالضلال ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكُذْبَ وَهُوَ یَدْعٰى اِلٰى الْاِسْلَامِ وَاللّٰهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِیْنَ ﴿٧﴾﴾.

٦ - يريدون، والله تعالى يريد غير إرادتهم ﴿یُرِیْدُوْنَ لِیُطْفِئُوْا نُوْرَ اللّٰهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّٰهُ مِتِّمٌ نُّوْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴿٨﴾﴾ هُوَ الَّذِیْ اَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدٰى وَدِیْنِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلٰی الدِّیْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ﴿٩﴾﴾.

٧ - ليتهم طهّروا عقولهم العفنة من أفكار الضلال ﴿یُرِیْدُوْنَ لِیُطْفِئُوْا نُوْرَ اللّٰهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّٰهُ مِتِّمٌ نُّوْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴿٨﴾﴾ هُوَ الَّذِیْ اَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدٰى وَدِیْنِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلٰی الدِّیْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ﴿٩﴾﴾.



٨ - مضت سنة الله تعالى أنه ناصر دينه ومعل كلمته، وباسط منهجه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

٩ - تفاعل، وارفع رأسك عالياً، فدينك بالغ أمانيه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

١٠ - لا تيأس أو تقلق أو تساورك الظنون! دينك ماضٍ إلى غاياته الكبرى رغم أنوف المعارضين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

١١ - إذا سمعت بحشودهم على الإسلام فاستحضر في قلبك هذا الوعد الكريم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

١٢ - يحاولون أن يطفئوا ذلك الضوء ولكن هيهات ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾.

١٣ - خطر الإعلام الفاسد على دين الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨) عَبَّرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ قَصْدِهِمْ فِي إِطْفَاءِ نُورِ الدِّينِ بِالْأَفْوَاهِ لَشِدَّةِ أَثَرِهَا فِي ذَلِكَ.

١٤ - دينك هو تجارتك وصفقة عمرك، فرباط على أبواب الاستثمار فيه بجد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَارِعِ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (١٠) تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾.



١٥ - إياك أن يسبقك أحد في ميدان التجارة الكبرى مع الله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۖ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ۞.

١٦ - حتى نفسك يجب أن تكون عربوناً للغايات الكبرى! فما بالك بالمال! ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۖ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ۞.

١٧ - تحرك في واقعك، واجتهد في بناء مشروعك، وتقمص فكرتك، وعش قضيتك وأنت تشعر أنك تخوض معركة الحياة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۖ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ۞.

١٨ - حتى نفسك يجب أن تتحول إلى وقف في سبيل الله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۖ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ۞.

١٩ - ادفع مالك لا لتكاثر به نصيبك، وإنما لتمدَّ به في ساحات دينك ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۖ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ۞.

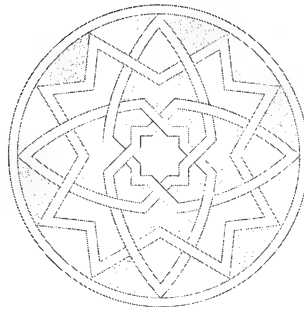
٢٠ - إذا سمعت بوقفٍ أو مشروعٍ خيرٍ أو قضيةٍ تريد تبرعاً فادفع مالك على أنه جزء من أسهم الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَحْرِيفِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۖ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ۞.



٢١ - حين تدفع نفسك ومالك في سبيل الله تعالى فانظر تلك النهايات ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٢ وَأُخْرَى تُحْبَبُهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾.

٢٢ - احملوا هذه الفكرة ذاتها وعيشوا هذه القضية ذاتها واخرجوا مناهضين للباطل كصاحب المشروع لا فرق ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ١٤.

٢٣ - من فقه صاحب المشروع وحامل لواء القضية والفكرة أن يتخذ معه أنصاراً يعينونه في الطريق، ويحملون فكرته بعد الرحيل ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ ١٤.



سُورَةُ الْجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ① هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
 آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي
 ضَلَالٍ مُبِينٍ ② وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ③ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
 ④ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ
 يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَايَةِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑤ قُلْ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ
 أَنْتُمْ أَوْ لِسَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ⑥ وَلَا يَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
 ⑦ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ
 تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑧



التفسير

• ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خبر من الله تعالى أن كل شيء في السماء والأرض ينزه الله تعالى ويعظمه ﴿الْمَلِكِ﴾ مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه ﴿الْقُدُّوسِ﴾ الموصوف بصفات الكمال المنزه عن النقائص ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ (١) في تدبير خلقه.

• ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ بعث في العرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ﴿رُسُلًا مِنْهُمْ﴾ عربي ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يقرأ عليهم آيات الله تعالى التي أنزلها عليه ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب والخطايا ﴿وَيَعْلَمُهُمْ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السُّنَّةَ ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ رسالته وإرساله إليهم ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) لفي ضلال وعماية عن الحق.

• ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ﴾ وبُعِث رسول الله ﷺ إلى آخرين من غير العرب ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ من العجم ونحوهم وهم كل من كان بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن أعرض منهم ﴿الْحَكِيمُ﴾ (٣) في تدبير خلقه وشؤونه.

• ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ إرسال الله تعالى هذا الرسول لهذه الأمم فضل من الله تعالى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤) ذو الفضل الكبير والمنن العظيمة على عباده.

• ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ أوتوا التوراة من اليهود والنصارى ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ مثل الحمار



الذي يحمل على ظهره كتب العلم، ولا يعقل ما فيها ﴿بئس مثلاً لقوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ ﴿بئس هذا المثل﴾ ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ﴿٥﴾ لا يوفقهم للحق، ولا يهديهم إلى الصراط.

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ ﴿لليهود﴾ ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ ﴿أحبابه وأنصاره﴾ ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ ﴿اطلبوه وسلوه أن يميّتكم لتصيروا إلى نعيم الأولياء والمقربين﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٦﴾ فهذا برهان صدقكم ودليل قربكم.

• ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿لا يتمنى اليهود الموت أبداً نظير ما اكتسبوا من الآثام، واجترحوا من السيئات﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾ بأعيانهم وأعمالهم.

• ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لليهود ﴿إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ﴿تكرهونه وتهربون منه﴾ ﴿فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ﴿نازلٌ بكم﴾ ﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ﴿إلى الله الذي يعلم المكنون من أعمالكم، والظاهر منها﴾ ﴿فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾ فيخبركم بأعمالكم.

التدبیر

١ - ما زال العالم يسبح ربه وينزه خالقه ويعترف به! ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾.

٢ - بعث رسول الله ﷺ إليك من أجل النعم ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا



مَنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾.

٣ - وجود المصلحين في أي بقعة ومساحة من أعظم نعم الله تعالى في الوجود ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ وإذا خلت أرض من هؤلاء فيوشك أن يحل بها العذاب.

٤ - الرسالة هي الوجه الحضاري لهذا الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

٥ - التزكية لا يمكن أن تكون إلا من خلال الوحي، وما عدا ذلك ليس سوى مساحات من الظلام ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

٦ - المعرفة التي لا تستند للوحي في شيء لا قيمة لها في واقع صاحبها ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

٧ - من لم يتمثل هذا الوحي، ويعتق هذا الدين، فهو رجس ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

٨ - على قدر ما تحمل من دينك يكون زكاؤك وطهرك ونقاؤك ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.



٩ - كتاب الله تعالى هو المائدة الأصل في صناعة الطهر والتزكية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

١٠ - كل مائدة يتربى عليها أجيال المسلمين لا يمكن أن تصنع واقعاً في نفوسهم إلا إذا كانت على علاقة بهذا الوحي ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

١١ - مهما بلغ ماضيكم ثمة فرصة لإضاءة العالم من جديد ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ من الصحابة من آمن أول ما نزل عليهم الوحي؟! ومنهم من آمن بعد أن عرفوا قيمة هذا الوحي!

١٢ - المهم ألا تحول أخطاؤك الماضية دون مستقبل الأيام ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾.

١٣ - ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ رسالة في أن دين الله تعالى لن يحدّه زمانٌ أو مكان.

١٤ - بلّغوا المنافقين في كل مكانٍ بأن الإسلام سيبدد مستقبلهم الذي ينتظرون ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾.

١٥ - الرسالة التي جاءتك، والعلم الذي آتاك الله، والزكاة الذي أصابك، واستقامتك على المنهج، وانتشار الدعوة في واقعك، وقيام المصلحين بدورهم



في حيك ومجتمعك وأمتك! كل ذلك فضلٌ من الله تعالى عليك ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٤.

١٦ - جزءٌ كبيرٌ من العالم ضالٌّ لم تصل إليه الهداية التي بلغتكَ، فاحمد الله تعالى على توفيقه وفضله ومنته ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٤.

١٧ - هل رأيت حماراً ينوء بأثقال كتب لا يعرف منها شيئاً! هي ذات الصورة في حاملٍ للعلم لا يقوم بشيءٍ منه في واقع الحياة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥.

١٨ - ذات الصورة في حافظٍ للقرآن لا يُعرف له واقعٌ في حياته ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥.

١٩ - إذا لم يخلق العلم فيك واقعاً تطبيقياً؛ فما تصنع بأثقاله وهمومه؟! ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥.

٢٠ - طالبٌ علمٍ يتخلف عن صلاة الجماعة، ولا يُعرف له وردٌ ثابتٌ في عبادة، ولا يبالي بالمنكر في بعض أحيانه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥.



٢١ - من الظلم أن تتعلم علماً ثم لا تجود بأفراحه على واقعك ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ يَنْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾.

٢٢ - ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾.

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدياء

٢٣ - لا تجتهد في الفرار من الموت سيلتقيك وإن طال عمرك ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾.

٢٤ - من كمال فقهك ووعيك وتوفيقك أن تصنع واقعاً يحيل الموت إلى حياة ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾.

٢٥ - اطلبوا الموت توهب لكم الحياة ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾.

٢٦ - الإيمان والعمل الصالح أعظم قضية تبدد مخاوف الموت من قلبك ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾.

٢٧ - كان سلفك رضوان الله تعالى عليهم يطلبونه في ساحات الوغى، ويودّعون الحياة قبل لقاءه بلحظات، ثم يرحلون ﴿قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾.



٢٨ - أَقِمِ لِلْعَمَلِ شَأْنًا، وَرَدِّدْ مَا كَانَ يَرُدُّهُ بِلَالٌ فِي لَيْلَةِ مَوْتِهِ: غَدًا نَلْقَى الْأَحْبَةَ مُحَمَّدًا وَحُزْبَهُ! ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٢٩ - تَخَفَّفْ مِنْ قَلْقَلِكَ مِنَ الْمَوْتِ! سَيَأْتِيكَ فِي مَوْعَدِهِ الْمَقَرَّرِ، لَنْ يَتَخَلَّفَ لِحِظَةً وَاحِدَةً ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

٣٠ - حَتَّىٰ لَوْ لَمْ تَسَافِرْ، وَلَمْ تَرْكَبْ سَيَّارَةً، وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِكَ! سَيُزَوِّدُكَ عَلَىٰ ذَاتِ السَّرِيرِ، وَيَرْحَلُ بِكَ لِلْقَاءِ أَعْمَالِكَ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.



يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ إذا أُذِنَ لصلاة الجمعة ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ امضوا إلى الصلاة، ولا تنشغلوا بغيرها ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ واطركوا البيع.
- ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ ذهابكم للجمعة خير لكم من البيع ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ إذا فُرِغَ منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تفرّقوا فيها ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ من رزقه ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾ علّق فلاحهم على كثرة ذكر الله تعالى.
- ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ خرجوا إليها ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ في خطبتك ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الأجر والثواب ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾



مِمَّا خَرَجْتُمْ إِلَيْهِ ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿فَمَا عِنْدَهُ أَفْضَلُ وَأَحْسَنُ مِمَّا
خَرَجْتُمْ إِلَيْهِ.



١ - من إجلالك لربك إجلالك لشعائره ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ
يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩﴾.

٢ - مؤلم أن ينادى لفريضة؛ ولم يتمكن الأذان من تحويلهم إلى تلك الحقيقة!
﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا
الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩﴾.

٣ - إذا لم يقمك الأذان من مقعدك، ويوقف اجتماعك، ويوقف ما في يديك،
فإنك تحتاج إلى إعادة تأهيل لقلبك ومشاعرك ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩﴾.

٤ - لا تخلط في عملك، أو تصادم بين مواقيتك ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا
فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾.

٥ - اعرف لكل شيء قدره، وقم بكل شيء في وقته وزمنه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾.

٦ - مشكلة الكثيرين هي الصراع بين الوسائل والغايات ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠﴾ إذا
قضيت الصلاة فانتشر، وإذا أذن لها فاترك كل شيء وأقبل إليها!

٧ - إدارة الأولويات ضرورة لإدارة الحياة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٨ - حتى الأجيال المثيرة في التاريخ كان يشوبها النقص، ويشيرها المال ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾﴾ فلا تقل لا سبيل إلى لحاق تلك الأجيال!

٩ - إدارة شأن علاقتك مع الله تعالى موجب لتحقيق آمالك التي تريد ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾﴾.

١٠ - نحتاج إلى إعادة توجيه البوصلة نحو الاتجاه الحقيقي ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾﴾.

١١ - إذا رأيت شيئاً أعجبك، أو متاعاً أبهجك، أو رزقاً أدهشك؛ فانظر لما بينك وبين الله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾﴾.

١٢ - من أقام ما بينه وبين الله تعالى أقام الله تعالى له أمره كما يشاء ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾﴾.



سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
 اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ
 فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
 وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ
 صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

التفسير

- ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ يا رسول الله ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ بألسنتهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ سواء قالوا ذلك أم لم يقولوه ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١﴾ فيما أظهره من هذه الشهادة.



• ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً﴾ سِتْرَةً يَسْتَتِرُونَ بِهَا ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَعْرَضُوا عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهِدْيِهِ، وَتَسَبَّبُوا فِي إِعْرَاضِ النَّاسِ عَنْهُ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢ ﴿بُسَّتْ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الَّتِي عَمَلُوهَا.

• ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي وَقَعَ ﴿بِأَيْمَنِهِمْ﴾ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴿فَتَرَكُوا دِينَ اللَّهِ تَعَالَى﴾ فَطُغِيَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٣ ﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى قُلُوبِهِمْ هَدًى، وَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهَا خَيْرٌ.

• ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ فِي الشَّكْلِ وَالْهَيْئَةِ ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لِفَصَاحَتِهِمْ وَجَمِيلِ مَنْطِقِهِمْ ﴿كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسَدَّةٌ﴾ لَا نَفْعَ فِيهَا ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لِجَبْنِهِمْ وَضَعْفِهِمْ ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ عَلَى الْحَقِيقَةِ ﴿فَاحْذَرُهُمْ﴾ أَنْ تَتَّقَى بِقَوْلِهِمْ، أَوْ تَسْمَعَ لِكَلَامِهِمْ ﴿فَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أَخْزَاهُمْ ﴿أَنْ يَكُونُوا﴾ ٤ ﴿كَيْفَ يَعْدِلُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الضَّلَالِ.

التَّحْقِيقُ

١ - المنافقون أخطر فئة على الإسلام وأهله! هم العدو فاحذروهم ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ١.

٢ - للقوم وجهان: وَجْهٌ بِاسْمٍ يَلْقَاكَ بِهِ، وَوَجْهٌ مُشَوَّهٌ يَعْبَثُ بِدِينِكَ حِينَ يَفَارِقُكَ ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ ١ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢.



٣ - يتذرعون بالكذب لغاياتهم، لا يخرجون من ذلك، ولا يبالون به في شيء
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

٤ - حتى لو رأيته يحلف أيماناً مغلفة وهو ممسك بستار الكعبة؛ فإياك أن تصدقه!
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

٥ - لا تكن ساذجاً! إذا سمعته يشني على صالح، أو يشكر على موقف، أو
يستنهض لقضية فاعلم أنه يدير شأناً غير الذي بدا لك ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا
نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾
اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

٦ - التذبذب من أخلاق المنافقين وسميهم وعلاماتهم التي لا ينفكون عنها
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾.

٧ - تراه يوماً في مباحج القدوة، وتراه في يوم آخر في حضيض الشهوة، في كل
مرة له موقف، ولا تستطيع أن تقيمه على معنى واحد ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا
فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾.

٨ - مبهج في جسده يملأ عينك، ويمتع أذنك وهو في الوقت نفسه كخشبة مسندة
على جدار بيتك لا فرق ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ
خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يُحْسَبُونَ كُلٌّ صِيحَةً عَلَيْهِمْ هُمْ يَعْتَدُونَ فَاحْذَرْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

٩ - من جمال دينك أنه لا يقيم للصور والأشكال معنى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ

أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ^ط فَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكَونَ ﴿٤﴾.

١٠ - الجبن والهلع والخوف والقلق من أعظم صفاتهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ^ط فَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكَونَ ﴿٤﴾﴾.

١١ - عدوك الحقيقي ذلك الذي يلقاك في المسجد، ويصافحك في الطريق، ويزورك في بيتك، وهو في الوقت نفسه يتميز من الغيظ لنصرة دينك ومنهجك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ^ط فَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكَونَ ﴿٤﴾﴾.

١٢ - لا تذهب للإعلام، وتنشغل بمواقع التواصل، تتفقدهم وهم بين يديك، وأقرب ما يكونون إليك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ^ط فَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكَونَ ﴿٤﴾﴾.

١٣ - اربهم في أيام الفتن، وثورات المشكلات، وأوقات الأزمات، وسترى القوم على حقيقتهم ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ^ط فَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكَونَ ﴿٤﴾﴾.

١٤ - لا كثرهم الله تعالى في جمع، ولا أبقى لهم شوكة في مكان، وأرانا فيهم ما يسوؤهم في كل حين ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ^ط كَانَتْهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ^ط يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ^ط هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ^ط فَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَؤُفَّكَونَ ﴿٤﴾﴾.

١٥ - الله تعالى الذي خلقهم وهو أعلم بهم يقول لك عنهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فلا تصم آذاننا بحسن ظنٍّ في غير محله.



١٦ - من سيماهم أنهم لا يحسنون العمل والتطبيق، قاعدون للتشدد والتصنع ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾.

١٧ - هكذا كان كبيرهم (عبد الله بن أبي) في صف المسلمين، وهو أكثر الأعداء كرهاً للمسلمين ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾.

١٨ - كل من رأته أو سمعته يثلب في مصلح وداعية وعالم؛ فاعلم أنه نسيب القوم، وصاحبهم في الطريق، ورضع من الثدي نفسه حتى روي ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾.





وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا
تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَاللَّهُ خَرَّابُنُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ
لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا
أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ
فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا
جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾



التفسير

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾ هزوها وحركوها سخرية واستهزاء ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ يعرضون على وجه الإباء والكبر.

• ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ استغفارك يا رسول الله لهؤلاء وعدمه سواء ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لن يصفح عن ذنوبهم ، بل سيعاقبهم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ فلا يوفق للهداية من توسم بالفسق والإعراض عن دين الله تعالى.

• ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم ومن هم معهم ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من أصحابه المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ حتى يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يملك كل شيء ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أمر الله تعالى ومراده ومشئته.

• ﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ﴾ يقصدون بالأعز أنفسهم، والأذل رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الشدة والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وللمؤمنين ﴿بِاللَّهِ﴾ وَلَكِنَّ الْمُتَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾.

• ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأُتْلَاهُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلِدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لا تشغلكم عن أمر الله تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ من تلهيه أمواله وأولاده فهو خاسر غير رابح.

• ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ تصدَّقوا مما أعطيناكم وأنعمنا به عليكم من الأموال والأرزاق ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾



فَأَصَدَّقَ ﴿٩﴾ أَبْذَلَ مِنَ الْأَمْوَالِ سِوَاءَ مَا كَانَ وَاجِباً أَوْ تَطَوُّعاً ﴿١٠﴾ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِكَ.

• ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ ﴿١١﴾ فَهُوَ مُقَدَّرٌ مَكْتُوبٌ ﴿١٢﴾ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١١﴾ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

التدبير

١ - يَرْزَحُونَ بِالْكِبَرِ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَنْوَوْنَ بِأَثْقَالِهِ وَهَمُومِهِ فِي كُلِّ حِينٍ ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوهُ وُسْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾.

٢ - لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْكَ أَوْ يَرْجِعُوا إِلَيْكَ أَوْ يَأْخُذُوا مِنْكَ شَيْئاً يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَعْلَى دَرَجَةٍ وَأَكْبَرَ مَنْزِلَةٍ ﴿١٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوهُ وُسْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ وَهُمْ أَجْهَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى .

٣ - مُتَعَالِمُونَ يَرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَكْثَرَ مِنْكَ إِيمَاناً وَأَصْلَبَ عِوِداً وَأَعْقَلَ وَأَفْقَهَ مِنْكَ بِالطَّرِيقِ ﴿١٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُوهُ وُسْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴿١٩﴾.

٤ - لَا تَطْمَعُ فِي هِدَايَتِهِ فَهُوَ عَدُوُّكَ الْأَوَّلُ ﴿٢٠﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢١﴾ ﴿٢١﴾.

٥ - يَنْقُضُونَ عَرَى الْوَقَاعِ الَّذِي يَعِيشُونَ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَجْهَدُونَ فِي تَشْوِيهِ صُورِ الْإِصْلَاحِ كُلِّ حِينٍ، هَذِهِ رِسَالَتُهُمُ الْكُبْرَى ﴿٢٢﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٢٣﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرُضَ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٤﴾.



٦ - لا يتحرج في لمزك واتهامك والسخرية منك والعبث بقيمك ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ﴾ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۗ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾.

٧ - كلما عُقد اجتماع وجدتهم مخالفين لفكرته، ورافضين لمبدئه، ويحاولون جاهدين في نقض عراه ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ﴾ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۗ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾.

٨ - وإذا قامت رذيلة أو فتنة أو مصيبة وجدتهم هم الذين يوقدون نارها وينفخون على جذورها ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ﴾ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۗ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾.

٩ - أهم قضاياهم تجفيف منابع دعوتك، ورسالتك، ومشروعك مادياً ومعنوياً ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ﴾ (٧) ﴿٧﴾ ﴿٧﴾.

١٠ - إذا رأوا معك مالا قالوا: يدعم الإرهاب، وإذا رأوا شباباً مقبلاً قالوا: مغرر به، وإذا وجدوا اجتماعاً قالوا: يؤلبون على الوطن ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ﴾ (٧) ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ قَبَّحَ اللَّهُ تعالى تلك الوجوه .

١١ - ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ رسالة ألا تتحول الوسائل إلى غايات!

١٢ - ضابط الخسارة أن تتحول الوسيلة إلى غاية ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٣ - كم مرة أقعدك مالك أو ولدك عن خير! وأخرك عن صلاة! وأشغلك عن أولوياتك! تلك هي الخسارة التي لا تعوض في حياتك كلها ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٤ - في زواج ابنته هدم قيمه ومبادئه وعرى دينه، لم يبال في ذلك بشيء! ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

١٥ - استثمر حياتك قبل رحيلك ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٦ - أنفق من مالك، ومهاراتك، وقدراتك، وإمكاناتك قبل فوات ذلك بالموت أو العجز ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

١٧ - انهض قبل حلول أجلك وفوات الفرص من حياتك ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.



١٨ - وَجَّه مَهَارَاتِكَ، وَأَفْكَارِكَ، وَقَدْرَاتِكَ، وَإِمْكَانَاتِكَ إِلَى فِكْرَةٍ أَوْ مَشْرُوعٍ أَوْ قَضِيَّةٍ لَتَبْقَى خَالِدًا بِالْعَمَلِ بَعْدَ الْفَوَاتِ ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٠ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾.

١٩ - مَنْ فَهَمَكَ وَكَمَالَ وَعَيْكَ أَنْ تَخْتَارَ مَشْرُوعًا تَحِيَّا بِهِ مَرَّتَيْنِ، الْأُولَى بِجِسْدِكَ وَالْآخَرَى بِفِكْرَتِكَ وَمَشْرُوعِكَ وَرِسَالَتِكَ ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٠ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾.



سُورَةُ التَّغَايُنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَسَفَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ② خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ③ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ④
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
⑤ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا
فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَوْا اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ⑥ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ
يُعْثِقَ قُلُوبُنَا لِرَبِّ لِنُبَشِّرَ ثُمَّ لِنُتَبِّهَنَّ بِمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ⑦
فَاتَمُّوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ⑧
يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَايُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ
صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑨



التفسير

• ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينزهه ﷻ جميع مخلوقاته من كل عيب ونقصان ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ المتصرف في جميع خلقه ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) فلا يعجزه شيء من خلقه ﷻ.

• ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم من عدم ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ مختلفين في الإيمان بخالقكم ما بين كافر ومؤمن ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢) فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم.

• ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالعدل والحكمة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أحسن خلقكم وأشكالكم ﴿وَالِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ (٣) المرجع والمآب يوم القيامة.

• ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يغيب عن علمه من ذلك شيء ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ما تخفونه وما تعلنونه من أعمالكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤) يعلم ما يضمرة كل إنسان في نفسه.

• ﴿الْمَرِيَاتُكُمْ نَبَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ خبرهم، وما كان من أمرهم ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ عاقبة أمرهم، وما حصل منهم من المخالفة لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٥) شديد.

• ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْلِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج والبراهين الواضحة ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ كيف تكون الرسالة لأناس من البشر ﴿فَكَفَرُوا﴾ بالرسول وما

جاءوا به من الآيات ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عنهم وعن العمل بما جاءوا به ﴿وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن عبادتهم وإيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ ليس محتاجاً لأحدٍ من العالمين ﴿حَمِيدٌ ٦﴾ محمود على خلقه وأفعاله.

• ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ لن يُخرجوا من قبورهم بعد موتهم ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ من قبوركم ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ لتُخْبِرُنَّ بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧﴾ سهل هين.

• ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فصدّقوا بما أخبركم به الله تعالى ورسوله من البعث والجزاء ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ وآمنوا بالقرآن الكريم الذي هو نور الله تعالى وهداية للناس ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٨﴾ فلا تخفى عليه خافية.

• ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة يجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَاجِ﴾ يوم يحصل فيه غبنٌ كبيرٌ على الناس ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩﴾ وعدٌ من الله تعالى لكل مؤمن عمل الصالحات أن يكفّر الله تعالى سيئاته، ويدخله جنات النعيم.

التدبير

١- العالم من حولك يعجُّ بالتسبيح والإجلال والتعظيم والتنزيه فأين موقعك؟! ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠﴾.

٢- ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء من أمرك، ولا أمانيك، ولا توقعاتك، ولا أهدافك وأحلامك، فتمنّ ما تشاء.



- ٣ - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن كمال قدرته أنه سينصر دينه، ويُمكن له، وقيم له الأسباب الكفيلة بنجاحه وتحقيق آماله.
- ٤ - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ حتى لو كان الأمل مستحيلاً، والقضية غير ممكنة، ولا سبيل ولا طريق إلى تلك الأمنية.
- ٥ - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يشفي مرضك، ويعافي بدنك، ويصح جسدك، ويفتح آفاقاً لك لم تكن منك على بال.
- ٦ - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يوظفك، ويهيئ رزقك، ويسد دينك، ويحل مشكلتك، ويحسن ظروفك، ويوقف آلامك، ويعينك على تحديات واقعك.
- ٧ - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يُنجز مشروعك، ويوفّقك لبلوغ غاياتك منه، ويُسدّدك في طريقك، ويُقرّب لك مسافات أحلامك فيه كما تشاء.
- ٨ - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يصلح زوجك وولدك، ويعينك على وظيفتك، ويشرح صدرك، ويرزقك الصبر على مصاعب الحياة.
- ٩ - من نعم الله تعالى على الإنسان أنه خلقه في أحسن صورة ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢).
- ١٠ - لا يفوت على الله تعالى شيء ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤).
- ١١ - سرّك وجهرك، وظاهرک وباطنك، كلّها تجري في علم الله تعالى وتحت نظره ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٤).
- ١٢ - ما كل من قرأ قصة اتّعظ! وما كل من رأى سير الغابرين استفاد ﴿الْمُرْيَاتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاتُوا أَوْبَالٍ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (٥).

١٣ - في قراءة التاريخ درسٌ وذكرى وعبرة ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥ ﴾ .

١٤ - الكبر إذا استوطن في قلب إنسان صار مانعاً له من الخيرات ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥ ﴾ .

١٥ - كم حرم الكبر من خيرٍ عن كثيرين؟! ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَأَبْشَرُ مِنْهُمْ قَالُوا فَكُفُّوا وَقُولُوا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٦ ﴾ .

١٦ - حين يأخذ تأجير العقول حظه من النفوس ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧ ﴾ .

١٧ - من مهمّات الوحي تصحيح الأفكار والمفاهيم والتصورات، وإعادة بنائها من جديد ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧ ﴾ .

١٨ - ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٨ ﴾ هذا ربك يصف كتابه وكلامه ووحيه بالنور فأين المستضيئون!

١٩ - في زمن الماديات ستكون أحوج ما تكون إلى ذلك النور الذي يبعث فيك الحياة ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٨ ﴾ .

٢٠ - كل غبنٍ يمكن أن يعوّض إلا غبن تلك الدار ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩ ﴾ .

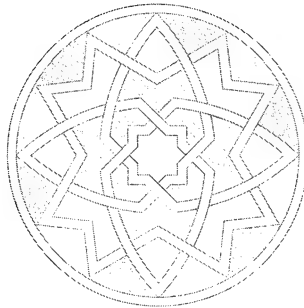
٢١ - الإيمان والعمل الصالح يصنع واقعك، ويبني أحلامك كما تريد ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩ ﴾ .



٢٢ - الفوز الحقيقي ذلك الذي يصنعه الإيمان والعمل الصالح ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِٓنِ ۖ وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾.

٢٣ - الغبن أن ترى جارك، وصديقك، وقريبك، وزميلك صنعوا لهم مجداً، وبلغوا غاياتهم الكبرى، وبينك وبينهم مفاوز واسعة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِٓنِ ۖ وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾.

٢٤ - الغبن أن تأتي في منزلة كان يمكنك أن تكون في منزلة أعلى وأعظم، ولكن تأخرت وتخلفت قصر بك عن مناك ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ النَّعَابِٓنِ ۖ وَمَنْ يُّؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۖ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾.



وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 خَالِدِينَ فِيهَا بِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾
 وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
 الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ
 وَأَوْلَدِكُمْ عُدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا
 وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ
 وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَانْقَرِضُوا اللَّهَ مَا
 اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ
 يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ
 قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾



التفسير

- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ جحدوا وكذبوا بآيات الله تعالى ووعده ووعيده ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين غير زائلين عنها ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑩﴾ بئس النهاية والعاقبة.
- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يرضى بقضاء الله تعالى وقدره ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للصبر والرضا ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑪﴾ لا يخفى عليه خافية.
- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به ونهيا عنه ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُمِينُ ⑫﴾ بلاغ أمر الله تعالى وبيانه لكم فحسب.
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ⑬﴾ فلا معبود سواه، ولا خالق غيره، فعليه توكلوا وبه استعينوا.
- ﴿بَنَاتِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ يصدونكم عن سبيل الله تعالى ويثبطونكم عن طاعته ﴿فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ انتبهوا لهم لئلا يقعونكم في معصية الله تعالى بذلك. قال مجاهد: إنهما يحملانه على قطيعة رحمه، ومعصية ربه، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يقطعه ﴿وَأِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾ على ما بدر منهم من أمثال ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑭﴾ يغفر لكم ويرحمكم.
- ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاءٌ ومحنة ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ⑮﴾ لمن صبر على ذلك.

- ﴿فَاقْنُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ فِيمَا تَأْمُرُونَ بِهِ وَتَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ ابْذِلُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿وَمَنْ يُوقْ شَحْنَ نَفْسِهِ﴾ بِالْبَذْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَجَانِبَةِ الْبَخْلِ وَالْحِرْصِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٦) الْفَائِزُونَ.
- ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ ﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ يَكْثُرُهُ وَيَزِيدُهُ ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بِسَبَبِهِ ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ فَيُعْطِي الْكَثِيرَ مُقَابِلَ الْيَسِيرِ ﴿حَلِيمٌ﴾ (١٧) فَلَا يَعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ مَعَ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ.
- ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةُ ﴿الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ الْقَاهِرُ ﴿الْحَكِيمُ﴾ (١٨) فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.

التدبير

- ١- الجزء من جنس العمل ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٠).
- ٢- لا تقلق! فلن يصيبك سوى قدر الله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ سَبِيلَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١).
- ٣- آمن أن «ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»^(١) وستعيش هانئاً في الحياة ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ سَبِيلَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١).

(١) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنه: «يا غلام إني أعلمك كلمات...» أخرجه الترمذي وأحمد.

٤ - أكبر مصائبك التي ستواجهها هو الموت، وأقلها مصائب دنياك؛ فتجمل بالصبر، وتأدب مع قضاء ربك وحكمته ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١).

٥ - على قدر إيمانك يهدي الله تعالى قلبك ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١).

٦ - نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإيمان، وأن نجملنا بالصبر، وأن يرزقنا الرضا على أقدار الله تعالى في الحياة ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١١).

٧ - ليس من شأن الرسل والدعاة والمصلحين هداية الناس! يكفيهم بلاغ دين الله تعالى ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (١٢).

٨ - لا تبعد كثيراً تبحث عن أعدائك، إنهم يعيشون معك بين جدران بيتك، قد يصنعون معك قصة العداة ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوٍّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥).

٩ - جزء من مشكلاتنا أننا لا نعرف أعداءنا ولا نحذرهم! ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوٍّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥).

١٠ - كم من زوج وولد فتح عليك بوائق لم تكن لك على بال ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوٍّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا



وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾.

١١ - تمثّل أخلاق الكبار خاصة مع زوجك وولدك ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٢ - ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تحتاجها في بيتك مع ولدك وزوجك وأسرّتك.

١٣ - ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تحتاجها في وظيفتك، ومع جيرانك ورحمك وأقاربك كل حين.

١٤ - ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تحتاجها في دعوتك ورسالتك ومشروعك.

١٥ - لا تترك شيئاً من تقوى الله تعالى وأنت قادرٌ على حمل تكاليفها في واقعك ﴿فَأَنقُذُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

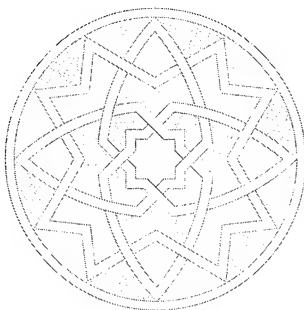
١٦ - لا تقف متفرجاً على حكم الله تعالى، بل باشرها بالسمع والطاعة والتسليم ﴿فَأَنقُذُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

١٧ - النفقة في سبيل الله تعالى وإقية من مساوئ الأخلاق ﴿فَأَنقُذُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.



١٨ - ثَمَّةَ فَرَضَ للتدريب والتأهيل في حياة كلِّ إنسان ﴿فَأَنقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦﴾.

١٩ - إذا أردت أن تعرف مباحج الصدقة فاقراً هذا الوعد من الله تعالى. ولا أعلم تخلفاً في شيء أكبر من التخلف فيها ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴿فَمَنْ يَصْنَعُ الْفَرْقَ؟!﴾



سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا
يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ
يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ
ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ
ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا
﴿٣﴾ وَالَّتِي يَلِيسَ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ
حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ
أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾



التفسير

• ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إذا أردتم تطليقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ طاهراً من غير جماع، أو حاملاً قد استبان حملها ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ اعرفوا ابتداءها وانتهاءها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في ذلك ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ في مدة العدة، لها حق السكنى؛ لأنها لا زالت في قيد الزوجية ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ بأن ترتكب فاحشة الزنى ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه وأحكامه ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ يخرج عنها، ولا يَأْمُرُ بها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتجاوز أوامر الله تعالى ونواهيه ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (١) في بقاء الزوجة في بيتها أيام طلاقها، لعلَّ الله تعالى يقلب البغض إلى حب، والرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى عزيمة البقاء.

• ﴿فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ إذا شارفت المعتقدات على انقضاء العدة، وقاربن ذلك ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ إن أردتم بقاء عقد النكاح فأمسكوهنَّ محسنين إليهنَّ في صحبتهنَّ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ وإما إن تريدوا مفارقتهنَّ فليكن كذلك بالمعروف من غير مقابحة ولا مشاتمة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ إذا عزمتم على الرجعة فليشهد اثنان من ذوي العدل منكم ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ تقرباً إلى الله ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ما أُمِرَ به إنما يَأْمُرُ به حقاً المؤمن بالله تعالى، الراجي لثوابه في الدار الآخرة ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، فيما أمر به هنا على وجه الخصوص، أو ما كان أعم من ذلك ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) في كل ضائقة.

• ﴿وَبَرَزْنَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ من حيث لا يدري ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ ما قدره سيقع ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ٢ ﴿حَدًّا وَمَنْتَهَى﴾.

• ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ يئست من عود الحيض إليها مرة أخرى ﴿إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ لم تدرُوا عدتهنَّ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ تتربص ثلاثة أشهر ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ الأبقار اللاتي لم يأتتهنَّ الحيض بعد عدتها كذلك ثلاثة أشهر ﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ﴾ الحوامل ﴿أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ زمن انقضاء عدتهن وضع الحمل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ٤ ﴿من اتقى الله تعالى في أوامره يسر الله تعالى له عاقبة أمره﴾.

• ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ هذه الأحكام التي أمرت بها هي أوامر الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ٥ ﴿يعظم ويجزل له الثواب﴾.

التدبير

١ - بناء الأسرة وقضاياها دينٌ يجب أن يأخذ حقه من الفقه كأي حكم في شريعة الله تعالى لا فرق ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ ١ ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ٢.



٢ - جزء من مشكلاتنا أننا ننتهياً للعبادة في بيوت الله تعالى، ولا نتهياً لها في بيوتنا ومع أسرنا وفي سائر أحوالنا ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ إِعْذَتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝١﴾ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروفٍ أو فارقوهن بمعروفٍ وأشهدوا ذوى عدلٍ منكم وأقيموا الشهادة لله ۝٢ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ۝٣ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ۝٤﴾.

٣ - ما يقع بينك وبين زوجك جزء من حدود الله تعالى التي يجب ألا تنتهك بحالٍ من الأحوال ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

٤ - من الظلم أن يعتدي الزوجان على حقوق بعضهما بعضاً ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

٥ - التقوى مانعة من ويلات الغضب، ونكران الحقوق، والتعدي على بعضنا بعضاً ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

٦ - ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ رسالة تسلُّ سخائم النزاع والفرقة والخلاف!

٧ - لا تعجل بالفراق وانتظر ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

٨ - لا تقلق على مآلات الأمور والأحداث التي تجري أثناء الفراق! ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.



٩ - إذا سمعت خصاماً ونزاعاً وأحداثاً فتذكر هذه الآية ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

١٠ - املأ نفسك ومشاعرك وقلبك أملأ! فالقادم حياة ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

١١ - حتى لو كان القرار هو الفراق فلا تقلق أو تتألم أو تتوجع! ما يدريك؟! ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

١٢ - إذا آلت الأمور إلى شيء فاحمد الله تعالى، واعلم أن ذلك هو مراد الله تعالى لك ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

١٣ - من جمال أدبك رعاية أيام الأنس والود والحب ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٢﴾.

١٤ - لا تشقَّ على زوجك إذا رأيته راغبة في الفراق؛ فلا تحوجها للخصام ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

١٥ - من فضلك! لا تخلط دموع الفرح والذكرى ومواعيد الأنس والشوق بدموع الحسرات والأسف والنزاع والحرمان ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

١٦ - التقوى تصنع فروقاً في كثير من الخلافات ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٢﴾.



١٧ - الخلافات التي لا تجد تقوى تكبح جماحها تسوء نهاياتها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝﴾.

١٨ - فقهك في دينك يعينك على التعبد لربك بصدق ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ ۖ وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝﴾.

١٩ - كلما كانت القضايا محللاً لشهوات النفوس كنت بحاجة إلى تأكيد قضية التقوى ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ ۖ وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝﴾.

٢٠ - من كمال فقهك وعلمك في تعاملك مع زوجتك وتربيتك لولدك، ومن تتولى تأهيله للحياة أن تركز معه على بناء التقوى في نفسه، وتعظيم أثر شعائر الله تعالى في قلبه ﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ ۖ وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝﴾.

٢١ - هل رأيت ما تصنع التقوى في حياتك؟! ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۚ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝﴾.

٢٢ - هب لهذه المعاني قلبك، وارصد لها مشاعرك، لترى ما تصنع في حياتك في قادم الأيام ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

٢٣ - اتق الله تعالى وهو يتكفل لك بالمخرج من همومك، وظروفك، وآلامك، وأوجاعك التي تعانيها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

٢٤ - اتق الله تعالى وهو يتكفل بتيسير أمورك، وسداد دينك، والخروج من محتتك وضيقك وظروفك ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

٢٥ - اتق الله تعالى وهو يكفر عنك خطيئتك، ويغفر ذنبك، ويتجاوز عن سيئاتك، ويعظم أجرك ويضاعف مثوبتك ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.



أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ
 عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
 فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا رِزْقَهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ
 تَعَاسَرْتُمْ فَسَتْرُضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ
 وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
 إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَاتِبٍ مِنْ قَرَبِهِ
 عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا
 عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾
 أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلَتِبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ
 لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
 سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ
 اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾



التفسير

• ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ عندكم ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ من سعتكم وطاقتكم ﴿وَلَا تُضَازِرُوهُنَّ﴾ لا تؤذونهن ﴿لِضَيْقِ أَعْيُنِهِنَّ﴾ في النفقة أو في المسكن ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلَ فَاَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ استمروا في النفقة عليهن حتى يضعن الحمل ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتُّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أجر الإرضاع ﴿وَأَتِمُّوْا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ لتكن أموركم بينكم بالمعروف دون مضارّة ببعضكم بعضاً ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسَترُضِعْ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ (٦) إن اختلفتم في الإرضاع ونفقته فليسترضع له غيرها.

• ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ لينفق كل والد على ولده، أو وليّ على مولاه قدر وسعه، وحسب قدرته ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ ضاق وقلّ ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾ مما أعطاه الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا﴾ ما أعطاه من الغنى أو الفقر ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧) سيأتي الله تعالى بالفرج والسعة من عنده تعالى.

• ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ تمرّدت وطمغت عن أوامر الله تعالى وما جاء من رسله ﴿فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ (٨) في الآخرة.

• ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عاقبة تمرّدها وطمغيانها ﴿وَكَانَ عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ (٩) أعدّ الله لهم عذاباً شديداً في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العقوبة في الدنيا ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلُكَبِيْرُ﴾ يا أصحاب العقول لا تكونوا مثلهم، فتتكرّر عليكم العقوبة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدّقوا بوعد الله تعالى وبوعيده ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ (١٠) رسولاً يبلّو عليكم آيات الله مبيناً رسول يذكركم بما



عند الله تعالى من الجزاء ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والمعصية والمخالفة إلى الإيمان ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١١) وسَّعَ اللهُ تعالى له في الجنَّات.

• ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ سبعاً كذلك ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ﴾ شرائعه وأحكامه ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السموات والأرضين ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) فلا يخفى عليه منه شيء.



١ - بعض مظاهر تضديد الجراح التي خلفها الطلاق ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَيْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَنِّكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لهُ أُخْرَى﴾ (٦) لِنُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُلْكَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧).

٢ - من جمال دين الله تعالى رعايته لمشاعر الزوجين، ومحاولته الحفاظ على القلوب ألا تتصدع أكثر ممَّا حدث لها ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَيْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِبَنِّكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لهُ أُخْرَى﴾ (٦) لِنُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُلْكَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧).

٣ - هذه عادة الله تعالى في المستعلين على أمره، والضالين عن طريقه ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثُكْرًا﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾.

٤ - كل قرية أو مجتمع أو أمة لا ترعى دين الله تعالى في واقعها فهي على وعيد مع هذه السُّنة الكبرى في الحياة ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثُكْرًا﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾.

٥ - ما حاجة القرآن إلا لصاحب رسالة وهدى يبلغه للعالمين كما أراد الله تعالى ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

٦ - الإيمان والعمل الصالح يصنع مباهج الحياة ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.

٧ - خذ جولة في هذا الكون العريض لتتعرف على قدرة الله تعالى، وتعظم شأنه تعالى في نفسك ومشاعرك ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢).

٨ - الجهل مانع من كثير من الغايات التي يحققها العلم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢).

٩ - لا يمكن أن يصل الإنسان لتعظيم ربه، وإجلال شأنه، والقيام بحقه إلا من خلال العلم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢).



سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ
 الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ
 وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ
 مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَنُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ
 صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
 وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ
 طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَنَبَّسَتْ
 عِيدَاتٍ سَيَجَنِّبُ فَيَنْبِتِ وَأَنْكَارًا ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ
 وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ
 لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَا تَعْزِدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

التفسير

• ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَبَاحَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ مِنْ شَرْبِ الْعَسَلِ، أَوِ الْإِسْتِمْتَاعِ بِجَارِيَتِكَ مَارِيَةً؟! ﴿تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ بِذَلِكَ التَّحْرِيمِ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١﴾ لَمَّا حَدَثَ مِنْكُمْ مِنْ تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ.

• ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ، وَبَيَّنَّ لَكُمْ التَّحِلَّ مِنْ أَيْمَانِكُمْ بِإِدَاءِ الْكَفَّارَةِ ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ وَلِيُّكُمْ وَنَاصِرُكُمْ ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بِمَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ وَفَلَاحُكُمْ ﴿الْمُحْكِمُ﴾ ﴿٢﴾ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ.

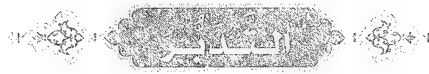
• ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ أَفْضَى إِلَى حَفْصَةَ سِرًّا تَحْرِيمِ الْعَسَلِ، أَوْ تَحْرِيمِ الْأُمَةِ الَّتِي كَانَ يَطُورُهَا ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أَخْبَرَتْ بِهِ عَائِشَةَ، وَأَطْلَعَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهَ عَلَى إِفْشَاءِ حَفْصَةَ لِلسِّرِّ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ ذَكَرَ لِحَفْصَةَ بَعْضَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ وَتَرَكَ بَعْضَهُ الْآخَرَ ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ مِنْ ذَكَرَ لَكَ أَنِّي قُلْتُ هَذَا ﴿قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ ﴿٣﴾ الَّذِي لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

• ﴿إِنْ نُبَوَّأَ إِلَى اللَّهِ﴾ الْخُطَابُ لَزَوْجَتِي النَّبِيِّ ﷺ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ عَدَلَتْ وَمَالَتْ عَنْ حَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَدَبِ وَالْإِحْتِرَامِ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ وَإِنْ تَعَاوَنْتُمَا عَلَى إِيْذَانِهِ ﷺ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ هُوَ مَنْ يَتَوَلَّى نَصْرَهُ؛ فَلَا يَضُرُّهُ تَظَاهَرُكُمْ عَلَيْهِ ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ نَاصِرُهُ وَمَعِينُهُ كَذَلِكَ ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى الْحَقِّ فَهَمَّ أَعْوَانَ لَهُ كَذَلِكَ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ أَعْوَانَ عَلَى نَصْرَتِهِ ﷺ.

• ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ﴾ إخبار من الله تعالى لنساء نبيه أنه إن تم طلاقهن فإن الله تعالى سيبدله خيراً منهن ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾ جامعات بين الإسلام وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان وهو القيام بالشرائع الباطنة ﴿قَانِتَاتٍ﴾ دائمات الطاعة ﴿تَيَبَّاتٍ﴾ من الذنوب اللاتي يقعن فيها ﴿عِدَاتٍ﴾ متدلللات لله تعالى ﴿سَيِّحَاتٍ﴾ صائمات ﴿تَيَبَّاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ ﴿٥﴾ منهن من قد تزوجت، ومنهن بكرأ لم تتزوج.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ اجعلوا بين أنفسكم وأهليكم وبين النار وقاية؛ بفعل الطاعات، واجتناب السيئات بتعليمهم وتأديبهم ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ حطبها الناس والحجارة ﴿عَلَيْهَا﴾ على هذه النار ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ﴾ خزنة من الملائكة من صفاتهم الغلظة والشدة على من يتولون عذابهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ لا يخالفونه في أمره ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ لا يتأخرون في تنفيذ شيء من أوامر الله تعالى.

• ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْزِدُوا الْيَوْمَ﴾ لأنه فات وقت الاعتذار، ومضى زمن المهلة ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧﴾ إنما نجازيكم بأعمالكم في الدنيا.



١- من لطيف مشاعر نبيك ﷺ أنه يجتهد في رضا زوجاته قدر وسعه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١﴾ حرم على نفسه الغسل من أجل رضاهن!

٢- تصوّر بيتاً يرعى الزوج فيه مشاعر نسائه لهذه الدرجة من الألق ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١﴾.



٣ - ما أحوج بيوتنا إلى مشاعر الحب والأنس والود التي تثير مباحج الحياة في أرجائها ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

٤ - أين هذه الصورة التي يعيشها نبينا ﷺ في بيته من صور ذلك الخصام السافر والنزاع والشقاق على أشياء لا قيمة لها في واقع تلك الأسر ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

٥ - في بيوت الكبار خلاف ونزاع وشقاق، وليس في بيتك فقط ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

٦ - حتى الأنبياء ينتظرون من ربهم المغفرة ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

٧ - هيئ نفسك على أنك بشر، وأنت تخطئ في حياتك، وتنتظر من ربك جميل عفوه وعظيم مغفرته ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

٨ - إذا «حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك» (١) ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٢).

٩ - من فقه الزوج الناجح ألا يجري عتاباً على كل خطأ، ويروي قصة مشاهد تلك التفاصيل مرّة أخرى ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ التكرار غير مليح في مثل هذه المواقف!

١٠ - في مرّاتٍ كثيرةٍ لسنا بحاجة إلى التفاصيل، ما أحاط بالعنق ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا



نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ خاصة ما يجرح المشاعر!

١١ - سألته ذات مرة بعد نقاشٍ طويلٍ مَنْ أخبرك؟! قال: ليس من شُغْلِكَ ﴿١﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ أين أخلاق الكبار؟!

١٢ - في كثيرٍ من المرات يغضب، ويأخذ على خاطره، وتموج مشاعره بالأسى، ويبقى شهراً أو يزيد، وهي لا تعرف أصلاً ما هو الخطأ التي وقعت فيه ﴿١﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ وأدِّ لمشاعر حبيبة رضىت به زوجاً، ويُجري عليها الحسرات!

١٣ - حتى صاحبك لا تخرجه وتقرّره، وتجلب عليه شهوداً! كيفيك ما يذكّر بالدرس، واللييب من الإشارة يفهم ﴿١﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾.

١٤ - تذكيرك بالخطأ من أجل صلاحه وتوبته، لا من أجل اعتذاره لشخصك الكريم ﴿١﴾ إِنْ نُوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾.

١٥ - تأمل هذا المعنى ﴿١﴾ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ وانظر لمقابله من الآخر: لئن عُذْتُ لَأَدْبَنَكَ وَأصنع بك ما لا تتوقعينه في عمرك!

١٦ - ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَيَبَّاتٍ عَيْدَاتٍ سَخَّحَتْ ثِيَابَهُنَّ وَأَنْجَبَا ۖ﴾ رسالة شاعرية تحمل تأديباً حانياً، وإعراضاً عن صناعة القلق في طريقه ﷺ !

١٧ - الإصلاح حركة وعمل وجهاد وتحذٍ وبناء، وليس تنظيراً فارغاً من الجهاد ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ الوقاية عمل وتطبيق!

١٨ - مارس دورك، وانهض بمسؤولياتك، وقم بتفاصيل قصتك، وتفاصيل العشاء والغداء يأتي بها غيرك ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

١٩ - أوقظهم للصلاة، وذكرهم بتقوى الله ﷻ، وراقب كل وسيلة أو منشط أو نافذة يتخلل منها الفساد ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ وكن بلسمًا على الجراح.

٢٠ - عش تفاصيل دور الإصلاح في أجواء من الحب والود ومشاعر التعاون والشورى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾.

٢١ - في مرّاتٍ كثيرة يأتي الاعتذار في غير وقته وزمنه المتاح؛ فلا ينفع في شيء ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾.



يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن
يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
ثَوْرُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمِنُ بِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَيْمْنَا
نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ
جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا
أَمْرَاتٍ نُّوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُّوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِذْ وَقَعْتَ عَلَى الْبَيْتِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾



التفسير

• ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ توبة صادقة جازمة ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ يسترها ويمحوها بهذه التوبة ﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ يوم القيامة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ ينتشر ويمتدُّ على الصراط يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا﴾ يدعون الله تعالى بتمام النور ومغفرة الزلات، وذلك حين يرون أن نور المنافقين قد أطفئ في عرصات القيامة ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٨.

• ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالسيف والحجة والبرهان ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ واشدد عليهم، وذلك بعد قيام الحجة وعدم إيمانهم، وعدم نفع الرفق معهم، أو أغلظ عليهم بإقامة الحدود ﴿وَمَا أَوْهَبَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ مردُّهم إلى نار جهنم يوم القيامة ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ ٩ ﴿بُسُّ الْمَرْجِعِ وَالْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

• ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ المرأتان ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ وهما نوح ولوط عليهما السلام ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين، فلم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما في الرسالة ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يوم القيامة لا يغني نوح ولوط عن زوجتيهما شيئاً لكفر تلك الزوجتين، وعدم إيمانهما ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ ١٠ قيل هذا للمرأتين.

• ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آسية بنت مزاحم ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ



الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ طلبت النجاة من فرعون، وعمله، وقومه الظالمين، فاستجاب الله دعاءها، ونجَّاهَا من ذلك كله حتى كمل إيمانها ﴿وَمَرِّمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ حفظته وصانته عن الفواحش ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ نفخ جبريل في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فجاء منها عيسى ﷺ ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ بِقَدَرِهِ وَشَرَعَهُ﴾ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾ المداومين على طاعة الله تعالى.



١ - توبتك من ذنبك وتقصيرك، وحسن إقبالك على ربك مؤذنٌ بآمالك وأمانيك الكبار ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٨﴾.

٢ - نورك الذي تستضيء به في ساحات القيامة على قدر عملك وجهدك وتعبك في ساحات الدنيا؛ فلا تستكثر شيئاً عليه مدارج الفوز والفلاح ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٨﴾.

٣ - ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسَبَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٩﴾ خطاب لنبيِّنا ﷺ ورسالة لحملة منهجه وأتباع دينه من بعده!



لا تتوقّفوا عن جهاد عدوّكم؛ أغيروا عليهم في ساعات الصباح الباكر، وحرّموا على جفونهم النوم في كل مساء، وهذا في جهاد الكلمة والقلم، بخلاف جهاد السيف فذاك له أحكامه وكباره.

٤ - ارفعوا راية الإصلاح، وأشيعوا أفكار التغيير، وهلمّوا لعالم البناء والتحديات؛ وإياكم والتنازل عن معركة الحياة ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ ①.

٥ - اصنعوا مشاريع تدكّ أفكار الباطل، وتبدد مساحات المفاهيم التي يشيعها، وتعارض مشاريعه التي يسعى فيها لتمجيد فكرته وبسط واقعه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ ①.

٦ - هل تخيلت كافرة تعيش مع مؤمن! هل تخيلت زوجة مناقضة لأفكار زوجها معارضة لمنهجه تكون معه بين جدران أربعة! هل تخيلت كيف عاش أنبياء الله تعالى على أوجاع الظروف والأزمات والمشكلات الكبرى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾ ⑩.

كل هذا حتى لا تأتي شاكياً من زوجك وولدك وزميلك في العمل.

٧ - سل نفسك: ما الفارق بين زوجة هذين النبيين على كفرهما ومخالفة منهجهما ومناقضة فكرتهما، وزوجك المؤمن الموافقة لأفكارك، ويأتي الخلاف منها عارضة في شيء من جلبة النفوس وطبائعها؟! ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾ ⑩.

٨ - حين نعرف واقع كثير من البيوت سنعرف حينها أننا أكثر البيوت أمناً وسعادة ورقياً ووثاماً ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا



تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ
ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾.

٩ - هل تخيلت هذه المؤمنة في بيت ذلك الطاغية! كيف عاشت حياتها وبنّت مستقبلها، وأتت على كل آمالها؟! ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١﴾.

١٠ - لا تشتك ظروف واقعك، ومشكلات زمانك، وعدم وجود رفقة تعينك؛ فامرأة فرعون ثلغي كل هذه الأعذار من طريقك ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١﴾.

١١ - امرأة بلا معينٍ تثبت على دينها وقضيتها في بيت أعظم الطغاة، وتناضل من أجل الحياة ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١﴾ رسالة لكل فتاة مهما كانت ظروف واقعك فثمة قدوة تستعلي على كل الظروف والصعاب وتبني مجداً للحياة.

١٢ - كلما امتلأت الحياة بالظروف الصعبة والعقبات الكبيرة والمشكلات العويصة ارتفعت همّتك، وزادت قواك، واستعلت مشاعرك على كثير منها في واقع الحياة ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١﴾.

١٣ - لم يكن أمام زوجة فرعون واقعاً آخر غير واقعها، ولا مكاناً مناسباً غير مكانها، لم يكن أمامها سوى آمال الآخرة ولو بعد حين ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ * وقدمت درساً في الثبات.

١٤ - في زمن الفوضى، وتسبب الأخلاق، وحالات الإخفاق التي تعيشها المرأة تظل مريم نموذج الطهر والعفاف والصفاء والحرية ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

١٥ - يستحق العفاف والطهر أن تصنع له مباحج عظيمة ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

١٦ - إذا صحب الطهر والعفاف قنوتاً وتبتلاً بين يدي الله تعالى صارت صاحبة هذا المعنى مثلاً لكل شيء ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

١٧ - المرأة تصلح نموذجاً للنجاح والتحدي والبناء، وليس ذلك من شأن الرجال فحسب ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

سُورَةُ الْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ②
الَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعْ
الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ③ ثُمَّ أَرْجِعْ الْبَصَرَ كَرَيْنٍ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ
خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا
رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَيَسَّى الْمَصِيرُ ⑥ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ
تَفُورُ ⑦ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⑧ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ⑨ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي
أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑩ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑪
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑫

التفسير

- ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ تعظم وتعالى الذي بيده أمر السموات والأرض، وملكه نافذ فيهما ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) لا يعجزه شيء، بل يتصرف في ملكه كيف شاء.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قَدَّر الموت والحياة على الخلق ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أخلصه وأصوبه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القوي الشديد في انتقامه ممن عصاه ﴿الْغَفُورُ﴾ (٢) لمن تاب وأناب إليه.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض كل سماء منفصلة عن الأخرى بينهما خلاء ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ من تناقض ولا تباين ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده وكرره ناظرًا ومعتبرًا ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٣) من شقوق أو من خلل.
- ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ مرتين ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ يرجع إليك ﴿خَاسِتًا﴾ ذليلاً صاغراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤) كليل، منقطع عن رؤية عيب أو خلل.
- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ جمَّلناها ﴿بِمَصَاحِبَ﴾ نجوم ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي النجوم ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ يُرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للشياطين في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ (٥) عذاب النار.
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ يوم القيامة ﴿وَيُسَرُّ الْمَصِيرُ﴾ (٦) بس المال والمنقلب ﴿إِذَا الْقُؤُوفُ فِيهَا﴾ إذا طُرح أهل الكفر في نار جهنم ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ لجنَّهم ﴿شَهيقًا﴾ صياحاً ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ (٧) تغلي غليان القدر بالماء.



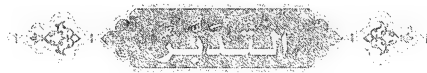
• ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ تكاد تتقطّع وينفصل بعضها عن بعض من شدة غيظها على الكفار ﴿كَلَّمَ الْأَلْفِي فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الناس ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿نَذِيرٌ﴾ (٨) يخوفكم ويحذركم هذه العاقبة.

• ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ رسول من عند الله تعالى ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ بذلك النذير ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ من أمور الغيب عليكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٩) من كلام أهل النار لرسولهم ومن ينذروهم أن ما جاؤوا به سوى الضلال والبهتان.

• ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ لو كنا نسمع سمع من يعي أو نعقل عقل من يميّز وينظر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٠) من أهل النار.

• ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ الذي استحقوا به هذا الوعيد ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١١) بعداً لهم من رحمة الله تعالى.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يخافونه وهم لم يروه ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ ستر لذنوبهم وعفو عنها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) ثواب وجزاء عظيم.



١ - ما أحوج القلوب إلى التعرف على الله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) وإذا كان كل شيء في يده، وتحت قبضته وتصرفه فما يصنع العبيد بالتوجه إلى غيره وسؤال سواه!



٢ - بناء التصورات أصل في سلامة الطريق، وكم من سائر في ظلام الليل لا يهتدي لطريقه فضلاً أن يصل إلى مناه! ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومن أعطى هذا المعنى حقه أبصر أكثر الحقائق أثراً في واقعه.

٣ - بناء العقائد في النفوس كفيل بوصولها إلى غاياتها، ماذا لو دفع المصلحون والمربون، وصنَّاع المشاريع لهذا المعنى جل أوقاتهم! ومن عرف قدر العقائد في النفوس انشغل بها عن كثير من الجهود التي تصرف في غير طائل ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٤ - ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحقيقة التي تلقي بالأوهام، والشبهات، والشهوات كالجثث الميتة على قارعة الطريق.

٥ - العبرة في كل مخلوق بغاياته، ومقاصده، والحكم منه، وهذه الحياة التي تراها تملأ الأفق في كل شيء، وهذا الموت الذي يطارد كل مخلوق إنما هو لغاية إحسان العمل والجزاء والحساب عليه يوم القيامة ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

٦ - إحسان العمل والعناية به، والانشغال بقبوله مقصد عظيم يأتي قبل الانشغال بعده والمكاثرة فيه، وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى هذا المعنى فقال: ومن العابدين أناس توفرت همهم على استكثارهم من الحسنات دون مطالعة عيب النفس والعمل، والتفتيش على دسائسها، ويحملهم على استكثارها رؤيتها والإعجاب بها، ولو تفرغوا لتفتيشها ومحاسبة النفس عليها، والتمييز بين ما فيها من الحظ والحق لشغلهم ذلك عن استكثارها، ولأجل هذا كان عمل العابد القليل المراقبة لعمله خفيفاً عليه، فيستكثر منه، ويصير بمنزلة العادة، فإذا أخذ نفسه بتخليصها من الشوائب، وتنقيتها من الكدر، وما في ذلك من شوك الرياء وجد لعمله ثقلاً كالجبال وقل في عينه، ولكن إذا وجد حلاوته سهل عليه حمل أثقاله، والقيام



بأعبائه، والتلذذ والتنعيم به مع ثقله، وإذا أردت فهم هذا القدر كما ينبغي فانظر وقت أخذك في القراءة إذا أعرضت عن واجبها وتدبرها وتعقلها وفهم ما أريد بكل آية، وحظك من الخطاب بها، وتنزيلها على أدواء قلبك والتقيد بها كيف تدرك الختمة، أو أكثرها أو ما قرأت منها بسهولة وخفة مستكثراً من القراءة، فإذا ألزمت نفسك التدبر ومعرفة المراد، والنظر إلى ما يخصك منه والتعبد به، وتنزيل دوائه على أدواء قلبك، والاستشفاء به لم تكد تجوز السورة أو الآية إلى غيرها. وكذلك إذا جمعت قلبك كله على ركعتين أعطيتهما ما تقدر عليه من الحضور والخشوع والمراقبة لم تكد تصلي غيرهما إلا بجهد، فإذا خلا القلب من ذلك عددت الركعات بلا حساب، فالاستثكار من الطاعات دون مراعاة آفاتنا وعيوبها دليل على قلة الفقه. وقد يرى فاعلها أن له حقاً على الله في مجازاته على تلك الحسنات بالجنات والنعيم والرضوان، ولهذا كثرت في عينه مع غفلته عن أعماله لا يدري أنه لا ينجو أحد البتة من النار إلا بعفو الله ورحمته. ولا ريب أن مجرد القيام بأعمال الجوارح من غير حضور ولا مراقبة، ولا إقبال على الله قليل المنفعة دنیا وآخره، كثر المؤنة فهو كالعمل على غير متابعة الأمر والإخلاص للمعبود، فإنه - وإن كثر - متعب غير مفيد، فهكذا العمل الخارجي القشوري بمنزلة النخالة كثيرة المنظر قليلة الفائدة، فإن الله لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، وهكذا ينبغي أن يكون سائر الأعمال التي يؤمر بالحضور فيها والخشوع كالطواف وأعمال المناسك ونحوها. ولكن أحب العباد إلى الله الذين يستكثرون من الصالحات مع مراقبة لها، فقد ندب الله تعالى إلى ذلك فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَمُّونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨] وقال ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة» والدين كله استكثار من الطاعات، وأحب الخلق إليه أعظمهم استكثاراً منها. وفي الحديث الإلهي: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. اهـ



٧ - ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ لا تجري في العمل الصالح فحسب، وإنما في كل أصل مباح، ولو أن كل عاقل ألزم نفسه حسن العمل لبلغ غايته من أقصر الطرق. كم من مكائثر في المال، والولد، والصحبة، والعلم، والجاه، والسلطان على حساب ذلك المقصود العظيم!

٨ - إذا أردت أن تلمح شيئاً من مواطن الإبداع فيمكنك أن ترقب السماء أقرب المشاهد والصور إلى بصرك لترى تلك الحقيقة تملأ قلبك ومشاعرك بامعان ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾.

٩ - الذين لم يسمعوا بالوحي إن كانوا صادقين في السؤال، متحررين من الأوهام جادين في إِبصار الحقائق سيخرون ساجدين مؤمنين بمجرد النظر للسماء ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ من أكثر الحقائق دهشة أقربها للنظر صورة!

١٠ - ما أكثر الفرص التي عرضت لهؤلاء! وما أكثر إعراضهم عنها وقت الإمكان! ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٦﴾ إِذَا الْفُؤَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهَىٰ تَقُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوهَا حَزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾.

١١ - كم مرة عرضت عليه الحقيقة، وكثرت شواهدا التي يراها في الواقع وظل متردداً في تصحيح منهج، أو موقف، أو فكرة، أو مفهوم وتصور حتى فات أوان التصحيح ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١١﴾ وما يغني الاعتراف بعد ذهاب موطنه!



١٢ - التماذي في الضلال مع قيام الحجج موجب لزيادة العذاب ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ أَلْفَيْطٍ ﴾.

١٣ - حين تختل الموازين الحاكمة على الأحداث تختل نتائجها في النهايات ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ (٩) لم يكتفوا بتكذيبهم وإنما حكموا بأنهم في ضلال كبير، وخلل الموازين موجب لسوء النهايات.

١٤ - الحضارة الكبرى لا تصنعها لبنة بناء، أو سكة حديد، أو نفق في جبال، يصنعها الفقه بحق الله تعالى، والقيام بواجبه في الأرض. وعاد صنّاع الحضارة يعترفون أنهم أكثر الناس سذاجة وأقلهم حظاً في التفكير ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾.

١٥ - العلم المعرفي المجرد لا يهدي صاحبه للحقائق الكبرى. ما لم يقف القلب بمشاعره على مقاصد كل علم لا يمكن أن يصنع لصاحبه شيئاً من مباحج الحياة ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾ وكم من صانع للحضارة يصحح للخلق في مواقف القيامة جزءاً من الأوهام العارضة!

١٦ - ما أكثرهم أولئك الذين يعترفون بالحقائق في مواقف العرصات ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾ كم من حقائق قامت كالشمس في رابعة النهار لم يلقوا لها بالاً، وفي النهاية عادوا يلومون تلك الأيام الخوالي! رأيتهم يتبعون كل ناعق، ويتعلقون بكل شبهة، ويديلون على الدين بكل قضية وها هم يرددون عند معاينة الخسارة ﴿ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾.



١٧ - كم من صاحب علم وقلم وبيان سيأتي يوم القيامة معترفاً بالخذلان! ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ ﴿ ما أحوج المتكثرين بعلمهم والواقين من عقولهم، والمطمئنين لسيرهم إلى حساب عوائد الذل في ذلك اليوم.

١٨ - كما أن تسييب العقل لا يخرج صاحبه من المسؤولية فكذلك الاعتداد به حتى يصبح خصماً للحقائق لا ينجيه ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ ﴿ ما أكثر ما رأيتهم يخاصمون الحقائق لأن عقولهم لم تقبلها وها هم يعترفون بالخسائر بعد الفوات!

١٩ - ما أكثر المتحسرين بـ ﴿لَوْ﴾ بعد الفوات في الدنيا! وما أكثر المتحسرين بها في مواقف العرصات..! ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ ﴿.

٢٠ - ﴿لَوْ﴾ ملاذ الفارغين، والقاعدين، ومضيعي الفرص ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ ﴿.

٢١ - مجرد سماعك لا يدلك على الحق، كم من سامع للحقائق لم يدركها إلا بعد الفوات! ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ١٠ ﴿.

٢٢ - على قدر إجلالك لربك، وتعظيمك لشعائره تجد الحياة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ١٢ ﴿.

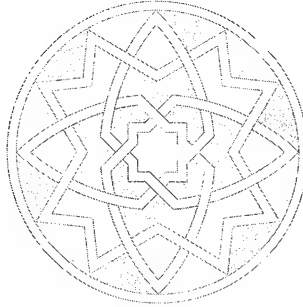
٢٣ - أورد السر، وخبايا الصالحات موجبة لغفران الذنوب وتحصيل الأجور، واشوقاه للحظات الإخلاص التي لا تراها عين! ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ١٢ ﴿.

٢٤ - حين تدخل خندقاً مظلماً، أو تستأجر فندقاً لوحده، أو تسافر بمفردك، أو حتى تحكم باب غرفتك فتلك اللحظات فقط هي التي تعرف بك، وتبين عن



شخصيتك وأنت لحظتها على مفترق طريقين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾.

٢٥ - كم من خلوات أفضت بأصحابها إلى الفضائح في الدارين! وفي الحديث «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالٍ تَهَامَةٌ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ ^{عَلَيْهِ} هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ تَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلَّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».





وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ
 مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
 ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ
 مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ
 مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾
 وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
 فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
 بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ
 الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ
 بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ
 يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾



التفسير

- ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ سواء أخفيتم كلامكم أو أعلنتموه فلا يغيب عن علم الله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ بما فيها من النيات والإرادات.
- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ من خلق الخلق وقدر عليه كيف لا يعلم سره وجهره ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ الذي لطف صنعه وحكمته ودق حتى عجزت عنه الأفهام ﴿الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها.
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة لينة منبسطة ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ طرقها وأطرافها وجوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ ما تفضل به عليكم وبثّه لكم في هذه الأرض ﴿وَالِيهِ النُّشُورُ﴾ ﴿١٥﴾ المرجع والمآب يوم القيامة.
- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ﴾ أي الله تعالى ﴿أَنْ يَخْفِيفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ يذهب بكم فيها ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١٦﴾ تتحرك وتضطرب.
- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ﴾ أي الله تعالى ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً فيها حصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ ﴿١٧﴾ كيف يكون إنذاري وعاقبة من تخلف عنه.
- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم السابقة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿١٨﴾ فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم.
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتٍ﴾ لأجنحتهن ﴿وَيَقِصْنَ﴾ أجنحتهن ﴿مَا يُمَسِكُهُنَّ﴾ عند القبض والبسط ﴿إِلَّا الرِّجْمُ﴾ القادر على



ذلك ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ بما يصلح كل شيء من مخلوقاته تعالى.

• ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾ حزب لكم ومنعة ﴿يَضْرُكُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ يدفع عنكم ما أراد الله بكم في حال العصيان ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿٢٠﴾ عن الله تعالى إما لظنهم أن أربابهم تملك ضرهم ونفعهم أو أنها تقربهم إلى الله تعالى زلفى.

• ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ من هذا الذي يمد بالنعم والأرزاق إن أمسك الله تعالى عنكم نعمه ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ استمروا ﴿فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ ﴿٢١﴾ طغيان وإدبار عن الحق.

• ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى للكافر فمثله كمثل من يمشي على وجهه، كالحائر التائه الذي لا يدري أين يسلك ﴿أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن فهو يمشي منتصب القائمة على طريق واضح بين.

• ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أمدكم بأدوات الإدراك والفهم ﴿فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ قل ما تؤدون شكر هذه النعم العظيمة.

• ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بثكم ونشركم في أقطارها وأرجائها ﴿وَالَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ تجمعون بعد هذا التفرق والشتات.

• ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ متى يقع هذا الجمع الذي يحصل بعد التفرق؟!

• ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الله تعالى هو أعلم وحده بذلك دون غيره ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٦﴾ مبلغ عن الله تعالى.



التدبر

١ - مهما بلغ إسرارك بسريرتك لن تفلت من رقابة ربك ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) حتى الذي يدور في عمق صدرك ويختلج في مشاعرك مفصوح مكشوف لربك فلا تغتر.

٢ - جميلة روايات الحب، والعفاف، والصدق، والإخاء التي يسردها لسانك في محافل الآخرين غير أن ما تخفيه في صدرك، وما ينطوي عليه سرك من الحقائق أبلغ موقعا وأكثر إثارة ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣).

٣ - ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) جرس يثير تصرفاتنا الغافلة، ويدق مشاعرنا للالتفات نحو هذا المعنى الكبير. ما أحوجنا لقراءته والإمعان فيه!

٤ - إذا صلح عملك، وصفت سريرتك فانتظر مباحج لطف الله تعالى في حياتك ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) كم من باب مقفل، وطريق مغلق، ومشكلة متعسرة، وتوفيق متوقف أفاض عليها لطف الله تعالى مباحجه فتحولت حياتك إلى جنان!

٥ - ارفق بنفسك في خطو الدنيا فما أنت نائل غير ما كتب لك ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥).

٦ - العاجلة لا تستحق منك غير المشي ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) والسباق والسعي إنما يكون في غايات الآخرة.

٧ - النهايات وقف على سلوك الطريق ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ وعناق الأمانى على قدر هذا المعنى في حياة كل إنسان.

٨ - حتى الذي تتعب فيه، وتجهد في بلوغه، وتصل إليه في النهاية هو رزق ربك لك فلا تغتر بمواهبك وإمكاناتك ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ ليس من عرقك ولا من جهدك.

٩ - من توفيق الله تعالى لإنسان أن تصحبه الغايات الكبرى في كل طريق ﴿وَالْيُشُورُ﴾ حافطة للمسار من الانحراف.

١٠ - الأمن من مكر الله تعالى عقوبة يضرب الله تعالى بها قلوب الغافلين ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١٧) ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨).

١١ - لا قيمة للتاريخ إذا لم يُقرأ للعظات والعبر ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨).

١٢ - أي أمة يُحتفل فيها بتاريخ (أين، ومتى) على حساب (كيف) سيطول أمد نجاحها في الواقع ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨).

١٣ - (كيف) في قراءة كل حدث تصنع فارقاً في التجربة وتقرب لأصحابها نهايات الطريق ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨).

١٤ - أيًا كانت التجارب التي يسوقها التاريخ فهي كفيلة بتقريب مسافات النجاح ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨).

١٥ - إذا ضاقت عليك الطرق، وانسدت أمامك أبواب التوفيق، واحتجت إلى نصير يعينك فاملاً قلبك ثقة بربك، واقرع باب الأمل إليه طويلاً تصل من ذلك إلى أمانيك ﴿أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠).



١٦ - لا تقلق على تأخر وظيفتك، أو سداد أبواب رزقك، أو فصلك من عملك فربك أقدر على كل شيء ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُوا فِي عُتُورٍ وَنُفُورٍ﴾ (٢١) حتى الذين يمسكون بأفواه الخزائن لا يملكون منها شيئاً إلا بإذن الرزاق العليم.

١٧ - ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ قطع لأسباب الرجاء في كل مخلوق أياً كانت منزلته وكبير أثره.

١٨ - حُرَّاس الخزائن في الأرض إنما يتصرفون على إذن مالکها في السماء ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾.

١٩ - الاستواء على الأرض فرع عن الاستعلاء بالحق ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢).

٢٠ - كل من لم يبصر حقيقة هذا الدين فهو كالمكبوب الذي لا يبصر إلا ما تحت قدميه ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢).

٢١ - لا يغرك استواء ظاهري تراه في جسد معرض عن الحق فهو لا يبصر من الحقيقة شيئاً ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢).

٢٢ - أقبح الصور تلك التي يعارض فيها الإنسان دين الله تعالى بنعمه التي منحه إياها ووهبها له ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾.



فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ
رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

التفسير

- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ رأوا العذاب ﴿زُلْفَةً﴾ قريباً ﴿سَيِّتَ وُجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اسودت وبدت عليها الكآبة والذلة ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ تستعجلون.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ﴾ بموت أو قتل كما تتمنون ذلك وتتربصون به ﴿وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأجيل آجالنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٨﴾ من ينجيهم من العذاب المؤلم الذي ينزله الله تعالى بهم يوم القيامة.
- ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ﴾ وحده فلا نشرك به شيئاً ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في جميع أمورنا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢٩﴾ نحن أم أنتم.
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ ذاهباً وغائراً في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ من يستطيع أن يأتيكم بماء كثير جار على وجه الأرض غير الله تعالى.



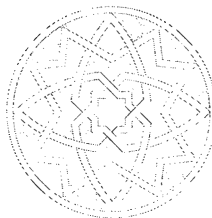
التفسير

١ - حين تأتي الحقائق متأخرة فيرى الإنسان ما لم يكن له في الحساب ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾ (٢٧) كانوا يقرؤنه ويسمعون به فإذا هم وإياه وجهاً لوجه.

٢ - ضبابية الرؤية مفضية للضياع ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾ (٢٧) ومن لم يعرف طريقه بوضوح يبلغ هذا الضياع بإمعان.

٣ - القضية أكبر من الانتصارات الشخصية التي يتخيلها كثيرون ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٩) ليست القضية هلك هذا النبي أو بقي، القضية كيف تصلون من خلال الحقائق إلى النجاة من مواقف العذاب!

٤ - ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (٣٠) رسالة في دفع عمى القلوب والأبصار عن الحقائق. الماء الذي لا تستطيعون الحياة إلا به ماذا لو غار في الأرض؟! ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾.



سُورَةُ الْقَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنْ لَكَ
لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ
وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ
عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا
لَوْ يُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ
مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ
﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيُنَا قَالَ
أَسْطُرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

التفسير

- ﴿تَ﴾ حرف من الحروف المقطعة التي تدل على إعجاز القرآن
- ﴿وَالْقَلَمِ﴾ جنس القلم الذي يكتب به ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾ وما يكتبه الناس بالقلم من العلوم.



- ﴿مَا أَنْتَ بِغَمَّةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ لست بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك.
- ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا ۝٣﴾ ثواباً على إبلاغك لرسالة ربك إلى الخلق ﴿عَبْرَ مَمْنُونٍ ۝٤﴾ غير مقطوع.
- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٥﴾ تزكیه لنبي الله ﷺ برفع الأخلاق وحميد الفعال.
- ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٦﴾ فستعلم يا رسول الله وسيعلم مخالفوك.
- ﴿يَأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ ۝٧﴾ أيكم الضال عن الحق المفتون بالباطل.
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۝٨﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٩﴾.
- إن الله تعالى يعلم الضال من المهتدي ﷺ ﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ ۝١٠﴾ نهي للنبي ﷺ عن ممايلة المشركين حين كانوا يدعونه إلى الكف عنهم.
- ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝١١﴾ ودوا لو ركنت إليهم وتركت الحق الذي معك، فيلينون لك في عبادة إلهك.
- ﴿وَلَا تَطْعَمُ كُلَّ حَلَاظٍ ۝١٢﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَهِينٍ ۝١٣﴾ حقير في رأيه وتميزه وذلك لأنه يحلف كاذباً.
- ﴿هَمَازٍ ۝١٤﴾ مغتاب للناس يأكل لحومهم ﴿مَشَاءٍ بَنِيمٍ ۝١٥﴾ يمشي بين الناس بالنميمة.
- ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ ۝١٦﴾ بخيل بالمال، ضنين به عن الحقوق المتعلقة به ﴿مُعْتَدٍ ۝١٧﴾ على الخلق يظلمهم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ﴿أَشِيمٍ ۝١٨﴾ كثير الآثام والذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى.

• ﴿عُتِلَ﴾ غليظ جافٍ غير منقادٍ للحق ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ مع ذلك والمعنى أنه مع العتل هو كذلك ﴿زَنِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾ دعي في القوم ملصق بهم وليس منهم.

• ﴿أَنَّكَ إِذَا كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ﴿١٤﴾ لأجل كثرة ماله وولده طغى واستكبر عن الحق.

• ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ إذا تقرأ عليه آيات كتابنا ﴿قَالَ كَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٥﴾ هذا مما كتبه الأولون استهزاءً به وإنكاراً أن يكون من عند الله تعالى.

التدبير

١ - كل من أراد أن يكتب حظه من التاريخ فعليه بقرع أبواب العلم، وفتح نوافذه فإنه رأس الأمر وأوله وآخره، وهذا القسم به في بداية السورة إشارة إلى ذلك الأثر الذي يحدثه في مساحات الواقع الذي يكون فيه ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾.

٢ - كل المؤثرين في الواقع هم جزء من ميراث العلم، وهو وسيلتهم الأولى في صناعة الواقع البهيح في أنفسهم وواقعهم، وَقَلَّ أن ترى مثيراً في مفاهيمه وأفكاره وتصوراتهِ إلا وهو على علاقة كبيرة بهذا المعنى الكبير ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾.

٣ - العلم هو الكفيل ببناء حضارة الأمم، وكتابة تاريخها، وهو السد المنيع أمام ثورات الشبه، وعوائق الطريق ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾.

٤ - أئمن قلم ذاك الذي يبني فضيلة، ويوسّع في بناء القيم، وأشقى قلم ذاك الذي يحارب الحق، ويبني للباطل جدراناً في مساحات الأمة ﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾.



٥ - ما أكثر ما ييني الباطل من جُدر الوهم! رغم اعتراف قريش عن بكرة أبيها بكمال عقل الرسول ﷺ، وأمانته، وصدقه إلا أنهم ألبسوه جداراً من وهم الحقيقة ووصفوه بالجنون خوفاً من أن تبسط الحقيقة واقعها في الأرض ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

٦ - إشاعة الأوهام في الواقع، وتكثير صورها، وإقناع الأمة بها جزء من الحرب التي يخوضها الأعداء في مواجهة مباهج الوحي وحقائقه ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

٧ - الجزاء على قدر العناء! ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ فرق بين تسليية محددة بزمن تنتهي بنهايته، وتسليية مفتوحة الأجل. وإنما ينال الإنسان حظه على قدر عنائه.

٨ - الكبار فقط يحسنون مواجهة التحديات ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ في مواجهة تهم الجنون، والاستصغار! حين يستعلي الإنسان بمنهجه لا يبالي بصور الكيد والكبر التي يصنعها الباطل في الطريق.

٩ - الثبات على الحق في مواجهة كيد الباطل، والصبر على طول الطريق، وإعراض المعرضين، وتزييف الحقائق انتصار، ومواجهة ذلك بالأخلاق العظيمة انتصار أكبر من الأول في معناه وأثمن منه في حقيقته وأجدر منه على البقاء.

١٠ - مهما بلغت أرباح الدعوة في واقع لن تلقى ترحيباً كافياً، وسيظل الباطل غاصاً بها، باحثاً عن فُرَجِها، مثيراً للشبه حولها، ترى هذه الصورة في زمن النبي ﷺ فما بالك بغيره من العصور!



١١ - القدوات تصنع الفوارق! ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤ ليست كلمة تردد، أو شعاراً يرفع، وإنما واقع عملي تطبيقي تأخذ القدوة فيه مداها. ولن يأخذ هذا المعنى حقه حتى تُقرأ سيرته ﷺ بوضوح.

١٢ - الأخلاق جزء كبير من مباحج الإنسان في الحياة، وكلما زاد خلق إنسان ارتفع عن سفساف واقعه، واستطاع أن يناهض باطله، وحرف الجر (على) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤ تفيد الاستعلاء، والقدرة على مواجهة العوارض في شموخ.

١٣ - إذا أردت أن تلحق بركاب الكبار، وتمضي في طريق العز والشرف، وتأتي بكثير من أمانيك فتجمل بالأخلاق تنل حظوظك في الدارين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤.

١٤ - من فتح له في الأخلاق باب فليلزمه فقد يدرك به الجنان! ولولا هذه المكانة الكبرى للأخلاق لما كان هذا الثناء العاطر لنبيه ﷺ بها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤.

١٥ - للحقائق أمد تنكشف فيه وإن طال زمان ذلك الأمد ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ﴾ ٥ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾.

١٦ - الصبر والأمل موردان عذبان لبلوغ النهايات ﴿فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ﴾ ٥ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾.

١٧ - لا يمكن للباطل أن يهادن الحق الذي تحمله ولو كان يحمل له مباحج الدارين ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ وَدُّوا لَوْ يُدْهَنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ إن طاعتك لهم لا تصنع جديداً للدعوة، وإنما تزيدها رهقاً وخسارة في عرض الطريق.



١٨ - ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩ ﴿قطع لرجاء الطامعين من أصحاب الحق في تقريب المسافة بينهم وبين الباطل. إن الباطل لا يمكن أن يأتي إلى منتصف الطريق إلا بعد أن يأخذ في المقابل ذات المساحة أو أكثر.

١٩ - تخاصم هذه الآية ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩ أدعاء التقريب بين الأديان، وتذكرهم أن الحق أكرم وأرفع من أن يتسول الباطل أو يسترضي أصحابه للوفاق على مساحات جديدة من الواقع.

٢٠ - أكثر ما يؤلم الأعداء إعلان الحق، والصدع به، والسعي في تعميم مفاهيمه، ما أكثر ما تأكل قلوبهم الأماني أن لو داهنت معهم في طريق أو لا ينتهم في موضوع ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩.

٢١ - تليين الحقائق، وتشوهات المفاهيم، وضعف التصورات من أعظم المقاصد التي يسعى الباطل إلى توسيع مساحاتها ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩.

٢٢ - التنازل عن بعض الحق أمام الباطل خسارتان في آن واحد، خسارة انحسار بعض مفاهيم الحق، وخسارة أخرى في تمدد الباطل على حساب ذلك الانحسار ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩.

٢٣ - كلما صلب الحق في الطريق، وعلا صوته، وامتدت مساحته رضي الباطل بأقل الحلول ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ٨ ﴿وَدُّوا لَوْ نُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩ وهذا الود، والرجاء، والتمني نتيجة هذا الشموخ، وفي المقابل كلما ضعف صوت الحق، وانحسر واقعه علا صوت الباطل، وامتدت أمانيه، وكم من موقف في واقع اليوم يعرض الحق متسولاً أمام استعلاء الباطل، والله المستعان!

٢٤ - رغم كل حظوظ الهداية الظاهرية وآثارها العاجلة على صاحبها إلا أن ما وقر منها في قلب صاحبها هو المعنى الكبير لأحداثها ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٧.

٢٥ - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٧ دعوة ألا ننشغل بالحكم على الآخرين، أو تصنيفهم فإن ذلك لله تعالى وحده، وليس من شأننا في قليل أو كثير.

٢٦ - فَرَّ مِنْ هَؤُلَاءِ فِرَارَكَ مِنْ أَسَدٍ ضَارٍ، أَوْ مَجْذُومٍ مَرِيضٍ ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ١٠ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ١١ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ١٣ ﴿فَإِنَّ الْإِقْتِرَابَ مِنْهُمْ فُسَادٌ لِدِينِكَ وَخُلُقِكَ﴾.

٢٧ - كما أن الأخلاق الحسنة تدفع بصاحبها إلى منازل الشرفاء كذلك الأخلاق السيئة تهبط بهم إلى درك السافلين والأشقياء ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ١٠ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ١١ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ١٣.

٢٨ - إذا فُقدت الثقة احتاج صاحبها إلى أعوان لجمع شتاتها من جديد ﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ١٠ ﴿لَمْ يَعِدْ هَذَا يَلْقَى تَصَدِيقاً مِمَّنْ حَوْلَهُ فَعَادَ يَكَاثِرُ كُلَّ قَوْلِ بَيْمِينٍ﴾.

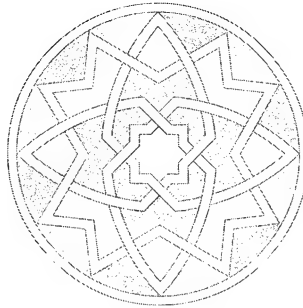
٢٩ - إذا اعتري إنسان نقصاً ظاهراً حاول أن يستره بلفت أنظار الناس إلى عيوب الآخرين ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ ١١ ﴿وَمَا يَصْنَعُ النَّاقِصُ بِكُمْدِ رُوحِهِ وَهِيَ تَرَى الْفَضَائِلَ تَزُورُ عَنْهَا فِي كُلِّ جَانِبٍ!﴾

٣٠ - لا حد لسقوط القيم والفضيلة في حياة صاحبها، وما تزال به حتى يمنع كل خير، ويعتدي على كل فضيلة. ما شأنه وشأن السوءات لولا سوء التوفيق ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ ١٢.



٣١ - أكثر الساقطين في حل الخذلان هم المستكثرون من النعم والخيرات ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ١٤ وهذا في النعم المكتسبة، فما بالك في النعم الذاتية من الإمكانيات والقدرات التي أودعها الله تعالى في كل إنسان..!

٣٢ - ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ١٤ إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ صورة قبيحة للمرتدين على صاحب النعمة وواهبها بالخذلان، وما أكثرها في مثل هذا الزمان! كم من مال، وموهبة، ومكانة، ومسؤولية كانت هبة من ربه تعالى وما زال يكاثر بها في معاصيه.



سَمِعْتُمْ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا
لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَلِنْ
أَعْدَاؤَنَا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَلِنْ
لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ
لَكُمْ لَوْلَا نُسَيْتُكُمْ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يُؤْتِلُنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ
الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ مَا تَخْفُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنْ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ
بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾



التفسير

- ﴿سَنَسِيحُهُ عَلَى الْخَرْطُومِ﴾ ﴿١٦﴾ سننين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم، وقيل سوف نجعل وسمّاً بالسواد على أنفه يوم القيامة.
- ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ﴾ اختبرناهم والمراد كفار قريش ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ كما اختبرنا أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ حلفوا فيما بينهم ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطعن ثمرها ﴿مُصْرِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ عند الصباح.
- ﴿وَلَا يَسْتَتُونَ﴾ ﴿١٨﴾ فيما حلفوا فيه.
- ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ أصابتها آفة سماوية بأمر الله تعالى ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ ﴿٢٠﴾ كالليل الأسود، أو كالزرع إذا حصد ويبس.
- ﴿فَنَادَا مُصْرِمِينَ﴾ ﴿٢١﴾ لما كان الصباح نادى بعضهم بعضاً للذهاب إلى ما حلفوا عليه.
- ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرِّكُمْ﴾ اخرجوا مبكرين إلى ما تواعدتم إليه ﴿إِن كُنْتُمْ صَرِمِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ تريدون قطع تلك الثمار.
- ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ ﴿٢٣﴾ يتناجون بينهم بحيث لا يسمع أحداً كلامهم.
- ﴿أَن لَّا يَدْخُلَتْهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ ﴿٢٤﴾ لا تمكنوا فقيراً يدخلها عليكم فيأخذ منها شيئاً.
- ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ﴾ على جد وجهد وغيظ ﴿قَدَرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ على حصادها فيما يزعمون.



- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ﴾ (٣٦) ﴿لناتھون عنها.
- ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ (٣٧) ﴿بل هذه هي ولكن لا حظ لنا فيها ولا نصيب.
- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أمثلهم وأعقلهم وخيرهم ﴿الْأَوَّلُ لَكُم لَوْلَا تَسْبُحُونَ﴾ لولا تتزھون عما لا يليق بالله تعالى، ومن ذلك ظنكم أن قدرتكم مستقلة ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ تنزيهاً له عن أن يكون ظالماً فيما صنع بجنتنا ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٣٩) ﴿إنما وقع ذلك بسبب ظلمنا للمساكين.
- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ﴾ (٤٠) ﴿يلوم بعضهم بعضاً على ما وقع عليهم من التآمر على حرمان المساكين من حقوقهم.
- ﴿قَالُوا وَيَوْلَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ﴾ (٤١) ﴿متجاوزين في حق الله تعالى، وحق عباده.
- ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾ دعاء منهم أن يبدلهم تعالى خيراً من تلك الجنة التي خسف بها ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٤٢) ﴿مؤملون في العوض والخلف.
- ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ هكذا عذاب من خالف أمر الله تعالى وبخل بما آتاه الله تعالى ﴿وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ﴾ أشق وأقوى وأعظم.
- ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ من جعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٤٤) ﴿بساتين ينعمون فيها نعيماً خالصاً لا يشوبه تنغيص ولا تكدير.
- ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٤٥) ﴿استفهام إنكاري أي أنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟!﴾
- ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٤٦) ﴿كيف تظنون على الله تعالى أنه يجعل المسلمين كالمجرمين يوم القيامة.



- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ أم أن لكم كتاباً وجدتم فيه أن الله تعالى يجعل المسلمين كالمجرمين يوم القيامة!
- ﴿إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْبِرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ أم لكم في ذلك الكتاب ما تتخيرونه من الأحكام.
- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾ أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾
﴿إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون.
- ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ قل لهم: من هو المتضمن المتكفل بهذا.
- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ من الأصنام والأنداد والأعوان فيما يقولون ويصفون من الأمور بزعمهم كقولهم: إن الله تعالى يجعل المسلمين يوم القيامة كالمجرمين ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ فليأتوا بأعوانهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ﴿٤١﴾ برهاناً على صدقهم.
- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ يكشف الله تعالى لهم عن ساقه ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ أن يسجدوا.



١ - النية السيئة كانت كفيلة بحرق جنان تملأ آفاق الأرض ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِئُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ وهي كذلك كفيلة بتبديد خيرات وموارد كثيرة من عوائد الإمكانات من حياة أصحابها. وما أنت آتٍ على عدٍّ صور هذا الحرمان، وكم ممن يملك وقتاً فائضاً، وموهبة كبيرة ولم يتمكن من توظيفها في مشروع! وكم من نية سيئة كتبت على صاحبها الحرمان!



٢ - ما أكثر ما يأتي الحسد على خيراتنا، ويكتب عليها الزوال! ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ۝١٨ ﴾ ما دفعهم لصرمها قبل الفجر إلا دفعاً لطلاب الفضيلة منها عند الضحى! ﴿ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ۝٢٣ ﴾ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝٢٤ ﴾ هذا في زرع مخضر في ساحة أرض، فما بالك بالحسد في نعمة علم، أو مشروع بر! وا سواتاه!

٣ - منع حقوق النعم أوسع الطرق إلى ضياعها! ما أكثر الذين يعتقدون أن منع الصدقة، والبخل بعلمهم، والضيق بجاههم وشفاعتهم تسمين لما عندهم وهي أوسع الطرق لشتاتها، وضعف بركتها، وضمور آثارها، ليتهم يعلمون ما في الإنفاق من خيرات!

٤ - وا شوقاه لصورة هذا المعنى لا حقيقته ﴿ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ ﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ۝٢٢ ﴾ ما أحوج أصحاب المشاريع، وصنّاع الحياة، وحمّال الرايات في الأمة إلى التنادي على مشاريعهم، والتعاون على إيراد الفضيلة مواردها. عازّ يا رواد الفضيلة أن يتنادى أصحاب الباطل في البكور على رذيلة، ولا تنهضون لإفشاء الفضائل وتوسيع مساحاتها في واقع الأرض مع كل بكور.

٥ - مبادرة الفرص، واقتناصها، واستثمار لحظاتها منهج عند أهل الباطل في كل قضية، وإذا لم يبادر أصحاب الحق، وحمّال راياته لاقتناص كل فرصة، وملء كل ساحة بالعمل فإن الخسائر قد تكون مكلفة ﴿ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ ﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ۝٢٢ ﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ۝٢٣ ﴾ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝٢٤ ﴾.

٦ - الاعتراف بالنعم، والشكر عليها، ومد مساحتها وتوسيع دائرة تأثيرها هو أعظم الطرق لدوامها في ساحات صاحبها. ماذا يضير أهل الجنة لو أنهم دفعوا منها واجبها القليل، وتنعموا بباقيها الكثير! ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝١٩ ﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝٢٠ ﴾.



٧ - ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ ليست صورة عارضة في زمن مضى فكم من طائف في الطريق على نعم لم تستوف حقها عند كثيرين..! يا ليتنا ندرك قبل الفوات!

٨ - تعلموا يا قوم وافقّوهوا أن العطاء يوسّع النعم، ويمد في آثارها، ويزيد في قدرها وبركتها، ما لكم ولنيران الحسد، وساحات البخل والشح!

٩ - كم من مشروع عائق فضاء أحلام صاحبه لحسن نية دون كبير عمل! وكم من مشروع بذل صاحبه فيه كل ما يملك لم يبرح شبراً لسوء نية..! ما أكبر أثر النيات في النجاح والإخفاق!

١٠ - إن للعالم رباً يديره! فلا تستثقل همومك، وتوسّع دوائر يأسك، وتزيد مساحات قنوطك، فإن الذي رصد نوايا أصحاب الجنة في سرادق الظلام وبعث لها جنداً في آخره قادر على أن يهبك من الفرج والفتح ما تسعد به في الدارين ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾.

١١ - لشدة شوقهم إلى بلوغ غاياتهم ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ والشوق يبلغ بصاحبه إلى الطريق قبل أوانه! مؤلم أن يجهد صاحب العاجلة في دفع نفسه لبلوغ أمانيه وتتقاصر همم أصحاب الحق والفضيلة عن بلوغ أمانيه!

١٢ - في مرات كثيرة لا نفقه أثر المعصية إلا بعد أن نبلغ عمق الخطيئة ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يبدأ في طريق المخدرات ولا يسمع لأي واعظ حتى تفجؤه سلاسل القيد، ويمضي في ساحات الظلم حتى يقف على نتائج الحرمان. كثيرون يمشون لا يتوقفون إلا عند بلوغ نهايات الخزي والذل والحرمان.

١٣ - لا ينفع إدراك الحقائق بعد الفوات ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾﴾ بل نحن محرومون ﴿٢٧﴾ لم يأت إقرارهم بالحرمان هنا حتى عاينوا النهايات! ومن فقه



الحياة أن يجري الإنسان حساباً لمفاهيمه وأفكاره وتصوراته في الحياة قبل أن يجري حساباً لماله ومقدراته في البنوك.

١٤ - من سمات المفرطين التلاوم بعد الفوات ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ﴾ (٢٠) وما يصنع التلاوم بعد الفوات من شيء! وإنما تتضرع به النفوس لتخفيف ألمها، وتصيرها على وطأة الخطايا التي وقعوا فيها وهيئات!

١٥ - الحلول الجريئة والمواقف الشجاعة لا تقف بأصحابها عند التلاوم، وإنما تدفع بهم إلى الاعتراف والتصحيح فور وقوع الخسارة، أما التلاوم المجرد من لواحق العمل فذاك فن يحسنه كل إنسان.

١٦ - تبلغ الشهوات بأصحابها إلى درجة العمى! ما كان لهؤلاء أن يجتمعوا ويتفقوا، ويتآمروا لولا عمى الشهوات ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾.

١٧ - ما أعجب هذا الإنسان! بالأمس يخطط، ويرتب، ويستوعب كل الطرق لنكران حق الله تعالى ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ واليوم بعد العجز والخسارة يتوجه إلى ربه من جديد ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢).

١٨ - أياً كانت خطيئتك، وأثر معصيتك، وواقع ذنبك لا تنحن لظروفها وتستسلم لواقعها، عُدْ لحصان الأمل فاركه، وتوجه لطريق الفأل فاسلكه، فكم من فوات الخيرات بعد الحرمان! ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢).

١٩ - إذا مات قريبك، أو خسرت شيئاً من مالك، أو لم تبلغ حلمك وأمنيتك فلذ بربك سائلاً متضرعاً وكن على انتظار ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢).



٢٠ - ثمة نفوس إذا خسرت، أو أخفقت حداها الأمل لتعويض تلك الآثار مرتين ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢) ﴿﴾ لم يطلبوا مثلها وإنما طلبوا خيراً منها، وكذلك يصنع الأمل والغال!

٢١ - لا بد في كل أمة من عقلاء يحمونها آثار الغفلة، ويجنبونها عمى الشهوات ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْفَل لَّكُم لَوْلَا تَسْتَحْيُونَ﴾ (٢٨) ﴿﴾ ما أكثر عوائد هذا الأوسط على إخوته لو أطاعوه! فكيف لو كانوا جماعة! وهذا المعنى يجري في كل أسرة، وإدارة، ومجتمع كما يجري في الأمة لا فرق.

٢٢ - من ثقبوب الأزمت تنفتح فواتح الخيرات! وكم من أزمة، ومشكلة، ومصيبة حلّت بصاحبها ثم أعادت توازنه من جديد ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢) ﴿﴾ رأينا في الواقع من استقام حاله بعد حادث، ومن استفاق لموقف، ومن أعاد ترتيب حياته لعارض، وكم من أزمة فتحت أبواباً من أمل!

٢٣ - ادفع بنصيحتك حتى في ضائق الظروف، وضيق المساحات، وقلة المستجيبين تُعذر بها من ربك، وتقيم الحجة على واقعك، وتعيد المعرضين إلى حياض الفضيلة ولو بعد حين ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْفَل لَّكُم لَوْلَا تَسْتَحْيُونَ﴾ (٢٨) ﴿﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩) ﴿﴾.

٢٤ - للشهوات طغيان يعمي عن كل فضيلة ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) ﴿﴾ لم تبين الحقائق لهم حتى زال أثر الطغيان.

٢٥ - ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) ﴿﴾ رسالة ألا نقع في ذات الأخطاء أو نكرر ذات التصرفات! وكل من ساءت نيته، وعزم على تفويت حقوق الله تعالى من مظانها، وسعى في خلاف مراد الله تعالى جرت عليه السنن كما جرت على السابقين لا فرق.

٢٦ - أياً كانت أخطاء الدنيا، وفوات حظوظها من تاريخ إنسان فهي فرصة للإفاقة من جديد، وإذا كان ما يجري في الدنيا قاسياً لهذه الدرجة من الحرمان فما في الآخرة أشد وأقسى ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢).

٢٧ - ﴿لَوْ كُنَّا يَعْلَمُونَ﴾ لا يقصد علماً ظاهرياً فما أكثر من يحسنه ولم يصنع له واقعاً بهيجاً، وإنما العلم الشعوري علم البصيرة بعواقب الأمور ومآلات الأحداث.

٢٨ - الرجاء المفرط سوء ظن بالله تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) وسراب الصحراء لم يرو عطشاً فضلاً أن يهدي ضالاً أو يصحح له الطريق.

٢٩ - فرق بين رجاء على إثر عمل، ورجاء في ساحات تفريط! الأول مركب يحمل صاحبه على الحياء، ويدفع به إلى ساحات العمل، والآخر دثار لخطايا القعود ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦).

٣٠ - تزوير الحقائق، وتشويه المفاهيم، وصناعة التصورات الخاطئة أسلوب يحسنه الشركاء في الباطل، وسوء الظن بالله تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) فرع من تلك الشراكة في الشهوات ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٤١).

٣١ - ما أكثر ما تعرض الفرص، وما أكثر ما تفوت! ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) كم من دعوة لقيها هؤلاء المعرضون في الطريق لم تلق رواجاً في حياتهم كانت مؤذنة لهم في النهاية بمثل هذه العواقب!

٣٢ - لو تخيل المتخلف عن الصلاة، والمضيع لها هذا المشهد الذي سيجري عليه في ساحات القيامة لأفاق إن كان له قلب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢).



خَاشِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ
 ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا
 يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ
 مَغْرِمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
 رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ تَوَلَّى أَنْ
 تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبْذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ
 فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا
 سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

التفسير

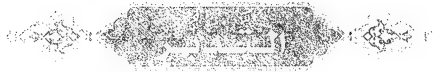
- ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴾ خاضعة وذليلة ومنكسرة ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ تغشاهم ذلة وحسرة وندامة شديدة ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ في الدنيا ﴿ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾ معافون أصحاء.
- ﴿ فَذَرْنِي ﴾ دعني وإياهم وخل بيني وبينهم ﴿ وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ القرآن ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ أن هذا نوع من الاستدراج وإنما يعتقدون أنه إكرام ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ﴾ أمهلهم وأؤخرهم وأمدهم.



- ﴿إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥ ﴿عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي﴾ ٤٦ ﴿أَمْ تَسْتَأْجِرُهُمْ أَجْرًا﴾ هل تطلب منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمان؟!
 - ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ ٤٦ ﴿من غرم ذلك الأجر مثقلون، والمغرم الغرامة والمعنى أي لم يطلب منهم على الهداية والتعليم أجراً فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان.
 - ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن ﴿فَهُمْ يَكُفِّرُونَ﴾ ٤٧ ﴿من ما فيه ويجادلونك به، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به. وهو استفهام بمعنى الإنكار.
 - ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ اصبر يا رسول الله على قضاء الله تعالى وقدره في القيام بواجب الدعوة والبلاغ والصبر على الأذى في مقابل ذلك.
 - ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ ذو النون هو يونس بن متى ﷺ، لا تكن مثله في الغضب والضجر، وملخص قصته أن الله تعالى أرسله إلى أهل قرية قيل هي نينوى بالموصل، فاستبطأ إيمانهم وشق عليه تأخيرهم فتركهم مغاضباً، حتى ذهب إلى شاطئ البحر ثم ركب سفينة مع قوم فلما كانوا في وسط البحر ثقلت السفينة وتعرضت للغرق، فأقروا بين الركاب للتخفف من واحد منهم لتخف السفينة فكانت القرعة عليه فألقوه في اليم فابتلعه الحوت.
 - ﴿إِذَا نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ٤٨ ﴿مملوء غيظاً وغماً وكرهاً، والنهي عن التشبه به في السبب الذي أفضى به إلى هذه المناداة وهي مغاضبته التي أفضت به إلى حبسه في بطن الحوت وشدة ذلك عليه.



- ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ رَعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ وهي توفيقه للتوبة، فتاب الله تعالى عليه ﴿لَنُنْذِرَ بِالْعُرَى﴾ لألقي من بطن الحوت على وجه الفضاء الخالي ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ ٤٩﴾ على ضجره وعجلته وعدم صبره.
- ﴿فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ﴾ استخلصه واصطفاه واختاره ونقاه من كل كدر لحقه من ذلك ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ٥٠﴾ الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم وجميع أحوالهم.
- ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ ليعينونك بأبصارهم ويحسدونك لبغضهم إياك من شدة تحديقهم إليك لولا وقاية الله تعالى لك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ عند سماعهم للقرآن منك.
- ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٥١﴾ يلمزونه ﷺ بالجنون.
- ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٥٢﴾ ذكرى وعظة للعالمين على وجه العموم.



- ١ - التخلف عن الصلاة مؤذن بأسوأ حالات الفشل والإخفاق في الدار الآخرة ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ٤٣﴾.
- ٢ - إذا رأيت نعم الله تعالى عليه باسطة وهو يعصيه، فذلك استدراج ليوم الحسرات ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٤﴾ وأُمِّلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ٤٥﴾.

٣ - متى يفيق الجاهل الذي يقرأ قوله تعالى: ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥؟ وما زال يتمادى في صور كثيرة! وما التخلف عن الصلاة، وبيعات الربا، وأكل حقوق الآخرين إلّا بعض صور ذلك الجهل. يا قوم هذا حادي القرآن فمتى نفيق؟!

٤ - لا تبرّم من ناصح زجرک، أو شدد عليك في الموعظة، أو واجهک بحقيقة أمرک فتلك رحمة ساقها الله تعالى إليك ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥ ﴿ما كان لله تعالى وهو القوي العزيز أن يتهدد بعضاً من خلقه وهم أحقر من ذلك بكثير إلا من فيض رحمته عليهم أن يعودوا قبل الفوات.

٥ - كل نعمة ألبس الله تعالى بها إنساناً ولم يستعملها في طاعته فهي استدراج يخشى على صاحبها من عواقب الحرمان ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥.

٦ - ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٤ ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٤٥ ﴿رسالة تبعث الطمأنينة، وتسكّن روع المجتهدين الخائفين تؤكّد أن الدين لله تعالى، وأنه هو الذي يدير الخصومة والمعركة الكبرى مع المعارضين في النهاية.

٧ - ليس من شأن الكبار أخذ مقابل على الدعوة! إن الرسالة أكبر من أن يتقاضى الداعية على شيء منها، وأعظم من أن يتسوّل الناس على بلاغها، وما يصنع هؤلاء الدعاة بحجج المعتذرين غداً أن الدعوة لم تبلغهم لأن تكاليفها شاقة ولم يتمكنوا من سماعها. لقد كان شعار الكبار وما يزال ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُنِي لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].



٨ - ليس مثل الصبر شيء يعين صاحبه على بلوغ نهايته، ويأتي منه على ما يريد ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨).

٩ - لواعج الشوق، وحوادث الكرب، وضعف الحول والطول معجلات بحوادث التوفيق ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) إذ نادى وهو مَكْظُومٌ ﴿نداء الحاجة، واضطرار العبد، وكمال افتقاره إلى ربه لا تدني مطلوبه، أو تعجل بفرجه فحسب، وإنما تأتي بأمانيه كما يريد.

١٠ - ما أكثر عوائد العقائد على أصحابها! كم من ظن لصاحب حاجة بربه زف الخيرات بين يديه كما يريد ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨).

١١ - التجارب الحية أعظم ما يعين على بلوغ الغايات! ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (٤٨) وكم من تجربة اختصرت الطريق على صاحبها، وقربت آمال السائرين!

١٢ - كن على ثقة بأن ما سطر في قدرك آتيك ولو في زمان المحن ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤٩) فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ، مِّنَ الصَّالِحِينَ (٥٠).

١٣ - كم من نعمة لله تعالى على إنسان سترت قبيحاً، وأدركت شقاء قبل أوانه فأبدلته بالخيرات ﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُكُمْ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ (٤٩) ما أحوجنا لفقه خيرات الله تعالى علينا!

١٤ - ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ في خلاف الأولى فكيف لو كان في مخالفة ظاهرة ومعصية على وعي!

١٥ - ﴿فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ، مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٥٠) دعوة ألا تقف العثرات في طريقنا مهما بلغ شأنها وعظم قبحها واتسعت آثارها!

١٦ - تحصنوا يا أيها الدعاة، يا أصحاب المواهب، يا من تواجهون الناس في كل حين فكم من عين تسارقكم ذلك النعيم! هذا نبي الله تعالى كادت تزلقه أعين الحاسدين، فكيف بغيره من العالمين! ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ٥١﴾.

١٧ - الدعوة عالمية لا حدود لها، وهي وإن ولدت في مكة، وشبت في الجزيرة فهي آتية على العالمين في كل أرض ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٥٢﴾.





سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ
وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَمَا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاعِنَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا
عَادُ فَأَهْلِكُوا بِيرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ
سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

التفسير

- ﴿الْحَاقَّةُ﴾ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ الحاقة من أسماء يوم القيامة، وهي من حق الشيء، إذا ثبت وقوعه، سميت بذلك لأن الأمور تحقق فيها.
- ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ ﴿٣﴾ تفخيم وتهويل وتعظيم لأمرها.
- ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ﴾ سكان الحجر الذين أرسل إليهم صالح عليه السلام ﴿وَعَادُ﴾ سكان حضرموت الذين أرسل إليهم هود عليه السلام ﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ ﴿٤﴾ بيوم القيامة، وسميت بذلك لأنها تفرع الناس بأهوالها.

- ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥﴾ الصيحة العظيمة التي قطعت قلوبهم فأصبحوا موتى.
- ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ٦﴾ باردة ﴿عَاتِيَةٍ ٦﴾ شديدة الهبوب.
- ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ٧﴾ سَلَطَهَا عَلَيْهِمْ ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ ٨﴾ أرسلها عليهم طيلة هذه المدة مستمرة لا تنقطع ولا تهدأ ﴿حُسُومًا ٩﴾ متتابعة لا تفتتر ولا تنقطع، وقيل قاطعة قطعت دابرهم وحسمت أمرهم ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا ١٠﴾ في تلك الأيام والليالي أو في تلك الديار ﴿صَرَعَى ١١﴾ هلكى ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ ١٢﴾ كأنهم جذوع نخل قطعت رؤوسها ﴿خَاوِيَةٍ ١٣﴾ خربة بالية.
- ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ١٤﴾ هل ترى من بقايا لهم بعد ذلك العذاب.

التدبير

١- من أكثر حالات الشقاء في التاريخ تلك التي كانت نتيجة للاستكبار عن الحق، والتكذيب بوعيد الله تعالى في الدارين ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ١٥﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعَى ٧ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتِ كُرًى فِي الْجَارِيَةِ ١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ نَذِيرَةً وَنَبِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ١٢.

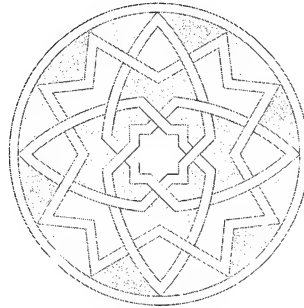
٢- لا يصنع التاريخ فرقاً في واقع قرائه إلا حين يقرأ للعظة والعبرة! كم من قارئ لقصاص الغابرين لم تنفعه في شيء ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ نَذِيرَةً وَنَبِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ١٣﴾.



٣ - إذا أراد الله تعالى بواقع سوءاً لم يحفل بما يخلفه عذابه على المعرضين ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ ٨.

٤ - سنن الله تعالى جارية على الظالمين، والمكابرين، والمعاندين أن لهم ساعة إذا حانت أتت على كل شيء دون استثناء ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ ٨.

٥ - الجزاء من جنس العمل، يكفي ثمود لحظة واحدة تأتي فيها صيحة تخطف قلوبهم وتصم آذانهم وتقضي على كل شيء، وعاد تجري عليهم الريح سبعة أيام ولا تغادرهم حتى تجعلهم كجذوع النخل في عرض الطريق ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ ٤ ﴿فَأَمَّا ثُمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ ٥ ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ٦ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ ٧.





وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ
رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ
نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
فِيَوْمٍ ذُو قَعَتٍ الْوَارِقَةُ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ
﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حَسِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيَّتَنِي لَمْ أَتُكِبْ
﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ بَلَيَّتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى
عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٍ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ
صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾



التفسير

- ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ ممن سبقه من الأمم الكافرة ﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾ قرى قوم لوط، وإنما سميت مؤتفكات لأنها اتفتكت بهم أي انقلبت ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ ﴿٩﴾ بالأفعال الخاطئة من الكفر والتكذيب.
- ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ فعصت كل أمة من هذه الأمم رسول الله تعالى الذي أرسل إليها ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ الله جميعاً ﴿أَخَذَ رَابِعَةً﴾ ﴿١٠﴾ شديدة عظيمة زائدة على الحد والمقدار الذي يحصل به هلاكهم.
- ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ تجاوز حده في الارتفاع والعلو، وذلك زمان نوح عليه السلام ﴿حَمَلَتْكُمْ فِي الطَّارِيَةِ﴾ ﴿١١﴾ السفينة التي تجري على وجه الماء، وهذا امتنان من الله تعالى عليهم حين كانوا في صلب آبائهم وأمهاتهم حين ذلك الطوفان.
- ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرة وآية تذكرون بها صدق وعد الله تعالى في نصر رسله وإهلاك أعدائه، وذلك ببقاء جنسها في الأرض ﴿وَنَعِيًّا﴾ تحفظها وتفهمها ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ﴿١٢﴾ عقلت عن الله تعالى أمره وانتفعت بما سمعت من كتاب الله تعالى.
- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣﴾ وهي النفخة الأولى، فلا يبقى أحد إلا مات.
- ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ رفعت من أماكنها وقلعت من مقارها ﴿فَدُكِّنَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿١٤﴾ فتننا وسوي جميعهما.
- ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿١٥﴾ قامت القيامة ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ تصدعت.



- ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦﴾ ضعيفة مسترخية.
- ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۝﴾ على جوانبها وأطرافها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ ۝﴾ فوق الملائكة الذين هم على أرجائها ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۝١٧﴾ يحمل العرش ثمانية من الملائكة.
- ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ۝﴾ يُعرض العباد للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ لا يخفى على الله ﷻ من ذواتكم أو أقوالكم وأعمالكم خافية مهما كانت.
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝﴾ أعطي كتابه الذي كتبه الحفظه بيمينه علامة على فوزه ﴿فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَوْفَىٰ أُكْتِبِيهِ ۝١٩﴾ خذوا كتابي فاقرووه ابتهاجاً وسروراً بما فيه من النجاة.
- ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ۝٢٠﴾ كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة.
- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١﴾ مرضية جامعة لما تشتهيهِ الأنفس.
- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾ رفيعة القصور.
- ﴿فُتُوفُهَا دَٰئِمَةً ۝٢٣﴾ قريبة يتناولها أحدهم وهو قاعد ومضطجع على سريره.
- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا ۝﴾ يقال لهم ذلك في ذلك اليوم ﴿هَنِيئًا ۝﴾ لا تكدير فيه ولا تنغيص ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۝﴾ بيده الشمال ﴿فَيَقُولُ ۝﴾ حزناً وكرهاً لِمَا رَأَىٰ سيئاته ﴿يَلَيْتَنِي لَأَوْتَىٰ كِتَابِيَةَ ۝٢٥﴾ لم أعطه.



- ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ﴾ (٣٦) ﴿وَلَمْ أَعْرِفْ حِسَابِي﴾.
- ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٣٧) ﴿الموتة الأولى﴾.
- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ (٣٨) ﴿لم يدفع عني المال شيئاً من عذاب الله تعالى﴾.
- ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ (٣٩) ﴿ذهب واضمحل فلم ينفع من ذلك شيء﴾.
- ﴿خُذُوهُ فَعُلُوهُ﴾ (٤٠) ﴿اجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال﴾.
- ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ (٤١) ﴿قلّبوه على جمرها ولهبها﴾.
- ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (٤٢) ﴿السلسلة حلق منتظمة من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة، قال سفيان: بلغنا أنها تدخل في دبره، حتى تخرج من فيه﴾.
- ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٤٣) ﴿لا يقوم بحق الله تعالى من عبادته﴾.
- ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٤٤) ﴿ولا ينفع خلقه فيؤدي حقهم﴾.



١ - حمل أثقال الحق في زمن مؤذنة بشرف النهايات عند وقوع أحداث العذاب والفتن ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١).

٢ - إذا كنت مع الله تعالى فلا تسئل عن فرج النهايات ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١) وإذا تصورت مشهد السفينة في حال طغيان الماء أدركت ما تصنع الاستجابة بأصحابها حين حلول المضائق.

٣ - إذا ضاقت الطرق، وأقفلت الأبواب، ودقت ساعات الخطر فتلك اللحظة مؤذنة بميلاد فجر الأمل وذهاب حالك الظلام ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿﴾.

٤ - ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿﴾ اصنعوا من أيام الرخاء مباحج النهايات.

٥ - لا تيأسوا! فكم من لحظة ظلام أتى عليها الفجر بالأحلام ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿﴾.

٦ - إذا بلغ اليأس مداه لقيه الفأل على جناح طائر بالبشرى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿﴾.

٧ - من سوء الظن ببرك أن ترى أنه لا ينجيك في ساحات الكرب والضيق ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿﴾.

٨ - اللطاف الله تعالى تأتي حين الشوق إليها ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿﴾.

٩ - في ثقب الإبرة طريقٌ للنجاة ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ١١ ﴿﴾.

١٠ - ما كل سامع للحقائق بمطرق لها، ولا كل أذن واعية لما يقال ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَعِيًّا﴾ ١٢ ﴿﴾.

١١ - صلاح القلب، وسلامة المقاصد كفيلا بصناعة وعي الأذن، وكم من قول كثير جميل شوّش عليه فساد القلوب، وسوء مقاصدها فلم يلق أذناً واعية لاستقباله والاحتفاء به. ترى اثنين في مجلس واحد وكلاهما يستمع الحق هذا عينه تذرف، وذاك عابث كأنه لم يسمع شيئاً ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَعِيًّا﴾ ١٢ ﴿﴾.

١٢ - إذا أردت أن تنتفع بالوحي فاقرأه قراءة واع لحرفه مستقبل لمباهجه منتظر لآثاره وسترى الفرق! ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَعِيًّا﴾ ١٢ ﴿﴾.



١٣ - إذا رأيت من نفسك إقبالاً على محارم الله تعالى، واستثقلاً لطاعاته، وعدم تعظيم لشعائره فتذكر لحظات الحسم والجزاء ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ۖ﴾ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً ۖ وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ .

١٤ - مساكين أولئك الذين يجهدون من أجل الدنيا ثم ما تلبث أن تزول في لحظة واحدة ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ۖ﴾ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً ۖ وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ ليتهم يدركون..!

١٥ - كم من مستور في الدنيا مفضوح في الآخرة! يا ليتنا ندرك العواقب قبل الفوات..! ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ﴾ (١٨) .

١٦ - في معترك الحياة وهدير واقعها المحموم بالفتن والشهوات قد ننجح في الاستتار من عوارها من خلال أسماء مستعارة، ومعرفات وهمية، وأرقام سرية ويوم القيامة تُكشف كل تلك الأستار ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۖ﴾ (١٨) .

١٧ - كم بين الإنسان وبين هذا الإعلان المدوي، والفرح المثير على رؤوس الخلائق في ساحات القيامة! ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ۖ﴾ (١٩) كم من جهد خلف هذه النهايات في حياة صاحبه! وا شوقاه للعمل!

١٨ - وضوح الطريق يصنع مباهج النهايات ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ۖ﴾ (٢٠) يقين الإنسان بلقاء ربه، وإدراكه لسر وجوده، وإيمانه بالجزاء والحساب يشرف به في النهايات على هذه الأفراح.

١٩ - ما أحوج الناجحين والفائزين وأصحاب الأفراح إلى من يشاركهم لذائذ هذه اللحظات ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ۖ﴾ (١٩) حتى في ساحات القيامة احتاج من يشاركه هذا الهتاف.

٢٠ - إذا حسنت النية فلا حرج أن تذكّر الآخرين بجزء من أسرار نجاحك، ودع سجل الإنجازات حافلاً بالفرح والإعلان والبهجة بأحداثه إلى يوم النتائج الكبرى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ (١٩) ﴿.

٢١ - الغفلة تكتب على أصحابها خواتم الخذلان ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِي﴾ (٢٥) ﴿وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِي﴾ (٢٦) ﴿يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) ﴿ ما أشد حسرات المفرطين، وتمنياتهم بعد الفوات!..

٢٢ - ما أكثر خسائر المال والسلطان في حياة أصحابها!.. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ (٢٨) ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ (٢٩) ﴿ وكل نعمة لم تُستثمر في طريقها الصحيح كانت سبباً في الحرمان.

٢٣ - النفوس مجبولة على الطغيان، ولذا غالباً ما تستثمر قدراتها وإمكاناتها وطاقاتها في ذلك الطريق ما لم تتحصّن بالإيمان، وتلوذ بالتقوى، وتواجه ذلك بمواعظ الوحي.

٢٤ - الدين حلقة متصلة تؤدي دورها في التعامل مع الله تعالى، وتقوم بواجباتها مع الخلق دون تعدٍّ أو تفريط ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٢) ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣٤) ﴿ وأكثر الخلل ناشئ من سوء فهم في معنى العبادة لدى كثيرين.

٢٥ - الرحمة بالخلق فجاج واسع إلى رضا الله تعالى، وسد منيع من سخطه وعقابه ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٢) ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ (٣٤) ﴿ وكم من لزم صاحب حاجة بالمعروف فكانت خبيثة صالحة له في يوم الحاجات!



فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ
إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾
وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ
نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ
الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

التفسير

- ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾ ﴿٣٥﴾ فليس له يوم القيامة في الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له.
- ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ ﴿٣٦﴾ صديد أهل النار وما اجتمع فيه من الحرارة والمرارة وبتن الريح وقبح المنظر.
- ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب.
- ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ ما تشاهدون.



- ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩) ﴿وما لا تشاهدون.
- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) ﴿أي القرآن الكريم فإنه تلاوة رسول كريم، والمراد رسول الله ﷺ، فإنه مبلغ عن الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون لأنه ليس من أصناف الشعر.
- ﴿قَلِيلًا مَّا تُوَفُّوْنَ﴾ (٤١) ﴿قليلاً ما تصدقون بما ظهر صدقه وبرهانه.
- ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ﴾ كما تدعون أنه من سجع الكهان ﴿قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ (٤٢) ﴿قليلاً ما تتعظون وتعتبرون.
- ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣) ﴿أي القرآن الكريم منزل من رب العالمين.
- ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) ﴿لو أن رسول الله ﷺ كان كما تزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عند نفسه فنسبه إلينا لعاجلناه بالعقوبة.
- ﴿لَا خِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ﴿قيل: لا نتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذناه بيمينه.
- ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦) ﴿الوتين نياط القلب، وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه.
- ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٤٧) ﴿فما يقدر أحد منكم أن يحجز بيننا وبينه.
- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) ﴿أي القرآن يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم من العلم النافع والعمل الصالح.
- ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) ﴿مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن.



- ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ٥٠ ﴿إِنَّ التَّكْذِيبَ سَيَكُونُ حَسْرَةً عَلَى الْكَافِرِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.
- ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ٥١ ﴿أَيُّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ الصَّادِقِ الْحَقِّ الَّذِي لَا مَرِيَّةَ فِيهِ.
- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ٥٢ ﴿نَزَّهَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ النِّقَائِصِ.

التَّائِبُ

- ١ - الخائفون في دين الله تعالى بلا بصيرة، والقائلون على الله تعالى بلا علم معرضون لأبشع وعيد ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٤٤ ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٤٦.
- ٢ - كم من أثقال الفتوى على ظهور المتعالمين يوم القيامة...! ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٤٤ ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٤٦ ﴿مَا لَنَا وَلَهَا! يَسْتَفْتُونَ فَنُجِيبُ، فَيَنْزِلُونَ أَثْقَالَهُمْ عَلَى ظُهُورِنَا وَيَذْهَبُونَ، وَكَمْ مِنْ فَتْوَى أَحْتَاجُ صَاحِبَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى خَلْقٍ مُعَازِيرٍ...!
- ٣ - كم من فتوى جعلت صاحبها في موقف استعلاء بعلمه في الدنيا، وأوردته ذل النهايات يوم القيامة...! ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٤٤ ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٤٦.
- ٤ - (لا أدري) ستر واقٍ عن حمل كثير من أوزار المستفتين، من تستر بها لقي الله تعالى خفيف العاتقين.
- ٥ - بِمَ يجب القائلون على الله تعالى يوم القيامة بلا علم؟ ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٤٤ ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٤٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٤٦ ﴿إِذَا كَانَ هَذَا الْوَعِيدُ

لرسوله ﷺ وأعظم خلقه فما بالك بغيره من الخلق! نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

٦ - إذا لم تصادف مواعظ القرآن قلوباً صالحة فلا تنتظر فيها مباهج الربيع ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨).

٧ - الإرهاق النفسي والإحباط الذي يواجه الدعاة، والمصلحين، وصنّاع الحياة يأتي غالباً من ضعف فقه الوحي، وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) دعوة لإدراك طبيعة الواقع، وأن ثمة خلق لا يمكن أن تأتي عليهم الدعوة بشيء.





سُورَةُ الْمَعَارِجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ
ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ
بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

التفسير

- ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ دعا داعٍ من الكافرين بعذاب ينزل عليهم تكذيباً لوعده الله تعالى.
- ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ هذا العذاب عليهم ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ ﴿٢﴾ لا يدفعه عنهم أحد.
- ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ واقع من جهته ﷻ ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٣﴾ ذو العلو والجلال والعظمة.
- ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد إليه ﴿الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ جبريل ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ مدة موقف العباد للحساب.

- ﴿فَاصْبِرْ﴾ على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿٥﴾ لا شكوى فيه ولا جزع.
- ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ﴿٦﴾ وقوع العذاب وقيام الساعة.
- ﴿وَنَزَلَهُ قَرِيبًا﴾ ﴿٧﴾ نعلمه كائناً قريباً.
- ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ﴾ ﴿٨﴾ كالرصاص المذاب.
- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ ﴿٩﴾ كالصوف المنفوش.
- ﴿وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا﴾ ﴿١٠﴾ لا يسأل القريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لشدة ما يراه من الهول.

التَّادِبُّرُ

١ - التطاول على الله تعالى أثر من آثار الغفلة، وَقَلَّ أن تجد مضيعاً لحقوق الله تعالى إلا وهو يزرع في أمراض الغفلة، وينوء بأثقال الذنوب والمعاصي ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ﴿١﴾ لو لم تأخذ الغفلة حقها من قلب هذا لما كان هذا السؤال في قضية حسمها القرآن في باكر نزوله.

٢ - ليس من وعد لرسول الله تعالى وهم يكابدون الطريق، وينوؤون بأثقاله ويحملون مشاقه من فجر الدعوة إلى انقضاء مدة الرسالة إلا الصبر. وهو الإرث الباقي لحَمَّال المهمة بعد الرسل إلى يوم الدين. ومن سار على الطريق عليه أن يستعين بذات الزاد إلى حين اللقاء ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿٥﴾.

٣ - العجلة، والعجز، والنوح المثرب على تأخر الثمار ليست من شأن أصحاب المشاريع! من شأن الكبار الصبر، والصبر الجميل الذي تصحبه الطمأنينة



ويحدوه الفأل، وترافقه السكينة بوعد الله تعالى بالتمكين في العواقب والنهايات ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ٥.

٤ - ليس من شأن الدعوة تصفية الحسابات مع الخصوم، ذاك شأن أصحاب العاجلة الذين يكابدون من أجل حظ عاجل فحسب! الدعوة مشروع لا يحمل لمستقبله سوى الهداية التي يسعدون بها في الدارين ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ٥ فإن قبلوها فذلك عاجل بشرهم، وإن رفضوها فذاك شأنهم لا شأن الدعاة والمصلحين.

٥ - استبطاء النهايات فرع عن ضعف النفوس ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ٦ وقل أن يصل إلى نهايات الطريق أحد من المستعجلين! طرق الأحلام والأمانى بعيدة المدى، كثيرة المشاق، ثقيلة التكاليف، ولا يثبت في الطريق إليها إلا الكبار!

٦ - ما طال طريق على سائر! وإذا دهمك اليأس، وأمضك الانتظار، وكلت راحلتك من المشي فأسمعها شيئاً من حادي الطريق ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ ٦ وَرَنَّهُ قَرِيبًا ٧ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٩ وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠.

٧ - كم من آصرة وشيجة أتت عليها القيامة بالانفصال..! إذا أردت أن تستوعب صور القيامة فانظر إلى أم رؤوم في ساحاتها ترى ولدها في لجج الغرق ولا تلوي عنقاً إليه ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٩ وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠﴾.

٨ - السؤال عن الأرحام والأقارب والأصدقاء روح الحياة وألقها وجمالها المشاعري يجب ألا يضيع من حياتنا إلا في لحظات القيامة الكبرى ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠﴾.

٩ - لعظم أواصر الرحم في قلوبنا عبّر الله تعالى عن عظم يوم القيامة وشدة أهواله بفقدانها ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ١٠﴾.

يُصَرُّوهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بَيْنِهِ ﴿١١﴾
وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصَّلَتِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ عَلَيْهَا ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا
مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا
﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا
الْمُصْلِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِیَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى
أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَى وَرَاءَهُ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ
﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ
﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَطِيعُ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ
يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾



التفسير

- ﴿يُبْصَرُونَهُمْ﴾ يرونهم في ذلك اليوم ويعرفونهم ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ﴾ يتمنى ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ﴾ من عذاب يوم القيامة ﴿بِئْنِيهِ﴾ (١١) بأبنائه.
- ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾ (١٢) إخوته.
- ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ قبيلته وعشيرته ﴿أَلَيْ تَتُوبُ﴾ (١٣) التي تنصره وتضمه إليها عند الشدائد.
- ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ يتمنى المجرم لو افتدى يوم القيامة بمن في الأرض جميعاً ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (١٤) يخلصه ذلك من العذاب.
- ﴿كَلَّا﴾ لن يصل إلى ما يتمنى ﴿إِنَّهَا لَظَى﴾ (١٥) أي النار تتلهب نيرانها.
- ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦) تברי اللحم والجلد من شدة لهبها.
- ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧) أي النار تدعو المدبرين والمتولين عن الحق في الدنيا إلى الوقوع فيها تدعوهم بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر، يخلق الله تعالى الكلام في جرم النار حتى تقول صريحاً: إِلَيَّ يا كافر! إِلَيَّ يا منافق! ثم تلتقطهم التقاط الحب!
- ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨) جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ومنع حق الله تعالى فيه.
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) قليل الصبر شديد الحرص، وما بعده تفسير له.
- ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ إذا أصابه الضر من المرض والفقر ونحو ذلك ﴿جَزُوعًا﴾ (٢٠) اشتد جزعه وخوفه واضطرابه.



- ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ من النعم والخصب والسعة ﴿مَنْوعًا ٢١﴾ بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.
- ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ٢٢﴾ المقيمين للصلاة فإن توفيق الله تعالى لهم عظيم.
- ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٣﴾ المداومين على صلاتهم، والمحافظين عليها في أوقاتها والقائمين بشروطها، وواجباتها، ومكملاتها.
- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ٢٤﴾ نصيب مقرر.
- ﴿لِلسَّائِلِ﴾ الذي يتعرض للسؤال ﴿وَالْمَحْرُومِ ٢٥﴾ المتعفف الذي أدبرت عنه الدنيا فلا يسأل الناس شيئاً، ولا يتفطن له فيتصدق عليه.
- ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ٢٦﴾ يؤمنون بالمعاد والجزاء والحساب.
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧﴾ خائفون وجلون.
- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨﴾ لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله تعالى أمره.
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩﴾ فلا يوقعونها فيما حرم الله تعالى عليهم.
- ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾ غير مؤاخذين في ذلك.
- ﴿مَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ غير الزوجة وملك اليمين.
- ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١﴾ المتجاوزون لما أحل الله تعالى.
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ﴾ لم يخونوا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ إذا أوتمنوا وإذا عاهدوا لم يغدروا ﴿رِعُونَ ٣٢﴾ محافظين عليها.



- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (٣٣) محافظون عليها لا يزدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتُمونها.
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣٤) على مواقيتها وأركانها وواجباتها وسائر ما يتعلّق بها.
- ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣٥) بأنواع الملاذ والمسار.
- ﴿فَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦) مسرعين إليك، وهذا الإسراع إما للتكذيب، وإما للعب والاستهزاء، فتراهم مسرعين إليك، مادّين أعناقهم للسَّماع دون استفادة أو حصول غاية، وقيل مهطعين أي معرضين.
- ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ عن يمين النبي ﷺ وعن شماله.
- ﴿عَزِيزٍ﴾ (٣٧) جماعات متفرقة.
- ﴿أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (٣٨) أيطمع هؤلاء وهم على هذا الحال من الفرقة والاختلاف في دخول جنات النعيم.
- ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) من المني الضعيف.



١- الأصل في الإنسان أنه مجبول على النقص ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩) إذا مَسَّهُ الشَّرْجُ رُجُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ والإيمان يصنع مدارج الكمال في كل إنسان.

٢ - الإيمان ليس كلمة يتلفظ بها لسان، ولا فكرة تأخذ حظها من التجربة، ولا شعائر تُؤدَّى في أبواب العادة، وإنما منهج حياة يبني شخصية صاحبه، ويأخذ به لمواطن الشرف والكمال. لولا هذا المعنى لما كان للإنسان قيمة في واقعه، ولا أثر له في مستقبل أيامه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الَّذِينَ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾.

٣ - الانضباط في الصلاة أول الطريق إلى عالم السكينة والراحة والطمأنينة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣﴾.

٤ - إذا دهمك القلق، وكثرت مشكلاتك، وزاد جزعك، وامتدت لحظات اليأس في حياتك فليس أمامك سوى إعادة النظر في صلاتك وإصلاح واقعها من جديد ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣﴾.

٥ - الشعور بالآخرين وسيلة من وسائل الاستقرار الروحي ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾.

٦ - الإيمان باليوم الآخر أكثر الوسائل أثرًا في ثراء الحياة الطيبة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الَّذِينَ ۝٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۝٢٧﴾.

٧ - أرض المحرومين هي الأرض التي لا تأخذ الزكاة فيها واقعها، ولا تمتد فيها يد العطاء للمحتاجين ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾.



٨ - إذا رأيت متثاقلاً في الطريق، بارداً في العمل، متخلفاً عن ساحات الجهاد فتلك موارد الإيمان جفّت من قلبه فامتدت على إثرها مساحات الصحراء ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾.

٩ - كانت مجالس الوعظ عند الكبار مجالس إيمان (تعال بنا نؤمن ساعة) فصنعت منهم أجيالاً لن تتكرر، وتحولت في حياتنا إلى ترف ثقافي فترهلت قلوبنا للدرجة التي لم تعد قادرة على حمل تبعات الإيمان ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ والتصديق أثر لتلك المواعظ، ومساحة باسطة واقعها من ربوع ذلك الفيض.

١٠ - من أكثر الحقائق فزاعاً تلك التي يقررها الوحي ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُنِنَ﴾.

١١ - في مثل زماننا تستحق كل لحظة عفة أن يقام لها حفل زفاف ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفَرِّجُهُمْ حَفِظُونَ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾.

١٢ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفَرِّجُهُمْ حَفِظُونَ﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ لم تعد وراء الجدران، وفي لحظات الظلام، بل تحولت إلى شريعة بأسماء مستعارة، وعاد الحرام كلاً مباحاً يكفي فيها فتياً جاهل في وسائل التواصل الاجتماعي.

١٣ - ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿٣١﴾ قطع لكل الحيل والأوهام ومسارب الضلال التي تلبس ثياب التقى ظاهرياً وهي عارية من كل أوجه الحياء.

١٤ - صور الاعتداء على الشريعة لا حصر لها في الواقع، ومن أكثرها شيوعاً في زماننا ما يتعلّق بشهوات الفروج ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿٣١﴾.

١٥ - الإسلام منهج حياة يأتي على تنظيم حياة الإنسان من كل جانب فيرتب ما بينه وبين ربه ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ ويخلق فيه



الفاعلية مع من حوله ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٥﴾
 ويدرب صاحبه على العفة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُوجُهُمْ حَفِظُونَ ۝٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
 مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠﴾ ويرعى الحقوق المكلف بها الفرد في واقعه
 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣﴾ وكلما أمعن
 الإنسان في التأمل زادت مباحج الغبطة بهذا الدين في حياته.

١٦ - يربِّي الإسلام على التوازن، ويخلق شخصية متكاملة في وعيها وأدوارها
 المختلفة في الواقع ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي
 أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝٢٤﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ اللَّهِ ۝٢٥﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ
 عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۝٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُفْرُوجُهُمْ حَفِظُونَ ۝٢٩﴾
 إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْعَادُونَ ۝٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۝٣٣﴾ وغالب
 الخلل في حياة الناس يأتي من اختلال هذا المفهوم في واقعهم.

١٧ - تعطي السورة ملامح مثيرة من جمال هذا الدين من حيث تكامله، وتوازنه
 ورعايته للحقوق على اختلافها وتنوعها، ولو عُرض الإسلام منهج حياة للآخرين
 من خلال هذه السورة فقط لكان حدثاً مثيراً في واقعهم مع الأيام.

١٨ - لو أدرك كل مسؤول معنى هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۝٣٢﴾
 لتقاسمت الأمة حقوقها من أوطانها بإنصاف! كم من مسؤول حابى في حق وبنوء
 بأثقاله بين يدي الله تعالى في ساعات الحساب!

١٩ - المجتمعات المتحضرة تلك التي تقوم بحقوق خالقها وحقوق الآخرين في
 ذات الوقت، وكل شقاق بين هذين الحظين في واقع ما هو انشطار في مفاهيم
 هذا الدين.

٢٠ - الشهادة جزء من الالتزام بالمنهج أياً كانت علاقتها بالآخر، وهي دليل على صدق الالتزام بالحق ووعي الإنسان بمسؤولياته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (٣٣).

٢١ - كل المكتسبات التي يحوزها الإنسان في حياته إذا لم تعانق به الجنان فلا قيمة لها في شيء ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (٣٨) ويظل الفوز الحقيقي، والنصر الكبير وقفاً على عناق هذه الأمانى في تاريخ صاحبها.



فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ
﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

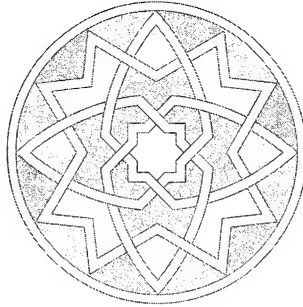
التفسير

- ﴿فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه ﴿إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴿نخلق أمثلاً وأطوعاً لله منهم﴾ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ﴿٤١﴾ بعاجزين.
- ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ يوم القيامة.
- ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ مسرعين ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ كأنهم إلى علم أو غاية يسعون.
- ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ خاضعة ﴿تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ تغشاهم ذلة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ يوم القيامة وما فيه من الجزاء والحساب الذي وعد الله تعالى بليقياه.



التدبر

١- لا تكثر بالمعرضين من حولك، ولا تلق لهم بالاً في طريقك، ثمّة موعد
يجمع الفريقين في ساحات القصاص ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ﴾ ٤٢ ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ ٤٣ ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ
ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ٤٤.



سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَوْفِيكُمْ مَنْ دُونِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ فِي مَا ذُنِبُوا وَاسْتَفْسَحُوا يَتَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ لدعوتهم إلى الحق ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ بلغهم وحذّرهم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١﴾ شديد، وهو إما الطوفان أو النار.
- ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ محذراً لكم من عقاب الله تعالى ﴿مُبِينٌ﴾ ﴿٢﴾ عن ما فيه نجاتكم وخلصكم من العذاب.



• ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أفردوه بالعبادة ووحّدوه ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ اجعلوا فيما بينكم وبين عذابه وقاية؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﴿وَاطِيعُونَ﴾ ﴿٣﴾ فيما أمركم به.

• ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ يعفو عنها ويسترها على معنى أن «من» هنا تأتي بمعنى عن، وقيل أن «من» زائدة للتوكيد، وقيل بل هي تبعيضية فيكون المعنى يغفر لكم بعض ذنوبكم ذنوب الإشراف وما معه، أو الذنوب السابقة دون المتأخرة القادمة ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يمد في أعماركم ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ أن ما قدره لكم إذا جاء وأنتم باقون على الكفر لا يؤخر بل يقع لا محالة، فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل حلول الآجال.

• ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ إلى ما يقربهم إليك ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ﴿٥﴾ في الليل والنهار من غير تقصير ولا توانٍ.

• ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿٦﴾ نفوراً وإعراضاً عن الحق الذي دعوتهم إليه.

• ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ كلما دعوتهم إلى أسباب المغفرة من الإيمان والطاعة لك ﴿جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيءًا ذَانِهِمْ﴾ لكيلا يسمعوا هذه الدعوة ﴿وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ غطوا بها وجوههم حتى لا يروني أو يسمعوا كلامي ﴿وَأَصْرُوا﴾ على الكفر والعصيان ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبول الحق ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾ ﴿٧﴾ غاية الاستكبار.

• ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ ﴿٨﴾ ظاهراً من غير خفاء ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صرخت وصحت بالذي أمرتني به.

• ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ﴿٩﴾ فيما بيني وبينهم في خفاء.

- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ سلوه المغفرة ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ كثير المغفرة لمن تاب واستغفر.

التدبُّر

١ - هذه السورة تصف لنا وقائع المعركة بين الحق والباطل، معركة العقيدة التي يديرها نبي الله تعالى نوح عليه السلام مع الخرافة والأوهام التي يديرها المخدوعون بالأوهام والخرافات. معركة يبدو في أحداثها كيف يعيش الدعاة والمصلحون لدعوتهم! ويحيون لها! ويبدلون لها كل شيء! ما دور الأفكار الحية في الواقع! وكيف تكون هذه الأفكار جزءاً من صاحبها لا تنفك عنه في شيء! معركة في المقابل تبين أثر الأفكار المشوهة وكيف أنها هي كذلك تتخذ لها أنصاراً يعيشون لها ويدفعون من أجلها كل شيء! ولن تتخيّل الولاء لفكرة إلا إذا تخيلت الزمن الذي بذل فيها ألف سنة إلا خمسين عاماً، ولن تتخيّل العداة لذات الفكرة إلا تخيلت ذات الزمن المصروف لعدائها.

٢ - الأفكار الحية لا تستمد حياتها من خلال الواقع الذي تعيش فيه، وإنما تستمد تلك الحياة من خلال صدق أصلها، وصحة منشئها، ونسبها العريض في دين الله تعالى! كم من فكرة حين تراها لأول وهلة فترى لها بريقاً لامعاً، ثم ما تلبث أن تُجثَّت من على الأرض، وتموت لضعف أصلها، وهشاشة نسبها بالوحي. إن أي فكرة أراد لها الإنسان الحياة لا بد أن تولد من رحم هذا الدين قبل أن تخرج للأرض تبحث عن الهواء الذي تتنفس به ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ لم يكن نوح هنا يعرض فكرة شخصية رأى



فيها الحياة لذلك الواقع الذي يعيش فيه، وإنما مبعوث بدين أراد الله تعالى أن ينشئ أجيالاً عليه في قادم الأيام.

٣ - في السورة مدد روعي، ومشاعري، ووجداني لكل السائرين في الطريق! إنهم ليسوا وحدهم رغم ما في الطريق من لأواء. إنهم يسرون في موكب الشرفاء والكبار وضئاع الحياة من زمن نوح إلى تاريخ لحظتهم التي يعيشون فيها. يكفي هذا المعنى سقاء للأرواح الظامئة، والنفوس المتلهفة، والأجساد التي أضناها طول الطريق وأمضها أمد الانتظار ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

٤ - الحقيقة واحدة لا تتجزأ! هي هذا الدين، وكل ما عداه باطل لا واقع له! ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) يكفي هذه الحقيقة أنها هي التي بعث بها الخالق، وأرادها لخلقها، وجعلها ديناً يتعبد به في العالمين. وما عدا ذلك من الأفكار، والمفاهيم، والتصورات التي يرى فيها الناس شيئاً من الحياة هي باطل لا قيمة له.

٥ - رحمة الله تعالى بخلقه فلم يتركهم يتلقون هذا الدين بأفرادهم وإنما أرسل إليهم الأنبياء، وبعث فيهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب وأوصل لهم دينه وشرعه، وأقام عليهم الحجج بكل طريق ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

٦ - مستقبل الإنسان ونجاحه وتحدياته لا تقاس من خلال جهود وأحداث ومظاهر مفصولة عن حقائق هذا الدين، وإنما تقاس من خلال تحقيق غايات الوحي الكبرى ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ (٢).

٧ - ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ (٢) هي الغاية من مشاريع الإصلاح التي تشيّد في واقع الأرض! وكلما استوثقت المشاريع من هذه الغاية نالت حظها من التوفيق.

٨ - الاستغراق الشعوري في المشروع يستفرغ وسع صاحبه في استثمار كل الوسائل الممكنة لبلاغ تلك النهايات التي يريجوها ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي-ءِاذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾.

٩ - الحضارة ليست هي هذا العمران الذي يعانق السحاب، ولا هذه المدنية المترفة في النعم، إنما هي استقرار حقيقة الإيمان وقيمه ومبادئه في قلب إنسان ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ﴾ هذه التي صرف لها نوح من عمره ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما أشرفت الأرض إلا على ندائها ولن تغرب شمس الكون إلا على مباحجها. يا ليتهم يدركون!

١٠ - ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أحد مباحج الدعوة العاجلة والآجلة غفران الذنوب؛ سترها ومحوها والتخليص من آثارها في الآخرة، وخلو الحياة من مكدراتها، والعيش في باحات السعادة، وفضاءاتها الكبيرة كما يشاء أصحابها.

١١ - الدعوة من أعظم المشاريع أثراً في الواقع! يكفيها أثراً أنها تدل الناس على ربهم، وتبين الغايات التي خلقوا من أجلها، وتسعى لفكاكهم من آثار التخلف عنها، ولذلك كانت مشروع الرسل والأنبياء.

١٢ - لا يمكن للدعوة أن تصبح مشروعاً لصاحبها حتى لا يشعر بما يبذل فيها، وكذلك كل مشروع. وإن نفساً تحسب جهدها، وتعدُّ تكاليفها فيه لن تلقى هي في ذاتها ألقاً لذلك الفن الذي تجد نفسها فيه فضلاً أن يلقاه أولئك المنتظرون في جنبات الطريق. إن الصورة التي يعرضها القرآن لنوح ﷺ في ثنايا هذه السورة تُعطي تصوُّراً واضحاً للعلاقة التي يجب أن تكون بين المشروع وصاحبه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ



لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرَا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴿ لا تدري هنا ماذا تحسب! هل تحسب مشاعر الداعية وهو يخوض رحلة دعوته، أو تحسب تكاليف الجهد والعناء خلال تلك الرحلة، أو تحسب الزمن الطويل الذي استغرقه هذا المشروع في واقع الأرض.

١٣ - الاستغراق في المشاريع شرط لنجاحها، وأصل في تحقيق غاياتها، وما لم يصل صاحب المشروع إلى هذا المعنى فلن يصل إلى كبير غاية ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرَا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ .

١٤ - ليست الثمرة هي معيار النجاح! لو كانت كذلك لكان الأنبياء وأولي العزم خاصة هم أحق بهذا الشرف من غيرهم! المعيار الذي يجب أن تحاكم إليه الدعوات والمشاريع هو استنفاد كافة الطاقات والقدرات الممكنة في سبيل الوصول إلى غاياتها وأهدافها وآمالها فحسب ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرَا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ وفي الحديث يأتي النبي ومعه الرجل، ويأتي النبي ومعه الرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد.

١٥ - العقبات والصعاب والظروف العائرة هي التي تصنع واقع المشاريع المثير، وتكتب حظها من الثبات ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرَا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ

وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ لولا هذه الظروف والعقبات لم يستنفذ نوح عليه السلام هذه الطاقات والقدرات والإمكانات والوسائل في سبيل تحقيق مقصوده. ولا اكتفى بأدنى من ذلك، غير أن من حسنات هذه الظروف أنها تستفز هذه الطاقات، وتستنفذ هذه القدرات إلى أقصى حد ممكن. وكم هي المشاريع التي لولا عقباتها لما عانقت نهاياتها.

١٦ - المشاريع الضخمة تحتاج إلى جهود ضخمة، والأفكار الكبيرة تحتاج في المقابل إلى طاقات وإمكانات كبيرة. فرق كبير بين مشروع ينفق فيه صاحبه ألف سنة من عمره، ويستغرق فيه أوقاته، ويبدل فيه فكره وجهده ومشاعره، ومشروع يشحت من وقته، ويكفيه من الفتات. فرق في العمل والفكر والجهد و فرق في ذات الوقت في النتائج والآثار العائدة على صاحبه في الدارين.

١٧ - القناعة بالمشاريع تصنع فروقاً مثيرة في النتائج! وكم من مشروع ظل بهيجاً في الأرض لقناعة صاحبه به رغم الظروف والعقبات والصعاب التي واجهت طريقه! وكم من مشروع تهلّمت أركانه، وتصدعت جدرانه من أول عقبة عرضت له في الطريق! إن القناعات هي التي تحمل مشاريع أصحابها وتسير بها في فجاج الأرض على أكتافهم لا يجدون مضها، ولا يشعرون بشيء من حملها وأثقالها. وهي في ذات الوقت التي تقعد بمشاريع آخرين في منتصف الطريق تتسوّل المارة عوناً، وتشتكي ضعف قوامها وقلة حيلتها أمام الجماهير.



يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ
جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا
﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ
أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا
﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا
فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ
وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ
آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾
وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ
أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾
وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ
تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ
أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

التفسير

- ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ﴾ بالغيث ﴿وَيَذَرَا﴾ (١١) ﴿مَتَابِعاً﴾.
- ﴿وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يكثر أموالكم وأولادكم ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين الدنيا ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَرًا﴾ (١٢) جارية.
- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) لا تخافون الله تعالى ولا تجعلون له قدراً.
- ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٤) خلقاً من بعد خلق بدءاً بخلقكم في بطون أمهاتكم وانتهاءً بآخر أعماركم ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (١٥) متطابقة بعضها أعلى من بعض.
- ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ منوراً لوجه الأرض في ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (١٦) كالمصباح لأهل الأرض.
- ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (١٧) أنشأكم منها ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ في الأرض بعد الموت.
- ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ (١٨) للجزاء والحساب.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ (١٩) مبسوطة وممهدة مهياة لكم.
- ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (٢٠) طرقاً واسعة مختلفة.
- ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ شاكياً لربه ما لقيه من قومه من العصيان فيما أمرهم به ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٢١) عصوا رسولهم واتبعوا الملائكة والأكابر منهم الذين لم تزد لهم أموالهم وأولادهم سوى الضلال والهلاك.



- ﴿وَمَكْرُؤٌ مَّكْرًا كَبِيرًا﴾ (٢٢) كبيراً عظيماً في معاندة الحق وأهله ﴿وَقَالُوا﴾ قال الرؤساء للاتباع ﴿لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُمُ﴾ لا تتركوا عبادة الهتكم من الأصنام.
- ﴿وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣) هذه أسماء رجال صالحين ماتوا فزَّينَ الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم ليروهم فينشطوا للطاعة، ثم طال الأمد وجاء غير أولئك القوم، فقال لهم الشيطان: إن أسلافكم كانوا يعبدونهم ويتوسلون بهم، فعبدوهم من دون الله تعالى.
- ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (٢٤) دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم ألا تزدهم إلا خسراناً ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ من أجل خطاياهم وبسببها ﴿أُغْرِقُوا﴾ أغرقوا بالطوفان ﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ عقب ذلك، وهي نار الآخرة.
- ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥) لم يجدوا لهم أحداً يمنعهم مما حل بهم من العذاب والنكال.
- ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦) لا تترك أحداً يسكن الديار ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ عن طريق الحق والهدى ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا﴾ بترك طاعتك.
- ﴿كَفَّارًا﴾ (٢٧) لنعمتك.
- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ دعاء لنفسه ووالديه ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ عامة إلى يوم القيامة ﴿وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ (٢٨) خساراً.

التدبِيرُ

١ - ما أكثر مباحج الدعوة على مستقبلها! إنها لا تكلفهم سوى الاستجابة، ثم تعود عليهم بما يشتهون ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ۝١٢﴾.

٢ - الاستغفار اعتراف بالذنب، وإقرار بالخطيئة، وهو في ذات الوقت يرسم صورة لضعف المخلوق، ويبين عن حاجته القصوى لخالقه، ويأتي في الخاتمة بمباحج الحياة كلها لصاحبه ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيئُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَرًا ۝١٢﴾.

٣ - ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ دعوة للفأل والأمل، مهما بلغ ذنبك، وعظمت خطيئتك، وكبر جرمك فالاستغفار آتٍ على كل ذلك. كم من أمل موقوف على الاستغفار..!

٤ - ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ ما لكم لا تعظمون ربكم ولا تقومون له بحق! ما أحوج قلوبنا إلى هذا العتاب! ثرى كم هي المرات التي كانت نفوسنا بحاجة إلى هذا الجرس المشاعري! كم مرة سقطت نفوسنا في وحل الخطيئة، واستهانت بجلال خالقها، وعاثت في الحرام وكانت أحوج ما تكون إلى سماع هذه الرسالة ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾. ما أرق هذا العتاب على قلوب المتقين! وما أظاه على قلوب المخطئين!

٥ - ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ تخاصم المتخلفين عن واجبات الله تعالى، والواقعين في حياض الحرمات، وتعط قلوباً تجهل عظمة ربها فلا تمنحه قدراً، ولا تقيم له وزناً، وهو آخر شيء في الاهتمامات.



٦ - ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۖ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۚ ﴾ ﴿١٤﴾ اقرأ مراحل نموك وتأمل مسيرة خلقك تكفيك للتعرف على ربك من كل الأدلة الماثلة في الكون من حولك.

٧ - من دلائل تعظيم الإنسان لربه الأدب في خطابه ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي ﴾ فأسند عصيانهم له مع أنه في الحقيقة عصيان لله تعالى، وكلما استشعرت القلوب جلال ربها زكى منها كل شيء.

٨ - العلم ليس نصاً محفوظاً، أو جزءاً مقروءاً، وإنما صور يزاحم بعضها بعضاً في التطبيق تقوم على إجلال الله تعالى، وتعظيم شعائره. ما أكثر حرف العلم عند قوم وما أقل عوائده عليهم! وما أقل حرف العلم عند آخرين وما أكثر عوائده عليهم!

٩ - العلم زينة! وما ركض أحد في رحابه إلا ألبسه تيجان الفضيلة، وأول ما ينبئك بخبره لسان صاحبه.

١٠ - ما بين أن تكون تبعاً لكل ناعق وشخصاً مستقلاً أمام كل طارق ساحة العلم. أكثر ما صنع الأتباع هنا هو الجهل ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُ مَالَهُ ۖ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۚ ﴾ ﴿١١﴾ وهو ذاته الذي يوسّع جموعهم في كل حين.

١١ - من أخطر ما يواجه الإنسان في حياته كلها فساد التصورات ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُ مَالَهُ ۖ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۚ ﴾ ﴿١١﴾ ظنوا أن المال والولد من دلائل التفوق وموجبات الاتباع.

١٢ - من أكبر عوائق المشاريع الإصلاحية في الأرض الكبار والمسؤولون والقادة والزعماء الذين يصنعون حمى لذواتهم، ويدفعون من أجل ذلك الحمى كل شيء ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدَّهُ مَالَهُ ۖ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ۚ ﴾ ﴿١١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبَارًا ۚ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُ ۚ الْهَتَكُمُ وَلَا نَذَرُ ۚ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۚ ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۚ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۚ ﴿٢٤﴾.

١٣ - تعظم الشهوات في نفوس أصحابها حتى تُصَيِّرُهُمْ دُعاة لها في كل طريق ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾.

١٤ - أسوأ أنواع الشهوات شهوات النفوس حين تلبس أثواب الكبر والعلو، وتستنشق هوى ذواتها، وتدفع من أجل ذلك كل شيء ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٢٣) وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ كل هذا من أجل نفوسهم، وحظوظ ذواتهم فحسب.

١٥ - إضلال الناس هو الراية التي يحملها قادة الضلال في المجتمعات. فرق بين إنسان تدثره الشهوة بالغفلة، وآخر يلبسه قادة الضلال أفنعة تمنعه من الرؤية، الأول سرعان ما يفيق، والآخر يموت وقناعه على عينيه ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّمَا عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٢١) وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾.

١٦ - إحياء مفاهيم الحرية، والمسؤولية الفردية، ونطاق التبعية من خلال نصوص الوحي أكثر الأدوات أثرًا في مواجهة سلاطين الشهوات، وإيقاف مدهم، وحصر أفكارهم في مساحات ضيقة من الواقع.

١٧ - ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٢٢) هكذا يصنع قادة الضلال حتى يتمكنوا في النهاية من الحيلولة بين الناس وبين هذه الدعوة التي تواجههم كل حين. وإذا أرادت الدعوة أن تتنفس واقعها فعليها أن ترفع راية تحطيم القدوات الضالة، وتصحح تصورات الجماهير، وتبين أثر التبعية من خلال الوحي، وتحيي في الناس المسؤولية الفردية.



١٨ - أخطر الدعوات أثراً في الواقع تلك التي تركز على المفاهيم وبناء التصورات وتبني منظومة الأفكار ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ﴿٢٣﴾ صنعوا لها تماثيل، وصوروا لهم آلهة، وجعلوا لهم ديناً ينتسبون إليه، فما لهم بعد ذلك ولدعاة الحق!

١٩ - توسّع الدعوة في أي واقع تعيش فيه مطلب ضروري، فإن لم يكن لذلك المطلب من أمل فرأس المال ضرورة أخرى يجب العناية به والمحافظة عليه بأي سبيل ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ ﴿٢٧﴾ إن هذه الدعوة التي أطلقها نوح على الكافرين كان مقصودها المحافظة على رأس المال، ويبدو والله تعالى أعلم أنه لم يكن من سبيل للحفاظ على تلك الضرورة إلا بإهلاك المعرضين ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ﴾.

٢٠ - الوعي بإدارة الأولويات منهج من مناهج الأنبياء ﴿رَبِّ اعْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ ﴿٢٨﴾ بدأ بالدعاء لنفسه، وثنى بوالديه، وثلث بالمؤمنين. وكل هذا رعاية لهذه القضية الكبيرة.

٢١ - لن يستغرق مشروع مهما بلغت أهميته ومكانته وأثره في واقع هذا الزمن الذي استغرقه هذا المشروع، ولن يأتي واقع أسوأ من هذا الواقع الذي عاشه رسول الله ﷺ، ومع ذلك بقي على الطريق، وأخذ على عاتقه هموم هذا المشروع وتحمل تبعاته هذا الزمن الطويل، وهي رسالة في المقابل لأصحاب المشاريع، وضئاع الحياة ألا يستقلوا مشاريعهم، وأن يمضوا فيها ولو طال زمان الاستجابة، وأن يعوا أن الطريق مكلف ومجهد ومضن، وليس عليهم سوى الصبر. والله المستعان وعليه التكلان ومنه الحول والطول.

سُورَةُ الْجِنِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ①
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ② وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا
مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ③ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا
④ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ⑤ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ
مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ⑥ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ
أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ⑦ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ
حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ⑧ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسَمِ فَمَن
يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ⑨ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي
الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑩ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا
طَارِقَ قَدَدًا ⑪ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن تُعْجِزَهُ
هَرَابًا ⑫ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ

بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ⑬



التفسير

- ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ قل يا أيها الرسول لأمتك أن الله تعالى أوحى إليّ على لسان جبريل ﴿أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرَيْنَ الْخِنَ﴾ أستمع إلى قراءتي للقرآن عدد من الجن ﴿فَقَالُوا﴾ الجن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ عجباً في فصاحته وبلاغته وحقائقه.
- ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ﴾ صدّقنا أنه من عند الله تعالى ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ لن نتخذ معه أحداً من خلقه إلهاً.
- ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ ارتفع ﷻ عظمةً وملكاً ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ لم يكن له زوجة ولا أولاد، تعالى الله عما يقول السفهاء علواً كبيراً.
- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ جوراً وظلماً وزوراً.
- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ما حسبنا أن الإنس والجن يتمالؤون على الكذب في نسبة صاحبة والولد لله تعالى، فصدّقناهم فيما قالوا حتى سمعنا القرآن، فعلمنا بطلان قولهم.
- ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ كانوا يقولون إذا هبطوا وادياً نعوذ بعظماء هذا الوادي ﴿فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ أن الجن زادوا الإنس ذعراً وخوفاً نظير استعازتهم بهم، وقيل: إن الإنس زادوا الجن رهقاً طغياناً وكبراً لاستعازتهم بهم.
- ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ أن كفار الجن ظنّوا كما ظن كفرة الناس أنه لا بعث بعد الموت.

- ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا خبرها كما جرت به عادتنا ﴿فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ حَرِّسٍ﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا﴾ قوياً ﴿وَشُهْبًا﴾ ﴿٨﴾ ناراً من الكواكب التي يُرجم بها الشياطين.
- ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ نقعد من السماء لتتلقف أخبارها ونلقي بها إلى الكهنة ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا﴾ ﴿٩﴾ مانعاً من الوصول إلى ما كان يصل إليه أولاً.
- ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بسبب هذه الحراسة للسماء ﴿أَمَّ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾ خيراً بسبب ذلك.
- ﴿وَأَنَّا مِمَّا الصَّالِحِينَ﴾ المسلمون العاملون بطاعة الله تعالى ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الصلاح ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ ﴿١١﴾ فرقاً متنوعة وأهواء مختلفة.
- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ علمنا ﴿أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ إن أراد بنا سوءاً ﴿وَلَنُفْجِزَهُ هَرَبًا﴾ ﴿١٢﴾ إن طلبنا ^{بِإِذْنِهِ} فلا ينفعنا الفرار منه.
- ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ أي القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ صدقنا أنه من عند الله تعالى ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصاناً في أجره وحسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ﴿١٣﴾ ولا عدواناً وطغياناً وظلماً فيحمّل ما ليس عليه.

التدبير

- ١ - مهما بلغ وصفك لهذا القرآن سيظل أقصر من واقعه، وأقل بكثير من حقائقه! مجرد مقطع واحد أصغى إليه الجن كان كافياً في إقرارهم بِعُجْبِهِ ودهشته ﴿قُلْ



أَوْحَىٰ إِلَيْ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يا ليتنا نفيق لقراءة هذه الحقيقة التي أدركها الجن كل حين!

٢ - على قدر إقبالك يهبك الله تعالى من أثر القرآن ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيْ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ حين أقبل الجن على سماعه بشغف ثارت في قلوبهم عجائب التنزيل.

٣ - القراءة التدبرية، والسماع الوجداني هما اللذان يصنعان الحياة الروحية. فرق كبير بين من يقرأ للأجر، وآخر يقرأ للحياة! وفرق مثير بين سماع الأذن، وسماع القلب. واشوقاه للحقائق الكبرى! ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيْ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾.

٤ - أعظم المواعظ أثراً تلك التي يكون القرآن وسيلتها الأولى ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيْ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ مجرد السماع كان كافياً في هداية القلب.

٥ - كل عمل في مساحة القرآن فله نصيب من وعد الله تعالى بحفظه وبلاغ رسالته. إذا كان هذا الإطراء من الجن لكتاب الله تعالى في لحظة عارضة ما زال مثيراً من أزمان الرسالة؛ فما بالك بالمشاريع التي تقوم لإثراء واقع هذا الوحي في الأرض! ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيْ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾.

٦ - لن تلقى الأمة حظها الكبير في الواقع حتى تضع القرآن في سلم أولوياتها! ومثل ذلك الأشخاص! أدرك الجن ذلك، فبدؤوا بإجلال شأنه وتعظيم أمره، وتزكية حاله حتى تقع موعظته في قلوب قومهم مكانها ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيْ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾.



٧ - أقصر المسافات تلك التي حكاها القرآن بين استماعه واستجابة الجن له ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ وكلما قلصت هذه المسافة زاد حظ صاحبها من النعيم.

٨ - صلاح القلوب وحسن المقاصد هي الأبواب التي تُمكنُ للقرآن من أخذ حظه وأفيا من نفوس قرائه ومستمعيه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ فلو لم يكونوا قاصدين الفائدة لما صار للوحي في قلوبهم صداه، وا شوقاه للنوايا الصادقة!

٩ - إذا لم يكن لك وقت في التدبُّر، فلم يحن وقت اللذة في حياتك بعد ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ إن حكاية الجن لأثر القرآن في لحظة حكاية اللذة التي خامرت مشاعرهم لدرجة الدهشة والألق. فكيف بمن صلحت نيته، وصدق في الطلب، وحدد وقتاً، ووضع مشروع التدبُّر في سلم أولوياته!

١٠ - قيمة العلم في العمل ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ وكل علم لا يترتب عليه عمل فهو هامش لا قيمة له في واقع صاحبه.

١١ - ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ قصة تستحق مدارس للتدريب عليها والتأهيل في مدارجها. ما أروع العمل!

١٢ - شرف العلم على قدر شرف المعلوم، وكلما غني العلم بإصلاح القلوب وتصحيح العقائد علا شرفه وعظمت قيمته ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾.

١٣ - من توفيق الله تعالى للإنسان أن تتقلَّص المسافة بين ما تعلمه وما يطبقه في واقعه ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ يَهْدِي إِلَى



الرُّشْدِ فَآمَنَ بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وكلما توسَّعت هذه المسافة توسع شقاء الإنسان وزادت فرقته وشعته.

١٤ - لم تأخذ هذه الآية ﴿فَآمَنَ بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾ في قلبي مساحتها الكافية حتى رأيت من لا يعرف القرآن أصلاً حين ثلِّي عليه تحدَّر الدمع فصار كالغيث الذي نزل على أرض موات.

١٥ - يا له من فرق! قلب يؤمن بالله تعالى لهزة القرآن في لحظة، ويتخلَّص من أغلال الشرك، ويعظم الله تعالى، ويجل شعائره، وآخر يسمع القرآن مراراً في كل يوم ولا يحرك ساكناً، ولا يقوم لربه بواجب ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَ بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾.

١٦ - إذا لم يترتب على العلم الذي تتعلمه تعظيم ربك وإجلال شأنه فلا مفروح بحرفه ولو ألبسك التيجان ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَ بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾.

١٧ - الأفكار الخاطئة والتصورات السقيمة لا تأخذ حظها من قلوب الأصفياء ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٣﴾.

١٨ - ما أسهل ما تُنسف المفاهيم التي لا تستند على قواعد الشريعة، ولا يصمد لها بنيان. آمن الجن في لحظة فأتوا على قواعد بناء أخذ حظه من عقول النصارى والعرب زمناً طويلاً ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٣﴾.

١٩ - لا يزيل الخرافات والأساطير من عقول أصحابها، ويجتثها من واقعهم إلا إشراقات الوحي ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾



يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾.

٢٠ - المنضوون تحت راية هذا الدين من أعلام الباطل لا يأتون على تصحيح التصورات في مساحة ماضيهم فحسب، وإنما يجتثون قواعد ذلك الباطل من أصلها ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٣﴾ كانت العرب تعتقد أن الملائكة بنات الله تعالى جاءته من صهر مع الجن فجاء الجن يهدمون أصول ذلك البنيان في لحظة.

٢١ - التركيز على رؤوس أهل الباطل وقادتهم وكبارهم، والعناية بهم، ودعوتهم لحياض الحق يختصر علينا شقة الباطل ومسافته، ويأتي على مشروع الباطل من جذره وقاعدته. وقد رأينا ذلك من خلال المهتدين من فرق الباطل، ومذاهبه في الواقع. هذه جماعة عارضة من الجن اجتثت باطلاً في قلوب كثيرين من سنين، فكيف لو كانوا رؤساء قوم، وكبار ساحة!

٢٢ - في كل زمان سفهاء قوم يتحكمون بالوحي، ويجرؤون على الله تعالى، ويشيرون الشبه في الطريق ﴿وَأَنَّهُ كَافٍ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ ﴿٤﴾.

٢٣ - معرفة أصحاب الوحي، وحمّال الشريعة في كل زمان، والتلقي عنهم أمان من الضلال، وما كان لهؤلاء الجن أن يسمعوا للعوام لولا خلؤ الأرض من حمّال الشريعة ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿٥﴾.

٢٤ - الثقة المطلقة في المجهولين والنكرات من أعظم أسباب الانحرافات التي حلت بكثيرين ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿٥﴾ ودين الله تعالى أكبر من أن يؤخذ من الغرباء.



٢٥ - من دلائل الخذلان، وضياح مقاصد الحياة الكبرى الجراءة على الله تعالى والاعتداء على منهجه، والإسفاف في شريعته ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ استغرب الجن أن يأتي مخلوق لينال من جناب ربه ويكذب على خالقه، وما كانوا يظنون أن يصنع هذا مخلوق.

٢٦ - للباطل قشرة رقيقة، وجدار يوشك على السقوط لا يحتاج كبير جهد، يكفي مواجهتها وتسقط عند أول لقاء، اعتقد الجن في الله تعالى ما لا يليق ثقة في المجهولين ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ فلما جاء الحق عادوا به مبتهجين ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ يَهْدَىٰ إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾.

٢٧ - كل من تعلّق بغير الله تعالى وكل إليه وناله من الرهق والمشقة والعنت والشقاء ما يجعله في شتات ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾.

٢٨ - الطمأنينة والراحة والأنس الشعوري أثر من آثار التعلّق بالله تعالى والإقبال عليه والصدق معه، وهي جنة عاجلة لصاحبها.

٢٩ - تقدير العلماء وإجلالهم قضية كبرى في دين الله تعالى فهم حُمَالُ الوحي وحُرَّاسُ الشريعة، وإذا كان الله تعالى جعل من شهب السماء ما يحرس الوحي ويحميه من شياطين الجن، فكَذَلِكَ العلماء حُرَّاسُ الشريعة وحمايتها من شياطين الإنس ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِثْلَ ثَرَسٍ شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعُ آلَانَ يَحْدِلْهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾.

٣٠ - على الأمة أن تعتني بالنابهين من الطلاب، والمقبلين منهم، وتؤهلهم للعلم وتعينهم على بلوغ غاياتهم حتى يقوموا بواجب العلماء، ويحرسوا هذه الشريعة



من المنتحلين. وإذا كان الله تعالى جعل للوحي حرساً من الشياطين، فعلى الأمة أن تعد حرساً للشريعة وحمالاً للوحي ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾ ٨ ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ ٩ ﴿.

٣١ - من جمال الإنسان أن يكون لطيف الأدب، أنيق الذوق، رائق الكلمة، تأمل هنا ﴿وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُريدُ يَمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمَرَأَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ١٠ ﴿لما جاؤوا لذكر الخير والشر - وكلاهما من الله تعالى - نسبوا إليه الخير، وأجملوا في الشر، فلم ينسبوه لله تعالى. وإذا رزق الإنسان أدباً وذوقاً ومشاعر رزق كل شيء.

٣٢ - من قبح التصورات، وسوء أثر الجهل على صاحبه، وهشاشة العقيدة أن تجد إنساناً يهب من حق الله تعالى لغيره من الخلق فيصنع من الجن آلهة ويقوم حظها في قلبه كما يقوم حظ خالقها وهم أعجز المخلوقين عن نفع أنفسهم ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ ١١ ﴿فما أبقت هذه الآية للمتعلقين بالجن أو غيرهم من المخلوقين إلا خيوط العنكبوت.

٣٣ - الإيمان بالله تعالى يصنع للإنسان مباحج الحياة ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.



وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ
نَحَرُّوا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾
وَالْوِاسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْسِنَهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ
الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي
لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتٍ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْأَلُونَ
مَنْ أضعفُ ناصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا
تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا
رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾



التفسير

- ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمون لربهم، الطائعون له تعالى ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون الظالمون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ قصدوا طريق الحق والخير ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ﴿١٤﴾ سلكوا سبيل النجاة والفلاح والرشاد.
- ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ﴿١٥﴾ توقد بهم النار.
- ﴿وَالْوِاسِقُمْ﴾ الجن والإنس ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الحق والعدل ﴿لَأَسْقِنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ ﴿١٦﴾ هنيئاً مريئاً كثيراً وخيراً واسعاً وعظيماً.
- ﴿لِنَقْنِئَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فنعلم شكرهم على تلك النعمة من كفرهم بها ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ عبادته ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ﴿١٧﴾ شديداً شاقاً.
- ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي المواضع المعدة للصلاة والعبادة مختصة بالله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾ فلا تعبدوا فيها غيره.
- ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ النبي الكريم محمد ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يدعو إلى الله تعالى ويعبده ﴿كَادُوا وَيَكُونُونَ عَلَيْهِ﴾ أي المشركون من الجن والإنس من تكاثروا ﴿لِبَدَا﴾ ﴿١٩﴾ متراكمين من ازدحامهم لسماع القرآن منه، ودعوته إلى عبادة الله تعالى، وهذا الاجتماع والالتفاف اجتماع غيظ وغضب، ونية على الأذى لما يفعله بهذه الدعوة، وتلك العبادة في دينهم.
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي﴾ أعبدوه وأبتهل إليه وحده ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ من الناس أياً كان.
- ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢١﴾ لا أقدر أن أدفع عنكم ضرراً ولا أسوق إليكم خيراً سواء اهتديتم أو غويتم.



- ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ لا يدفع عني أحد عذاب الله تعالى إن نزل بي ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٢﴾ ملجأً ومنتصراً.
- ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ إلا ما أبلغكم به عن الله تعالى وعن رسالاته استثناء من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ فلا يجيرني منه ويخلصني إلا إبلاغي الرسالة التي أوجب أداءها علي ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يخالف أمر الله تعالى ونهيه، وأمر رسوله ﷺ ونهيه ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ فلا يخرجون منها، والخلود المشار إليه في حق المعاصي الكفرية.
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة عياناً وجزموا أنه واقع بهم ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حين يرون ذلك ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ جند الرحمن أم جند الشيطان.
- ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُمْ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ لست أعلم عن قرب عذاب الله تعالى الذي وعدكم به من طول أمده.
- ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ من الخلق.
- ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ فإنه يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به ﴿فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ فإنه تعالى يجعل بين يدي الرسول ومن خلفه حرساً من الملائكة يحرسونه على ما معه من الوحي.
- ﴿لِيَعْلَمَ﴾ بهذا الحفظ من الملائكة ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بما جعله لهم من الأسباب ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عندهم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ﴿٢٨﴾ فرداً فرداً لسعة علمه ﷻ.



التدبير

١ - من سنن الله تعالى أن الرخاء فرع عن الاستقامة على أمر الله تعالى وسلوك طريقه المستقيم ﴿وَالْوِاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ١٦ وهذا عام في الأفراد والجماعات. وعلى قدر سلوك هذا الطريق تستقيم الحياة.

٢ - ما أكثر بلاء النعيم في حياة الناس! وما أقل الاعتبار به!! ﴿وَالْوِاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ١٦ لِنَفْنِنَهُمْ فِيهِ... كم من معتبر بالبلاء، وكم من غافل عن النعيم! رغم قسوة الشدة وألمها على مشاعر الإنسان إلا أنك ترى من ينجح فيها ويستعلي على ألمها ومضها، ويسقط كثيرون في لحاف النعيم وبرد عطاؤه.

٣ - ما أقسى صور الإعراض عن ذكر الله تعالى! ما يزال بصاحبه حتى يكبده الرهق والإشفاق. كثيرون الذين تضيق بهم الحياة للدرجة التي يتمنى الواحد منهم أن يقتل نفسه كمدأ مما يجد، وذلك بعض جزاء الإعراض ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

٤ - تقرير التوحيد وتعظيم شأنه في قلوب العباد من أعظم واجبات الدعاة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ٢٠ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ٢١ ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ٢٢ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ ٢٣.

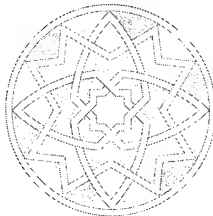
٥ - التجرد من الأنا، والارتفاع عن حظوظ النفس، والفصل بين المنهج وشخص الداعية قاعدة تمتن عليها الدعوة، ويصلب عودها، وتشرق شمسها، ولا تقف في الطريق لتخلف صوت الداعية أو تركه لها يوماً ما ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ٢٠ ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ٢١ ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ



مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾.

٦ - الدعوة ليست فضولاً في أوقات الدعاة، أو تطوعاً يؤدونها متى شاؤوا. الدعوة مسؤولية ضخمة، وتكاليف باهظة، وأثقال ينوء بها الكبار، حين كان شعور الداعية كذلك كانت الدعوة تقتات من روحه ومشاعره ووقته وتفكيره وماله وجهده كما تشاء، وحين تحولت في ذهن الداعية إلى مجرد مشاركة فقدت منه كل شيء، وعادت تبحث عن فضول الأوقات والمشاعر والأرواح، ثم لا تجد من ذلك إلا النزر اليسير ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ وسؤال هذا الواجب يوم القيامة على قدر ممن الله تعالى على صاحبه في الدنيا، وكم من خيرات لم تلق ترحيباً كافياً بعد.

٧ - مع كل مباهج الفرص يحين وقت لفواتها وزوال مباهجها وانتهاء زمنها، وكم من فائت لا تجدي فيه حسرة! ولا يمكن أن يعود ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ﴿٢٤﴾.



سُورَةُ الْمَرْمَلِكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ① قُرْ أَلِيلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③
 أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤
 إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا
 ⑦ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑧ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا
 إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا
 جَمِيلًا ⑩ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ⑪ إِنَّ
 لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ⑫ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ⑬ يَوْمَ
 تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ⑭ إِنَّا أَرْسَلْنَا
 إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ⑮ فَعَصَى
 فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ⑯ فَكَيْفَ تَنْفُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ
 يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ⑰ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
 ⑱ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ⑲



التفسير

- ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمَرْمَلُ ①﴾ المتغطي المتلف بثيابه.
- ﴿فُرَاتَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا ②﴾ متعبداً بالصلاة فيه.
- ﴿يُصَفِّهُ، أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ③﴾ قم نصف الليل أو أقل منه بقليل.
- ﴿أَوْزِدَ عَلَيْهِ﴾ أو زد على النصف ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④﴾ اقرأه على مهل فإن ذلك أعون على فهمه وتدبره.
- ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤﴾ سنوحى إليك هذا القرآن العظيم.
- ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ الصلاة فيه بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ أثقل على المصلي من صلاة النهار ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥﴾ أثبت قراءة وأسد مقالاً.
- ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ⑦﴾ تردداً وانشغالاً بحوائجك، ومعاشك ما يوجب لك اشتغال القلب وعدم التفرغ للعبادة.
- ﴿وَأَذْكُرْ اسمَ رَبِّكَ﴾ أكثر من ذكره ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ⑧﴾ انقطع إليه وتفرغ لعبادته.
- ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ المالك المتصرف في الكون بمشارقه ومغاربه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود إلا هو ﷻ ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ⑨﴾ حافظاً ومدبراً لأموالك كلها.
- ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ⑩﴾ وهو ما لا أذية فيه، ولا عتاب معه.



- ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ دعني وإياهم على سبيل الوعيد والتهديد ﴿أُولَى النِّعَةِ﴾ أصحاب النعمة والترف ﴿وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا﴾ ﴿١١﴾ زمناً قريباً.
- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾ عندنا لهم ﴿أُنْكَالًا﴾ أغلالاً وقيوداً ﴿وَحِجَمًا﴾ ﴿١٢﴾ ناراً حامية مستعرة.
- ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ طعاماً ينشب في الحلق، فلا يدخل ولا يخرج ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٣﴾ موجعاً مؤلماً.
- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ تتحرك وتضطرب ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ ﴿١٤﴾ ككثبان الرمل في لينها ورخاوتها وضعفها.
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ يمتن الله تعالى عليهم بهذه النعمة ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بأعمالكم ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ كما فعلنا في إرسال موسى إلى فرعون، فإنه يأتي شهيداً عليه يوم القيام.
- ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ كذبه ولم يؤمن به ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ شديداً بليغاً.
- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ كيف تحصل لكم النجاة، وتتقون العذاب يوم القيامة إن لم تؤمنوا بالله تعالى ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿١٧﴾ يصير الصغار بيض الشعور لهول ذلك اليوم وشدته.
- ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ متشقة من شدته وهوله ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ ﴿١٨﴾ واقعاً لا محالة منه وكائناتاً لا محيد عنه.
- ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة يتذكر بها أولوا الألباب ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٩﴾ طريقاً موصلاً إليه بالإيمان والعمل الصالح.



المدبر

١ - الأفكار التي يراد لها أن تجتاح العالم وتغيّره، وتصنع فيه الجديد تحتاج إلى روح تستعين بها على محاربة القديم، وطي صفحاته، وهذه الروح لا تكسبها الفكرة من ذاتها مع ضرورتها وأهميتها، وإنما تكتسبها من شخصية الحامل لها، الرافع لرايتها، الذي سيخوض بها المعركة في أرض النزال ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ١﴾ ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢﴾ يَصْفَهُ ٣ أَوَاقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا ٤ ﴿أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٥﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥﴾.

٢ - ليس كل شخص قادراً على أن يصنع بريقاً لفكرته في أرض الواقع! بريق الأفكار في العادة لا تصنعه إلا شخصيات مقتنعة بتلك الأفكار معتزة بها قادرة على حمل تبعاتها، والنوء بأثقالها، والسعي بها في العالمين دون مقابل. وإذا أردت أن تعرف ذلك فتأمل سير حُمّال هذه العقيدة من زمن نوح إلى زمن نبينا ﷺ ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَرْمَلُ ١﴾ ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٢﴾ يَصْفَهُ ٣ أَوَاقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا ٤ ﴿أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٥﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٥﴾.

٣ - الاستغراق الشعوري في الفكرة هو القاعدة الصلبة للنهوض بها، وحمل التكاليف التي تمكنهم من مد أفكارهم وبسطها في أرض الواقع ولو بعد حين، يكفي لرؤية هذا الواقع قراءة سيرة نبيك ﷺ بعد نزول هذا النداء الإلهي عليه.

٤ - أياً كان مشروعك إذا لم يشرب من روحك، ويلظى بهومك، ويأخذ من سنام وقتك، ويسيطر على تفكيرك فلا يستطيع في العادة أن يقف على قدميه فضلاً أن يكون له مساحة، ويكتب له حظ من التأثير.

٥ - رأيت بعيني مشاريع تنتهي عند مجرد الإعلان عنها، وأخرى تولد ولا تستكمل فترة الرضاع، وثالثة تبدأ وتقف في منتصف الطريق، وقلة قليلة تلك التي تظل



رايتها ترفرف حتى مع عاديّات الزمان، وكل ذلك راجع إلى توفيق الله تعالى أولاً، ثم ملكات حُمّالها، ورافعي رايتها، والمعلّنين عنها في أرض ذلك الواقع.

٦ - الصلة بالله تعالى والعلاقة به من أعظم العوامل التي تسقي أفكارنا روحاً وتجعل فيها إشراقاً، وتكسوها جلالاً ومحبة، وتلقي لها القبول والتمكين في تلك المساحات التي نعمل فيها. حين أراد الله تعالى لهذا الدين أن يأخذ حظه من الواقع أمر نبيه ﷺ أن يتزوّد من الصالحات التي تعينه على بلوغ أمانيه ﴿يَتَأَيُّهَا الْمَرْمَلُ (١) قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)﴾.

٧ - الأوراد الأوراد يا صنّاع الحياة! إن الكلمة لا تكتسب روحاً من خلال مقروء أو مسموع، وإنما تكتسب روحها من خلال ورد ثابت يأتي عليه صاحب المشروع كل يوم وليلة يأتي منه على مرضاة ربه، ويتحقق له به دفع مشروعه.

٨ - إذا أفضتْك هموم واقعك، وأجلبت عليك العقبات، ونازعتك الأحداث من حولك، وشعرت بضعف أمام هذه المثيرات، فيمّم وجهك لربك، وابدأ رحلة إيمانية تدفع عنك همومك وتثبت قلبك، وتحيي شعورك، وتأتي بك من جديد إلى طريق مشروعك ﴿يَتَأَيُّهَا الْمَرْمَلُ (١) قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾.

٩ - الدفاع عن الأفكار، والنهوض بالمشاريع لا يأتي من خلال عزلة جسدية أو شعورية عن واقع العمل، بل النهوض بها، وحمل تبعاتها، والفرح بمضامينها هو الكفيل بتوسيع رقعتها وتمدد مساحتها ﴿يَتَأَيُّهَا الْمَرْمَلُ (١) قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصَفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾.

١٠ - يحتاج صاحب المشروع حركتين تلازم بعضهما: حركة تأهيلية لنفس الداعية وصاحب المشروع من خلال قيام الليل، وشجن السحر، وترتيل كتاب



الله تعالى، وحركة ميدانية تطبيقية في صورة العمل للمشروع والنهوض به وتوسيع دائرته. الأولى قاعدة والثانية ساق وثمره، الأولى: تلك التي سنها الله تعالى لنبيه ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ﴾ ① ﴿فَرَأَيْتَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ② ﴿يَصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ③ أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④ والثانية: تلك التي ترى تطبيقاتها في واقع سيرة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً.

١١ - للمشاريع أثقال وأحمال تنوء بها هموم الكبار ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَالَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ⑤ وهذه الأحمال والأثقال لا يعين على تبعاتها إلا الطاعات! كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يصلي الفجر ثم يجلس في مصلاه إلى أن ينتصف النهار، وحين سئل عن ذلك قال: هذه غدوتي لو لم أتغدها لم تحملني قواي، وفي الوحي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عَقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ».

١٢ - حين اختار الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ليقوم بأعباء الرسالة هيأه لذلك من خلال الخلوة التي حببها إليه في الغار، ولم ينزل عليه الوحي حتى كان جاهزاً مستعداً لتكاليف الرسالة. وعلى صناع الحياة أن يفقهوا أن الانشغال بالواقع، والانغماس مع جماهيره، والارتكاس في حمته مؤذن بذهاب صفاء الأرواح، وفوات الشعور بوهج المشاريع، فعليهم أن يتخذوا أوقاتاً للخلوة، والعزلة الشعورية، والجسدية من ركام هذا الواقع إلى بناء الغايات الكبرى في واقع الحياة، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ ⑦ دعوة لتأمل قلق الواقع، ومعرفة مشتتاته، والاستعداد له بمثل هذه الخلوات التي تقاوم شعثه، وتتغلب على مثيراته.



١٣- من أسوأ ما رأيت انشغال أصحاب المشاريع بمشاريعهم للدرجة التي تكون هي سبباً في بعض الأحيان في تخلفهم عن موارد التوفيق. رأيت من يجتمع لمشروعه بعد الأذان، ويتخلف عن الأوراد لذات المشروع، وتراه يجري ويلهث وراء فكرة يراد لها أن تقوم على أنقاض قاعدتها.

١٤- يتقدم لصلاته مع الأذان أو قبله بقليل، ويبكر يوم جمعه، ويكرر عمرته ويدمن على قراءة ورده من الأذكار، وله ورد يتقوى به من كلام ربه، ويتفرغ يوم جمعه، وله أوقات طويلة مع الدعاء، وفي السحر حكايات من ترانيم التالين مع خلوات وخبايا يحتسبها لدفع مشروعه، وصفاء قلبه، وجمع شعثه يأتي بكل ذلك إجلالاً لوصية ربّه لنبيه ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ٨ أي انقطع انقطاعاً تاماً إلى ربك ومولاك في تلك الأوقات.

١٥- فرق بين عبادة يخرج بها صاحبها من تبعاتها، وأخرى يهب فيها الإنسان كل شيء. إن الله تعالى يدعو رسوله، وحامل راية الدعوة وصاحب المشروع إلى التفريغ الكلي لإعداد الروح القادرة على إدارة المعركة ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ ٨ ويهب الله تعالى لكل حامل راية على قدر جهده من هذا المعنى الكبير.

١٦- استغرقت فكرة المشروع أكثر من عشرين عاماً من عمر محمد ﷺ جاب فيها الأرض، ولقي فيها العذاب، واستقبل فيها المشاق، ودفع لها من وقته، وفكره، وماله، وسالت لأجلها الدماء، وفي النهاية آمن الناس بها وجاؤوا إليها أفواجا، وكذلك كل فكرة استعذبها صاحبها، وأحبها، وكان مستعداً للتضحية في سبيلها، وتجمّل بأسباب العون فيها لقي فيها ذات الأفراح، لا فرق.

١٧- إن المعركة التي يديرها حمّال رايات المشاريع في الواقع لا تكتمل عدتها حتى تدار قبلها معركة مع نفس حامل الفكرة تستخلصها من شهوات



الأرض وتحول بينها وبين الأمراض المستلقية في أخاديد النفس. إن هذا النداء الرباني ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ١﴾ قُرَّ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ٢﴾ يَصْفَهُ ٣﴾ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٤﴾ أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٥﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٦﴾ * وإن كان ظاهراً في الجوانب العبادية الظاهرة إلا أنه دعوة للصدق، والإخلاص، وقناعة بالطريق وتكاليفه للنهاية.

١٨ - إنَّ في قيام الليل خاصة أنساً مثيراً، وشعوراً غامراً بالفرح وأثراً ممتداً في باكر اليوم، ولعل هذا بعض معاني الوصية به، ولعل فيه قصة نجاح المشاريع في ضحي النهار!

١٩ - للتدبُّر أثر في قراءة الليل خاصة، وإذا رُتلت آيات الوعد والوعيد والنصر والتمكين، وحكايات أصحاب المشاريع أتت على قلب صاحبها وصنعت فيه ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٥﴾ دعوة لتحريك قلوب التالين في لحظات السحر بمثل هذه المعاني الكبار.

٢٠ - مع كل ما مضى تظل حاجة الداعية، وصاحب المشروع إلى صدق التوكل على ربه، والتوجه إليه، وحسن الإقبال عليه شعورياً ووجدانياً غاية في الأهمية ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ١٩﴾ * أي حافظاً ومدبراً وراعياً لكل شؤونك، وهذا لا يأتي إلا بهذا الشعور الملازم للإنسان في كل خطوة يخطوها في فكرته ومشروعه.

٢١ - ما يميّز الكبار وصناع الحياة أنهم يتعلقون بالله تعالى للدرجة التي لا تشغلهم جلبة الواقع من حولهم، بل يمضون في سكينه وثقة وطمأنينة عازمين على قطع الطريق بهذه المعاني الوجدانية التي تصحبهم كل حين ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ١٩﴾ *.

٢٢ - كل مشروع محفوف بعوارض وعقبات تقف حائلة دون بلوغ نهاياته، ولم يحدث بعد أن قام مشروع على تصفيق المباركين! علمتنا الحياة أن ثمن المشاريع ليس في الأوقات التي تبذل لها أو فيها ومن أجلها فحسب! وإنما ثمنها النفوس التي تودّع الأرض، وترحل وهي ترى نفوسها رخيصة في سبيل تلك الغايات. وهذه الوصية ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) بعض دلائل هذا المعنى الكبير.

٢٣ - لا يمكن للباطل أن يرضى ببوارق الحق في مساحاته! ولم يحدث أن تهدانا في مساحة ما! إن المعركة التي جرت في زمن الرسالة بين الحق والباطل هي ذاتها ستجري إلى قيام الساعة، وكلما قام أصحاب الحق بمشروعهم قام أصحاب الباطل يناكفون ذلك المشروع، ويقفون أمام توسعه، ويجهدون في تقليص دائرته ووصية الله تعالى بالصبر ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠) تأكيد على هذه القضية.

٢٤ - الطريق شاقة، والمسافة مكلفة، ودون النهايات أشلاء ودماء وأنفس! ولا سبيل للوصول إلى النهايات إلا بالصبر. الصبر على كد الضمائر وقلق النفوس، وطول مسافة النصر، وذهاب الأعوان، وفراق الأهل، ومرارة الواقع. الصبر لكل هذا ولغيره ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠).

٢٥ - الاستعلاء بالحق ضرورة! وإذا ارتفع صوت الباطل، وحمي وطمس المواجهة، وبدأت رحي المعركة فعلينا بالصبر في مقابل هذا الضياع الذي نراه في سلوك المعارضين ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (١٠).

٢٦ - إن الحق الذي أمرنا الله تعالى بسلوك طريقه لا يحتاج إلى مراجعة حتى نتأكد من صدقه. لو كان يحتاج إلى مراجعة لأمرنا بإعادة النظر والتريث والمطالبة بالهدنة والصلح في مقابل مساحات الوقت التي نحتاجها لإعادة النظر في المنهج



الذي نسير عليه. أما وقد أمرنا بالصبر فهي دعوة ألا يشغلنا نعيق المعرضين، وأن نتقوى بالصبر لمواجهة تلك الجبهات العارضة في الطريق ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾.

٢٧ - المفاصلة مع المعرضين لا تحمل على سبهم، وشتهم، وتكفيرهم، إنما تمضي مستعلية بالحق الذي معها، صابرة على وعثاء الطريق، متخلة عن أحقاد النفوس حتى وإن هجرت أعوان الباطل فإن هجرها هجر جميل، هجر لا أذية فيه ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾.

٢٨ - فرق بين الانتصار للدعوة، والانتصار لنفس الداعية! الانتصار للدعوة والشغف بها، وحمل تكاليفها، والنهوض بأعباء الطريق في سبيلها دون النظر إلى شخوص أهل الباطل، والانتصار للداعية والخصومة الذاتية التي يديرها الداعية في كل موقف ظاهرها أنها للدعوة وباطنها لشفاء النفوس وإشباعها. الانتصار الأول هو المؤذن بالنصر ولو بعد حين، والانتصار الآخر هو المؤذن بالهزيمة ولو طال زمان الانتصار.

٢٩ - الأصل في الوحي أنه لا يتعرض للأشخاص؛ لأنه أرحم بهم من أنفسهم، وما يصنع بخصومة مع قوم يمرضون ويصحون، ويحيون ويموتون، ويضلون ثم يهتدون! وهذه الوصية ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾ دعوة للإقبال على المنهج، والعناية به، والتركيز عليه، والإعراض عن ذوات المعرضين وشخوصهم مهما بلغ كيدهم، ومهما اشتد إعراضهم وبغيهم.

٣٠ - الضوضاء لا تصنع انتصاراً زمن المعارك! الهدوء والسكينة والهجر الجميل من صنائع الكبار لحظات أمواج الفتن، وأخطاء التصورات والمفاهيم ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾.



٣١ - لا تستعجل فوات أهل الباطل وزوالهم، فذلك ليس من شأنك! شأنك أن تمضي في طريق مشروعك، وتبذل في سبيله، وتجهد في بنائه، وتراغم به الأعداء في الطريق، وتدفعهم عن التوسع في مساحات الواقع قدر جهدك، وجزاء المعرضين وحمال راية الباطل وأنصار الشهوات من شأن الله تعالى وحده ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾.

٣٢ - ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾ دعوة للعمل في مساحات الممكن، ودوائر التأثير، والانشغال بما نحسن، وعدم الالتفات إلى دوائر الغير، ومساحات الآخرين.

٣٣ - التجربة، والمثال الواقعي، والتطبيق العملي أكثر الأشياء أثراً في نفوس الآخرين. أراد الله تعالى أن تبلغ الموعظة من نفوس المعرضين مبلغها، فأحلهم على صورة تصلح للقراءة والاعتبار صورة فرعون وهو يعارض رسول الله موسى ﷺ، وعاقبة ذلك الإعراض في النهاية. إذا أردت أن تقرب للناس صورة العمل وتدعوهم إليها بشوق فأحلهم إلى صورة قريبة يرون فيها الواقع الذي ينشدون ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾.

٣٤ - الطريق سالكة، كثيرة الصور، غزيرة التجربة بمشاهد الخذلان لأهل الضلال والانحراف، وإذا طال عليك ظلام الليل فاقراً خواتم المعارضين، وسنن الله تعالى في المبطلين ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾.



﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَما يَنْسَرِ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ، وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وءَاخَرُونَ يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَما يَنْسَرِ مِنْهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٠)

التفسير

- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي أن الله تعالى علم تهجدك أنت ومن معك هذه الأوقات والأزمان قلة وكثرة ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يعلم مقاديرهما وأحوالهما من الزيادة والنقصان ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ﴾ لن تطيقوا قيام الليل على سبيل الوجوب عليكم، وقيل أي لن تطيقوا علم مقادير الليل والنهار على الحقيقة ﴿فَتَابَ عَلَيْكَ﴾ فخفف عنكم، وعاد عليكم باليسر، ورفع الحرج ﴿فَاقْرَأْ وَما يَنْسَرِ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في صلاة الليل بلا تقدير ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ﴾ فلا يطيقون قيام الليل ﴿وَأَخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ للتجارة وغيرها فلا يستطيعون مع ذلك القيام ﴿وَأَخَرُونَ يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لنصرة الدين فلا



يتفرغون لقيامه ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسْرَمْنَهُ﴾ من القرآن دون حرج أو مشقة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بأركانها وحدودها وشروطها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة خالصة لوجه الله تعالى ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من الصدقات والتطوعات ﴿وَمَا نَقِمُْوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وعد من الله تعالى بالجزاء العظيم على ما تقدمونه ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾ أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره وتاب إليه.

التدبير

١ - يا أيها الداعي، يا صاحب المشروع: إن الله تعالى يرى ركضك في ساحات الأرض، ويرقب مشاهد جهدك في الواقع، وهو الكفيل بجزائك وتحقيق مرادك وتعويضك عن تعبك وجهدك، فواصل الطريق وأنت على يقين بكل مشاهد هذه الصورة في النهاية ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ،﴾.

٢ - قد يأتي التعويض عاجلاً عن جهدك، وترى مساحات الأمل تملأ واقعك، وصور ومشاهد البهجة تعم قلبك، وكل ذلك على قدر استجابتك لربك وتعظيمك لشعائره ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا يَسْرَمَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ فإزاح عنكم واجب قيام الليل، وأراحكم من عناء السهر والتعب وعوضكم على قدر استجابتكم لأمره وإجلالكم لشعائره.

٣ - على الأمة أن تتقاسم مشاريعها كل فيما يخصه ويحسنه حتى تكتمل منظومة البناء، وتأتي على مقاصدها من الواقع كما تريد ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضِيٌّ وَآخَرُونَ يَصْرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ بِبَغْتٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.



٤ - ثَمَّة حد أدنى في صلتك بالله تعالى لا ينبغي أن تتخلى عنه مهما بلغ إرهاقك، وكذلك في مشروعك الذي تقوم عليه، ومسافة يومية لا بد أن تقطعها في الطريق مهما كان واقعك ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ إن للنفوس إقبالاً وإدباراً! ومن كمال فقه النفوس أن تستثمرها غاية ما يمكن وقت إقبالها، وحين تقف في الطريق أو تكل وتجهد من طول المسافة عليك أن تعود بها للحد الأدنى الذي يمكنك من الاستمرار، ولا يثقل عليها في الطريق.

٥ - ورد القرآن من أعظم الأوراد تأثيراً في ساحة المشاريع ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ دعوة لثباته في كل يوم من حياتك.

٦ - إذا أردت دواءً يمسح همومك، ومساحة مشاعر تداوي جراح تعبك، ولمسة عزاء تعوضك أثر كدحك وعناء مشروعك فارتع في مساحة هذا الوعد الكبير من ربك ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾.

٧ - مهما بلغ جهدك، ومساحة سعيك في مشروعك ودائرة تأثيرك، فأنت في حاجة لاستعتاب ربك عن تقصيرك ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٨ - ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ دعوة لإدراك نقص نفوسنا، وضعف ذواتنا وتربية على التواضع واستشعار نعم الله تعالى، وسوابق فضله، وكبير نعيمه علينا في كل حين.



سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦ فَإِذَا يُقْرِئُ الْتَافُورُ ⑧ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ⑫ وَبَيْنَ شُهُودًا ⑬ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ⑭ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ⑮ كَلَّا ⑯ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ⑰ سَاءُ رُفْقَهُ، صَعُودًا ⑱

التفسير

- ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾ نداء للنبي ﷺ وقد تدثر بشيابه، وتلحّف بها عند فزعه من نزول الوحي ﴿قُمْ﴾ انهض بجذ وعزم.
- ﴿فَأَنْذِرْ ②﴾ حذر قومك من العذاب إن لم يؤمنوا.
- ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③﴾ عظم ربك بتوحيده وإياه وإخلاصك له.



- ﴿وَيْبَاكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤ ﴿طَهَّرْ أَعْمَالِكَ مِنْ كُلِّ مَا يَفْسِدُهَا أَوْ يَلُوثُهَا أَوْ يَنْقُصُهَا، وجمهور المفسرين من السلف وَمَنْ بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق، ويدخل في ذلك طهارة الثياب وطيب المكسب ونحو ذلك.
- ﴿وَالرَّجْزَ فَهْجُرْ﴾ ٥ ﴿اترك كل أعمال الشرك من الأصنام، وما دونها من المعاصي ونحوها وتبرأ منها.
- ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ ٦ ﴿لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من معروف وإحسان، بل ابتغي ما عند ربك من جزاء.
- ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ٧ ﴿احتسب صبرك واقصد به وجه الله تعالى.
- ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ ٨ ﴿نفخ في الصور للقيام من القبور.
- ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ ٩ ﴿لأهواله وشدائده وما يكون فيه.
- ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ ١٠ ﴿غير سهل.
- ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ ١١ ﴿لا مال له، ولا ولد أول الأمر.
- ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ ١٢ ﴿صار له مال واسع كثير.
- ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ ١٣ ﴿أولاداً لا يغيبون عنه لكثرتهم واستغنائهم عن التكسب.
- ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ ١٤ ﴿بسطة له الدنيا ومكنته منها.
- ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ١٥ ﴿من المال والولد والجاه، وقيل من نعيم الآخرة بإدخاله في الجنة.

- ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر أي لا يكون الأمر كما يأمله ويرجوه ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ ﴿١٦﴾ معاندًا.
- ﴿سَأَرْهُقُهُ، صَعُودًا﴾ ﴿١٧﴾ عذاباً لا راحة فيه.

التدبر

- ١ - ﴿بِأَيِّهَا الْمُدِّيرُ﴾ ﴿١﴾ ﴿قُرْآنُذَرُ﴾ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرُ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ فَسْتَكْبُرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ ﴿٧﴾ ليست رسالة للنبي ﷺ في باكر الدعوة فحسب! وإنما دعوة لكل صاحب مشروع أن يقوم بمشروعه، وينهض بفكرته، ويقوم بأعباء رسالته، ويتحمل تكاليف المنهج مهما كان ثقيلاً ومكلفاً. إن المشاريع لا يمكن لها في الواقع حتى يدفع لها حُمَال راياتها، وصنّاع تاريخها من أرواحهم وأفكارهم وأوقاتهم وهمومهم ما يعينها على بلوغ غاياتها، وتحقيق آمالها، وبسط واقعها في قادم الأيام.
- ٢ - ﴿قُرْ﴾ فما لك وللحافِ النوم! ﴿قُرْ﴾ ففرش النوم، وأسرّة الراحة، ومساحات الفراغ لا تصنع لأصحابها واقعاً بهيجاً، ولا تعينهم على بلوغ غاياتهم في مساحة ما. انهض فقد بدت طلّاع الفجر، وحان موعد اللقاء! المسألة يا محمد ضخمة كبيرة مثيرة لا يصنع لها الفراش شيئاً! ﴿قُرْآنُذَرُ﴾ فهذا الجهل العارض لا تقشعه إلا هموم الناهضين. ما أحوج صنّاع الحياة إلى الحركة المثيرة في مساحاتهم ودوائر تأثيرهم. وما قتل الأمة وأضاع تأثيرها، وقلل شأنها في العالمين مثل هذا التخلي الذي يعيشه أفرادها وطاقتها في واقع الأرض.
- ٣ - الدعوة ضوء الظلام، وسراج الليل، وهواتف الخير لكل شارد عن الطريق ﴿قُرْآنُذَرُ﴾ قبل فوات هذه المعاني، وضياع هذه الخيرات. وهذا الأمر بالندارة دليل ما في هذه الدعوة من خيرات.



٤ - المواجهة الواثقة بالنصر، والقيام بأدوارك في دوائر التأثير، وإشغال مساحاتك الممكنة هي أنجع وسيلة لخلق الأجواء الآمنة في ساحات النزال ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ قُرْآنًا ذَرًّا.

٥ - رحمة الله تعالى بعباده، وحبه لهم، وشفقته عليهم. وما الرسل والكتب والندارة إلا بعض معاني هذه الرحمة بالخلق.

٦ - الاستعلاء ضرورة للدعوة التي تواجه كير الجاهلية، وزيف الباطل، وعلو المستكبرين ﴿وَرَبِّكَ فَكِّرْ﴾! ربك تعالى هو الأجدر بالتعظيم، والإجلال، والخوف! لا هذه الجموع الضائعة في عرض الطريق. إن الدعوة التي تعرض نفسها على أنها الحق في الأرض، والحقيقة الضائعة على كثيرين، والكنز المفقود في عالم الحياة هي الأجدر بالإجلال والتقدير من تلك الدعوة التي تتسوّل المعرضين، وتقف في وسط طريقهم ترجوهم وتتوسل إليهم قبولها لتكاثر بهم، وتتقوى بهم في العالمين.

٧ - ﴿وَرَبِّكَ فَكِّرْ﴾ دعوة لاستعلاء الداعية في مواجهة جموع الباطل! ليس استعلاء يورث كبراً في مواجهة العصاة والمتخلفين عن موارد الهداية، كلا! فذاك شأن المخذولين، وإنما استعلاء بالفكرة في مقابل الأفكار المبتوثة في الأرض، واستعلاء بالمنهج في مواجهة مناهج الباطل، واستعلاء بالطريق في مقابل طرق الضلال، واستعلاء بالحقيقة في مقابل الأوهام.

٨ - المؤهلات الروحية من الثقة بالله تعالى، والاستعلاء بالمنهج، والصبر على طول الطريق هي التي تصنع الفروقات في واقع المشاريع. وغالب ما تراه من مباهج الواقع هو نتيجة لهذه المعاني في واقع أصحابها ﴿وَرَبِّكَ فَكِّرْ﴾ باب على مصراعيه لمثل هذه المعاني.



٩ - فرق كبير بين من يؤدي الدعوة كواجب شرعي يخشى من آثار التخلف عنه، وبين من يؤديها وكأنها جزء من روحه، وقطعة من مشاعره! الأول يكفيه عددها بغض النظر عن آثارها، والآخر يجهد في بنائها ويحلم برؤية ثمارها، والمشاريع التي لا تختلط بأرواحنا وتصبح جزءاً من مشاعرنا لا تنبت في الأرض على استواء ﴿يَتَأَيُّهَا الْمَدِيرُ ① قُرْآنُكَ ② وَرَبُّكَ فَكَبِّرْ ③ وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦﴾.

١٠ - التلبس بالفكرة أعظم ما يمكنها ويسط واقعها في الأرض! ﴿وَرَبُّكَ فَكَبِّرْ ③ وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ إن تعظيم الله تعالى، وتمثل قيم ما يدعو إليه الإنسان أعظم الأدلة على قناعته بفكرته، وشعوره بسموها، وتفانيه في بسط مساحاتها في قادم الأيام.

١١ - بريق الواقع مؤثر في صفاء النهايات! وكلما كان صاحب المشروع لامعاً في قدوته، مثيراً في واقعه صفت له النهايات ﴿وَرَبُّكَ فَكَبِّرْ ③ وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ دعوة لأثر القدوات في صناعة واقع النهايات.

١٢ - لا تبلغ الدعوة غاياتها الكبرى إلا من خلال المفاصلة الكلية بين الحق والباطل! ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾ رغم أنه ﷺ لم يتدنس بشيء من قاذورات الجاهلية! تأكيد على ضرورة هذه المفاصلة وأهميتها في واقع الدعوة. إن الذي يظن أن الدعوة لا تؤتي ثمارها إلا من خلال التخلي عن بعض قيمها ومثلها في بدايات الطريق لهو موهل في الخطأ، غارق فيه، ضال في بدايات الطريق، ومثل هذا لا يمكن أن يقف على مسافة من الطريق فضلاً أن يقف منه على قاعدة صلبة.

١٣ - لا يثق الناس بالحق إلا حين يشربونه صافياً! وكلما اختلط بأجاج الباطل تعكر في أذواق الناس، فزهدوا فيه ولم يجدوا له أثراً ممتعاً في نفوسهم، فتركوه وتخلوا عنه أو لم يسعدوا به كما يشاؤون ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤﴾.



١٤ - الاستغراق في المشاريع يحميها رؤية الأثقال والأحمال التي ينوء بها أصحابها! وما لم يصل حمّال راياتها إلى هذا الاستغراق الشعوري لا يستطيعون أن يصلوا بها إلى تلك الغايات التي تحلم بها ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ﴾ إن الذين يشعرون بما يدفعون في سبيل مشاريعهم مضطرون في النهاية إلى حساب التكاليف والعوائد لتلك المشاريع، بخلاف المستغرقين فيها فهم يدفعون كل شيء ويرون بأنهم لم يدفعوا فيها ولا من أجلها شيئاً. ما أقعد كثيرين إلا حساب التكاليف والعوائد! وما قفز بكثيرين إلى بلوغ آمالهم إلا الاستغراق في مشاريعهم وأهدافهم.

١٥ - الاستغراق في المشروع جزء من استشعار فضل الله تعالى وتوفيقه على عبده في الدارين حين فتح له باب مشروع، وهياً نفسه لقبوله، وفتح له باب الإقبال والعمل في ثنياه. ومن تأمل فيمن حوله رأى أمماً لا تملك هدفاً فضلاً على أن تدرك غاية.

١٦ - قاعدة كل النجاحات التي يحققها الإنسان في مشروعه الشخصي وأصلها وأولها وآخرها وذروة سنامها توفيق الله تعالى، ولولا ذلك لما تنفّس الإنسان مشروعه، وتوجه إليه بكل شيء ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ﴾ أي على ربك بشيء من عملك ونجاحك.

١٧ - لا يمكن أن تستقيم دعوتك ومشروعك إلا حين لا تشعر بما تبذل في سبيلها، وحين نحسب العوائد في كل مشروع نصبح كالأجراء الذين يقدمون شيئاً وينتظرون مقابلاً لذلك التقديم ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ﴾.

١٨ - لا تستكثر عملك، فتُدلي به على ربك أو على الآخرين، فما يدريك ما قبل منه وما رُد، وكم من مشروع بذل صاحبه في سبيله كل ما يملك ولم يكن له سوى الحسرات! ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ﴾.



١٩ - مشروع الدعوة مكلف، ومجهد، وشاق على النفوس، ويحتاج إلى صبر طويل ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (٧).

٢٠ - يوصي الله بالصبر ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ (٧) لعلمه تعالى أن المشاريع لا تقوى إلا على قاعدته، ولا تنهض إلا على سلالمه. وَقُلْ أَنْ تَرَى مَشْرُوعاً نَاهِضاً إِلَّا وَقَدْ تَحْمَلُ صُنَاعَهُ فِي الْوَاقِعِ تَكَالِيفَهُ، وَصَبِرُوا عَلَى أَحْمَالِهِ وَأَثْقَالِهِ. وإذا أردت أن تعرف أثر هذه الفضيلة فاقراً سير الأنبياء في فصول مشاريع الدعوة وتبعاتها في سور القرآن.

٢١ - تتفاوت المعاصي ويتفاوت بذلك أثرها على أصحابها! ما قرأ عاقل بؤساً ينتظر صاحبه، ووعيداً شاقاً في الطريق لصاحبه مثل هذا الوعيد ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ (١١).

٢٢ - الكبر لا يكاد يترك فضيلة في واقع صاحبه! مدَّ الله تعالى في النعيم للوليد بن المغيرة حتى تحقق له ما يريد، ولم يعرها اهتماماً، بل ما زال يطلب المزيد وهو لم يقم بأصل الواجب ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُوداً (١٢) وَبَيْنَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) وهذا من أعظم مشاهد خذلان الله تعالى.

٢٣ - ساحة المعركة إنما تدور رحاها على الأفكار والمفاهيم لا علاقة لها بالأشخاص! مَنْ الوليد بن المغيرة حتى يصنع له القرآن تمثالاً! الأشخاص يحيون ويموتون، ويكفرون ويؤمنون، ويقوون ويضعفون فما للدعوة ولهم!

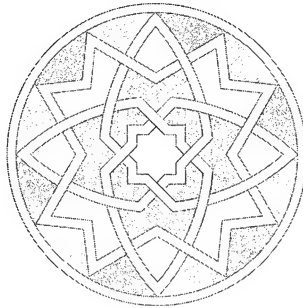
٢٤ - من أسوأ أبواب الخذلان أن تستثمر نعم الله تعالى في معارضة منهجه، فمع كل النعم التي وهبها الله تعالى للوليد بن المغيرة ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُوداً﴾ (١٢) وَبَيْنَ شُهُوداً (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) لم يستفك من غفلته وحاول توظيفها في



مواجهة منهج الله تعالى ومعارضة دينه ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ ﴿١٦﴾ وكم من صاحب قلم، ومسؤولية، وجاه وسلطان مكنهم الله تعالى، وفتح لهم أبواب النعم، وأمدهم بما يشاؤون فعادوا أنصاراً للباطل، ودعاة للرديلة، وأعداء للحق وحرماً للقيم والمثل والفضيلة. مساكين!

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعلُ

٢٥ - النعم إذا لم يستقبلها صاحبها بالشكر ويوظفها توظيفها الأمثل وإلا سلبت منه وضاعت بعد الإمكان. لقد مد الله تعالى هذا الشقي بكل وسائل التوفيق فرفض أن يستقبلها بالشكر فكانت النهاية ﴿سَأَرْهُقُهُ، صَعُودًا﴾ ﴿١٧﴾ أي سأزيد مشقته من العذاب.



إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ ۖ
 (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ (٢٣) فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
 يُؤْتَرُ ۖ (٢٤) إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۖ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا
 سَقَرٌ ۖ (٢٧) لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ۖ (٢٨) لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ۖ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
 (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۖ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا
 يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن
 يَشَاءُ ۖ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۖ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۖ (٣١) كَلَّا
 وَالْقَمَرِ ۖ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۖ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۖ (٣٤) إِنَّهَا لِأَحَدَى
 الْكُبَرِ ۖ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۖ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۖ (٣٧) كُلُّ
 نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ۖ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ (٣٩) فِي جَنَّتٍ يُتَسَاءَلُونَ
 (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ (٤٢) قَالُوا لَوْ نَكُن مِن
 الْمُصْلِينَ ۖ (٤٣) وَلَوْ نَكُن نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ۖ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
 الْحَافِضِينَ ۖ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ (٤٦) حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ۖ (٤٧)



التفسير

- ﴿إِنَّهُ فَعَّرَ﴾ في نفسه ﴿وَقَدَّرَ﴾ (١٨) ما فكر فيه ليقول قولاً يبطل به القرآن.
- ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿لَقَدْ لُعِنَ فَكَيْفَ قَدَّرَ﴾ ذلك الافتراء الباطل؟!
 - ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١) فيما قاله من الافتراء ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قَطَب وجهه كبراً وتهياً لتلك المقالة.
 - ﴿وَبَسَرَ﴾ (٢٢) كلح وجهه.
 - ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ﴾ (٢٣) عن الإيمان به.
 - ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ (٢٤) أي أن القرآن سحر ينقله محمد عن غيره ممن جاء قبله.
 - ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥) ليس بكلام الله تعالى وما هو إلا قول بشر من الناس.
 - ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرُ﴾ (٢٦) سأدخله نار جهنم.
 - ﴿وَمَا أَذْرَبْكَ مَا سَقَرُ﴾ (٢٧) تهويل وتفخيم لأمرها.
 - ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ (٢٨) لا تبقى شيئاً منهم لا يبلغه العذاب إلا بلغته.
 - ﴿لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ﴾ (٢٩) محرقة للجلود، من قولهم: لوحته الشمس، إذا سودت ظاهره، والبشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد.

- ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝﴾ من الخزنة القائمين عليها، وهذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، وهي في كل من كذب بالحق وعارضه.
- ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۝﴾ اختباراً للمصدق من المكذب ﴿لَيَسْتَفِيقَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ۝﴾ لمطابقة هذا العدد ما في كتبهم ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ۝﴾ بما يشهدون من صدق إخبار نبهم ﷺ ﴿وَلَا يَرْنَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ ليزول عنهم الشك والريب ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ۝﴾ شك وشبهة، قال الحسن بن الفضل: السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، وإنما المرض في هذه الآية الاضطراب وضعف الإيمان ﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۝﴾ يتساءلون عن الحكمة من ذكر هذا العدد ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۝﴾ إنما ذكره الله تعالى عنه ليطمئن أهل الإيمان من غيرهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۝﴾ ما يعلم جنده في عددهم وكثرتهم إلا هو ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ ۝﴾ وما ذكر النار وذكر صفتها وعددها إلا عظة وذكرى للناس.
- ﴿كَلَّا ۝﴾ ردع وزجر لمن أنكر العدة أو سقر أو الآيات ﴿وَالْقَمَرِ ۝﴾ أي الكوكب، وهذا قسم به لعجائبه وقدرة الله تعالى في خلقه.
- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ۝﴾ إذا ولَّى، وفي قراءة: إذا دَبَرَ.
- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ ۝﴾ أضاء.
- ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ۝﴾ العظام يعني النار وما ذكر من صفاتها.
- ﴿نَذِيرًا لِلْبَشْرِ ۝﴾ واعظاً لهم ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَّقَ ۝﴾ بالإيمان والعمل الصالح.
- ﴿أَوْ يَنَازِحَ ۝﴾ بالكفر أو المعاصي.



- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) ﴿مرهونة محبوسة بعملها يوم القيامة.
- ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) ﴿من أهل الإيمان فإنهم لا يرتهنون بأعمالهم.
- ﴿فِي جَنَّتٍ يَسَاءُ لَوْنٌ﴾ (٤٠) ﴿يسأل بعضهم بعضاً.
- ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤١) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿أي شيء أدخلكم النار؟!
- ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤٣) ﴿لسنا ممن يؤدي هذا الركن العظيم.
- ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ (٤٤) ﴿لم نحسن إلى الفقراء والضعفاء.
- ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (٤٥) ﴿في الباطل.
- ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٤٦) ﴿بيوم الجزاء والحساب.
- ﴿حَتَّىٰ آتَيْنَا آلِيقِينَ﴾ (٤٧) ﴿الموت.

التدبر

١ - لا نهاية لسوء التوفيق! وإذا تمدد في ساحة إنسان وواقعه لم يترك له شيئاً من نعيم ﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (٢٢) ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (٢٣) ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ (٢٤) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥) ﴿.

٢ - من شقاء العبد أن يستثمر طاقاته ومواهبه وإمكاناته في غير الحق! هذه العقلية، وتلك المواهب والطاقات، والمكانة التي يملكها الوليد بن المغيرة حاول جاهداً في توظيفها في الباطل، واستثمرها في معارضة الحق ونصرة المفسدين ﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١٩) ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ (٢١) ﴿ثُمَّ عَبَسَ



وَبَسَّرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾. ورأيت كثيرين يمدون في ذات الصور، ويخلفون ذات المشاهد.

٣ - كل الجهود التي يبذلها أصحابها في سبيل معارضة الوحي مردها للخذلان ﴿كَلَّا إِنَّهُ، كَانَ لِإِيْتِنَا عِنْدَا ﴿١٦﴾ سَأْهُقَهُ، صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

٤ - لا تحسب أن الله تعالى يغفل عن جهود الباطل في مواجهة الحق ومعارضة المنهج ﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ لقد عدَّ الله تعالى على هذا المخذول حتى تقطيب جبينه وتمعُّر وجهه، فما بالك بصنائع المبطلين!

٥ - نهايات كل صاحب باطل على قدر جهده وتضحيته في سبيل ذلك الباطل ﴿سَأْصِلِيهِ سَقَرًا ﴿٦١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

٦ - التسليم لكل ما في الشرع هو دأب المؤمن وأدبه مع ربه تبارك وتعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وفي مقابل ذلك أهل النفاق، فكم أغاروا على نصوص الوحي محاولين هدم الشريعة وتشويه صورتها!

٧ - خلل الأفكار والمفاهيم والتصورات أثر من مرض القلوب ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ وغالب ما تراه من خلاف المنافقين في الوحي إنما هو أثر لتلك الأمراض.



٨ - كم في إسفار الفجر من بركات! وهذا القسم الرباني ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (٣٤) دعوة لاستثمار لحظاته والركض في ساحاته بالخيرات! ومن جَرَّبَ عرف، ومن ذاق استلذ.

٩ - ما رأيت في حياتي كلها مثل أسفار الفأل والأمل! ولو عاش الإنسان هذا المعنى في حياته لعاش ربيع الأيام! ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ﴾ (٣٤) وما كل صبح قطعة من كون، وكم من صبح في المشاعر والوجدان أسفر قبل صبح الكون!

١٠ - ما من ظلمة إلا وهي إلى زوال طالت أيامها أو قصرت، وإذا كانت ظلمة الليل الحسية لا تدوم فكذلك ظلام المشكلات والأزمات هي كذلك إلى زوال ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا أَذْبَرَ﴾ (٣٣).

١١ - كلما اشتدَّ ظلام الليل في واقعك، فقم إلى جدار قلبك وافتح فيه نافذة من أمل، وارقب من خلالها طلائع الفجر يوشك بك أن تعانق فال الأمل قبل حلول وقته بزمان طويل.

١٢ - المسؤولية فردية، وقد زوّد الله تعالى كل إنسان بوسائل النجاح، وأمده بالقدرات والطاقات التي تعينه على بلوغ أمانيه وترك له صناعة قراره، والخطو إليه كيف يشاء ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨).

١٣ - ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) دعوة لقراءة واقعنا والانشغال به وإصلاحه وتقويمه قبل قراءة واقع الآخرين.

١٤ - إما أن تتقدم في أفكارك ومفاهيمك ومشاريعك وإما أن تتخلف! هذه سنة الحياة. ليس ثم وقوف أو انتظار. تأكد أنك حين تقف تنتظر شيئاً إنما تتخلف عن الطريق بقدر ذلك الانتظار ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧).



١٥ - التقدم والتأخر في موازين الآخرة لا يقاس بالعمران الماثل في ساحات الأرض، وإنما بالأفكار والمفاهيم والتصورات والأعمال التي يرقى بها الإنسان في عالم الآخرة.

١٦ - الحياة فرص! وكم من مواعظ لم تأخذ حظها من قلوب أصحابها إلا بعد الفوات! ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ٤٢ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ٤٣ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ ٤٤ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ٤٥ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ٤٦ ﴿حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ ٤٧.

١٧ - أكثر الأسئلة مضاضة وأشدّها ألماً سؤال التفريط ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ٤٢ وأصدق الأجوبة اعترافاً بالخذلان والندامة ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ٤٣.

١٨ - كم من رفقة أودت بصاحبها في مواقف الخذلان! ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ٤٥.

١٩ - تعطيل الإنسان لملكاته وقدراته وإمكاناته من أسوأ ما يواجهه في حياته، وكم من إنسان سلّم قياد نفسه للآخرين! ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ٤٥.

٢٠ - كثير من مواقف الخذلان تلك التي تتم في وسط مجموعة الأصدقاء، والخلان ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ٤٥ فتخيّر من يعينك على طريق الحق.





فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ
 ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
 كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ
 الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾
 وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْنَفْوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ﴿٥٦﴾

التفسير

- ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ فلا ينتفعون بشفاعة أحد يوم القيامة لسوء أعمالهم.
- ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ صادين غافلين.
- ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ كأنما هم حمير وحش.
- ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ من أسد.
- ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٥٢﴾﴾ يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل على النبي ﷺ.
- ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ إنما أوصلهم إلى ما هم عليه عدم إيمانهم بالآخرة، وتكذيبهم بوقوعها.

• ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ (٥٤) أي هذا القرآن العظيم وما فيه من مثل هذه المواعظ.

• ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (٥٥) اتعظ به، واستفاد مما فيه ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وما ينتفعون إلا إذا أراد الله لهم الانتفاع ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى﴾ هو أهل لأن يتقى.

• ﴿وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ﴾ (٥٦) وأهل لأن يغفر ذنب من تاب وأناب إليه.

التدبر

١ - خطأ التصورات مشكلة تطارد كثيرين، وتقذف بهم في مرات كثيرة في تيه الظلام! ما الذي جعل الإنسان يعرض عن الموعظة مع أنها لا تكلفه حملها والنوء بأثقالها! ما الذي دعاه لأن يتصور أنها عدو يطارده وهو يفر منها في كل حين! إنها التصورات الخاطئة حملته على كل ذلك، وفي النهاية فاتت عليه الفرص، وبات ضحية النهايات ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾.

٢ - الموعظة مجرد رسالة يمكن للإنسان أن يقرأها ويوظفها في حياته بالطريقة التي يراها، ولست مجبراً أمام هذه الموعظة بشيء. أنت صاحب القرار في النهاية فما لك وللهرب! ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾.

٣ - الكبر غالباً ما يصد عن الهداية! ويقف أمام سيلها الهادر بالفضائل، رفض هؤلاء الهداية، ولم يجلسوا بين يدي الوعاظ لأن نفوسهم لا تقبل إلا كتباً تنزل

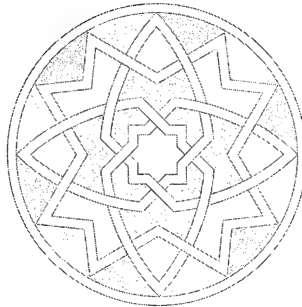


عليهم من السماء تدعوهم وتدلهم على الخيرات ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً﴾ ﴿٥٢﴾ حين نعتقد أن لنا شيئاً خاصاً، وأنا نستحق أن نتميّز عن غيرنا تتجافى الخيرات عن طريقنا، وكم من سيل هادر لم يجاوز المنخفضات!

٤ - الهداية حق مشاع بين الجميع ليست حكراً لطائفة أو مذهب أو جماعة أو حتى فرد. وهذا القرآن إنما هو لمجرد الذكرى ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكْرُهُ ﴿٥٤﴾.

٥ - كل إنسان حر في خياره، وهو المسؤول عن تبعات ذلك الاختيار، لست مجبراً على اعتناق فكرة أو منهج أو دعوة، بل لك الخيار في كل ذلك ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكْرُهُ ﴿٥٥﴾.

٦ - أيّاً كان ماضيك فلا تجعله عقبة في طريق مستقبلك ﴿هُوَ أَهْلُ النَّفْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿٥٦﴾ ما أكثر ما يضع الشيطان صاحب الخطيئة في خندق الجريمة! وما أكثر حاجة المذنبين إلى ظلال هذا الوصف المثير لربهم تعالى ﴿هُوَ أَهْلُ النَّفْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿٥٦﴾.





سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ① وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ② أَيَحْسَبُ
الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامُهُ ③ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ ④ بَلْ
يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ⑤ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ⑥ فَإِذَا بَرَأَ الْبَصَرُ ⑦
وَحُصِفَ الْقَمَرُ ⑧ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ⑨ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ الْمَفَرُ ⑩ كَلَّا لَا وَزَرَ ⑪ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ⑫ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ
يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑭ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَاذِيرَهُ ⑮ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ⑯ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقَرَأَهُ ⑰ فَإِذَا قَرَأَهُ فَانْبِعْ قُرْآنُهُ ⑱ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ⑲

التفسير

- ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ①﴾ لا للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، وهو القسم بيوم القيامة وما فيه من أحداث وأحوال.
- ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ②﴾ جميع النفوس الخيرة والفاجرة، وسميت لومة لكثرة تلونها وترددها وعدم ثبوتها على حال.



- ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَنُ أَنَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿أَيُظَنُّ أَنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى إِعَادَةِ عِظَامِهِ وَجْمَعِهَا بَعْدَ تَفْرِقِهَا فِي الْقُبُورِ.
- ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِ مَنْ ذَٰلِكَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿إِنَّا قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نَعِيدَ الْبَنَانَ عَلَى صُغْرِهِ، وَنَوَلِّفَ بَيْنَهَا حَتَّى تَسْتَوِيَ، وَمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ هَٰذَا فَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِ الْكِبَارِ أَقْدَرُ، وَقِيلَ: أَيُّ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نَجْعَلَ أَصَابِعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ شَيْئًا وَاحِدًا كَخَفِ الْبَعِيرِ أَوْ كَحَافِرِ الْحِمَارِ لَا يُمْكِنُ أَن يَعْملَ بِهَا شَيْئًا.
- ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ ﴿٥﴾ ﴿يَكْذِبُ بِمَا أَمَامَهُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.
- ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿مَتَى يَكُونُ.
- ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿تَحَيَّرَ وَشَخَصَ مِنْ شِدَّةِ هَوْلٍ مَا رَأَى مِنْ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ.
- ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿٨﴾ ﴿ذَهَبَ ضَوْؤُهُ.
- ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ﴿٩﴾ ﴿جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكُورًا فِي النَّارِ.
- ﴿يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآفَرُ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿حِينَ يَعَايِنُ هَٰذِهِ الْأَهْوَالَ، يَقُولُ: أَيْنَ الْمَلَاذِ وَالْمَهْرَبُ؟!﴾
- ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿لَا مَلْجَأَ لِأَحَدٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ يَخْبِرُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ حَسَنًا وَقَبِيحًا صَغِيرًا وَكَبِيرًا.
- ﴿يَمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿يَخْبِرُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، أُولَٰهَا وَآخَرَهَا، صَغِيرًا وَكَبِيرًا.

- ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ﴾ (١٤) يعرف حقيقة ما هو عليه من إيمان أو كفر، أو طاعة ومعصية، وقيل شاهد على نفسه بما اقترف.
- ﴿وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ (١٥) ولو جادل عنها واعتذر إلا أنه عارف بما وقع فيه أيام الدنيا.
- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) لا تحرك لسانك بالقرآن عند إلقاء الوحي عليك لتأخذه على عجل مخافة أن يتفلت منك.
- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك حتى لا يذهب عليك منه شيء.
- ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) وتسهيل قراءته وحفظه حتى تتمكن منه، وهذا وعد من الله تعالى وقد حصل.
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ تلاه عليك الملك ﴿فَأَنْبِئْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) فاستمع له.
- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) بيان معانيه، وتفسير ما أشكل فيه.

التدبير

١ - تثير السورة ثلاث قضايا مصيرية: قضية الموت كقدر مكتوب على كل مخلوق في الدنيا ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَاللَّفَتِ السَّاقَ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) وتبعث حقيقة يوم القيامة ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَئِنَّا لَمَفْرُوءُونَ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) ثم تذكر بمآل الخلق في ذلك اليوم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَنْظُرُ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) وإذا أبصر



الإنسان هذه الحقائق أدرك أن نجاحه في هذه الحياة مرهون بإدراك هذه الحقائق الكبرى والعمل لها والقيام بحقوقها.

٢ - ما أوسع الآثار السيئة التي تحدثها الغفلة في واقع صاحبها! وكم من أهداف وغايات حال هذا المرض دون بلوغها، وما رأيت شؤماً يطارِدُ إنساناً مثل هذا الشؤم! وما رأيت علاجاً يجتث هذا المرض من أصله ويأتي على برئه وعلاجه مثل القرآن. وما يحول بين الإنسان وهذه الغايات إلا مثل هذه الأمراض.

٣ - ما أكثر سياط النفوس اللوامة على قلوب أصحابها! كم من خطيئة ضربت بثقلها في عمق نفوسنا وكانت من أشد العقوبات العاجلة ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ النفس التي تلظى صاحبها عند فوات كل حظ من خير، وعند كل تقصير. ما أكثر ما يقع لنا من هذا اللوم، وما أقل ما نتعظ!

٤ - كم من خصام سافر في دواخلنا بيننا وبين الأخطاء التي نقع فيها! في نفوسنا ما يكفي من السياط لو كنا نشعر بأثر الجرائم. وما لجرح بميت إيلام ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ قال الحسن البصري رحمته الله: والله ما نرى المؤمن إلا يلوم نفسه يوم القيامة: ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي. اهـ وهذا ليس في الآخرة بل يجري مع الإنسان في كثير من المواقف الصالحين منهم وغير الصالحين!

٥ - ما أجلب على مستقبل إنسان بالخسارة كما أجلبت عليه الشهوات ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِفَفْجَرِ آمَانَةٍ ۝٥﴾ أي يكذب بمستقبل الجزاء والحساب، وما يصنع ذلك بنفسه إلا حب الشهوات.

٦ - إذا أردنا تأثيراً للخطاب الدعوي، فيجب أن يقوم هذا الخطاب على مرتكزات كثيرة من أهمها خطاب العقل بما يحمل من أدلة ودلالات وقناعات تجعله في موضع الاحتراف والسرور به، والقناعة فيه. وفي قول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ

أَلَّنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ، ﴿٢﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ، ﴿١﴾ إشارة إلى هذا المعنى فالقادر على خلق البنان أول وهلة رغم دقته قادر على إعادة ما بقي من الجسد وهو ترقُّ من الأصعب إلى الأسهل، ودعوة لإعمال العقل في هذه الصور من جديد.

٧ - فرق بين البلاغ الذي يعد مهمة الدعوة في الأصل (إن عليك إلا البلاغ) المزوّد بكل أدوات التأثير، والحامل في جنباته كل عواطف الوجدان للتأثير على المدعو وإقناعه بهذه الرسالة، والبلاغ الذي يتخلّص به صاحبه من تبعات الدعوة حتى ولو في الظاهر. إن هذا القسم الكبير الذي يستهل به القرآن خطاب الدعوة، ويواجه العقل، ويستحث الوجدان رسالة أن الدعوة مسؤولية ضخمة يجب أن تأخذ حظها من العناية والاهتمام ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ ﴿٢﴾ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ، ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ، ﴿٤﴾.

٨ - الموعظة فن! تبدأ بهذا السؤال الاستنكاري ﴿أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ، ﴿١﴾ ثم تجيب بهذا التحدي العريض ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ، ﴿٢﴾ فرق كبير بين موعظة باردة لا أثر لها، وموعظة تستفز القلب، وتأتي على مشاعر الإنسان، وتأخذ حظاً مثيراً من وعيه، ثم تدلف عليه بالخير العميم.

٩ - إنكار يوم القيامة إما متولد عن شبهة لأن هؤلاء لما رأوا تفرّق الجسد قالوا محال أن يعود مرة أخرى ﴿أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ، ﴿٢﴾ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ، ﴿٤﴾ وإما متولد عن شهوة، لأن هؤلاء لما تدنسوا بالشهوات واللذات رأوا أن في إثبات ذلك تنغيصاً لهذه الشهوات ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِفَجْرٍ أَمَامَهُ، ﴿١﴾ وغالب الخلق إنما يؤتون من هذين الطريقين.

١٠ - ما أكثر عواقب التفریط على أصحابه! هل كان يظن الواحد من هؤلاء أنه سيأتي يوم يبحث فيه عن الفرار ثم لا يجد طريقاً إليه! ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾



كم في أيام الدنيا من فُسْح! وكم في حياة كل إنسان من فُرْص! وليأتين على الإنسان أيام يبحث فيها عن الفرار من مواجهة مصيره فلا يجد إلى ذلك سبيلاً.

١١ - العدل هو الناموس الذي قامت عليه السموات والأرض ﴿يُبْنُوا الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ١٣ لا يفلت من تاريخ إنسان شيء. أياً كان رجلاً أو امرأة، وفي أي حقبة من زمن، وفي أي مساحة من مكان، سيأتي في النهاية يقرأ سيرته وتاريخه وعمله وتراثه كما لو أنه صنعه الآن.

١٢ - قد ننجح في خلق الأعذار لأخطائنا الشخصية، ونجد تبريراً وافياً لعودنا عن دوائر التأثير لكننا لا نملك دفع تلك الحقيقة التي تواجهنا من الداخل ﴿بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ هذا في الدنيا فكيف بالوقوف بين يدي الله تعالى في العرصات! ما أكثر ما نبحت لأنفسنا عن الأعذار التي تبرر لنا الخلاص من مواقفنا، ومشكلاتنا، وما أكثر ما تصفعنا هذه الحقيقة ﴿بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ في كل ساعة حلوة!

١٣ - (الأنا) أسوأ ما يواجه نجاحنا وتقدمنا! وكلما حاول الواحد منا الاعتراف بخطئه وواقعه واجهته (الأنا) فستر كل شيء ومضى مكابراً في الطريق رغم الأمراض التي يعيش مراراتها في واقعه.

١٤ - المصارحة، ومواجهة واقعنا وأخطائنا بوضوح، واعتبار الخطأ جزءاً من بشرتنا، والخلاص من الأنا الزائفة هو المساحة التي يمكن أن نتوسع من خلالها ونأتي على آمالنا الكبار كما نريد.

١٥ - أنت أعرف بنفسك، وكل ما تراه وتسمعه من حولك لا يعدو أن يكون ظاهراً لا علاقة له بواقعك بعمق. فلا يغرك المادحون، ولا يؤثّر فيك اللائمون؛ فالحقيقة لا تعدوك قيد شبر ﴿بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾.

١٦ - الوحي أعظم الوسائل أثراً في البناء سواء على مستوى ذواتنا أو مشاريعنا، وقد تكفل الله تعالى بحفظه من الخطأ والضياع ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿لَوْ أَنْ كُلَّ فِرْدٍ اسْتَقْطَعَ جِزْءاً مِّنْ سَنَامٍ وَقَتَهُ لِهَذَا الْوَحْيِ وَتَرْبِيٍّ مِّنْ خِلَالِهِ لَتَحَقَّقَ لِلْأَمَةِ جِزْءٌ مِّنْ تَارِيخِهَا مِّنْ خِلَالِ تِلْكَ الْأَوْقَاتِ.

١٧ - بداية المشاريع، والخطوة الأولى فيها، وإشعال سراج ظلام البدايات صناعة يملكها أصحابها، وعلى قدر تلك البدايات، وذلك الخطو وقدر الضوء في ذلك الفتيل تبدأ رحلتها الجادة في الواقع، والنهايات بيد الله تعالى، لولا هذا الشوق وتلك البدايات ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿لَمَّا جَاءَ فَيُضِ تِلْكَ الْنَهَايَاتِ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧)﴾.

١٨ - الحَدَبُ على المشاريع، والشوق إليها، والهِتَافُ بها هي صناعة الكبار والرواحل! ما أشد رغبة النبي ﷺ وحرصه على حفظ الوحي وضبطه، والخوف على فواته! وكذلك يفعل صنّاع الحياة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَابْتَغِ فَرَأَآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) ﴿وْغَالِباً لَا تَحَقَّقُ الْمَشَارِيعَ وَاقِعاً بَهِيْجاً إِلَّا مِّنْ خِلَالِ تِلْكَ الْأَشْوَاقِ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهَا.

١٩ - أخذ المشاريع بجِدٍّ هو منهج الكبار! لقد عاش النبي ﷺ مشغولاً بمشروعه ورسالته للدرجة التي يلاحق فيها جبريل في أخذ القرآن خوفاً من فواته ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿جِزْءٍ كَبِيرٍ مِّنْ مَّشَارِينَا الشَّخْصِيَّةِ تَتَوَقَّفُ قَبْلَ تَمَامِهَا، وَتَمُوتُ قَبْلَ أَوَانِهَا لِأَنَّا لَا نَأْخُذُهَا بِتِلْكَ الْمَسَاحَةِ الْجَادَةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُنَا ﷺ يَأْخُذُهَا. حِينَ تَقْرَأُ هَذَا الصُّورَةَ مِّنَ الْحَدَبِ عَلَى اللَّحَاقِ فِي حَيَاةِ رَسُولِنَا ﷺ بِوَجْهِهِ وَمَشْرُوعِهِ وَرِسَالَتِهِ تَقْرَأُ فِي مَقَابِلِهَا تِلْكَ الْجَوَانِبَ التَّطْبِيقِيَّةَ الَّتِي عَاشَ عَلَيْهَا ﷺ حَتَّى النِّهَايَةِ.



كَلَّابٌ لِّئَلَّا يُبْغِضُوا الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾
 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾
 كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَتِ
 أَلَسَاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَىٰ
 ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوَلَىٰ لَكَ
 فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾
 أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِن مَّيِّ يَمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَلَ مِنْهُ
 الذَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

التفسير

- ﴿كَلَّابٌ لِّئَلَّا يُبْغِضُوا الْعَاجِلَةَ﴾ ﴿٢٠﴾ الدنيا وما فيها من اللذات.
- ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٢١﴾ تدعونها وتشاغلون عنها.
- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ ﴿٢٢﴾ حسنة بهية.
- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ تنظر إلى ربها عياناً زيادة في نعيمها.
- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ﴾ ﴿٢٤﴾ كالحلة عابسة كئيبة.
- ﴿تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ﴿٢٥﴾ داهية.



- ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٢٦) ﴿فِي حَالِ الْاِحْتِضَارِ، وَمَا يَصَاحِبُ ذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَالتَّرَاقِي: جَمْعُ تَرْقُوعٍ، وَهِيَ الْعِظَامُ الَّتِي بَيْنَ ثَغْرِ النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ، كُنَايَةٌ عَنْ رَحِيلِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ.
- ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ (٢٧) ﴿مَنْ يَرْقِيهِ؟!﴾
- ﴿وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (٢٨) ﴿وَأَيُّقِنِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ ذَلِكَ أَنَّهُ فِرَاقُ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا.
- ﴿وَالنَّفْتِ السَّاقِ بِالْسَّاقِ﴾ (٢٩) ﴿التُّوتُ سَاقُهُ بِسَاقِهِ الْأُخْرَى عِنْدَ الْمَوْتِ، فَمَاتَ رَجُلَاهُ وَبَسَّتْ سَاقَاهُ، وَلَمْ تَعُدْ قَادِرَةً عَلَى حَمَلِهِ.
- ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (٣٠) ﴿الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَ.
- ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ بِالْدِّينِ وَالْجِزَاءِ ﴿وَلَا صَلَّى﴾ (٣١) ﴿وَلَا أَدَّى الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: لَا أَمِنَ بِقَلْبِهِ وَلَا عَمِلَ بِبَدَنِهِ، وَهَذَا إِخْبَارٌ عَنِ الْكَافِرِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا مَكْذِباً لِلْحَقِّ بِقَلْبِهِ، مُتَوَلِّياً عَنِ الْعَمَلِ، فَلَا خَيْرَ فِيهِ ظَاهِراً وَلَا بَاطِناً.
- ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُ مِنْ رَبِّهِ ﴿وَتَوَلَّى﴾ (٣٢) ﴿عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.
- ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (٣٣) ﴿جَذْلَانِ أَشْرَأُ بَطْراً لَا هَمَّ لَهُ وَلَا عَمَلٍ.
- ﴿أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ (٣٤) ﴿ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ (٣٥) ﴿تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لِمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ فِي الدُّنْيَا.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) ﴿فَلَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى وَلَا يَبْعَثُ وَلَا يُسْأَلُ.
- ﴿الْعَرِيكَ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ (٣٧) ﴿مِنْ قَطْرَةِ مَاءٍ تَمْنَى فِي الرَّحْمِ.
- ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً﴾ دُمّاً بَعْدَ النُّطْفَةِ ﴿فَخَلَقَ﴾ فَقَدَّرَهُ بِأَنْ جَعَلَهُ مَضْغَةً مَخْلُوقَةً ﴿فَسَوَّى﴾ (٣٨) ﴿فَعَدَلَهُ، وَكَمَّلَ نَشَأَتَهُ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ.



• ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ من المنى، وقيل من الإنسان ﴿الرَّوْحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿٢٩﴾
الرجل والمرأة.

• ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ أليس الذي أنشأ هذا الخلق البديع وقدر عليه ﴿يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَى﴾ ﴿٣٠﴾ يعيد الأجسام بالبعث على ما كانت عليه في الدنيا.



١ - حب العاجلة، وقصور الرؤى، وضعف الأحلام، والرضى بالدون هو الذي وقف حائلاً أمام كثير من غايات وأحلام الكبار في الواقع ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ﴿٣٠﴾
وَنَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٣١﴾ وهذا في كل شيء. كم من صاحب هدف استطال الطريق وترك مرابع الجادين! وكم من صاحب مشروع فارق مشروعه بعد أن أوشك على التمام! وكم من مستعجل للشهوات فاته حظ الدارين منها!

٢ - كم من سهم في الدنيا كان على حساب أسهم الآخرة! ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ﴿٣٠﴾
وَنَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٣١﴾ لو وعى الواحد منا ما ينتظره في الآخرة لتحولت إلى هم يلاحقه، ويسيطر على وقته وفكره وهمومه، وإلا لن تصل لتلك الغايات التي تؤملها والأشواق التي تحلم بها.

٣ - يمثل الحافز دوراً مثيراً في حمل التكليف، والقيام بالواجبات، وكلما كان الحافز مثيراً كانت النتائج كبيرة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿٣٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٣٣﴾ وعلى المربين، وصنّاع المشاريع، وحمّال رايات الإصلاح أن يفتنوا لحاجة النفوس إلى لعاع الحياة العاجل، ومثيرها الآجل، ويدفعون من الأول ما يعين على بلوغ الثاني بإمعان.

٤ - النفوس تكل، وتتعب، وتجهد، وإن لم يأتها شيء من الغيث العاجل توقفت عاجزة عن حمل أثقال الأهداف، والمشاريع، والآمال، وكل إنسان بصير بنفسه



ومن معه، وعليه أن يعينها على بلوغ غاياتها من خلال الحافظ المناسب سواء كان عاجلاً في اللحظة أو آجلاً إلى حين ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾.

٥ - الجزء من جنس العمل! ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ للنفوس الكادحة المجهدة المتعبة في الطريق الطويل، الحاملة بآمال المستقبل، والبالدة في سبيله كل شيء ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ للنفوس القاعدة عن ساحات العمل، وللأمانى الفارغة من البناء.

٦ - في الحياة نعيمان! نعيم الجمال الذي يراه الإنسان في الكون من خلال صورة أو مشهد، ونعيم الروح الذي لا يصنعه إلا العمل الصالح. الأول تلقاه في عرض الطريق، ويهبه الله تعالى من شاء من خلقه حياً أو جماداً، والآخر لا يوجد إلا في مباحج الروح. الأول: لا صناعة لنا فيه، والثاني: كله من صناعة الإنسان. ولو تخيل عاقل مباحج هذا الجمال في نفسه ومشاعره يوم القيامة لجالد عليه بالسيوف ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾.

٧ - إذا جال بنظرك جمال بهيج في موقف ما، فافراً على نفسك تلك اللحظة مباحج تلك الدار ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾.

٨ - وإن لحظة تنتظرك في قادم الأيام ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ لهي كفيلة بالسلوى عن كل نعيم ترجوه ولو لم تدركه إلا بعد حين!

٩ - ما أوسع الفرق بين موازين الدنيا والآخرة! وكم من قبيح صورة في عرض الدنيا جاء يوم القيامة في ظلال ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾.

١٠ - الموت حقيقة تدفع للعمل، وتبني المستقبل، وتزيد في رقعة التحديات، وتصنع الفوارق الكبرى في واقع المخلوقين! ما لنا وللتشاؤم به! إنه لحظة وجدت للتكريم، والابتهاج، ورؤية النتائج، والفرح بالنجاح، وكم من ميت ودّع



دنيا الأسى واستقبل عالم الأفراح ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ ٢٦ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ ٢٧ ﴿وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ٢٨ ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ ٢٩ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ٣٠ ﴿أكثر ما يثيرني آمنيات الكبار ومنها قول الأول: (غدأ نلقى الأحبة محمداً وحزبه) وقول الآخر: (يا مرحباً بالموت حبيب جاء على فاقه).﴾

١١ - لن تجد دافعاً لأمانيك الكبار، وموقفاً لرحضة التفاهات في حياتك مثل الموت! هو الحقيقة التي يجب ألا تغادر ذهنك في كل حين، وما قتل الناس مثل طول الأمل ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ ٢٦ ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ ٢٧ ﴿وَطَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ٢٨ ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ ٢٩ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ ٣٠ ﴿وفي الحديث: «أكثرُوا ذكر هاذم اللذات».

١٢ - الخسارة ذاتية! والتفريط الذي نمارسه في واقعنا نحن الذين سنجنّي ثماره المرة في النهاية! وذلك الذي تولى غير أبه بكل ما حوله سيعود لائماً ذاته بعد ذهاب أوان التعويض ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ ٣١ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ٣٢ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ ٣٣ ﴿يَتَمَطَّى﴾ ٣٤.

١٣ - ليست الحياة صدفة عارضة، ولا حركة عابثة بل هي نظام دقيق محكم لغايات تنتظر كل إنسان ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ٣٦ ﴿ما يبعث البهجة في هذا الكون أنه لغاية، وما يثير فيه الشجن أن ثمة نظام دقيق يدير عجلة الحياة. وما يدعو للعمل هو الجزاء الذي ينتظر كل إنسان في نهاية المطاف.





سُورَةُ الْإِنْسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾
 إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
 بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾
 إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ
 الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ﴿١﴾ ﴿ قد أتى على الإنسان زمن من الدهر لم يكن شيئاً مخلوقاً ولا مذكوراً. ﴾
- ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ ﴿ بني آدم ﴾ ﴿ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ ﴿ أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة ﴾ ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ ﴿ نختبره ﴾ ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية. ﴾
- ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ ﴿ وبيننا له ﴾ ﴿ السَّبِيلَ ﴾ ﴿ طريق الخير وطريق الشر، أو طريق الهدى وطريق الضلال ﴾ ﴿ إِمَّا شَاكِرًا ﴾ ﴿ بالاهتداء فيه ﴾ ﴿ وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ﴿٣﴾ ﴿ بالإعراض عنه. ﴾



- ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ أرصدنا لهم ﴿سَلَاسِلًا﴾ يسحبون بها ﴿وَأَغْلَلَ﴾ قيوداً يُغْلون بها ﴿وَسَعِيرًا﴾ ناراً تسعّر عليهم.
- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ أهل الطاعة والإخلاص الذين بروا بطاعة ربهم تعالى، ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج وتخلط به ﴿كَافُورًا﴾ في طيب رائحتها كالكاפור.

المدبر

١ - هذه السورة تُقرأ في صبح كل جمعة اليوم الذي تقوم فيه الساعة تهتف بأرواح المؤمنين، وتذكرهم ما ينتظرهم من غايات! وتدعوهم للثبات على الطريق حتى موعد اللقاء!

٢ - تواجه السورة في بدايتها كبرياء الإنسان، وتقف في وجه تمرده على المنهج وإعراضه عن الحق، وتعرفه بحقيقته، وتبين له واقعه قبل أن يكون شيئاً مذكوراً في الأرض ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ ما أسوأ كبرياء الإنسان على الحقائق!﴾

٣ - قيمة الإنسان ليست في الصور التي تعرض له في الحياة، أو في المكتسبات التي يجدها في طرقها، قيمته الحقيقية في تحقيق الغايات الكبرى التي خُلق لها، ومن أجلها وجد ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾.

٤ - ثمة صلة كبرى بين النعم التي يهبها الله تعالى للإنسان وبين الواجبات المنوطة به. وكلما زادت تلك النعم زادت قيمة التكاليف المنوطة به ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ليست عبثاً، وهامشاً، وإنما طريق لغاية كبرى ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ كم من



نعمة استوفت حظها في حياة صاحبها لم تلق شكراً! وكم من محروم أتى على كثير من الغايات!

٥ - وسائل المعرفة تمثل دوراً كبيراً ومؤثراً في نضج الإنسان، وكمال تأثيره، وعلى قدر العناية بها تأتي النهايات، وما يصنع مخلوق في الأرض لولا هذه الوسائل في حياته ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾!

٦ - من رحمة الله تعالى بالإنسان أن زوّده بوسائل المعرفة والإدراك، ومكّنه من الوصول للحق، ثم ترك له الحرية في الطريق التي يختار. إن إنساناً يهبه الله تعالى كل شيء، ويعينه على بلوغ الحقيقة بشتى الوسائل ثم يتنكب الطريق، ويدبر باحثاً عن الضلالة لهو حقيق بها، ولا شرف له بالإسلام ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣).

٧ - من روائع الجمال في الإسلام هذه الحرية التي يهبها للإنسان! فلا يكلفه أن يعتنقه مجبراً، أو يأتي إليه مغلولاً في الآصار! ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢) ﴿أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّرِيقَ، وَذَكَرَهُ بِنَهَايَاتِهِ، وَجَعَلَ مَوْعِدًا لِلْجَزَاءِ، وَمِنْ اخْتَارَ طَرِيقًا عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَقْبَلَ نَهَايَاتِهِ.

٨ - من أسوأ ما يواجه الإنسان في حياته هذا الاستسلام السلبي أمام القدر. في كثير من الأخطاء التي يرتكبها، والعادات السلبية التي يقع ضحيتها يرمي بها للقدر متخلياً فيها عن مسؤوليته مع أنه يملك فيها القرار، ويستطيع أن يصنع فيها التغيير ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢).

٩ - تولى القرآن الكريم تصحيح المفاهيم والأفكار بصورة لم يسبق لها مثيل، وما من كتاب يحمل قارئه على أفكار ناهضة في الواقع إلا وهو جزء من مفاهيم هذا القرآن. وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢) أحد المفاهيم الكبرى التي حررها القرآن، وما زالت تلقى انحرافاً في واقع كثير من المسلمين.



١٠ - النهايات معقودة على البدايات، وهذه النهايات الخاتمة لأصحابها ﴿إِنَّا
أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾ (٤) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ
كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥) ﴿أثر من آثار تلك البدايات.

١١ - لا فرق من حيث أصل النتيجة والنهاية بين الطريق الحسي الذي تقود فيه
سيارتك وأنت موعود في آخره بحتفك وسوء نهايتك، والطريق المعنوي الذي
تقود فيه نفسك إلى ما ينتظرها من سوء. مَنْ هذا العاقل الذي يضع قدمه في
الأسر، ويده في الغل، وجسده في شعاب النار! ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
سَلَاسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا﴾ (٤) ﴿لو كنا نقرأ بوحي لصنع فينا القرآن عجائب الدهر!

١٢ - ما أكثر عوائد العمل الصالح على أصحابه! ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ
كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥) ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٦) ﴿وكم من
جهد أفاض على أصحابه بالخيرات! يكفي من ذلك هذا الفيض من الكرم، وهذه
النهايات من النعيم ﴿يَشْرَبُونَ﴾ و ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ في يوم أحوج ما يكون فيه
الناس لذرات الأعمال.

١٣ - ما أحوجنا للخيال هنا بالذات! ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ
مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (٥) ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٦) ﴿إنها ليست خمراً
محضاً! وإنما ممزوجة بالكافور! وليست كأساً واحدة وإنما عين تفيض بالشراب
يفجرونها كيف شاؤوا، إلى أين شاؤوا، متى ما شاؤوا، وا شوقاه لهذا النعيم! ذاك
المحروم يبحث عن جرعة ماء، وهذا البر يجر عينه حيث شاء وينعم كيفما أراد.

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَنَحَاوْنَ يَوْمًا كَانَ شَرْهُهُمُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَكِينَا وَيَتِيمَا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّيْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ آسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعِ مَنِ امْتَأَا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَّفِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾



التفسير

- ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يشربون منها الخمر ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ﴿٦﴾ يجرونها إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاءون في قصورهم ومجالسهم ومحالهم.
- ﴿يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ﴿٧﴾ يسوق الله تعالى هنا سبب استحقاقهم لهذا النعيم ومحالهم.
- ﴿يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ﴾ إذا أوجبوا على أنفسهم طاعة وفؤا بها ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ يخشون يوم القيامة الذي يكون عذابه فاشياً منتشراً ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ﴾ على حال محبتهم له، وشهوتهم فيه، وتعلقهم به ﴿مَسْكِينًا﴾ ذا مسكنة وهو الطواف الذي يسأل المال ﴿وَيَتِمَّ﴾ وهو الصبي الذي لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ أسير الحرب، وهو عام في أسرى المسلمين والكافرين لا فرق، قال الحسن: ما كان أسراهم إلا مشركين لأن في كل كبدٍ رطبةً أجراً.
- ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾ رجاء ثواب الله تعالى ورضاه ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾ مقابلاً مالياً لما نقوم به ﴿وَلَا شُكْرًا﴾ ﴿٩﴾ ثناءً قولياً.
- ﴿إِنَّا خَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ عبست فيه الوجوه وقبضت ما بين أعينها كراهية لذلك اليوم ﴿فَطَرِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ طويلاً.
- ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ أَمَّنَهُمْ مما خافوا منه ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾ في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾ ﴿١١﴾ في قلوبهم، وذلك أن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه.
- ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ أعطاهم جزاء صبرهم على الطاعات، وجزاء صبرهم عن الشهوات ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٢﴾ منزلاً رحباً، وعيشاً رغيداً، ولباساً حسناً،



جمع لهم بين سعة المنزل، وجمال اللباس، وطيب العيش، ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ على الأسرّة ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿شَمْسًا﴾ حراً مؤذياً ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ برداً شديداً.

• ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾ ظلال أشجارها قريبة منهم مطلة عليهم ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ ﴿١٤﴾ سخرت لمتناولها حتى أنه متى رغب الأكل في شيء منها دنت إليه، وتدلّت عليه.

• ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَائِيَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ﴾ يطوف عليهم الخدم إذا أرادوا الشراب بأواني الفضة ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب، وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ أي أن تلك الأكواب كالقوارير في الصفاء، وكالفضة في البياض.

• ﴿قَدَرُوا نَفِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ على قدر ريّهم لا تزيد ولا تنقص، وهذا أبلغ في لذة الشارب، وأعذب في حصول المقصود.

• ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ يسقى أهل الجنة فيها كذلك ﴿كَأْسًا﴾ خمراً ﴿كَانَ زَجْجُهَا زَجْجِيلاً﴾ ﴿١٧﴾ ممزوجاً لهم بالزنجبيل مبالغة لهم في النعيم، تارة تمزج لهم بالكافور لأنه بارد وتارة تمزج لهم بالزنجبيل.

• ﴿عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلاً﴾ ﴿١٨﴾ عين في الجنة تسمى سلسيلاً، وإنما سميت بذلك لسلاسة سيلها، وحدة جريها، وسلاستها في الحلق ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ على حالة واحدة لا يتغيرون عنها من الشباب والجمال والنظافة.

• ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ حَبَبْنَهُمْ لَوْ لَوْ أَمَشُوا﴾ ﴿١٩﴾ من كثرتهم، وحسنهم، وجمالهم، وانبثاثهم في تلك الأماكن ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ إذا نظرت في الجنة ورميت



بطرفك هناك فرأيت ما أوتي الأبرار ﴿رَأَيْتَ نِعَمًا﴾ لا يوصف من الجمال والبهاء.

• ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ في السعة والعدد والكثرة.

• ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لباسهم الذي على ظواهرهم، والتعبير بعالي في هذا الموطن بأن هذه الثياب هي ثياب الزينة والجمال ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٍ﴾ حرير ناعم مما يلي الباطن من أجسامهم ﴿وَلِاسْتَبْرَقٍ﴾ حرير فيه بريق ولمعان مما يلي الظاهر من أجسامهم ﴿وَحُلُوءًا أَسَاوَرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ ألبسوا في أيديهم أساور الفضة ﴿وَسَقَمَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ ﴿٢١﴾ لا كدر فيه بوجه من الوجوه.

• ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ على ما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ مجازى عليه غير مضىع.

• ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ منة يمتن الله تعالى بها على نبيه أن نزل عليه القرآن مفردًا.

• ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ كما أكرمك بما أنزل عليك اصبر على قضائه وقدره، وتبليغ أمره، والعمل لدينه ﴿وَلَا تَطْغَ مِنْهُمْ إِثْمًا﴾ فاعلاً للإثم ﴿أَوْ كُفُورًا﴾ ﴿٢٤﴾ واقعاً في الكفر، نهاء أن يطيع العصاة والكفرة.

• ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ بالدعاء والصلاة والذكر ﴿بُكْرَةً﴾ أول النهار ﴿وَآصِيلًا﴾ ﴿٢٥﴾ آخر النهار.

• ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ أكثر له من السجود ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ﴿٢٦﴾ أطل في ذكره وعبادته.

• ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي الكفار والفجار ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ من اللذات الدنيوية ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ يوم القيامة.



- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ أوجدناهم من العدم ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أحكمنا خلقهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْلَهُمْ بَدِيلًا﴾ (٢٨) ﴿بِهَلاَكِهِم وَالْإِتْيَانِ مَكَانَهُمْ بَآخِرِينَ﴾.
- ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ هذه الموعظة من السورة ذكرى وعظة للمعرضين المدبرين ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٢٩) بالطاعة والقربى إليه.
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وما القربى إلى الله تعالى والزلفى إليه إلا بتوقيفه وهدايته، فإنه عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له، عليم بمن لا يستحقها فيصرفها عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠) عليمًا بمن يستحق الهداية حكيمًا في تدبيره وأمره ومشئته.
- ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ فيختصه بعنايته ويوفقه لأسباب السعادة، ويهديه لطرقها ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ الذين اختاروا طريق الغواية والشقاء ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١) مؤلمًا قاسيًا شديدًا.

التدبير

١ - إذا أتعبك الانتظار، وطال عليك الأمد، ونأت بك الدار، ولم تلق حادياً يعينك على طول الطريق، فأعد قراءة هذا المعنى مراراً ﴿فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهَهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١) وَجَزَلَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَذَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَدْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَسُقُونَهَا كَأَسَا كَانَ مِنْ أَجْهَآ زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ❖.

٢ - ماذا بقي من نعيم وقد جمع الله تعالى للأبرار في الجنة بين نصارة الأجسام وسرور القلوب مع ذهاب الخوف واستقرار الأمن والطمأنينة في حياتهم؟! ﴿فَوَقَّهَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهَهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ (١١).



٣ - كم من مجهد مكدود في أيام الدنيا عاد بهيجاً مخدوماً في ساحات الآخرة ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ فَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ فَدَرُوها نَقِيرًا ﴿١٦﴾.

٤ - القدرة على الوفاء، وحمل التكليف، والقيام بتبعات المسؤولية هي التي تصنع الفارق في حياة أصحابها سواء اليوم في واقع الدنيا، أو غداً في ساحات الآخرة ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَنذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِمًّا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾. ما كان لهؤلاء أن يلقوا هذا النعيم وتتحقق لهم هذه النهايات لولا مباحج العمل في حياتهم بالأمس.

٥ - الأصل أن الحياة قائمة على مبدأ الحقوق والواجبات، ونعيم الإنسان في الآخرة على قدر عطائه. وعلى قدر ما تهب من وقتك وجهدك تأتيك الخيرات! وهذا النعيم البهيج للأبرار، والخسارة للكفار جاءت نتيجة لهذا المبدأ وتكريساً لمفاهيمه في واقع كل إنسان ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا﴾ ﴿١١﴾.

٦ - أعظم ما في هذه العقيدة أنها وحي السماء، وأنها منهج رباني صالح لكل زمان ومكان، وليست تنظيماً بشرياً تُستنفد فيه طاقات مجبولة على النقص ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٢﴾ بكل ما فيه من أحكام وآداب وشرائع مرتبة مفصلة لا يأتيها الباطل، ولا يعتريها النقص. وأياً كانت مباحج المصالح الظاهرة في واقعة إذا لم تلتق مع هذه الشريعة في ذات الطريق فهي هباء لا قيمة لها، ولا مصلحة من ورائها.

٧ - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ رسالة في مواجهة زيف الجاهلية وكبرها التنن، وعروضها المغرية في عرض الطريق. إن هذه الرسالة منهج لا يستقيم مع واقع الجاهلية الزائفة في الأرض! منهج له كيانه، وقيمه، ومبادئه وأولوياته مواجهة تماماً لكيان الجاهلية، وقيمها، ومبادئها، وأولوياتها لا يمكن أن



يلتقي معها في طريق، أو يجتمع معها في مكان، أو تجمعهما أولوية واحدة في واقع الأرض. تلك من السماء، وهذه من الأرض، تلك وحي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذه أهواء وشهوات وملذات.

٨ - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ دعوة للدعاة، والمصلحين، وأصحاب المشاريع، وضُناع الحياة أن يدركوا أصل رسالتهم ودعوتهم، فإن هذا أمكن لهم في مواجهة الباطل وزيف الجاهلية بعز وشموخ. من زمن بدء الرسالة إلى يومنا هذا كلما قامت الرسالة في مكان قامت الجاهلية في ذات المكان تصاول عن مكانتها الوهمية، وتدافع عن قيمها الواهية. تحاول جاهدة أن تدفع الرسالة لإدراكها أن من شأن الرسالة أن تنقض مكانتهم الاجتماعية، وتحارب قيمهم السائدة، وتواجه مصالحهم المادية، وتقف في وجه شهواتهم وحياتهم العابثة. ولن تقف الجاهلية مكتوفة الأيدي أمام قيم الرسالة الجديدة، بل ستحاول جاهدة بشتى الطرق إيقاف مدها، والحيلولة دون مواصلة سيرها، والواقع طافح بذلك من تاريخ شروق شمسها إلى يومنا هذا وستظل! حاولت الجاهلية من خلال إيذاء تلك الفئات التي استجابت للرسالة مبكراً واقتادتهم للرمضاء في حر الظهيرة، ولم تُبْقِ جهداً في محاولة ردهم عن الطريق حتى لا تستكثر بهم الدعوة ولا تقوى بهم في الطريق، وجمعت من الشبه والأفكار والمفاهيم المشوهة وبثتها في الواقع محاولةً لصدّ الفئة التي يساورها الهروب من رق الجاهلية إلى فسح الإسلام ومباهجه، وعادت لصاحب الفكرة، وحامل الراية، وموقد السراج في الظلام لتوقف حماسه لفكرته، وتعطل عزيمته في حمل تلك الراية، وتجهد في إخفات ذلك السراج الذي بات يتمدد في الأرض بصورة مثيرة وسريعة تارة بالإغراء، وتارة بالتشويه، وتارة بالتهديد. وفي مقابل كل ذلك كانت الرسالة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾.



٩ - تعرض السورة أربع صفات لحَمَّال المشاريع، وصُنَّاع الحياة، والرواحل في أمتهم تمكنهم من مواجهة كير الجاهلية، والتصدي له، وإيقاف مده، وتمكين الحق في مقابل ذلك: الصبر، والتجافي عن أصحاب الباطل، والذكر، وقيام الليل ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ (٢٤) ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥) وَمِنْ أَيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦) ﴿الصبر على حمل راية الحق، والسعي به في العالمين، والاستمرار في نشره وتبليغه مهما كانت كلفة الطريق، وشقة المسافات. والبعد عن أصحاب الباطل، وعدم السماع لهم، أو قبول شيء من الحلول التي يقاربون بها بين الطريقين. والإقبال على الله تعالى، واللجوء إليه، والتوكل عليه. إن هذه المقومات كافية في النهوض بمشروع الحق، وتمكينه من الواقع، والوصول به إلى غاياته.

١٠ - كل الحلول التي يطرحها أهل الباطل مع أصحاب الحق هي جزء من المعركة التي تدار في الواقع، وكل الظنون بها أوهام. والرضا بأي شيء منها رضا بتأخير عجلة الحق في مواجهة عجلة الباطل. إن أصحاب الباطل لا يمكن أن يعرضوا صلحاً مجرداً من المصالح، وهم في الأصل لا يعرضون صلحاً إلا حين يشعرون بالهزيمة، فمجرد الوقوف معهم في منتصف الطريق تعويق للحق وإبطاء بمسيرته الكبرى في الطريق ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ (٢٤).

١١ - لا مصالح مشتركة بين الحق والباطل، ولا لقاء في منتصف الطريق، يجب أن يكون الحق في كل مساحة هو الأعلى، ويظل الباطل محصوراً في أضيق المساحات ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ (٢٤).

١٢ - الإقبال على الله تعالى أعظم أدوات النصر في المعارك التي تدار بين الحق والباطل! إن العبادة ليست شيئاً يزيد في رصيد صاحبه غداً بين يدي الله تعالى قط، كلا! وإنما هي الجزء الأكبر من أدوات المعارك حين تدار رحي الحروب



والأزمات. إذا احتدمت الخطوب، وخيم الظلام في رقعة من الأرض، فليحسن صناع الحياة التوجه إلى الله تعالى، والإقبال عليه، وحسن التضرع بين يديه. وهذا أيها القراء ليس بالضرورة في هيجان المعارك، وإنما في كل نائبة بمؤمن، وفي كل مشكلة تواجهه ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٢٥) وَمِنْ أَيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) ﴿.﴾

١٣ - الصبر الصبر أيها الكبار! مهما كانت الصور العارضة توحى بالهزيمة، والفشل، والإخفاق، وتبني بينك وبين أحلامك آماداً من الزمان فتغلب عليها بسكينة الصبر. لا تعجل لبوارد الواقع المشاهد، ولا تقنط إذا احلوك الظلام الدامس ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ﴿فما تراه من مشاهد حگم يديرها ربك، ومقاصد يأتي عليها من خلال القدر. وإذا تجاوز بصرك الواقعة التي تعيشها أدركت بصيرتك بعضاً من تلك الحكم. وكم من ظاهر عاجل أبغضناه كان أعود ما يكون علينا بالخيرات!

١٤ - تعرض السورة وسائل الحق التي يجب أن يواجه بها الباطل وهي: الشعور بقيمة المصدر، وأنه إلهي محض، وأنه لا يمكن بناء جسر من الباطل ليعلو عليه الحق، والاستعانة بالله تعالى من خلال الإقبال عليه، والتوجه إليه، وحسن الظن به، والصبر على طول الطريق، وشقتها مهما كانت آماد مسافتها ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنْ أَيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) ﴿.﴾

١٥ - من أسوأ ما في الإنسان ضمور همته، وضحالة تفكيره، وضعف وعيه حين يترك أجلاً مثيراً في مقابل عاجل رخيص! ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (٢٧) ﴿ما أكثر هذه الصور في واقع الخلق! يتنافسون على عاجل زهيد في مقابل أجل بهيج! إذا أراد الإنسان أن يرى صوراً لأثر التصورات،



وضعف الاهتمامات، وقلة الطموح؛ فليُنظر إلى هذه الجموع المتكالبّة على هذه الدنيا في مقابل مباحج الآخرة.

١٦ - ليس من شرط الموعظة أن تأتي بمستقبلها إلى حياض آمالها! هي ذكرى ودعوة واستنهاض همم لكل من تصله، ويكفيها وضوح رسالتها وحدها على قومها، وليس عليها بلوغ الآمال ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٢٩).

١٧ - النفوس الكبيرة، والقلوب القابلة للهدى والصلاح تستحق هذا الإكرام والإجلال ﴿يَدْخُلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١) كم من قلب أورد بصاحبه أماكن الهدى! وكم من قلب تنكب بصاحبه عن الخيرات!



سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠

التفسير

- ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ الملائكة أو الرياح أو الرسل ﴿عُرْفًا ①﴾ أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة لا بالنكر والعبث.
- ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ②﴾ الملائكة أو الرياح، أي الملائكة الموكلون بالرياح تعصف بها، أو الملائكة تعصف بأرواح الكافرين، أو الرياح العواصف التي تأتي بالعصف من ورق الزرع ونحوه.



- ﴿وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا﴾ (٣) الملائكة أو الرياح، الملائكة التي تنشر السحب أو الرياح التي يرسلها الله تعالى لنشر السحاب للغيث.
- ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا﴾ (٤) فَأَمْلَيْتِ ذِكْرًا (٥) الملائكة تنزل بأمر الله تعالى على الرسل، فتفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام.
- ﴿عُذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ (٦) إعداراً وإنذاراً من الله تعالى لخلقه.
- ﴿إِنَّمَا تَوْعِدُونَ لَوْفِعٌ﴾ (٧) الذي توعدون به من يوم القيامة كائن نازل لا محالة.
- ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨) ذهب ضوؤها.
- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩) شققت وضدعت.
- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ﴾ (١٠) ذهب بها، فلم يبق لها عين ولا أثر.
- ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾ (١١) جمعت أو أجلت للاجتماع لوقتها الذي تجمع فيه مع أممها.
- ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُحِلَّتْ﴾ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) يوم القيامة.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ (١٤) استفهام للتهويل والتعظيم.
- ﴿وَبِلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥) بيوم الفصل.
- ﴿أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦) من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوا به من الحق.
- ﴿ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) ممن أشبههم في العناد والتكذيب.
- ﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (١٨) مثل هذا الأخذ العظيم نفعل بالمكذبين في المستقبل.
- ﴿وَبِلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٩) ما أشد ما أعد الله تعالى لهم يوم القيامة!



التدبير

١ - قضية اليوم الآخر من أعظم القضايا التي أكد عليها القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ لأنها الأصل في بناء العقيدة، وعليها تقوم تصورات الحياة، وتُبنى على موازينها القيم الكبرى. وما هذا القَسَمُ إلا لتأكيدهما في النفوس، وبعثها في الأرواح، وجعلها الحاكمة لتصرفات الإنسان في كل شيء من شؤون حياته. وهذا التباين الكبير الذي تراه في واقع الناس في علاقتهم بالله تعالى وبخلقه هو فرع عن تصوّر اليوم الآخر ومدى الإيمان به.

٢ - عظمة الله تعالى، وكمال قدرته، ترى هذا في مشاهد خلق الملائكة وأعمالهم في ملك الله تعالى ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ۝٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣﴾ فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ۝٤﴾ فَالْمُلَقَّاتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ وفي الترمذي قال ﷺ: «أُطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطُطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ».

٣ - جرت حكمة الله تعالى أن الأسباب معقودة بمسبباتها، وأن لكل شيء قدراً، وأن الكون كله يسير في فلك الأسباب والمسببات، لا حاجة لله تعالى أن يجعل شيئاً من أمره على يد أحد من خلقه، وإنما لحكم أرادها تعالى في ملكه ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ۝٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣﴾ فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ۝٤﴾ فَالْمُلَقَّاتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ .

٤ - رحمة الله تعالى بخلقه، وما هذه الملائكة التي تدير هذه الأعمال وتقوم بهذه الشؤون إلا بعض فيض هذه الرحمة إغذاراً للخلق، وإنذاراً لهم ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ۝٢﴾ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝٣﴾ فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ۝٤﴾ فَالْمُلَقَّاتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦﴾ .



٥ - النجاح الحقيقي ليس هذه الصور التي نراها في الدنيا في مال أو جاه أو سلطان، وإنما النجاح الكبير في غايات الدار الآخرة. إن هذا الإعذار والإنذار لا يمكن أن يكون على شيء عادي، كلا! لا تغبط مخلوقاً مهما بلغ شأنه في الطريق ما لم تره يسابق لغايات الآخرة، وشرف النهايات الكبرى بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

٦ - الأحداث الكبيرة تحتاج إلى مقدمات مثيرة! ولو لم يكن اليوم الآخر مثيراً لدرجة لا يتصورها الإنسان لم تأت هذه المقدمات التي يقف العقل حائراً أمام أحداثها ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ۝١٠ وَإِذَا الرَّسُلُ أَفْنَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُخِّلَتْ ۝١٢﴾ وأنت إذا أردت أن تصنع لحدث أثراً وموقعاً فاصنع له مقدمات كبيرة مثيرة! وغالب ما يسكن القلب هو ما سبق بحدث مثير!

٧ - على قدر ما معك من الحقائق احشد لها من المقدمات والأحداث الدالة عليها ما يكفي لوصولها إلى أذهان المنكرين، ترى هذه المقدمات التي قدّم الله تعالى بها على حقائق اليوم الآخر كانت ضرورية لقضية كبرى كالיום الآخر في مقابل من ينكرها ويتمرد على معرفة فصولها وحقائقها في الواقع.

٨ - لا تنتظر حقاً كاملاً في الدنيا، أو انتصاراً بيناً دائماً، أو حقائق ليس عليها شيء من الرين، فتلك لا تمنحك إياها إلا مواقف الحساب بين يدي الله تعالى ﴿لَيَوْمٍ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤﴾ الفصل الذي لا تختلط فيه الحقائق بغيرها، ولا يشوبه شيء من رين الوقائع.

٩ - يا حسرة المكذبين بعد فوات أوان الاعتذار! كم كانت جولة الحياة كافية للاعتذار من كل ما يحول بين الإنسان وبين غاياته الكبرى! وما يجدي البكاء بعد الفوات! ﴿وَلَيْلٌ مُمِدِّ الْمَكْذِبِينَ ۝﴾ وكلّ على قدره من هذا الويل بدءاً من كافر لا يؤمن بأي قضية فيه إلى آخر أخذ منه ما أحب وترك منه ما يريد، وغداً تبين آماد هذا الويل في حق كل إنسان.

١٠- ما أكثر حقائق القرآن في قلوب المتعظين! وما أقل الذكرى بها في قلوب المعرضين! ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٦ ﴿ثُمَّ نُنَجِّيهِمُ الْآخِرِينَ﴾ ١٧ ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ١٨ ليست آيات تتلى، وحروف يتعبد بها فقط، بل هي حقائق يصدق بها القرآن في حياة الغافلين كل حين. أحداث بالأسماء، والأمكنة، والأزمنة وقصص لأقوام أعرضوا عن الطريق وأصرروا على مواقف لا تسندها البينات فكانت هذه النهايات!

١١- لا تستبطئوا نصر الله تعالى! ولا تقفوا في عرض الطريق متأسفين على فوات العذاب عن المجرمين! وإن طال زمان ظالم في الأرض فإن له موعداً مع النهايات! والله تعالى حكم تجل عن الوصف في تأخير كثير من الصور يستكمل بها الله تعالى قضاءه وقدره في العالمين ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٦ ﴿ثُمَّ نُنَجِّيهِمُ الْآخِرِينَ﴾ ١٧ ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ١٨.





أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ
 ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ
 كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشَى شَاحَاتٍ وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً
 فُراتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ
 ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ
 ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْدِنُ لَهُمْ فَيَعْنِدُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ
 كَيْدٌ فَاكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ
 ﴿٤١﴾ وَفَوْقَهُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَأَشْرِبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَنَعُوا
 فَلَيْلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
 بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير

- ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ (٢٠) ضعيف حقير.
- ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (٢١) جمعناه في الرحم.
- ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢٢) وقت مقدّر.
- ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِرُونَ﴾ (٢٣) قدرنا ودبرنا ذلك الجنين في أطواره حتى ظهر في أتم حال وأوفاه.
- ﴿وَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٤) تهديد ووعيد.
- ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ (٢٥) أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿تَضْمَهُمْ وَتَجْمَعُهُمْ إِلَيْهَا، تَكْفِتِ الْأَحْيَاءَ فِي الْمَسَاكِنِ، وَالْأَمْوَاتَ فِي بَطُونِهَا مِنَ الْمَقَابِرِ.
- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ﴾ (٢٦) جبلاً شاهقات ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ (٢٧) عذباً.
- ﴿وَلَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢٨) تهديد ووعيد.
- ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٩) خطاب للمكذبين بنعم الله تعالى.
- ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ (٣٠) لهب النار من شدته، إذا ارتفع صعد منه دخان له ثلاث قطع.
- ﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهِبِ﴾ (٣١) ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه، ولا يقيهم من حر ذلك اللهب.
- ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ (٣٢) يتطاير الشرر من لهبها كالحصون والقصور في عظمها.
- ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ (٣٣) كأنها جمل لعظم حجمها صفراء في لونها.



- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٤) تهديد ووعيد.
- ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) لا يتكلمون.
- ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْنِدُونَ﴾ (٣٦) ولا يؤذن لهم في الكلام فيعتذرون.
- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٧) تهديد ووعيد.
- ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ (٣٨) يوم القيامة جمعناكم أنتم ومن سبقكم.
- ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾ (٣٩) إن كان لكم حيلة أو مكيدة تنجيكم من حكمنا عليكم فافعلوها.
- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٠) تهديد ووعيد.
- ﴿إِنَّ الْأَمْنَيْنِ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ (٤١) المتقون من جعلوا بينهم وبين عذاب الله تعالى وقاية؛ بفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.
- ﴿فِي ظِلِّ كِنَانٍ يقيهم الحرَّ والبرد﴾ (٤١) وَعُيُونٍ من الأنهار جارية.
- ﴿وَفَوْكَهَ مِمَّا يَسْتَهْوُونَ﴾ (٤٢) من سائر أنواع الثمار مما يطلبون.
- ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤٣) يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان والامتنان إليهم.
- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ﴾ (٤٤) هذا جزاؤنا لمن قام بالواجب وأحسن العمل.
- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٥) تهديد ووعيد.
- ﴿كُلُوا وَامْتَنَعُوا قَلِيلًا﴾ (٤٦) مدة قليلة قريبة قصيرة ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧) تهديد ووعيد.
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨) إذا أمروا بالصلاة مع الجماعة امتنعوا واستكبروا.



- ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) ﴿تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ﴾.
- ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠) ﴿إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْقُرْآنِ فَبِأَيِّ كَلَامٍ بَعْدَ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ﴾.

التدبير

١ - لا أسوأ من الكبر! ولا أقبح من نكران الجميل! يخلق الله تعالى هذا الإنسان ويرعاه حتى يستوي على سوقه ثم يُدْبِرُ وكأنه لا يعرف من هذا المعنى شيئاً. ليتَه أدرك الحقائق قبل الفوات! ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٢٠) ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (٢١) ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢٢) ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٢٣).

٢ - لطف الله تعالى ورحمته بعباده، ترى ذلك في إعراض الخلق وإشفاق الخالق، ما أكثر ما يعرض تعالى صوراً يقرب بها الحق، ويبين بها الطريق، ويرد بها المعتبرين إلى الحقائق كل حين ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٢٠) ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (٢١) ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢٢) ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٢٣).

٣ - ما أجلّ الله تعالى، وما أعظم شأنه! ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٢٣) ﴿دعوة لتعظيم الله تعالى، والقيام بأمره، وإجلال شأنه، والقيام بحقوقه تعالى. وصور هذه القدرة أكبر من أن يحيط بها عقل إنسان مهما بلغ علمه وشأنه.

٤ - يطربك كتاب الله تعالى بأساليبه التصويرية البيانية، فيحكي لك صوراً من الخطاب الدعوي المثير، ويقلب نظرك في بدائع توجيهه حتى يأتي منك على النهاية التي يريد. بدأ أولاً بعرض لقدرة الله تعالى في الكون، ثم استعرض أحداث اليوم الآخر، وأبان عاقبة الله تعالى في المكذبين، ثم ذكّر ببدیع منن الله تعالى على الخلق، وأبان في الخاتمة النهايات التي يَرُدُّ إليها المتعاطين مع هذا



الخطاب سلباً وإيجاباً. وخطابنا الدعوي ينبغي أن يستفيد من هذه الصور، وأن يوظفها توظيفاً مثمراً يأتي منها على ما يريد.

٥ - ما أسوأ ما ينتظر المعرضين بين يدي الله تعالى في أحداث القيامة! إذا كانت الشرارة الواحدة التي تنطلق من جهنم يوم القيامة في حجم القصر الضخم، والجميل الكبير فما بالك بأهلها والمعذبين فيها! وفي الحديث قال ﷺ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَايِفَةً، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا».

٦ - الفرص تعرض وتزول! وكم من فرص وقفت على باب صاحبها، وتعرضت له في الطريق، فرفض قبولها أو استثمارها، ثم عاد يلهث وراءها بعد فوات المقصود ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ درس على ألم ضياع الفرص، وفوات الخيرات بعد الزوال.

٧ - إذا أراد الإنسان أن تترقى مفاهيمه، ويأتي على مباهج الحياة من خلال مقروء فعليه بكتاب الله تعالى، وأياً كانت الأوقات المصروفة في كتاب بهيجة في حياة صاحبها فهي لا تعدل جزءاً يسيراً من المباهج التي يلقاها المقبل على كتاب الله تعالى قراءةً وتدبراً ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠).

٨ - يا أيها الدعاة! يا أصحاب المنهج! يا أتباع الرسل! لن تجدوا سبيلاً لقلوب الناس أعظم وأكثر أثراً من هذا القرآن! فهبوا له من أوقاتكم ما يدفع بكم وبغيركم إلى ما ترجون من أحلام.



سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَسَاءَ لَوْ أَنَّ ① عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْلَقُونَ ③ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ⑤ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ⑥ وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ⑦ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ⑧ وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمُ سُبَّانًا ⑨ وَجَعَلْنَا
الْأَيْلَ لِبَاسًا ⑩ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ⑪ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا
⑫ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ⑬ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا
⑭ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ⑮ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ⑯ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ
مِيقَتًا ⑰ يَوْمَ يُفْخَعُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ⑱ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ
فَكَانَتْ أَبْوَابًا ⑲ وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ⑳ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ
مِرْصَادًا ㉑ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ㉒ لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ㉓ لَا يَذُوقُونَ
فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ㉔ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ㉕ جَزَاءً وَفَاقًا ㉖
إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ㉗ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ㉘ وَكُلَّ
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ㉙ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ㉚



التفسير

- ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عن أي شيء يتساءلون، والسؤال هنا سؤال تهكم واستغراب؛ إذ كيف يُسأل عن شيء لا يحتاج إلى بيان؟!
- ﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) الخبر العظيم، خبر يوم القيامة.
- ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٣) مختلفون في الإيمان والتصديق به.
- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) كلا في القرآن الكريم لفظة وضعت لردع شيء تقدم، والمعنى هنا ليس الأمر كما يقوله هؤلاء، وقيل: بل هي لفظة معناها حقاً، وهي هنا تهديد ووعيد، والمعنى: أنهم سيعلمون حقيقة هذا اليوم غداً حين يقفون بين يدي الله تعالى.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٦) مهدة ذلولاً قارة ساكنة.
- ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (٧) جعلها أوتاداً للأرض كي لا تتحرك بأهلها.
- ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٨) ذكوراً وإناثاً على قول، وعلى قول آخر كل متقابلين من الأشياء من القبيح والحسن، والقصير والطويل ونحو ذلك.
- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (٩) قاطعاً للتعب.
- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (١٠) غشاء يتغشاكم سواده، وتغطيكم ظلمته.
- ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (١١) منيراً تطلبون فيه أرزاقكم ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ سبع سموات.
- ﴿شَدَادًا﴾ (١٢) محكمات.
- ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (١٣) شمساً ساطعة قوية في وهجها وضوئها ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ من السحاب.



- ﴿مَاءٌ ثَجَاجًا ۝١٤﴾ منصباً متتابعاً كثيراً ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ من البر والشعير وسائر الحبوب التي يأكلها الآدميون.
- ﴿وَنَبَاتًا ۝١٥﴾ ما جعله الله قوتاً للمواشي.
- ﴿وَجَنَّتِ الْأَفَا ۝١٦﴾ أي بساتين مجتمعة ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة.
- ﴿كَانَ مِيقَتًا ۝١٧﴾ مؤقت بأجل محدد.
- ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل نفختين بأمر الله تعالى بين كل نفخة وأخرى أربعون عاماً.
- ﴿فَنَآتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ زمراً زمراً.
- ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۝١٩﴾ طرقاً ومسالك لنزول الملائكة إلى أرض المحشر.
- ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾ يخيل للنظر أنها شيء وليست بشيء.
- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١﴾ معدة ومهيأة.
- ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ المتجاوزين لحدود الله تعالى ﴿مَأْبَا ۝٢٢﴾ منزلاً ومرجعاً يرجعون إليه، ويسكنون فيه.
- ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ أزماناً.
- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤﴾ لا يجدون فيها برداً لأجسادهم، ولا شراباً بارداً في أجوافهم، والمراد أنهم لا يذوقون مع شدة الحر ما يكون فيه راحة من ريح باردة، أو ظل يمنع من نار، ولا يجدون شراباً يسكن عطشهم، ويزيل الحرقه عن بواطنهم.



- ﴿إِلَّا حِمِيمًا﴾ إلا ماءً حاراً بلغ الغليان من شدة حرارته ﴿وَعَسَاقًا﴾ ﴿١٥﴾ صديد أهل النار وعرقهم وجروحهم.
- ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ ﴿٣٦﴾ جوزوا بذلك جزاءً موافقاً لما ارتكبوه من الأعمال.
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ إنهم لم يعتقدوا أن هناك داراً يجازون ويحاسبون على أعمالهم فيها.
- ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ ﴿٣٨﴾ لم يصدقوا بما جاء من البراهين والأدلة على حدوث مثل هذه المجازاة.
- ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ فكل أعمالهم محصية عليهم مدونة في سجل أعمالهم.
- ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ﴿٣٠﴾ توبيخاً وتقريعاً، فليس لكم إلا مزيد من العذاب والنكال.

التدبر

- ١ - ضياع الرؤية أخطر ما يواجه الإنسان في حياته كلها ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ يتساءلون على وجه العبث والاستهزاء عن أخطر قضية في حياتهم وأولى الأولويات. ماذا بقي لهم!
- ٢ - إذا ألفت النفوس شيئاً، وطال زمن ذلك الإلف صعب معه قبول الحق، واحتاج إلى جهود مضاعفة لنزعه من تلك النفوس، فهذه الجاهلية التي امتدت قيمها في النفوس زمناً طويلاً احتاج الرسول ﷺ لتصحيح بعضها وإزالة بعضها الآخر إلى زمن مليء بالجهود والمحاولات ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾.



٣ - العادات كالقيد الذي يأسر صاحبه، ويجعله يتحرك بطريقة ركيكة في مساحة من الأرض، وكم من عادة أعاق صاحبها عن التفكير، وظل أسيراً لها فترة طويلة من حياته. إن الخلاف الدائر في الوحي بين هؤلاء جاء في جزء منه لركام العوائد التي تربت عليها هذه الأمم من زمن طويل. وما زالت بعض العوائد تأخذ حظها في واقعنا، وتقف معارضة للوحي في كثير من الأحيان. وقُلْ مثل ذلك في حياتنا الشخصية، فإن جزءاً من العادات التي تربي عليها الإنسان هي سبب ضعف تفكيره، وانحراف سلوكه، وذبول مشروعه ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾.

٤ - من أسوأ الأشياء في حياة بعضنا أنه يؤجّر عقله لغيره، فيفكر بتفكيره، ويتحدث بنمطه، ويحلل من خلال رؤاه، ويصبح أجيراً دون وعي، فهذه الأجيال التي تختلف وتتنازع في الوحي كانت مؤجرة عقولها لغيرها، ولذا لم تستطع أن تمنح نفسها فرصة للتفكير في تصديق هذا الوحي رغم كل الدلائل والبيانات على صحته. وفي زماننا هذا ذات القضية تأخذ حظها من نفوس كثيرين، فترى من يؤجّر عقله لقناة فضائية، أو صحيفة يومية، أو لكاتب معين، أو محلل، ويبقى في النهاية أجيراً في أعز ما يملك في عقله دون وعي. وفي القرآن عرض متنوع وكثير لإعادة هذه العقول لأصحابها من خلال منهج التفكير المبتوث في ثناياه ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾.

٥ - المعتقدات السائدة، والأفكار التي بنتها الجاهلية، والزمن الطويل الذي عاشت فيه تلك القيم والمعتقدات لا يمكن أن تُجتث من عقول أصحابها بحديث عابر في وقت قصير، وإنما يحتاج اقتلاع هذا الموروث الكبير إلى زمن طويل من العمل على المفاهيم، والأفكار، والقيم حتى تأتي في النهاية على كمال المشروع، ولعل هذا هو السر وراء قضية عناية السور المكية باليوم الآخر، والبعث منها على وجه الخصوص ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾.



٦ - كل ما يتعلّق بيوم القيامة من أخبار وأحداث حقيق بالقراءة، والفهم والإدراك وفي وصف الله تعالى هذا اليوم بالنبأ العظيم إشارة إلى هذا المعنى الكبير ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ ٢ .

٧ - الكبار يجب أن ترقى موضوعاتهم التي تدار للنقاش أثناء لقاءاتهم، وزمن الكبار أئمن من أن يضيع في التوافه، والقليل والقال، وحكايات الشارع والعوام. وكم من وقت مصروف في غير طريق، وكم من قضية أخذت أوقات الكبار وحرقتهم عن مشاريعهم، وقضايا أمتهم، وفي النهاية دفعت بهم إلى الهامش وهم لا يشعرون. على الرغم من عظمة هذا الموضوع الذي أدير في هذه المساحة للنقاش ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ ٢ . لولا أنه أدير للنقاش تكديماً واستبعاداً.

٨ - ما أكثر أثر الشائعات في حياة كثيرين! وما أكثر من تعلّق بها، وبنى عليها توجهاً وتصوراً، وخرجت في النهاية في صورة عمل، وهي في النهاية لا تعدو أن تكون شائعة لا حقيقة لها في الواقع. إن هؤلاء الذين صُرفوا عن الحق لم تكن مصادرهم عن النبي ﷺ، والحق الذي جاء به مصادر موثوقة، وإنما كانت شائعات لا صلة لها بالحقيقة، وبنوا عليها في النهاية معتقدات دفعت بهم في النهاية إلى هذا التساؤل تكديماً واستبعاداً ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ ٢ .

٩ - أثر التجرّد والصدق والإخلاص في الوصول إلى الحق، وكم من فكرة صحيحة أعمى عنها سوء القصد! إن هؤلاء الذين ظلوا يتساءلون ويختلفون لم يكن لديهم من التجرد للحق شيء، وإنما كانوا يبحثون عن كل وسيلة تقف عثرة أمام هذا الطريق فحسب ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ ﴿عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾ ٢ .

١٠ - لا بد أن يلقي الحق رواجاً في قلوب الناس مهما كان الواقع الذي يعيشونه إن هذا الخلاف المبعوث بين هؤلاء أحد الطرق التي سيسلك منها الحق إلى قلوب كثيرين، ويؤتي منها آثاره في حياتهم يوماً ما ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ ﴿عَنِ النَّبَاِ



الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ وفي مرات لا يأخذ الحق موقعه في مساحة معينة إلا من خلال الخلاف فيه والنزاع حوله، كما تراه اليوم في واقع الغرب حين تثار على الإسلام الشبه، أو تأتي بعض الحوادث يبدأ الناس في البحث عن حقائق هذا الدين وتأتي أفواج جديدة للإسلام من جديد.

١١- تأخذ القضايا حقها من الاهتمام، والحرص، والسؤال على قدر أهميتها في واقع الإنسان، وهذا الوعيد ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ جاء على أكثر القضايا أهمية في واقع إنسان قضية الإيمان بالله تعالى. وكم من قضايا توسعت وأدبرت فيها نقاشات في مثل زمانك ليس فيها سوى الضياع (وسائل التواصل أنموذجاً).

١٢- ستتلاشى كل الأعذار التي حالت دون الإيمان بالله تعالى يوم القيامة، ولن يبقى منها عذر قائم لتخلف إنسان، وهذا التهديد ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ يدل على بوار كل الحجج التي يأتي بها أصحابها طلباً للاعتذار.

١٣- إثارة العقل، ودعوته للتفكير، والتأمل، وحضه على أعمال مدخراته في الوصول للحق منهج قرآني ينبغي العناية به في كل مشروع. وفي سرد الآيات الدالة على قدرة الله تعالى، وعظيم صنعه في الخلق عقب إنكار البعث تأكيد على ضرورة أعمال العقل وإثارة التفكير ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾.

١٤- كل الجوارح التي يمن الله تعالى بها على إنسان هي أقصر من أن تهدي صاحبها للحق ما لم يصحبها توفيق! كم من الجوارح التي كان يملكها كل فرد من هؤلاء، ومع ذلك قصرت أن تهديهم إلى الطريق. إن نظرة تأمل واحدة في مشاهد الأرض، والجبال، والسماء كافية أن تأخذ بعقل الإنسان ومشاعره، ولا



يملك معها إلا أن يخر ساجداً لله تعالى تعظيماً وإجلالاً ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ (٦)
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ (٧) وَخَلَقْتُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّبَاسًا (١٠)
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)
وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾.

١٥ - يحتفي الوحي بالعقل ويدعوه للتفكير والتأمل، فإذا ما أسقط حقه في ذلك، وغلبته العادات، وأسرته العوائد، وتخلّى عن مكانه كان سبيلاً للضلال والضياع. إن الله تعالى هنا لم يأبه بخلاف هؤلاء حول قضية اليوم الآخر، وتوعد المخالف بمشاهد الحساب، وقيمة العقل تأتي من قبوله للحق وصدوره عنه لا من إثارة الجدل حول حقائقه ومفاهيمه ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا (١٧) يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الْأُصُورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا (٢٢) لِّلْبِثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾.

١٦ - قضايا الوحي أكثر القضايا أهمية في الحياة، ومهما بلغ علم الإنسان في الواقع فلا قيمة له ما لم يرتبط بهذا المعنى، وأي علم لا يعلّق صاحبه بحقائق الآخرة فلا قيمة له في شيء ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا (١٧) يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الْأُصُورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا (٢٢) لِّلْبِثِّينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾ ومن شؤم العلم على صاحبه أن يحول بينه وبين حقائق الآخرة.



١٧ - مشروع الدعوة كبير، ويجب أن يأخذ حقه من الإعداد والتأهيل، وفي الاستفهام بقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ما يستثير عقول القراء ويحفزهم على التفكير، والسؤال، والنقاش، وأخذ العلم بشوق. وكم من معلومة ممتعة جاءت في قالب ضعيف فذهبت لا قيمة لها في ذهن سامع!

١٨ - لا تكتمل حياة مخلوق إلا بزواج! وقل أن ترى فرداً إلا ويؤوب إلى ذلك الرفيق، وفي الإنسان بالذات من صور هذا المعنى ما يفوق الوصف، وثمة غايات تتصل بهذا المعنى من بقاء الإنسان في الأرض، وتجديد الرسالة، وتحقيق مصالح الدارين ما فيه ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

١٩ - ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ تراها في واقع أسرة تهيض بالأفراح، وتراها في واقع آخر مفصولة عن معانيها الكبار. ومن فقه الحياة أجرى هذه السنن على مراد الله تعالى.

٢٠ - حاجة الإنسان إلى النوم دليل على ضعفه، ودليل في المقابل على منة الله تعالى به، فوصف النوم بالسبات لأنه يقطع رتابة الحياة، ويضفي عليها نشاطاً وجدّة، وإذا ما لقي منه الإنسان قدر حاجته قام يتنفس الحياة من جديد ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾.

٢١ - من أعظم الأدلة على ضعفك حاجتك للنوم ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ كم من مريض يبيت يرقب ساعات الليل محروم من هذه النعمة! وكم من صحيح معافى بات يتقلب في أعطافها ممنوناً بنعم الله تعالى عليه وهو لا يدري! ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾.



٢٢ - الليل لباس، فكما أن اللباس يستر عورة الإنسان عن الانكشاف فكذلك الليل يخفي ما لا يحب الإنسان إطلاع غيره عليه، ومثل ما يزداد الإنسان باللباس قوة وجماًلاً يزداد بالليل كذلك قوة وجماًلاً أشار إلى ذلك الرازي رحمه الله ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ كم فيه من شاكر لآلاء الله تعالى! وكم فيه من ناكر للجميل ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾.

٢٣ - ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ نافذة على إبداع الله تعالى في هذا الكون، وجعله بديعاً متناسقاً رائعاً، يأخذ الإنسان حظه في النهار من النشاط والحركة والجهد والتعب، فيأتي الليل يسيل سخائم هذا التعب ويعيده جديداً في الحياة.

٢٤ - من كمال عقلك وفقهك وتوفيقك أن تأخذ من هذه الآيات ما يعينك على الشكر والعرفان لله تعالى، وألا تذهب في شيء يعارض منهج الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وإذا قلبت مشاعرك في قول ربك: (وجعلنا) أدركت هذا المعنى بجلاء.

٢٥ - لا تنتظر حلولاً جذرية لخلافك مع الباطل، ثمة يوم تنجلي فيه الحقائق ويبين كل شيء ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ۝١٧﴾ سَمَّاهُ الله تعالى يوم الفصل؛ لأنه يفصل بين الحق والباطل، وبين أهل الحق وأهل الباطل، وبين الحقيقة الكبرى التي عاش من أجلها الإنسان والأوهام العارضة في منتصف الطريق، وإذا طال أمد دعاوى الباطل والدجل والكذب في واقع اليوم فسيأتي يوم القيامة بالفصل المبين.

٢٦ - ضياع الأهداف والغايات الكبرى من أكثر الأزمات التي تواجه إنسان اليوم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ هذه مشكلتهم التي أودت بهم في النهاية إلى الضياع. وكل من تراه يتخبط في عرض الطريق فهو أثر لغياب هذا المعنى من واقع حياته.

٢٧ - ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ ﴿٢٨﴾ ليست هذه مشكلتهم وحدهم بل مشكلة كثيرين في عالم اليوم. يمضي يومه، وأسبوعه، وشهره، وينتهي عامه وهُمّة هذه الحياة التي بين عينيه فحسب.

٢٨ - كل صور العبث والفوضى التي تراها من كثيرين في واقعك هي نتيجة لهذه الحقيقة المرة في واقعهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾.

٢٩ - لا تستغرب إذا رأيته يعمل في بنك ربوي، أو يبني بيته، ويشترى سيارته على أموال الربا، أو رأيته لا يحتفل بحق والديه، ولا يبالي بحضور أي مشهد من مشاهد المنكر، أو يتخلف عن أكثر القضايا ضرورة في حياته كالصلاة مثلاً، كل ذلك بعض نتائج لهذا المعنى الكبير ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾.

٣٠ - ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ كل شيء، فلا يأتي على بالك أن ثمة شيء ليس مكتوباً أو محصى!

٣١ - حتى النظرة الخائنة، وكلمة النفاق، والخطوة التي سرت في الظلام، والتوقيع الذي مرر قراراً فاسداً ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾.

٣٢ - حتى تعبك لرضا أمك، ومالك الذي تعين به والدك، وجهدك الذي تبذله في مشروع، وقصة الدمع التي تهراق منك على فجائع إخوانك المسلمين ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾.

٣٣ - وما ينفع ظلام الليل أمام هذا الرقابة اللصيقة والحصار الكبير ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾ حتى لو كان الظلام دامساً، ولا سبيل إلى الوصول إليك ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ﴿٢٩﴾.



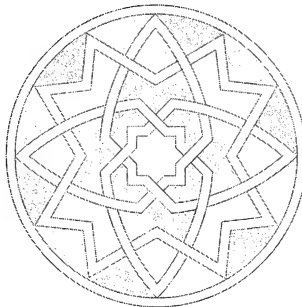
٣٤ - حتى لو سافرت، وخرجت من كل دوائر الرقابة التي تخشاها ستجري عليك أحداث هذا المعنى الكبير ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ٢٩ ﴿وسياتي في كتابك مشهد المنكر بتاريخه، ومكانه، وملابساته، ولن يغيب من ذلك شيء.﴾

٣٥ - يا صاحبي في كتابك (كل شيء) وليس فيه شيء دون شيء ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ٢٩ ﴿.﴾

٣٦ - حتى نيتك التي تجري في قلبك، أو الرياء الذي خالط مشاعرك ستأتي في صفحات ذلك الكتاب ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ ٢٩ ﴿.﴾

٣٧ - ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ٣٠ ﴿مشهد من مشاهد الحسرات، كان يكفي أن يدفع بهم إلى النار، فإذا ما قيل لهم وهم في دركاتهما ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ٣٠ ﴿ذوقوا أثر تلك الفوضى التي ملأتم بها أزمانكم وعشتم فيها بلا منهج. ذوقوا عواقب التفريط، وويلات الندم، وخسارة مواقف الحياة.﴾

٣٨ - كثيرة هي المواعظ التي طرقت أذنه، والأحداث التي جرت أمام عينه وكان هائماً في مشاهد الضلال ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ ٣٠ ﴿.﴾



إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
 دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً
 حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ
 مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
 إِلَّا مَن أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن
 شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
 يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

التفسير

- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ﴿٣١﴾ فوزاً بالمطلوب ونجاةً من المرهوب، ومفازاً من النار إلى الجنة أو موضع فوز فيكون بمعنى متنزهاً.
- ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ ﴿٣٢﴾ بساتين تجمع كل ما يمكن أن يتمتع به الإنسان فيها من نعيم ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نواهد وهي الأثداء التي لم تتدل، كناية عن صغر النساء اللاتي يجدهن المؤمن في الجنة في ذلك اليوم.
- ﴿أَزْوَاجًا﴾ ﴿٣٣﴾ في سن واحدة.
- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ﴿٣٤﴾ صافية، ممتلئة، متتابعة.
- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ ﴿٣٥﴾ ليس فيها كلام لاغٍ لا فائدة فيه، وهو كذلك كلام خالٍ من الكذب والإثم.

• ﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ ﴿٣٦﴾ كافياً وافراً شاملاً.

• ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ﴿٣٧﴾ لا يقدر أحد على مخاطبته من أهل السموات والأرض إلا بإذنه لعظمته وجلاله ﷻ.

• ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جبريل ﷺ ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿٣٨﴾ يوم القيامة لا يتكلم أحد منهم إلا أن يأذن له الرحمن أولاً، ويقول الحق والصواب ثانياً.

• ﴿ذٰلِكَ اَلْيَوْمُ الْحَقِّ﴾ يوم القيامة حق لا شك فيه ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ اِلٰى رَبِّهِ مَآبًا﴾ ﴿٣٩﴾ عمل عملاً صالحاً ينجو به يوم القيامة.

• ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يوم القيامة وإنما عبّر الله تعالى عنه بالقرب لتأكد وقوعه ﴿يَوْمَ يُنْظَرُ أَلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير أو شر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ لَيْلَتِنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿٤٠﴾ يتمنى أنه لم يخلق ولم يبعث، وكان مثل البهائم التي يقال لها يوم القيامة كوني تراباً.

الذِّبْرِ

١ - نافذة على مشهد النعيم ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسَادٍ هَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾.

٢ - ستظل المرأة بهيجة حتى في غرف الجنان ﴿وَكوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ ﴿٣٣﴾.

٣ - الحدائق التي تأسرك، والبساتين التي كانت تغرق مشاعرك كلها لا شيء أمام مشهد الجنان ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾.



٤ - مهما بلغ جمال تلك المرأة التي تراها في الشاشة أو في أرض الغربة، أو في ساحات الزهرة، حدث نفسك عن هذا النعيم، وألق بقلبك في مشاهدته، وتهياً لبلوغ منازلهم ﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾ الكواعب من قوتها وشبابها ما زال ثديها في تمام قوته وجماله، والأتراب في سن واحدة، ولا زمن يغير على هذه المشاهد الممتعة هناك.

٥ - المرأة التقية من صنائع البهجة في الدارين، في الدنيا ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وفي الآخرة ﴿وَكَوَاعِبَ أَرْبَابًا﴾.

٦ - من مباحج الجنة أنك لا تسمع فيها أحاديث البطالين، وعراك السفهاء وأصوات الرعاع ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ فدل على أنه من البلاء الذي يصم أذنيك في مشاهد الحياة.

٧ - الاستعلاء عن أحاديث الفارغين في دنياك نوع من النعيم العاجل لصاحبه ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾.

٨ - من مكدرات الحياة أن تبقى في مكان مع رعاع الفوضى ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾.

٩ - حتى كأس الشراب التي يلتذ بها أهل الجنة مملوءة، صافية، ممتعة لا تبقى معها شيء من اللذات ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾.

١٠ - فرق كبير في جزاء النهايات، حين عرض الله تعالى جزاء الكافرين قال: ﴿جَزَاءُ وَفَاقًا﴾ وحين عرض جزاء المتقين قال: ﴿جَزَاءُ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ هناك في جزاء الكافرين محض العدل، وهنا في جزاء المتقين زيادة فضل، وفرق كبير بين الجزاء والعطاء.

١١ - لا تستكثر هذا النعيم على ربك فهو يملك كل شيء ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.



١٢ - من عرف ربه قام له بواجبه ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿٣٨﴾ لما عرفوا ربهم تعالى حق المعرفة وقفوا خاشعين معظمين! وكم من قائم في أعظم العبادات صلة (الصلاة) لا يدري ما يصنع في ذلك المقام!

١٣ - كل علم لا يصل بك إلى هذه الحقائق فليس بعلم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿٣٨﴾.

١٤ - يُعَلِّمُ القرآن، وهو أكثر المتخصصين معه، أين هذه الصور عن حفاظ القرآن والتالين له صباح مساء ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿٣٨﴾.

١٥ - يحمل سراج العلم، ويجمع في كتبه، ويجلس لطلابه ويدرس وقلبه خالٍ من التعظيم ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ﴿٣٨﴾.

١٦ - وانتهت كل أقاويل الدجل لا إلى شيء ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ ﴿٣٩﴾.

١٧ - هذا ميعاد انكشاف حوادث النفاق والغش والكذب والباطل ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ ﴿٣٩﴾ وكل شيء.

١٨ - انتهت قصة تزوير الحقائق كلها وجاءت تتهادى بين أعيان أصحابها لا يحجبها عنهم شيء ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ ﴿٣٩﴾.

١٩ - طول الأمد من أكثر مشكلاتنا وأزماننا في الحياة ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿٤٠﴾ ما أكثر ما طرقت آذاننا هذه الذكرى! وما أقل العبر بها!

٢٠ - حق على الله تعالى ما ارتفع شيء إلا وضعه ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

٢١ - ما تصنع الحضارة وصواريخ الفضاء وتقنيات الدنيا كلها أمام هذا الموقف في ساحات الجزاء ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ليتهم أدركوا أنفسهم قبل الفوات.

٢٢ - ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿٤٠﴾ هذا لمجرد كفره، فكيف به وقد قتل المسلمين، وشرّد الأطفال ويتم النساء، واستعدى بقوته على الآخرين كيفما شاء!

٢٣ - إلى كل المظلومين، والمشردين، والمقتولين في ساحات أوطانهم! للظالم زمن يتمنى فيه لو كان تراباً ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ ﴿٤١﴾.





سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا ① وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ② وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ③
فَالسَّيِّقَاتِ سَبَقًا ④ فَاَلْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ⑤ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥ تَتَّبِعُهَا
الرَّادِفَةُ ⑦ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑧ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ⑨ يَقُولُونَ
أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩ أَيْنَا كُنَّا عَظْمًا نَحْرَةً ⑪ قَالُوا تِلْكَ
إِذَا كَرُّهُ خَاسِرَةٌ ⑫ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑬ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭
هَلْ أَنتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ⑮ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى ⑯

التفسير

- ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرَقًا ①﴾ تنزعها بشدة من قولهم أغرق النازع في القوس إذا بلغ غاية المدى.
- ﴿وَالنَّشِيطَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح المؤمنين ﴿نَشْطًا ②﴾ تسليها برفق.
- ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ③﴾ الملائكة يسبحون بأمر الله تعالى، ويترددون به بين السماء والأرض.
- ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبَقًا ④﴾ الملائكة تسبق إلى أمر الله تعالى.



- ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥) الملائكة تدبّر أوامر الله تعالى على حسب ما كلفهم الله تعالى به.
- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) والراجفة والرادفة: النفختان في الصور الأولى والثانية، النفخة الأولى: التي تُرجف بالناس فيموتون عن آخرهم إلا من شاء الله تعالى، والنفخة الثانية: النفخة التي يقوم بها الناس من قبورهم، وينتقلون بها من الموت إلى الحياة.
- ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨) خائفة، يسيطر عليها الرعب والهلع.
- ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (٩) ذليلة منكسرة.
- ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرُدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) نرد إلى حالنا الأولى قبل الممات، فنرجع أحياء كما كنا قبل، والحافرة اسم لأول الأمر، ومنه رجع فلان في حافرتة إذا رجع من حيث جاء.
- ﴿أَيْنَا ذَا كُنَّا عِظَمًا نَحِرَةً﴾ (١١) بالية متفتتة، أي كيف نرد إلى هذه الحياة بعد أن صرنا إلى مثل هذه الصورة من البلاء والعدم.
- ﴿قَالُوا لَيْتَكَ إِذَا كَرَّرَ خَاسِرَةً﴾ (١٢) لئن كان هذا الكلام حقيقة أن هناك رجعة بعد الموت فإنها رجعة خاسرة.
- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) صيحة واحدة، تلك هي النفخة الثانية التي تعقب النفخة الأولى، فتصирون أحياء كما كنتم.
- ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤) بالأرض المستوية البيضاء والمقصود هنا أنهم على وجه أرض المحشر أحياء بعد الموت.
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥) هل أتاك يا رسول الله خبر موسى.
- ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقُدْسِ طُوًى﴾ (١٦) حين ناداه الله تعالى وكلمه وامتن عليه



بالرسالة في ذلك الوادي المقدس، وطوى اسم للمحل الذي ناداه الله تعالى فيه.

التدبر

١ - هذا الكون يجري فيه كل شيء بانتظام ﴿وَالنَّزْعَتِ غَرَقًا ۝١﴾ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ۝٢﴾ وَالسَّيْحَتِ سَبْحًا ۝٣﴾ فَالْمُصِغَتِ سَبْقًا ۝٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾ حتى الملائكة تؤدي فيه أدوارها، وتقوم بمهمتها وفق مراد الله تعالى وحكمته.

٢ - الجزء من جنس العمل ﴿وَالنَّزْعَتِ غَرَقًا ۝١﴾ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ۝٢﴾ ملائكة الرحمة تنشط أرواح المؤمنين برفق، وملائكة العذاب تنزع أرواح الكافرين بشدة، ومن كمال عقلك ووعيك أن تأخذ لهذه اللحظة حقها من الاستعداد حتى تأتي في فلك المنعمين.

٣ - هذه أول مشاهد النعيم والعذاب ﴿وَالنَّزْعَتِ غَرَقًا ۝١﴾ وَالنَّشِطَتِ نَشْطًا ۝٢﴾ وعلى ضوء هذه البدايات تكون النهايات.

٤ - هذا زمان الفجائع، فما أنت صانع لنفسك فيه! ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشَعَةٌ ۝٩﴾.

٥ - حاجة الدعاة والمصلحين وأصحاب المشاريع إلى التسلية. إن الطريق ممتلئ بالعوارض والعقبات، وصاحب المشروع عرضة للتعب، واليأس والملل من طول الطريق وحاجته للتسلية فوق كل حاجة، وعرض قصة موسى في هذا الموضع تسلية لقلب رسولنا ﷺ وإغاثة لمشاعر الدعاة والمصلحين من بعده إلى يوم القيامة ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦﴾.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكَى ﴿١٨﴾
 وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرْسِلْهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ
 وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
 الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَحْذَرَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن
 يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا
 ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا
 ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا
 لَّكُمْ وَلِتُغْنِيَكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
 الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى
 ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ
 خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
 الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ
 ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٤٥﴾
 كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾



التفسير

- ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿١٧﴾ تجبر وتمرد على منهج الله تعالى.
- ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبُ﴾ ﴿١٨﴾ فقل له هل لك إلى طريق تزكّي فيه نفسك، وتفوز في عاقبة أمرك.
- ﴿وَاهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ﴾ ﴿١٩﴾ وأدلك على ربك وأعرّفك به، وبما يرضيه ويسخطه، فيحصل لك بعد العمل في ذلك خشيته وَيُخَالِقُ فتكون نجاتك وعزك وشرفك في الدارين.
- ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ ﴿٢٠﴾ العصا واليد.
- ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ ﴿٢١﴾ فكذب بالحق الذي دعا إليه موسى، وعصى الأمر الذي وجهه وأرشده إليه.
- ﴿ثُمَّ أَذْبَرْ يَسْعَىٰ﴾ ﴿٢٢﴾ لم يكتف بتكذيبه وعصيانه بل ولّى مدبراً ساعياً إلى الخذلان راداً للحق وأهله.
- ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ ﴿٢٣﴾ جمع جنوده ونادى بأعلى صوته.
- ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿٢٤﴾ فأخذه الله نكالاً لِّلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ جعله عبرة الدارين.
- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ ﴿٢٦﴾ في أخذه وما حل به من العذاب عظة وعبرة لمن يخاف الله ويخشى عقابه.
- ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا مِّنَ السَّمَاءِ بَنَاهَا﴾ ﴿٢٧﴾ أيها المنكرون للبعث أخلقكم أشدّ أم بناء السماء.
- ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا﴾ ﴿٢٨﴾ رفع جزمها فجعله عالياً، بعيداً، مستوي الأرجاء.



- ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ﴿٣١﴾ أَظْلَمَ لَيْلَهَا وَأَنَارَ نَهَارَهَا.
- ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ دَحَاهَا: فَسَّرَهُ بقوله تعالى: أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، وَالْأَرْضَ خَلَقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ وَدَحَيْتُ أَيُّ أَخْرَجَ مَا كَانَ فِيهَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ.
- ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَسَهَا﴾ ﴿٣٢﴾ مَتَّعَا لَكُمْ وَلَا تَعْمَكُمُ ﴿٣٣﴾ تَمَتُّعُونَ بِهِ أَنْتُمْ وَأَنْعَامُكُمْ .
- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا سَمَّاها اللَّهُ تَعَالَى الطَّامَةُ؛ لِأَنَّهَا مِنْ عَظَمِهَا وَهَوْلِهَا تَطْمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ ﴿٣٥﴾ مَا عَمِلَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.
- ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ ﴿٣٦﴾ فَهِيَ بَارِزَةٌ وَاضِحَةٌ لَا يَحْجِبُهَا عَنْ رُؤْيَا مَعَايِنِهَا شَيْءٌ.
- ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ ﴿٣٧﴾ تَجَاوَزَ الْحَدَّ وَتَجَرَّأَ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ الْعِظَامِ.
- ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٣٨﴾ فَقَدِمَهَا عَلَى دِينِهِ وَآخِرَتِهِ.
- ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٣٩﴾ مَأْوَاهُ نَارُ جَهَنَّمَ.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ ﴿٤٠﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَهَى نَفْسَهُ وَزَجَرَهَا عَنْ هَوَاهَا وَرَدَّهَا إِلَى طَاعَةِ رَبِّهَا وَمَوْلَاهَا.
- ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ مَأْوَاهُ وَمَصِيرُهُ وَنَهَايَتُهُ وَدَارُهُ الَّتِي يَخْلُدُ بِهَا.
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾ مَتَى يَقِيمُهَا اللَّهُ تَعَالَى؟
- ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٤٣﴾ لَيْسَ إِلَيْكَ ذِكْرُهَا وَتَحْدِيدُ زَمَانِهَا لِأَنَّهَا مِنَ الْغَيْبِ.



- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلًا﴾ ٤٤ ﴿منتهى علمها إلى الله تعالى لم يؤته أحداً من خلقه.
- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا﴾ ٤٥ ﴿ما بعثت أنت إلا لإنذار من يخاف حسابها.
- ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ٤٦ ﴿العشية ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ضحاها ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.

التبليغ

١ - الأصل امتداد الصراع بين الحق والباطل ما بقيت الدنيا ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴿فروض نفسك على هذه العقبات، واملأ قلبك يقيناً وتوجه إلى ربك وسله أن يغيثك من الأمل ما تبلغ به آمالك وأمانيك.

٢ - إدبار الكبراء عن الرسالة سنة إلهية، وقل أن تجد كبيراً مصغياً للرسالة، مانحاً لها قلبه، وفكره، ومشاعره، وفي حديث هرقل: (وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافَ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعُفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتُ أَنَّ ضَعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ) وما زالت ذات الصور تتكرر في كل زمان ومكان ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾.

٣ - لم تكن رسالة نبينا ﷺ بدعاً في الطريق، وإنما هي حلقة من تلك السلسلة المباركة من زمن نوح إلى زمن نبينا ﷺ خاتم الأنبياء ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ ١٥

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾
وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ نَجْوَى ﴿٢٢﴾
فَخَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرِوِّ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾

٤ - رحمة الله تعالى بعباده وحلمه عليهم ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿١٩﴾﴾ حتى هذا الطاغية الظالم المعتدي على حقوقه تعالى يبعث الله تعالى إليه رسوله، ويأمره بأن يتلطّف معه، ويأتي إليه من أوسع الأبواب.

٥ - لن يهلك على الله تعالى إلا هالك ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿١٩﴾﴾ إذا كان الله تعالى يعامل حتى هؤلاء الطغاة بهذا المعنى الكبير فما بالك بغيره من المؤمنين!

٦ - ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿١٩﴾﴾ هذا الخطاب لرسول الله ﷺ، وأنتم أيها الدعاة والمصلحون اذهبوا إلى كل محتاج لهذه الدعوة، واسعوا في استنقاذه من الضلال ما أمكنكم إليه سبيلاً.

٧ - لئن تظفر بأخيك ضمن صفوف الناجين أعظم ألف مرة من أن تظفر به في صفوف الهالكين ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿١٩﴾﴾

٨ - لا تدعوهم لتقيموا الحجة عليهم، بل ادعوهم ليشربوا كأسها صافياً في الدارين ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَخَشَى ﴿١٩﴾﴾



٩ - إذا رأيت أبا قاسياً على ولده أو زوجة وأسرته، أو داعية غليظاً على من حوله، أو مربياً متجهماً في وجه طلابه، فاقراً عليهم تفاصيل هذه القصة ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخْشَى (١٩) .

١٠ - وسَّع في أثرك، ومد في دلالتك، واجتهد في بلاغ رسالتك، وألح على الله تعالى في الدعاء، واترك الأمر في النهاية لربك فبيده كل شيء ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخْشَى﴾ (١٩) .

١١ - الأشقياء لا تنفع فيهم المواعظ شيئاً ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرْ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) ﴿جاءته في غاية الأدب ولكنه أبى إلا الشقاء.

١٢ - مشكلة الطغيان أنه لا يؤمن إلا بنفسه ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرْ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ حين جاءته الهداية في أجمل ثوب وأروع.

١٣ - هكذا يصنع طوفان المسؤوليات في حياة كثيرين ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرْ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) .

١٤ - مشكلة المسؤوليات أنها تخلق وبقوة (خلق العُجب، والكبر) وما تزال تنفخ فيها حتى تأتي على خيرات صاحبها ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرْ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) .

١٥ - من كمال عقلك أن تتعرّف على أدواء نفسك قبل اتساع دائرة المرض ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرْ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) .



١٦ - إذا أراد الله تعالى أمر سوء حجب عن صاحبه موارد التوفيق ﴿فَارَبُّهُ آيَاتُهُ الْكُبْرَى﴾ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾.

١٧ - جزء من مشكلات الأمة هذه الجماهير التي لا يسعها سوى الفرجة والتصفيق ﴿فَارَبُّهُ آيَاتُهُ الْكُبْرَى﴾ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ لوى عنقه عن الهداية وذهب للجماهير يستعطفهم ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾.﴾

١٨ - لا أعاد الله زماناً يأتي لواقع بهذه الرزايا الكبار ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾ مثل هؤلاء لا يقنون شيئاً صالحاً للحياة.

١٩ - لا يغرك إمهال الله تعالى للضالين، فثمة موعد للقصاص ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ﴿٢٥﴾ وكم من سادر في الطريق ذاته.

٢٠ - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ ﴿٢٦﴾ درس للطغاة في كل زمان ومكان!

٢١ - لا تسل لم لا يعتبرون؟ لأن غيَّ الضلالة أورث الخذلان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ ﴿٢٦﴾.

٢٢ - أكثر المعترين من الحوادث من يحسبون عوائد الأيام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ ﴿٢٦﴾.

٢٣ - في التاريخ عبر تحتاج إلى إعادة قراءة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾ ﴿٢٦﴾ وعلى كل إنسان أن يقرأ في التاريخ، ويضع نصب عينه الدروس التي يخرج بها من خلال تلك القراءة. إن مشكلتنا في التعامل مع التاريخ أننا نكتبه ونركّز على الزمان، والمكان، والأحداث دون أن نعمل أفكارنا في الدروس التي نفهمها من خلال ذلك التحليل، فنقرأ ونشغل بضبط التاريخ وسرد الأحداث دون أن ننزل



هذه الأحداث التي نقرؤها على أحوالنا الشخصية وواقع أمتنا، وحين نكتب أو نقرأ بمثل هذه الصور يتحوّل التاريخ إلى قصة تسلية لا علاقة لها بالأحداث الجارية في واقع الإنسان أو محيطه الذي يعيش فيه، وتوسّع هذا الخلل حتى تراه في السير الذاتية للأفراد، فتجد الكاتب يوغل في تاريخ ولادته، ومكانها، وزمانها وأسرته على حساب وسائل النجاح، وعقباته، ووسائل نجاحه.

٢٤ - قضايا كثيرة في حياتنا تأخذ جزءاً من أخلاق فرعون أمام الحق، فتجدد الحق وتنكره تارة، وتتصلّب على فكرة خاطئة مرة ثانية، وترى أن الحق معها وتبذل كل الوسائل لإقناعها وتأبى الثالثة، وتغضب لحق نفسها رابعة، وقد تزيد حتى تتملّك من صاحبها وتسير وفق الهوى، وقد تأخذ منه حظاً وافراً دون أن يشعر أن له علاقة بفرعون أو حتى قريباً منه. وعلينا أن نقرأ نفوسنا قراءة جيدة، ونتعرّف على مواطن الخلل فيها، ونجهد في إصلاح عيوبها حتى تأتي على ما نريد. والله المستعان!

٢٥ - الجماهير ليست دليلاً على حق! والحق لا يعرف بكثرة أو قلة، وإنما يعرف بالدليل والبرهان! هذا فرعون يدعي الربوبية، ويحشد تلك الجماهير لإقرارها في صور من الرعاع والفوضى التي يكتبها التاريخ في تلك الحقبة من الزمن ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾.

٢٦ - (استئجار العقول) فكرة قديمة، وهذه الجماهير العريضة أجرت عقولها لبشر مثلها، ويذهب يعبث بها في الباطل كيفما أراد، وثمة صور كثيرة في أزماننا لمن تأمل واقع الحياة ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾.

٢٧ - (السادة، والعبيد) منهج فرعوني قديم، فلا يملك العبد أمام سيده سوى الطواعية، والإذعان مهما كان أمره، ورأيه، وكم من فرعون في أزماننا يحاول جاهداً في مد هذا المعنى في مسؤوليته وواقعه. وكم من عبيد على ذات الطريق.



٢٨ - كثيرة هي المعالم التي تدلك على الله تعالى، لو ترك الإنسان لبصره وعقله الإمعان في مشاهد السماء، والأرض، والليل، والنهار، والجبال لكانت العبرة في حياته أوفى ما تكون ﴿إِنَّمَا أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءَ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَ كُرًّا ﴿٣٣﴾﴾.

٢٩ - وما تنفع الذكرى في حق المفرطين بعد فوات الأوان ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾﴾ يتذكر أيام فوات الفرص، وضياع الواجبات، والتفريط في الحقوق، وأحداث الإعراض عن المنهج.

٣٠ - كم من ذكرى مبهجة في حق صاحبها ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾﴾ تذكر حرصه على صلاة الجماعة، وتعظيمه لشعائر الله تعالى، وقيامه بواجب ربه، وقصة مشروعه في الحياة.

٣١ - ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾﴾ يتذكر حرصه على تكبيرة الإحرام، وإدراك الصف الأول، وصيام أيام الفضائل، وتكرار العمرة، وورد القرآن، وصدقات الخفاء وخلوات السرائر.

٣٢ - ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾﴾ يتذكر تخلفه عن الطاعة، واعتدائه على الحرمات، وتجاوزه على حدود الله تعالى.

٣٣ - الطغيان وإيثار الحياة الدنيا أكثر ما تقف في عرض الطريق الموصل للآخرة ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾.

٣٤ - يستعجلون فيفوت بفوات الآخرة شيء كبير ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ كم من استعجال مالا، أو رئاسة، أو وظيفة على حساب دينه ومنهجه ورسالته.



٣٥ - من لوازم الرؤية الجادة أنها تستطيع التأجيل لكثير من رغباتها العاجلة وتنتظر وعد الله تعالى ولو بعد حين، بخلاف ضبابية الرؤية أو ضياعها، فإنها تستعجل ما حقه التأخير ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨).

٣٦ - استلذ مركوباً، واستعجل بيتاً، ورغب في ملذات عاجلة فتورط في ربا الجاهلية على حساب مقاصد الدار الآخرة ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨).

٣٧ - كل المتورطين في الفساد اليوم مستعجلين للدنيا على حساب الآخرة ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨).

٣٨ - وقّع معاملة، واستلم رشوة، وسرّب معلومة مؤثرة في القرار، وغير في أوراق الانتخاب، كل ذلك من أجل العاجلة ﴿وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨).

٣٩ - خوف الله تعالى سياج أمام جموح النفوس أمام الشهوات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤١) ﴿كَمْ مِنْ كَبِيرٍ مَتَفَوْقَ عَلَى الشَّهَوَاتِ رَغْمَ زِينَتِهَا الْفَاتِنَةِ! كَمْ مِنْ شَهْوَةٍ عَارِضَةٍ، وَزِينَةٍ بَهِيْجَةٍ وَقَفَ دُونَهَا خَوْفُ اللَّهِ تَعَالَى.

٤٠ - في ديار الغربة، والغرف المظلمة، وساحات السفر ستتعرف على هذه الحقيقة الضخمة في قلبك ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤١).

٤١ - (الهوى) أحد الأمراض التي تلاحق الإنسان وتقف أمام أهدافه الكبرى في الحياة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤١).

٤٢ - كل الذين سقطوا في النهاية هم الذين انهزموا أمام الهوى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠) ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤١).



٤٣ - ينشغل كثير من الناس بأسئلة لا أثر لها في العمل! ويذهب وقت عريض في أسئلة لا يتوقف عليها شيء، وإن كان سؤال هؤلاء تكذيب وسخرية إلا أنه شبيه بواقع اليوم في بعض صورته وأشكاله. ينبغي للعاقل أن ينأى بنفسه عن كل سؤال لا أثر له في الغاية الكبرى التي خلق من أجلها الإنسان، وكلما شغل الواحد بالأسئلة التي تمس واقعه، ومشروعه، وغاياته الكبرى كان أثمر لاستثمار وقته وتحقيق غاياته ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) ﴿مَتَى يَأْتِيهَا؟ فَأَجَابَهُمْ﴾ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٣) ﴿مَا الْفَائِدَةُ لَكَ وَلَهُمْ فِي ذِكْرِهَا وَمَعْرِفَةِ وَقْتِ مَجِيئِهَا؟!﴾

٤٤ - مؤسف أن كثيراً من أسئلة الواقع اليوم لا يتوقف عليها عمل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ (٤٤) ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا﴾ (٤٥).

٤٥ - كان من فقه الصحابة (فقيم العمل يا رسول الله)؟ إدراكاً لهذا المعنى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (٤٢) ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ (٤٣) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ (٤٤) ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا﴾ (٤٥).

٤٦ - على كل مسؤول أن يتعامل بعقل المربي مع سائليه، فحين يرى أسئلة لا واقع لها ولا ثمرة فيها عليه أن يرشدهم إلى ما هو أهم من سؤالهم، وأكثر أثراً على حياتهم المستقبلية، وفي الجواب هنا بقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ دليل هذا المعنى، ومثل ذلك قول رسول الله ﷺ للسائل عن الساعة: (ماذا أعددت لها؟) أعاده للقضية التي يترتب عليها عمل، وصرفه عن سؤال لا قيمة له في واقعه.

٤٧ - لا تستبعد طول تلك الأيام التي تنتظرها، حين تأتي كأن دنياك لا شيء ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (٤٦).



٤٨ - ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ﴿٤٦﴾ كم من قارئ لهذا الحرف معني به وهو لا يدري! وكم من طول أمل قضت عليه النهايات! لو كان قلب حي لاستفاق من طول الأمد، وعاد يسابق أيامه مع الزمن. ذهب ذلك الفراغ الطويل، وذهبت تلك الراحة الموهومة، ونُسيت كل لذة عاشها الإنسان، وطوت الدنيا رحلتها لتقف بصاحبها على أحداث النهايات رأي عين، وانتهت تلك الصور الكثيرة لتقف في النهاية على الحقيقة الكبرى. كم هو الفرق بين مئة عام، وبين لحظة من عشي أو ضحى! وما تصنع تلك الأعوام الممتدة في حياة إنسان حين تتحوّل بكل أمانها إلى لحظة مبتورة من عرض يوم!



سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ
فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى (٥) فَآتَتْ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَكِّي (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَآتَتْ عَنْهُ نُلْهَى (١٠) كَلَّا
إِنَّمَا لَذِكْرُ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤)
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ
(١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ
(٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى
طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْيْنَا فِيهَا
حَبًّا (٢٧) وَعَبًّا وَقَضًّا (٢٨) وَزَيَّنَّاهَا وَأَخْلَا (٢٩) وَحَدَّائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَكَهَّمَهُ
وَأَبَّا (٣١) مَتَنَعَا لَكُمْ وَلَا نَعْمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ
مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِيهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَجِيهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ
يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ (٣٨) صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)
وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)



التفسير

- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١﴾ كَلَحَ وَأَعْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.
- ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢﴾ حِينَ مَجِيئِ الْأَعْمَى إِلَيْهِ، وَأَمَّ مَكْتُومَ أُمِّ أَبِيهِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَرِيحَ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ الْفَهْرِيِّ.
- ﴿وَمَا يَذُرْ بِكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّيَ ۝٣﴾ مَا يَدْرِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ هَذَا الْأَعْمَى يَزْكُو وَيَتَصَفَّى بِالْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَيَكُونُ خَيْرًا مِنْ غَيْرِهِ مِمَّنْ تَطْمَعُ فِي إِسْلَامِهِ.
- ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾ أَوْ يَتَذَكَّرُ مِنْ آثَارِ مَوْعِظَتِكَ، فَيَنْتَفِعَ بِهَذِهِ الذِّكْرَى.
- ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى ۝٥﴾ بِمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَمَنْهَجِهِ عَنِ الْهَدَايَةِ وَالْمَوْعِظَةِ.
- ﴿فَأَن تَ لَهُ تَصَدَّى ۝٦﴾ تَتَعَرَّضُ لَهُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَسْلَمَ وَيَهْتَدِيَ.
- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ ۝٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ فِي أَلَّا يَزْكُو وَيَتَطَهَّرَ.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨﴾ يَطْلُبُ الْخَيْرَ وَالِدَعْوَةَ وَالْمَوْعِظَةَ.
- ﴿وَهُوَ يَخْشَى ۝٩﴾ وَهُوَ يَحْمِلُ صِفَاتِ الْقَبُولِ لَهَا مِنَ الْخَشْيَةِ وَالْخَوْفِ.
- ﴿فَأَن تَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝١٠﴾ تُعْرَضُ وَتَتَشَاغَلُ بِغَيْرِهِ.
- ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَذِكْرَةٌ ۝١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝١٢﴾ فَمَنْ شَاءَ تَذَكَّرْ مَا نَزَلَ مِنْ هَذِهِ الْمَوْعِظَةِ وَاسْتِفَادَ مِنْهَا، وَمَنْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَتَعْظَ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ.
- ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۝١٣﴾ أَيُّ أَنَّ هَذِهِ الْمَوْعِظَةُ وَهَذَا الذِّكْرُ الَّتِي تَضُمَّنْتَهُ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
- ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ عَالِيَةِ الْقَدْرِ وَمُطَهَّرَةٍ مِنَ الدَّنَسِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ.



- ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ بأيدي الملائكة الكرام، وهم السفراء بين الله تعالى وخلقه.
- ﴿كَرَامَ بَرٍّ ۝١٦﴾ كرام كثيري الخير والبركة، وبررة أي أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة.
- ﴿قُلِ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرُهُ ۝١٧﴾ دعاء على الإنسان باللعن، والمراد جنس بني آدم، وهذا الدعاء جاء بالقتل، وهو أشد شذائد الدنيا وفضائعها.
- ﴿مَا أَكْفَرُهُ ۝١٨﴾ ما أشد كفره! على أن (ما) هنا تعجبية يعني: عجباً له كيف كفر مع وجود هذه الدلائل! وقيل المعنى: أي شيء أكفره؟ ما الذي حملة على الكفر؟ على أن (ما) هنا استفهامية ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرُهُ ۝١٩﴾ وهو استفهام غرضه زيادة التقرير في التحقير.
- ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرُهُ ۝٢٠﴾ والسبيل هنا الطريق، وهو الطريق من بطن أمه إلى نور الدنيا والحياة، أو يسره إلى ما هو أشمل من ذلك بأن أبان له طريق الهداية من طريق الضلال، وطريق السعادة من طريق الشقاء، كما قال الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد: ١٠].
- ﴿ثُمَّ أَمَانَهُ ۝٢١﴾ فارق روحه لبدنه ﴿فَأَقْبَرَهُ ۝٢١﴾ أكرمه بالدفن بعد الموت.
- ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝٢٢﴾ بعثه بعد موته للجزاء.
- ﴿كَلَّا لَمَآ يَقْضَ مَا أَمَرُهُ ۝٢٣﴾ كلا ردع للإنسان عن تكبره وتجبيره، أي مع هذه النعم وتكاملها في حقه لم ولن يقضي ما فرضه الله عليه بل ما زال مقصراً مهما فعل من شيء.
- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ۝٢٤﴾ ليتأمل في طعامه كيف يكون.
- ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥﴾ أنزلناه من السماء إلى الأرض.



- ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا﴾ ﴿٢٦﴾ شققنا أجزائها بعد الري لتتخلل وتكون أقرب شيء للنبات.
- ﴿فَأَبْتَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ ﴿٢٧﴾ كل أنواع الحبوب.
- ﴿وَعَبْنَا وَقَضَبًا﴾ ﴿٢٨﴾ القضب هو: القت، أي الرطبة إذا يبست سميت قتًا، وقيل: هو العلف ﴿وَزَيَّوْنَا وَنَخَّلًا﴾ ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلَبًا ﴿٣٠﴾ البساتين ملتفة الأشجار.
- ﴿وَفَكَهَةً﴾ ما يتفكه فيه الإنسان ﴿وَأَبَّأ﴾ ﴿٣١﴾ ما تأكله البهائم والأنعام.
- ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ﴾ ﴿٣٢﴾ ما جعلنا ذلك إلا لتتمتعوا بها، وتنعموا بما فيها. قال الحسن: متاعاً لكم الفاكهة، ولأنعامكم العشب.
- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ ﴿٣٣﴾ يوم القيامة وعبر عنها هنا بالصاخة؛ لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمها من هولها وقوتها.
- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ﴾ زوجته.
- ﴿وَبَنِيهِ﴾ ﴿٣٦﴾ أبنائه.
- ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ﴾ ﴿٣٧﴾ هذا هو سبب الفرار من القرابة؛ لأن كل واحد منهم له شأنه الخاص به، وذلك من شدة الخوف والهول الذي يصيبهم.
- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَذٍ مُّسْفَرَةٌ﴾ ﴿٣٨﴾ منيرة مضيئة.
- ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ ﴿٣٩﴾ فرحة مسرورة.
- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَذٍ عَلَيَّاهُ﴾ ﴿٤٠﴾ يغشى وجوهم الغبار والكدر.
- ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ ﴿٤١﴾ تغلب عليها وتغشاها الظلمة.
- ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ﴿٤٢﴾ هؤلاء أهل هذا الوصف هم الذين كفروا بنعمة الله تعالى، وفجروا وتجروا على محارمه ﷻ وهذه هي نهايتهم.

التدبير

١ - (القيم) هي الصورة الحية لأي مجتمع يعيش في الأرض، ولن يستقيم كيان مجتمع أو أمة إلا من خلال اتساق قيم الإسلام الكبرى في واقع حياتهم. هذا رسول الله ﷺ وقد أخذت منه الرسالة والدعوة كل مبلغ حين تصرف لهذا المشروع الكبير رغبة في تعجيل بنائه بالكبراء جاء العتاب كبيراً من الله تعالى. إن الإسلام لا يمكن أن يقيم مشروعه على أنقاض القيم مهما كانت المصالح المتوخاة من ذلك. لقد أراد رسول الله ﷺ أن يسرع بالإسلام من خلال الإقبال على الكبراء، ومنحهم فرصة الدعوة، فجاء العتاب من الله تعالى أن ذلك لا يتوافق مع هذه الرسالة، وأن الفقير الأعمى المقبل أحق بهذا الاستقبال من الكبير المتكبر المدبر.

إن نجاح الأفراد والأمم لا يأتي إلا من خلال منظومة القيم الكبرى التي حددها الإسلام، وأي محاولة من أي مشروع مخالفاً لهذه القيم سيكون مآله الإخفاق والنكوص.

إن الفقير المسكين المعوق المقبل قد يكون أنفع لمشروع الدعوة من الكبير المعرض، ولا حرج على الدعوة أن تستقطب المتميزين اللامعين لصفوفها من خلال برامجها وخططها، لكن ليس من حقها أن تمنحهم فرصة على حساب المقبلين، والدعوة تتسع لكل فرد في الدنيا، وإنما التخطيط والتنظيم شيء، وتكافؤ الفرص، والتعامل بقيم الإسلام شيء آخر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْزُقُكَ (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مِنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَن ت لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْزُقَ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَحْشَى (٩) فَأَن ت عَنْهُ نَلَهَى (١٠)﴾.



٢ - الوحي مصدر لبناء القيم، وليس في الأرض نظام يمكن أن يشرع قيماً للأخلاق أو يضع منهجاً للتعامل في واقع الحياة، وإنما ذلك حق للوحي فحسب ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ (٤) أَلَمْ نَكْرِ (٥) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى (٥) فَآتَتْ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ (٧) وَآمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَآتَ عَنْهُ لَهْفَى (١٠)﴾.

٣ - حين تستفتح السورة تقرأ عتاباً حانياً، خطاباً موجهاً بصيغة الغائب مع أن الوحي يخاطب رسوله محمداً ﷺ أول ما ينزل. وفي هذا من الود، والحب، والإجلال لرسول الله ﷺ ما فيه! هكذا يصنع الله تعالى لرسوله، وذات المعنى لأوليائه، ولهم منه على قدر قيامهم بواجبه! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ (٤)﴾.

٤ - كلما قرأت عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ من أجل هذا الأعمى أدركت ما تصنع الولاية في حق أصحابها، هذا رب العالمين يتولى الدفاع عن وليه ابن أم مكتوم، وما أقبل إنسان على الله تعالى إلا بات كبيراً في كل شيء! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ (٤)﴾.

٥ - ثوبك، ومركوبك، وسكنك، وكل ما تملك لا تصنع مباهجك، حسن الصلاة بالله تعالى يصنع كل شيء، ويوجب حتى الدفاع عنك ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ (٤)﴾.

٦ - لا تحسب أن شيئاً ضائعاً عند الله تعالى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ (٤)﴾ حتى العبوس العارض في لحظة وفي مساحة ضيقة من الأرض استقبل هتاف السماء وعتاب الله تعالى.



٧ - لا أعرف ديناً أو منهجاً أو سياسة تكفل حقوق الإنسان كما يكفلها الإسلام ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾ يعاتب حتى على العبوس!

٨ - كم من صاحب إعاقة لا تقيم له شأنًا، وهو عند الله تعالى عظيم! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾.

٩ - الإعاقة ليست تلك التي تجري في جسدك، وإنما تلك التي تجري في روحك وقيمك ومبادئك ومنهجك في الحياة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾ هذا الأعمى استنزل عتاب الله تعالى من السماء، وكم من صحيح في جسده سقيم في مفاهيمه وأفكاره وقيمه ومبادئه.

١٠ - رعى الإسلام حق أعمى وهو لم ير ما صنعه به، ودافع عنه وعاتب من أجله، فكيف بضعيف تهان كرامته، وهو يرى ولا يستطيع أن يدفع ذلك عنه، يا ويلهم يوم الجزاء! ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾.

١١ - ركب مع سائق التاكسي واستنفد في الطريق إلى بيته ساعات، ثم نزل وتركه دون أن يمنحه حق ذلك العرق النازف من جبينه وهو في أرض غربة، ونسي أن الله تعالى عتب وحاسب على عبوسٍ عارض في وجه أعمى، فكيف لا يحفظ حقوق المساكين ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾.

١٢ - إذا كان الله تعالى حاسب عبوساً عارضاً وعاتب من أجله، فكيف لا يحفظ موقفاً مبهجاً ويسعد عليه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤﴾.



١٣ - حتى الابتسامة في وجوه المجاهدين تستحق في المقابل جزاء عاجلاً ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤)﴾.

١٤ - إذا رأيت كبيراً في عرض الطريق فاحمله، وعجوزاً تستعين بك في شيء فأعنهما، ويتيماً يحتاج إلى مساعدة في شيء فكن له، تلك مواقف تستجلب الخيرات ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤)﴾.

١٥ - أعمال القلوب تستحق مباحج النصر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤)﴾ لولا نية هذا الصالح لما كان عتاب الله تعالى حاراً في لحظته.

١٦ - ﴿وَهُوَ يَخْشَى ۚ (١)﴾ لا تشتري بمال، ولا تستجلب إلا بالإيمان والعمل الصالح.

١٧ - ليس من شأن الدعوة أن تتصدى للمتكبرين وتلاحقهم، وتصرف لهم جهودها وأفكارها ومبادراتها ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْعَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَهُ قَصْدَى ۚ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ۚ (٧)﴾ مجرد الالتفات لمثل هؤلاء مواقف تستحق العتبي.

١٨ - مواعظ الوحي مجرد ذكرى لا تلزمك باعتمادها، ولا تكلفك تبعاتها وأنت أمامها بالخيار، والجزاء من جنس العمل ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۚ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ۚ (١٢)﴾.

١٩ - النقد وسيلة من وسائل النجاح، وأداة من أدوات تصحيح المسار، وعلى كل صاحب مشروع أن يستقبله مستمتعاً مسروراً به لما له من عوائد على أصحابه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْعَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَهُ قَصْدَى ۚ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ (١٠)﴾.



٢٠ - إسرار النقد، أو إعلانه مسألة راجعة للمصلحة، والأثر من الإسرار والإعلان على مستوى الفرد أو المشروع أو الجماعة، وعلى الناقد أن يقدر المصلحة قدر وسعه، ومصلحة إعلان النقد هنا ظاهرة جداً، وتحقق بها شيء كبير في واقع مشروع الدعوة سواء في حياة النبي ﷺ أو أتباعه فيما بعد ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزْكَى ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ (١٠)﴾.

٢١ - النقد ليس لطائفة مخصوصة، وإنما هو عام لكل إنسان، أو مشروع، أو جماعة لا فرق، وقد وجه للنبي ﷺ وهو أشرف الخلق، وأقرب الناس إلى الإصابة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزْكَى ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ (١٠)﴾.

٢٢ - من كمال عقل الإنسان وتوفيقه قبول النقد، والاستفادة منه قدر الوسع، وعدم التبرم أو الاستياء فإن ذلك أعون له على النجاح والتفوق، وأسلم له من كثير من الأخطاء في مستقبل أيامه، ولا ينبغي أن يعيق النقد مسيرة صاحبه أو يعثر مشروعه! وعليه أن يواصل طريقه، ويصحح الأخطاء العارضة، ويمضي في إكمال مشوار مشروعه كما رُسم له ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزْكَى ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ۚ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٨) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ (١٠)﴾.

٢٣ - يجب أن يكون خطاب النقد صحيحاً في مقصده، وأن يكون دافع قائله محض النصيحة، والحب، وأن يحرص صاحبه غاية الحرص في اختيار الطريق الأنسب والفاعل في تحقيقه، وألا يكون الغرض منه غرضاً من أغراض الدنيا الفانية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزْكَى ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ



الذِّكْرَى ٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ٧) وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى ٨) وَهُوَ يَخْشَى ٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠) ﴿١٠﴾ تراه هنا جاء بصيغة الغائب، وكان لطيفاً في حرفه ومعناه.

٢٤ - النقد فرع عن العمل، والمشروع، والحدث القائم في الأرض، ولن تتوجه كلمة واحدة لقاعد لا أثر له في الواقع، وهو شهادة على جهد صاحبه ومشروعه وأثره ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكَبُ ٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ ٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ٧) وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى ٨) وَهُوَ يَخْشَى ٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠)﴾ ولولا تلك القصة، وذلك اللقاء، وتلك الحركة لما سمعنا حرفاً واحداً في مثل هذا الشأن.

٢٥ - وجود الأخطاء في مشروع الإنسان، وتوجُّه النقد إليها حالة طبيعية، وليست فُرجة يترك من خلالها مشروعه كما يتوهم كثيرون، وإنما إثراء للتجربة وتمكين لها من الواقع ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكَبُ ٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ ٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ٧) وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى ٨) وَهُوَ يَخْشَى ٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠)﴾.

٢٦ - كل صاحب مشروع عرضة للخطأ، وعليه أن يستقبل كل حرف يأتيه ناقداً بالترحاب، ويستفيد منه قدر حاجته إليه، وبقدر صدقه، وواقعته ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكَبُ ٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُهُ ٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ٧) وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى ٨) وَهُوَ يَخْشَى ٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠)﴾.

٢٧ - فرق كبير بين أن يوجه لك نقد في السر وترفضه أو لا ترضاه بنفسك، وبين أن يوجه لك علانية فتقبله أو لا تقبله، وبين أن تقف تعلنه أمام الملاء وتصريح بوقوعه، وتعتذر من تبعاته، هذه هي النفوس الكبيرة التي تعمل لله تعالى، وتجهد في مرضاته.



وما أحوج صاحب مشروع إلى هذا المعنى الكبير في حياته! حين نعمل لله تعالى، ونخلص له، ونصدق في الإقبال عليه نقبل أي نقد، ونشرف به، ونسعى للإفادة منه قدر الوسع، سرّاً كان أو علانية، عرفه الناس أم لم يعرفوه، بل ربما يتخطى ذلك إلى أننا نذكر به من لم يعرفه حتى يستفيد منه في قادم الأيام. وحين نعمل لذواتنا نتألم منه، ونتوجع له، وقد نقطع زمناً من أعمارنا في بيان خطأ المنتقد، أو تشويه صورة صاحبه، أو إفشال مشروعه، وحظوظ النفس تأتي بأسوأ من كل هذا. والله المستعان!

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي ۚ (٢) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٣) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ (٤) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ (٥) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ۚ (٦) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ (٧) وَهُوَ يَخْشَى ۚ (٨) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ (٩)﴾ لقد كان رسول الله ﷺ في بداية الطريق، وأعداء الدعوة ينشدون أي خطأ، والمتربصون بالإخفاق كثر، ومع ذلك قرأ عليهم ذات الخبر، وفيه ما فيه على نفس بشر، وظل كلما لقي ابن أم مكتوم في عرض الطريق أو في مجلس قال له: (أهلاً بمن عاتبني فيه ربي)! إن المشاريع لا تتقدم في الواقع بردم جزء منها في الظلام، ومحاولة إبرازها في أتم صورها حتى لو كانت صورة غير حقيقية، وإنما تتقدم بكشف ذلك الخطأ، وتسليط الضوء عليه، وجعله في بؤرة التصحيح ومحاولة العلاج حتى نفوسنا قد نمارس معها ذات الخطأ، وتظل فيها عادات سلبية، وفجوات مفتوحة، وأفكار وقيم غير صحيحة، ونظل نحاول جاهدين في تغطية تلك المعالم ظانين أنها خطوة في تحقيق النجاح، وهي في الحقيقة زيادة في الظلام والإعتماد على طريقنا ومستقبلنا، وحين نكشفها، ونبين مواضعها نضعها تحت دائرة العمل وتصبح جزءاً من أولوياتنا الحقيقية بالرعاية والاهتمام.

٢٨ - جزء من ميلادك حين تولد في نفسك قيمة جديدة، أو تصحح قيمة سلبية، كم كان أثر هذه القيم التي تتوالد في مكة كل يوم من زمن بعثته ﷺ إلى تاريخ وفاته! ومن قرأ تاريخ تلك الأمة التي أرسل فيها رسول الله ﷺ أول ما أرسل، وقرأ



تاريخهم بعد زمن من حياته أو بعد وفاته أدرك ذلك الميلاد الكبير! لا يحسب ميلاد الأفراد، والمجتمعات، والمشاريع من تاريخ نشأتها، وإنما يحسب من لحظة ولادة القيم والمثل والمبادئ الكبرى فيها.

٢٩ - على الدعاة، والمصلحين، والمربين أياً كانت مشاريعهم، تعليمية كانت أو تربوية أو اجتماعية أو حتى اقتصادية وإعلامية أن يدركوا أن مسألة التربية على القيم هي مسؤوليتهم الأولى والكبرى. وأن مجتمعات اليوم أحوج ما تكون للتربية على هذا المعنى! ولن يقوم بناء وثيق في الأرض لفرد أو مجتمع أو مشروع إلا على جذر القيم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَنِّي (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَنِّي (٧) وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)﴾.

٣٠ - ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ (١٧)﴾ نافذة على كبر الإنسان وجحوده وإعراضه، وإذا لم يقاوم الإنسان هذه الرزايا في واقعه ويعالج هذه الأمراض في نفسه وإلا صار عرضة للخذلان.

٣١ - إذا دعيتك نفسك للكبرياء، فتدَّكر أصل منشأ تلك النطفة وبدايتها ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩)﴾ بدايتك كبداية كل إنسان، ولا فرق بين مخلوق وآخر في أصل النشأة، وهي دعوة للتواضع ونبذ كل صور الكبرياء التي تواجه الإنسان.

٣٢ - من وعي الإنسان وتوفيقه وكمال عقله أن يستعد لتلك اللحظة التي ستواجهه في النهاية ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١)﴾ وإذا قرأ الإنسان الوحي في مسألة الموت والقبر أدرك عظم ما ينتظره في تلك الأوقات، والله المستعان!

٣٣ - توقَّف حمار النبي ﷺ مستوحشاً ذات مساء في مساحة من الأرض فقال ﷺ: «يهود تعذب في قبورها»، وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن خيل انحبس ما في



بطنها فقال: اذهبوا بها للمقبرة فأخرجت ما في بطنها. وتوقف النبي ﷺ عند قبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير: أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس، والآخر لا يستنزه من بوله» فما بالك بغيرهم من أصحاب الموبقات!

٣٤ - ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) ﴿دعوة للنظر والتفكير والتأمل في نعم الله تعالى، وكم من نعم تذهب بالغفلة! وكم من نظر وتأمل أورث في قلب صاحبه الشكر والعرفان.﴾

٣٥ - قبل أن تمد يدك إلى طعامك الذي بين يديك خذ جولة بمشاعرك كيف وصل إليك ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (٢٦) ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٧) ﴿وَعَبْنَا وَقَصَبًا﴾ (٢٨) ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ (٢٩) ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ (٣٠) ﴿وَفِكَهَةً وَأَبًّا﴾ (٣١) ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلَئِنْ عَكَّمْهُ﴾ (٣٢) ﴿أَتظنونه جهدكم! كلا، إنما هو قدر الله تعالى لكم.﴾

٣٦ - نافذة على أكثر المساحات إثارة في واقع إنسان ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (٣٣) ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ (٣٥) ﴿وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾ (٣٦) ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٧) ﴿ومن قام بأمر الله تعالى وعظم شعائره وأتى على واجباته أمن مخاوف تلك الدار.﴾

٣٧ - الجزاء من جنس العمل ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٧) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٩) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (٤٠) ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (٤١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ﴾ (٤٢) ﴿.﴾

٣٨ - العبرة بالنهايات ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٩) ﴿وحظوظك الكبرى ليست في هذه الدار، وإنما بما سيجري من تلك البشائر في يوم القيامة.﴾



سُورَةُ التَّكْوِيْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا
الْمَوءُ دُهُ سُيِّلَتْ ⑧ بَآئٍ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَاسِ ⑮
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ⑯ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ⑰ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ⑱
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ⑳ مُطَاعٍ
ثُمَّ آمِينٍ ㉑ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ㉒ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
㉓ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ㉔ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ㉕
فَأَن تَذَهَبُونَ ㉖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ㉗ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ㉘ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ㉙



التفسير

- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ جُمعت وَلُفَّت ورمي بها.
- ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢﴾ انتشرت من أفلakها.
- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾ أزيلت من أماكنها ونسفت.
- ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ ۝ العشار: جمع عشراء، وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر، وإنما خصها بالذكر؛ لأنها أنفس الأموال عند العرب في ذلك الوقت.
- ﴿عُطِّلَتْ ۝٤﴾ تركت مهملة لا راعي لها ولا طالب.
- ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ ۝ جمع وحش، وهي كل شيء من دواب البر مما لا يُستأنس.
- ﴿حُشِرَتْ ۝٥﴾ جُمعت.
- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ أوقدت فصارت ناراً تتوقد.
- ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ ضُمَّتْ إلى أشكالها في الخير والشر، وحشر كل إنسان إلى من يجانسه في العمل والمنزلة.
- ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ ۝ الأنثى التي دفنت حية ۝ سِيلَتْ ۝٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ عن الذنب الذي قتلت من أجله.
- ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ صحف الأعمال نشرت لهم بعد أن كانت مطوية على ما فيها من الحسنات والسيئات.
- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١﴾ أقلعت وأزيلت.
- ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢﴾ أوقد عليها فأحميت.
- ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُرْلِفَتْ ۝١٣﴾ قربت وأدْنيت وزَيَّنَتْ للمؤمنين المتقين.



- ﴿عَامَتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ (١٤) علمت كل نفس عند ذلك ما قدمت من خير أو شر.
- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ (١٥) بالكواكب التي تخنس بالنهار وتظهر بالليل، وقيل: القسم هنا بنوع من الكواكب التي تتأخر عن سير الكواكب العامة.
- ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ (١٦) جمع جارية من الجري، والكنس التي تدخل في مغيبها.
- ﴿وَالَيْلِ إِذَا عَسَّسَ﴾ (١٧) إذا أدبر، وقيل: إذا أقبل.
- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ (١٨) إذا أقبل وتبين.
- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) أي هذا القرآن إنما هو قول جبريل عليه السلام باعتبار أنه بلغه لرسول الله ﷺ.
- ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ على تحمّل أعباء الرسالة ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (٢٠) صاحب مكانة وشرف ومنزلة لدى الله تعالى.
- ﴿مُطَاعٍ﴾ في الملأ الأعلى ﴿ثُمَّ آمِينَ﴾ (٢١) ذو أمانة على وحي الله تعالى ورسالته.
- ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ (٢٢) يعني رسول الله ﷺ.
- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (٢٣) أي أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام بالأفق البين الظاهر العالي.
- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤) ببخيل، والمعنى أنه لا يضمن عليكم بما يعلم، ولا يبخل ﷺ بالتعليم والتبليغ.



- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ٢٥ ﴿أَيُّ أَنْ هَذَا الْقُرْآنَ لَيْسَ بِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ الشَّيَاطِينِ.
- ﴿فَإِنَّ تَذَهَبُونَ﴾ ٢٦ ﴿إِلَى أَيِّ مَسَلِّكَ تَسْلُكُونَ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ، وَهَذِهِ الْحَقَائِقُ عَنِ الْوَحْيِ الْمُبِينِ.
- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ٢٧ ﴿أَيُّ الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.
- ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ٢٨ ﴿مَوْعِظَةٌ لِمَنْ أَرَادَ الْإِسْتِقَامَةَ.
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٩ ﴿أَيُّ أَنْ مَشِيتُكُمْ تَبِعَ لِمَشِئَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

التَّادِبُ

١ - لكل شيء نهاية ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ٣ ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ٤ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ٥ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ٦ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧ ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ﴾ ٨ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ﴾ ٩ ﴿وَمَنْ تَأْمَلْ مَشَاهِدَ الْخَرَابِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْكَوْنِ لِحِظَةِ الْقِيَامَةِ أَدْرَكَ أَنَّهُ لَا قِيَمَةَ لِلْحَيَاةِ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

٢ - مالك، ووظيفتك، ومسؤوليتك، ومركزك الاجتماعي لم يبق منها شيء ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ٣ ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ ٤ ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ ٥ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ٦ ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧ ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ﴾ ٨ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ﴾ ٩ ﴿سَلْ نَفْسَكَ مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؟!﴾

٣ - ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٧ ﴿نافذة على أن صاحبك في الدنيا هو ذاته



صاحبك في الآخرة، وعملك في الدنيا هو عملك في الآخرة، فلا تتوقع شيئاً جديداً.

٤ - من نعيم الجنة أنك تعيش مع من تحبه وتستلذه في الدنيا، وكذلك من شقاء النار أن تعيش مع الذين ساهموا في ضلالك، وأصرروا على سوء خاتمتك، وألقوا بك في النار ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٥ - إلى الذين عاشوا مع بعض على الإيمان والعمل الصالح والمشاريع الكبرى والأفكار الممتعة والمنهج الحق ورسالة الأنبياء: ستلتقون في مواقف الحساب وظلال الجنان ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٦ - سافروا مع بعض، وعاقروا المعصية مع بعض، واتفقوا على كثير من تفاصيل الرذيلة في أرض الغربة، ويعودون للقاء في عرصات القيامة على درك الرذيلة وتفاصيل الشقاء ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٧ - إذا أردت أن تعرف من أنت؟ فانظر من تصاحب ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

٨ - ما ذنب هذه المسكينة تُسأل ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ تُسأل تأنيباً لوائدها، ومن غيَّب جسدها خشية العار مبالغة في إقامة الحجة عليه. كم جهدت تلك الجاهلية في تغييب معالم المرأة خشية العار، وهي ذاتها اليوم تجهد في دفن كل معالم الحياء. كانت الجاهلية بالأمس تحزن كثيراً لولادة أنثى، ولا تقيم لها كرامة، وعادت اليوم تجهد في العبث بذات الكرامة، وأي فرق بين جاهلية تدفنها وتغييبها عن معالم الحياة، وجاهلية تجعلها دمية بلا قيمة ولا معنى في الحياة؟! إن كانت المؤودة تُسأل غداً في عرصات القيامة أمام صاحبها تبشيعاً لصورة ما فعل، فكم من مؤودة أخرى دفنت على تراب الشهوة والرذيلة سيسأل أصحابها ذات السؤال في المكان ذاته!



٩ - دفنها جاهلية وإخراجها سافرة جاهلية لا فرق، الأولى بنتها العادات والتقاليد والثانية بنتها الشهوات ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ (٩).

١٠ - أدخل أحدهم بنته على ضيوفه تقدّم الشاي، والأخرى ترتّب الطاولات، والثالثة تفتح النوافذ المطلّة على الهواء، أغاروا على جاهلية الأمس شامتين، فعادوا في الجاهلية القرن العشرين مرتكسين ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ (٩) لا فرق بين وأدها حية في قبر، وأدها حية في ساحة قصر!

١١ - إذا كان الوائد يُسأل يوم القيامة عن دفنها خشية العار، فكيف بسؤال المنافق الذي أخرجها بغية الفساد ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ (٩).

١٢ - مساكين أولئك الذين عاشوا لحرب الفضيلة ووأد القيم وإشاعة الرذيلة، وجعلوا المرأة وسيلتهم الأولى في ذلك ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ (٩).

١٣ - تقضي المرأة ساعات طويلة أمام المرأة لا لتسعد زوجها وتبهجه، كلا! وإنما لتذبح قيمها، وتسفك ماء فضيلتها، وتكتب قصة عارها، وتتعرّض لسراق الفضيلة على جنبات الطرقات ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ (٩).

١٤ - في مرات كثيرة تبدأ قصة الوأد عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي بسؤال، واستفسار، وحديث عابر، وصورة ربيع، وفكاهة، وقصة لقريب وقريبة، وفي النهاية تتم تفاصيل الوأد بكاملها وتنتهي الفضيلة ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۖ﴾ (٩) هي التي وأدت نفسها ولم تحتج إلى آخر ليندها.

١٥ - ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۖ﴾ (١٠) كم من منشور مخزٍ لصاحبه! كم يا ترى هي أفراح صاحب رسالة، وهدف، ومشروع ظل يسعى كل عمره في البناء! وكم هي أحزان صاحب شهوة وقد أعيد التاريخ من جديد!



١٦- رأيت طوابير طويلة تنتظر نتائج مسابقة في الدنيا وقد علاها الغم والههم والألم، فكيف بالواقفين لنتائج أخبار تلك الصحف في ساحات القيامة ﴿وَإِذَا أُلْحِقْتُ نَفْسِي﴾.

١٧- ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ﴾ علم النتائج والمآلات لا علم العمل والاستعداد.

١٨- ﴿عَلِمْتُ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتُ﴾ نتيجة نهائية لا تقبل محاولة ثانية، وكل الأعذار فيها غير مقبولة.

١٩- هل تدري على ماذا يقسم ربك؟ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ الجوارح الكنيس ﴿وَالْإِيلِ إِذَا عَسَّعَ﴾ والصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿يَقْسِمُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كَلَامِ جَبْرِيلَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مَبْلُغٌ بِهِ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿فَتَأْمَلُ حَقَّ هَذَا الْقِسْمِ، وَقَمِ بِوَأَجْبِكَ تَجَاهَهُ وَسَتَجِدُ حَظوظَكَ مِنْهُ كَمَا تَشَاءُ.

٢٠- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ كأنما ألقى الليل عن كاهله، وعاد يستنشق هواء الحريات.

٢١- كما أن الليل يدبر ﴿وَالْإِيلِ إِذَا عَسَّعَ﴾ فكذلك اليأس والإحباط والقنوط ما يلبث أن يطوي واقعه من حياة الكثيرين.

٢٢- سيأتي صبح الفأل والأمل مهما طال ظلام اليأس والتشاؤم ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾.

٢٣- تأخر حفظه، وأبطأ في مشروعه، ولم ينجح في دراسته، وتأخر في تخرجه، لا تيأس! ففجر الأمل كفجر الصبح لا فرق ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾.

٢٤- يعاني من مرض، ويشكو من إحباط، ولدى ابنه مشكلة، ويعاني من ظروف زوجه، لا تقلق! فالفجر أوشك على إزاحة الظلام ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾.



٢٥ - قُتِلَ جُمُوعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَشُرِّدَ الْأَطْفَالُ، وَكَثُرَ الْيَتَامَى، وَتَفَشَّتْ الْإِعَاقَةُ، وَلَمْ نَجِدْ نَاصِراً يَهْتَفِ بِعَوْنٍ، لَا تَجْزَعُ! فَالْفَجْرَ أَوْشَكَ عَلَى الْحَيَاةِ ﴿١٦﴾ وَأَلَيْلٍ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾.

٢٦ - إِلَى كُلِّ الْمَشْرُدِينَ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَالْأَرَامِلِ فِي مَسَاحَاتِ الْغُرْبَةِ، وَالْجُوعَى الْبَاحِثِينَ عَنْ لُقْمَةِ الْعَيْشِ، وَمَنْ يَشْتَكِي فِي لَيْلِ الشِّتَاءِ مَسَ الْبَرْدِ قَدْ آذَنَ لَيْلَكُمْ بِالْبَلَجِ وَصَبَحَكُمْ بِالْإِسْفَارِ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾.

٢٧ - هَذَا الْقُرْآنُ يَحْتَاجُ إِلَى مَدْرِكَيْنِ لَشَرْفِهِ، وَحُمَالٍ لِرِسَالَتِهِ، وَعَامِلِينَ بِهِ، أَلَا تَرَى كَيْفَ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى حَامِلِهِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿١٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾.

٢٨ - (الْجُودُ بِالْعِلْمِ) مِنْ أَعْظَمِ صِفَاتِ الْكِبَارِ! وَمَا رَأَيْتُ كَبِيراً أَوْتِيَ حِظّاً مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا وَهُوَ يَبْذُلُهُ لِسَائِلِيهِ بِأَوْسَعِ مَا يَكُونُ! وَعَلَى رَأْسِ الْقَوْمِ وَفِي مَقَدِّمَتِهِمْ صَاحِبُ لُؤَاءِ الْفَخْرِ فِي هَذَا الْبَابِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهَذِهِ شَهَادَةُ رَبِّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ إِقْبَالاً عَلَى نَشْرِ مَا آتَاكَ اللَّهُ تَعَالَى فَذَلِكَ مِنْ فَوَاتِحِ التَّوْفِيقِ. وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَدِدْتُ أَنْ الْخَلْقَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ وَلَا يَنْسَبُ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ) اهـ.

٢٩ - أَخَذَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَدّاً أَنَّهُ كَلِمَا تَعَلَّمَ شَيْئاً عِلْمَ غَيْرِهِ، مَا أَبْهَجَ الْعِلْمَ فِي حَيَاةِ هَؤُلَاءِ! ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾.

٣٠ - كَلِمَا وَجَدَ كِتَاباً ثَمِيناً، أَوْ رِسَالَةً مَفِيدَةً، أَوْ مُؤَلَفاً جَمِيعاً، أَوْ وَسِيلَةً مَقْرَبَةً لِلْعِلْمِ عَمَمَهَا، وَأَفْشَاهَا، وَأَوْصَى الْآخَرِينَ بِهَا، تِلْكَ بَعْضُ بَرَكَاتِ الْعِلْمِ فِي حَيَاةِ أَصْحَابِهِ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾.



٣١ - يبذل في سبيل مشاريعه الخيرية جهوداً ضخمة، وقد عني بدعم الأوقاف وكلما زار تاجراً، أو دُعم من مؤسسة، أو وجد تجربة، أو رزق شيئاً باشر جواله ليخبر إخوانه العاملين في الجهات الخيرية باستثمار ما وجد ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤).

٣٢ - يحزن كثيراً أن يعرف الناس ما عرف، أو يجدوا ما وجد، أو يصلوا إلى ما وصل إليه، فأين هذا من أخلاق الكبار! ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤).

٣٣ - سر المهنة بضاعة المفلسين ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤).

٣٤ - إذا أردت أن تعرف ساحات الجود والعطاء وحدودهما، فاقرأ سيرة نبيك ﷺ تجد الحقائق أبسط ما تكون ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (٢٤).

٣٥ - إذا أجذب قلبك، وذبلت مشاعرك، وثقل جسدك، فأعد قراءة هذا الحادي بامعان ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧).

٣٦ - معرفة التاريخ وسنن الله تعالى في الأرض فرع عن هذه الذكرى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧).

٣٧ - يمكنك أن تقول ما تشاء، وتفعل ما تشاء، وتذهب حيث تشاء، وفي النهاية لن تجد مهرباً من العودة مرغماً ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦).

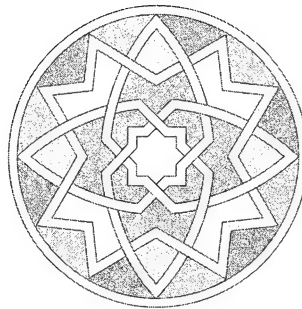
٣٨ - حين تقعد على كرسي المسؤولية، وتتولى شأناً من شؤون المسلمين تذكر هذا السؤال الكبير ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦).

٣٩ - إذا جعلك الله تعالى وكيلاً على يتيم، أو ولياً على امرأة، أو بيدك إقامة عامل في أرض غربة، فتذكر أن ثمة موعداً للحساب ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦).

٤٠ - افتح من قنوات الإعلام ما تشاء، واسمع إلى ما تشاء، ووزّع نظرك حيث تشاء، وتذكّر في المقابل أن كل هذه الأشياء محاطة بهذا السؤال ﴿فَأَن تَذَهَبُونَ﴾ (٣٦).

٤١ - الهداية وقف على مشيئتك، وطريق مفسوح للراغبين إلى قبل حلول ساعة الموت ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وما على الراغب إلا أن يأتي إلى ربوعها، ويسلك مواطنها، ويقف سائلاً لربه تعالى أن يمنّ عليه بها. ولن يتنزّل توفيق الله تعالى من السماء بارداً، وإنما يحتاج إلى صدق رغبة، وسلوك طريق، وحسن إقبال.

٤٢ - كما أن الهداية وقف على رغبتك هي في المقابل تفضّل من ربك ﴿لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).





سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْاِبحَاءُ
فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَمَتْ
وَأَخَرَتْ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الْاِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا
بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينِ
﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَارَ
لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِي ﴿١٥﴾ وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِي ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الَّذِي ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا
تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ انشقت.
- ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ ﴿٢﴾﴾ تساقطت.



- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۖ﴾ ﴿٢﴾ فتحت على بعضها واختلط ماؤها.
- ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۖ﴾ ﴿٤﴾ بحثت وأخرج موتاها.
- ﴿عِلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ ۖ﴾ من عمل طيب ﴿وَأَخَّرَتْ ۖ﴾ ﴿٥﴾ وما قصرت فيه.
- ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ۖ﴾ ﴿٦﴾ أي شيء غرك وخدعك عن ربك العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق.
- ﴿الَّذِي خَلَقَكَ ۖ﴾ أوجدك من العدم ﴿فَسَوَّكَ ۖ﴾ جعلك مستوي الخلقه ﴿فَعَدَلَكَ ۖ﴾ ﴿٧﴾ جعلك معتدل القامة مستوي الخلقه.
- ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۖ﴾ ﴿٨﴾ أي ركبك في صورة من أبدع الصور وأعجبها.
- ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۖ﴾ ﴿٩﴾ إنما حملكم على الاغترار تكذيبكم بيوم الجزاء.
- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ﴾ ﴿١٠﴾ رقباء يحفظون أعمالكم ويحسونها عليكم.
- ﴿كِرَامًا كَانِينَ ۖ﴾ ﴿١١﴾ ملائكة الرحمن يتصفون بالكرم، فلا يظلمون أحداً، ويكتبون ما يعمل الناس.
- ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۖ﴾ ﴿١٢﴾ من خير أو شر.
- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ ۖ﴾ جمع بر، وهم كثيرو فعل الخير ﴿لَفِي نَعِيمٍ ۖ﴾ ﴿١٣﴾ حياة طيبة في قلوبهم وأبدانهم.
- ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ ۖ﴾ من فجروا عن أمر الله وانشقوا عنه وخالفوه.
- ﴿لَفِي جَحِيمٍ ۖ﴾ ﴿١٤﴾ في نار جهنم.
- ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۖ﴾ ﴿١٥﴾ يحترقون بها في يوم الجزاء والحساب يوم القيامة.



- ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ ١٦ بخارجين.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿تَفْخِيمٌ لِأَمْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَعْظِيمٌ لِّشَأْنِهِ﴾ ١٨ تفخيم لأمر ذلك اليوم وتعظيم لشأنه.
- ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من دفع ضرر أو كشف غم ﴿وَالْأَمْرُ يُؤَمِّدُ لِلَّهِ﴾ ١٩ والأمر في ذلك اليوم لله تعالى من فصل القضاء والحكم بين العباد.

التدبر

- ١ - نافذة على خراب العالم، ونهاية الكون، وبداية رحلة الجزاء والحساب ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ١ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ ٣ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ ٤.
- ٢ - خراب هذا الكون مؤذن بإيقاظ القلب من غفلته ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ٥ وكم من حادث في هذا الكون كافٍ لإيقاظ الإنسان وبعثرة مشاعره لو أراد!
- ٣ - وما تنفع الذكرى بعد فوات الأوان في شيء ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ٥.
- ٤ - كل علم لا يكون له حظ من التطبيق في حياة صاحبه لا قيمة له في حياته ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ٥ كهذا العلم الذي عرفه أصحابه جاء في وقت لا قيمة له.
- ٥ - غاية كبرى تلك التي يدير الله تعالى من أجلها الكون ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ١ ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ ٢ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ ٣ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ ٤ ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ٥.

٦ - كم من محتاج للإجابة على هذا السؤال العريض يوم القيامة ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ⑥.

٧ - ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ⑥ ما أكثر سؤالات القرآن التي تخاطب قلوبنا ومشاعرنا، وتثير فينا الشجون! وما أقل استفادة كثيرين من هذه السؤالات.

٨ - أثر من آثار ضياع بوصلة الشمال عن جهتها الأصل ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ⑨ كذبوا فأضاعوا هذه الرؤية من أصلها.

٩ - ولن يفوت على الله تعالى شيء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ⑩ ﴿كَرَامًا كُنِينَ﴾ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ⑫.

١٠ - يلجون الظلام، ويقفلون الأبواب، ويحكمون كل شيء وينسون في النهاية رقابة الكبير المتعال ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ⑩ ﴿كَرَامًا كُنِينَ﴾ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ⑫.

١١ - في وقت خلوتك تحسّس زوايا غرفتك ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ⑩ ﴿كَرَامًا كُنِينَ﴾ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ⑫.

١٢ - هذا جرّد ثيابه، وذاك وقع أوراقه، وثالث فتح جواله، ورابع أشرف على عورات الآخرين! وفاتهم شهود الخلوات ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ⑩ ﴿كَرَامًا كُنِينَ﴾ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ⑫.

١٣ - في اللحظة التي تتسوّر فيها جدار القيم والفضيلة لا يبقى من عورتك شيء مستور ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ⑩ ﴿كَرَامًا كُنِينَ﴾ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ⑫.

١٤ - كتب على شاشة جواله، وحاسوبه، وجدار غرفة نومه ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ⑩ ﴿كَرَامًا كُنِينَ﴾ ⑪ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ⑫ أراد أن تكون درعاً ساتراً عند الفوضى في زمن الظلام.



١٥ - ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنِينًا ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿تَكْفِي عَنْ كُلِّ كِمَرَاتِ الْمِرَاقِبَةِ الَّتِي تَدْفَعُونَ مِنْ أَجْلِهَا مَالًا كَثِيرًا﴾.

١٦ - كِمَرَاتِ الْمِرَاقِبَةِ تَضْبِطُ فَعْلَكَ وَتَحْمِلُكَ مَسْئُولِيَّةَ وَقْتِيَّةٍ، وَمَلَائِكَةُ اللَّهِ تَعَالَى يَسْجَلُونَ تَارِيخًا وَيَدُونُونَ أَسْرَارًا تَكْشِفُ يَوْمَ الْحَاجَاتِ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿كِرَامًا كُنِينًا ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

١٧ - نِظَامُ الْبَصْمَةِ فِي الْعَمَلِ يَضْبِطُ دُخُولَكَ وَخُرُوجَكَ، وَقَدْ يَحْمِلُكَ بَضْعَةُ رِيَالَاتٍ فِي آخِرِ الشَّهْرِ، بَيْنَمَا هَذَا الْمَعْنَى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿كِرَامًا كُنِينًا ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يَضْبِطُ كُلَّ لَحْظَةٍ مِنْ عَمْرِكَ، وَيَسْجَلُهَا فِي كِتَابِ الْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ.

١٨ - الرِّقْمُ السَّرِيِّ فِي جِهَازِكَ قَدْ يَحْمِيكَ مِنْ فُضَائِحِ الدُّنْيَا بَيْنَمَا لَا يَتِمَكَّنُ مِنْ سِتْرِكَ أَمَامَ فُضَائِحِ الْآخِرَةِ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿كِرَامًا كُنِينًا ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٢﴾.

١٩ - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿فِي أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَفِي الْقَبْرِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا فَرْقَ.

٢٠ - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿إِنْ لَمْ تَشْعُرْ بِهَا الْآنَ، فَتَحَسَّسْ إِيمَانَكَ، فَلَعَلَّ مَانِعًا فِي الطَّرِيقِ.

٢١ - أَدْرَكَتِ الْآنَ سِرَّ مَقَالَةِ الْأَوَّلِ: (وَإِنَّهَا لَتَمُرُّ بِالْقَلْبِ سَاعَاتٌ يَرْقُصُ فِيهَا الْقَلْبُ طَرَبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾.

٢٢ - مُحْرَمُونَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْرُكُونَ هَذَا الْمَعْنَى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾ ثُمَّ لَا يَبْدُونَ.

٢٣ - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿كَلِمَا ضَعُفَ أَثَرُ هَذَا النِّعَمِ فِي قَلْبِكَ، فَأَفْضَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مَا يَثِيرُ مَبَاهِجَهُ.

٢٤ - ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ١٣ ﴿ لا يحول بينها وبينك إلا نقص في واجب أو أثر من معصية.

٢٥ - ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ١٤ ﴿ جحيم في كل شيء، في الدنيا، وفي القبور، وفي ساحات القيامة لا فرق.

٢٦ - مساكين يلبسون ويأكلون، ويسكنون قصور الدنيا، ويركبون مباحج الدنيا، ويموتون مراراً في عرض الطريق! ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ١٤ ﴿.

٢٧ - يلبس مباحج الثياب ويتمنى أن لو شقه عن جسده من الألم ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ ١٤ ﴿ أما قلت لك يوماً أن مباحج القلب لا يعدلها شيء.

٢٨ - إذا أدركك الوهن، وطال عليك الطريق، وضعفت همتك، فاستقبل هذه الآية بوجدانك ومشاعرك ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ ١٩ ﴿.



سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ
مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١﴾ هلاك لهم، والتطفيف: النقص عن حق المقدار المستحق في الموزون أو المكيل.
- ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ﴿٢﴾ إذا أخذوا الكيل من الناس أخذوه وافيًا.
- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ﴿٣﴾ إذا كالوا هم للناس أو وزنوا لهم أنقصوهم حقهم الواجب لهم.
- ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤﴾ إنكار وتعجب من حالهم، ألا يظنون أنهم قائمون من قبورهم بعد مماتهم؟!
- ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٥﴾ عظيم الهول جليل الخطب كثير الفزع.
- ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦﴾ لفصل القضاء وموقف الحساب.

التدبير

١ - التعامل مع الآخرين دين، ولولا ذلك لما كان هذا الوعيد للمفرطين في حقوقهم المضيعين لواجباتهم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ إن مشكلتنا اليوم هذا الفصل بين حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين.

٢ - التطفيف ليس شيئاً خاصاً بالمكيال الحسي في أرزاق الناس ومأكولاتهم، بل هو جار حتى في معاملات الناس المعنوية، وما أكثر العبث بهذه المعاني في الواقع. كثيرة هي صور التطفيف التي تتوسط واقع الناس، وكم من مطفف اليوم على حساب زوجه، وابنه، وعامله، وجاره، ووظيفته، والله المستعان!

كثيرون أولئك الذين يطلبون حقوقهم وافية، ولا يؤدون واجباتهم كما أراد الله تعالى، وهذا طبع غالب في الناس إلا من وفقه الله تعالى، ترى هذه المعاني في صورة والد يريد من أبنائه براً وقياماً بحقه وقد أضاع حقوقهم وأساء إليهم، ومثل ذلك الزوج مع زوجه، والإنسان مع خدمه وأجرائه، والمعلم مع طلابه، والمسؤول مع رعيته، وتجري هذه الصور في كثير من أحوال الناس دون وعي.

٣ - ثمة مشكلة ظاهرة، وخصام سافر بين (الحقوق، والواجبات) ينتهي غالباً لصالح الحقوق، وقل أن تجد فرداً يترك شيئاً من حقوقه في مقابل التخلف والتأخر في أداء واجباته ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

٤ - ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ رسالة إلى كل عابث بحقوق الآخرين، ورسول نذير



للمفرطين في واجباتهم. يا ويلهم إن لم يرعوا عن هذه الأخطاء وقيموا حقوق الله تعالى لهم.

٥ - ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ لو قيلت لك من مسؤول لما ذقت عينك النوم، فكيف والمتوعد الله!

٦ - ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ في حبِّ يأكله الناس ويسدون به جوعهم، فكيف بها في حق والد ويتيم وعامل ومسكين!

٧ - ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ كما هي في المكيال الحسي، فهي كذلك في المكيال المعنوي لا فرق.

٨ - كلما رقى الإنسان في إيمانه أدى واجبات الآخرين، وقام بحقوقهم، وتحرَّج من أدنى نقص، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِّيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ ما يبين عن هذا المعنى الكبير.

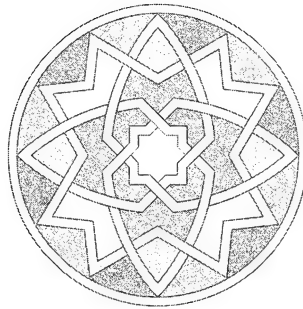
٩ - كم من ظنٍّ أوقع صاحبه في حمأ الرذائل ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِّيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾.

١٠ - يسرقون، ويغشون، ويظلمون، ويعبثون بالقيم ويظنون أنهم على الطريق ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِّيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾.

١١ - إذا رأيت سارقاً لحقوا الآخرين وغاشاً في ميدان فضيلة، منتهاكاً للقيم فناد عليه بأعلى صوتك ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِّيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾.

١٢ - قَدَّمَ وَلَدَهُ فِي الْوُضُفَةِ، وَحَابِي صَدِيقَهُ فِي الْمُنَاقَصَةِ، وَأَرْسَى مَشَارِيعَ عَلَى شَرَكَةِ جَارِهِ! وَنَسِيَ وَاعِظَ الْقُرْآنَ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾.

١٣ - أَدَارَ مَعَامِلَةَ رَبْوِيَّةٍ، وَتَسَلَّطَ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَانْتَهَكَ مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى فَمَا يَصْنَعُ بِذِكْرِ الْيَوْمِ وَمَوَاقِفِ الْحِسَابِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى؟! ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾.



كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ
 ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ
 إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ
 رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ
 ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾
 كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ
 مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ
 يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ
 مَخْتُمٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾
 وَمِرَاجُهُ مِنَ السَّيِّمِ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ
 يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا
 رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾
 فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ
 يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

التفسير

- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ كلا: ردع وزجر عن ما يحصل منهم من تطفيف، أي ما كتب فيه من أعمالهم وأحصي عليهم فيه ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ ﴿٧﴾ المكان الضيق فهو مطروح في أسفل مكان مظلم، قال مجاهد في سجين: عملهم في الأرض السابعة لا يصعد. وإنما جعل هناك دليلاً على خساسة منزلتهم، أو لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان.
- ﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ مكتوب كالرقم في الثوب لا يُنسى ولا يمحي، وهذه الآية ليست تفسيراً لسجين بل على تقدير أن كتاب الفجار لفي سجين، وهو كذلك كتاب مرقوم فيكون وصفاً له بوصفين.
- ﴿وَلَّيْلُ يَوْمِ ذِي الْقُرْبَىٰ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١٠﴾ تهديد لهم بحالهم ومكانهم يوم القيامة.
- ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿١١﴾ لا يصدقون بوقوع يوم الجزاء والحساب.
- ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿١٢﴾ هذا اليوم لا يكذب به إلا معتدٍ متجاوز لحدود الله تعالى، أو أثيم كثير الإثم والمخالفة.
- ﴿إِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِ ابْنُ آدَمَ﴾ الدالة على الحق وصدق ما جاءت به الرسل ﴿قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣﴾ أي أن هذه هي أخبار وأحوال الأمم السابقة الغابرة ليست من عند الله تعالى.
- ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ غطى عليها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ما كانوا يكسبونه من الخطايا والمعاصي.
- ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ ﴿١٥﴾ سيحجبون عن رؤية الله تعالى.
- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٦﴾ محترقون بها.



- ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٧) ﴿تَقْرِيعاً وَتُوبِيخاً وَتَحْقِيراً وَتَصْغِيراً﴾
يقال لهم هذا الجزاء بسبب تكذيبكم لهذا اليوم ﴿كَلَّا﴾ ردع عن
التكذيب أو بمعنى حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرِ﴾ أي كتاب أعمالهم.
- ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (١٨) ﴿أَي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ أَوْ فِي الْجَنَّةِ﴾.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ (١٩) ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ (٢٠) ﴿أَي مَكْتُوبٌ وَمَرْقُومٌ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ﴾.
- ﴿يَشْهَدُهُ الْمَقَرُّونَ﴾ (٢١) ﴿أَي الْمَلَائِكَةُ، وَقِيلَ يَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مَقْرُبُوهَا﴾.
- ﴿إِنَّ الْأَنْبَرِ﴾ الأبرار جمع بر، والبر كثير الخير، والطاعة والإحسان ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿مَنْعَمُونَ نَعِماً دَائِماً، وَهَذَا النِّعَمِ جَامِعٌ بَيْنَ نَعِيمِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَنَعِيمِ الْحَيَاةِ، وَالْبَرْزَخِ، وَالْقِيَامَةِ﴾.
- ﴿عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ﴾ (٢٣) ﴿عَلَى الْأُسْرَةِ وَالْمَتَكَاتِ الَّتِي هُيِّئَتْ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، يَنْظُرُونَ إِلَى مُلْكِهِمْ، وَنَعِيمِهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ﴾.
- ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤) ﴿إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ تَرَى أَثَرَ النَّعِيمِ وَبِهِجَتِهِ بَادِئاً عَلَى وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ مَا يَجِدُونَ﴾.
- ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ (٢٥) ﴿يَسْقَوْنَ مِنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ، وَالرَّحِيقِ هُنَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ، وَمَخْتُومٌ خُتِمَ عَلَى أَوَانِيهِ، فَلَا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ يَنْقُصُ لَذَتَهُ أَوْ يَفْسُدُ طَعْمُهُ﴾.
- ﴿خِتَمُهُمْ مِسْكٌ﴾ آخر ما في ذلك الشراب رِيح الْمِسْكِ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ (٢٦) ﴿أَي فِي مِثْلِ هَذَا النَّعِيمِ فَلْيَكُنِ التَّنَافُسُ، وَالِاسْتَبَاقُ إِلَى الْخَيْرَاتِ﴾.



- ﴿وَمَزَاجُهُ﴾ ما يمزج به ذلك الرحيق ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ﴿٢٧﴾ عينا في الجنة، قال ابن عباس: التسنيم يعلو شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين، ويمزج لأصحاب اليمين.
- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ أي أن هذه العين خاصة للمقربين.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ قاموا بالجرم وهو المعصية والمخالفة ﴿كَانُوا﴾ أي في الدنيا ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ استهزاء وسخرية واستصغارا.
- ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ إذا مرَّ المجرمون بالمؤمنين أو المؤمنون بالمجرمين غمز بعضهم بعضاً استهزاء وسخرية.
- ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ وإذا رجع المجرمون إلى منازلهم ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ﴿٣١﴾ متلذذين بالسخرية من أهل الإيمان.
- ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ إذا رأى المجرمون المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ﴿٣٢﴾ على غير طريق الحق لكونهم على غير دينهم.
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ما أرسل هؤلاء المجرمون على المؤمنين حافظين لهم ورقيين عليهم.
- ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ مسرورين بما نزل بعدوهم من الهوان والصغار بعد العز والكبر.
- ﴿عَلَى الْأَرَْائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ على الأسرة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الثواب، وينظرون إلى أولئك وهم في درك الشقاء، وينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى زيادة في النعيم.
- ﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ هل جوزي أهل الكفر بما كانوا يفعلون في الدنيا من الكبر والاستهزاء.



المفسر

١ - الأسفلون هنا هم الأسفلون هناك لا فرق ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ٧.

٢ - صَاحِبُهُ في السفر للرديلة، وحضر معه سفك القيم، وشاركه في تزييف الحقائق ولم يفترقا في الدنيا، فجمع الله تعالى كتابهما في أسفل أرض، وفي أسوأ معنى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ٧ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ٨ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ٩.

٣ - اجتمعوا في الدنيا على الدنيا، فجمعهم الله تعالى يوم القيامة على نهايات السوء ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ٧ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ٨ ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ٩.

٤ - كل تأخر ينال الإنسان في دينه مرده لتكذيبه بالوحي ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٠ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وكم من مصدق بقوله مكذب بعمله وواقعه!

٥ - الاعتداء على حدود الله تعالى، والتعدي على حرماته فرع عن التكذيب بالوحي ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ١٠ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾.

٦ - كم من معصية حالت بين صاحبها وبين التوفيق ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٤.

٧ - لا تستغرب حين ترى من يُلقي بنفسه في مهاوى الردى دون ضابط، وكلما خرج من أسر قضية عاد في أخرى، وكلما وجد فرصة سانحة إلى ظلم وعدوان سارع دون مبالاة، وهذه الصور بعض الدلائل على تغطية المعاصي على قلبه، وتأثيرها في حياته وحيلولتها دون وعيه وإفاقته ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ١٤.

٨ - إذا رأيت من نفسك تأخراً عن طاعة، وعدم اكتراث بمعصية، وبرودة قلب عند واجب فذلك من أعظم الأدلة على مرض القلب وعلته، ولعلك رأيت من يدخل



المسجد فتعسر عليه ركعتان، ومن يبقى زمناً في المسجد لا يتمكن من مد يديه إلى كتاب الله تعالى، وكلما اشتهدت نفسه خيراً وقفت جوارحه عاجزة عن التمام. والعاقل من أدرك نفسه قبل الفوات ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤).

٩ - لا تأخذ رأياً ممن يعيش في ساحات الظلام، لو كان يبصر شيئاً من الحقائق لأنقذ نفسه فما لك وللظلام! ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤).

١٠ - المجهدون من اليأس والإحباط والفشل والقنوط هم الذين قطعوا جزءاً كبيراً من حياتهم في الظلام ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) مستحيل أن تجد تقياً صالحاً في ساحات الظلام.

١١ - لا تقف المعصية بصاحبها عند حد، وما تزال به حتى تحرمه من كل شيء ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾.

١٢ - إنما على كتاب القوم لعلوهم في أفكارهم ومفاهيمهم وأهدافهم وطموحاتهم ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ﴾ (١٨).

١٣ - على قدر أمانيك تأتي نتائج النهايات ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ﴾ (١٨).

١٤ - إذا ضاق بك الطريق، وكلت بك النفس، وأمضك جهد المشروع فردد هذا الحادي على قلبك ومشاعرك ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُ مِيسَكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾.

١٥ - إذا رأيت بارداً متأخراً مثقالاً عن غايات الآخرة، فاضرب قلبه بسوط الذكرى ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (٢٦).



١٦ - لا تغط أحداً في شيء مهما بلغ حجمه إلا في سباق على مباحج الآخرة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ ٣٦.

١٧ - ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ ٣٦ في مثل هذه الميادين تكون صناعة التحديات.

١٨ - كل الحوافز التي تمنحها مشاريعك وأهدافك وغاياتك تجري في فلك هذه الدعوى المثيرة للنزال على الخيرات ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ ٣٦.

١٩ - خلق بيئة التنافس مورد للسباق على الخيرات ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ ٣٦ فليفتطن المربون لهذا المعنى الكبير. إن البيئة التي لا تخلق مورداً للتنافس ومجالاً للسباق لا تصنع بريقاً للحياة في واقعها، وعلى المربين آباءً ومعلمين أن يخلقوا هذه المعاني في كل مساحة يشغلونها.

٢٠ - كل تنافس تراه من أجل الدنيا، فلا قيمة له ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ ٣٦. ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ درس للذكرى!

٢١ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٢١ لا يسمع موسيقى، ولا يصافح فتاة، ولا يشهد احتفالات، ولا يتنزه مع الناس، ويتخرجون من الربا، ولا يشهدون فوضى الحياة!! يضحكون على امثالهم لدين الله تعالى.

٢٢ - من العدل أن يوصف الناس بوصفهم الحقيقي ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٢١.

٢٣ - كل من يتعرض لأولياء الله تعالى، ويقف دون امثالهم لدينه فهو مجرم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٢١.

٢٤ - كم من مجرم في الأرض يضطهد الأخيار صباح مساء، والذي يطارده المجرم الأصل ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ٢١.

٢٥ - الوحي يعيد بناء التصورات والمفاهيم في أذهان كثيرين ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) ﴿الْمَجْرِمُ مِنْ وَقَفَ دُونَ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَارَدَ أَوْلِيَآءَهُ﴾.

٢٦ - كلما أقبل شاب في مجتمعه على الاستقامة لمزه وخوفه وبعث لأبيه يهدده حتى ترك الاستقامة وعاد ضائعاً، صورة من صور الإجرام ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩).

٢٧ - الصراع بين الحق والباطل، والمدافعة بين أولياء كل طريق سنة ثابتة ستظل ما بقيت الحياة ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾.

٢٨ - كثيرة هي الانتصارات الوهمية التي تنال تصفيقاً مدوياً من الجماهير ثم لا شيء ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾.

٢٩ - حتى الضحك على أولياء الله تعالى سيطوله القصاص ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤).

٣٠ - سيطول أمد الحقائق لكنها في الطريق للوصول ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤) اليوم! مع أنه طال انتظار مواعده وأيامه.

٣١ - الجراح التي يلقاها المؤمنون في ساحات الدنيا معوضة بالجزاء في ساحات القيامة، فاصبروا يا صنّاع الحياة ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤).

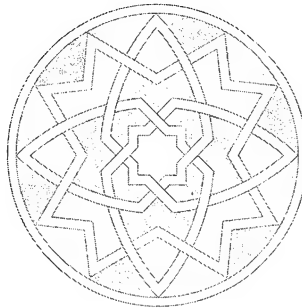
٣٢ - من يضحك أخيراً!! دعونا نرتقب ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ (٣٤).



٣٣ - كل وصف لا أصل له في الشريعة، فهو مردود على صاحبه ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ٣٢ ﴿﴾ وصف الضلال الذي ألقى على كواهل المؤمنين فرية لا سند لها ولا حقيقة.

٣٤ - ما أسهل الدعوى! ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ٣٢ ﴿﴾ وصفوا غيرهم بالضلal وبقيت الحقيقة من حقهم فحسب.

٣٥ - ﴿هَلْ تُؤْبَ الْكُفَارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ ﴿﴾ إي والله يا رب! ما من خبر هنا إلا وهو حقيقة هناك.



سُورَةُ الْأَنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③
 وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَتَأَيُّهَا
 الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمُلِّقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
 كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ
 أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩ فَسَوْفَ يَدْعُوا
 ثُبُورًا ⑪ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ⑫ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬ إِنَّهُ ظَنَّ
 أَن لَّنْ يَحُورَ ⑭ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ
 ⑯ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ⑱ لَتَرْكَبُنَّ
 طَبَقًا عَن طَبَقٍ ⑲ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑳ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ
 الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ㉑ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ㉒
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ㉓ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ㉔ إِلَّا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ㉕



التفسير

- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١﴾ تصدعت، وتقطعت ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ سمعت له في تصدعها وتشققها.
- ﴿وَحُفَّتْ ۝٢﴾ حق لها ووجب عليها أن تنقاد لأمر الله تعالى ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣﴾ بسطت وجعلت مستوية.
- ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤﴾ ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم.
- ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ۝٥﴾ انقادت له في التخلية وحق لها ذلك الانقياد.
- ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾ أي إنك عامل عملاً، وساع سعيًا، فملاقي ذلك العمل إن كان خيراً أو شراً.
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧﴾ يوم القيامة، وهو من آمن وعمل صالحاً واتصف بوصف الأبرار.
- ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ سهلاً يسيراً.
- ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩﴾ يرجع إلى أهله إما زوجته وأقاربه، أو قومه ممن يجانسه ويقارنه في الصالحات مسروراً بنجاته من العذاب، أو صحبة القوم ومرافقتهم، أو بما أوتي من حظوظه.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠﴾ أعطي كتابه بشماله من وراء ظهره على هيئة المغضوب عليه.
- ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝١١﴾ ينادي بالهلاك والهوان على نفسه، يقول حين يرى العذاب: وا ثبوره! وا ويلاه.



- ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢) ﴿في النار.
- ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (١٣) ﴿فرحاً لا يفكر في العواقب.
- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (١٤) ﴿لن يرجع إلى ربه أو الحياة الآخرة.
- ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (١٥) ﴿ليرجعن إلى ربه كما كان قبل مماته، فيجازى على أعماله خيرها وشرها.
- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) ﴿هذا قسم من الله تعالى بالشفق، والشفق: الحمرة في الأفق من ناحية المغرب.
- ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (١٧) ﴿جمع وضم وحوى من مخلوقات.
- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (١٨) ﴿اجتمع وتم نوره وصار كاملاً، وذلك في ليالي الإبدار.
- ﴿لَتَرَكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (١٩) ﴿حالاً بعد حال في الزمان والمكان والأبدان والقلوب.
- ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠) ﴿أي: أي شيء يمنعهم من الإيمان والحجة قائمة عليهم؟! وهذا استفهام بمعنى الإنكار.
- ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ (٢١) ﴿لا يخضعون ولا ينقادون لأوامره وما فيه من الخير.
- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٢٢) ﴿إنما منعهم من الإيمان بذلك تكذيبهم.
- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ (٢٣) ﴿ما يسرون ويجمعون في صدورهم من أقوال وأعمال.



- ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٤﴾ بالجزاء على تكذيبهم وإعراضهم.
- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ﴿٢٥﴾ تحلوا بهذه الصفة، وجمعوا بين الإيمان والعمل، لهم ثواب غير مقطوع، أو غير ممنون به عليهم.

التدبر

١ - بعض مشاهد العبودية لخلق الله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾
فما جواب الإنسان عن تعظيمه لربه وقيامه بحق!

٢ - من المفارقات الكبيرة أن يأتي جماد سامع ومطيع لربه تعالى وإنسان متمرّد على دينه ومنهجه! ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ ﴿٥﴾.

٣ - التعب والكدح والمعاناة أصل في الدنيا، ولن تأتي اللحظة التي يتخلّص فيها الإنسان من هذا العناء إلا بأول قدم يضعها على عتبة الجنان ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾.

٤ - فرق كبير بين كدح وكدح. فرق بين كدح صاحب الرسالة، والمشروع والمنهج في طريق الحق، وبين كدح صاحب الباطل! قد يتفق هذا الكدح عند كل إنسان في الجهد، والحركة، والمعاناة، لكنه يختلف اختلافاً كبيراً في أثره على واقع الإنسان وحياته، وفي يوم معاده ويوم جزائه ﴿يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ﴿٦﴾ ﴿٦﴾.

٥ - حتى الطاعة تأخذ المعنى ذاته من الكدح في الحياة! ثمة صور كثيرة منها لا تأتي إلا على جسر من التعب والمعاناة، وكم من كدح فيها عاد على صاحبه بالأفراح! وإنما كانت الجنة درجات لهذا المعنى الكبير ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦).

٦ - كلما تعبت في طريقك، وكلَّ جسدك من العمل، وضعفت همتك في السير فكَرَّ عليها بهذا الأمل الكبير ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦) ملاقيه أثراً عاجلاً في نفسك، وبيتك، وعملك، وسائر حياتك، وملاقيه جزاءً في قبرك، وملاقية يوم الوقوف بين يدي ربك.

٧ - الجزاء من جنس العمل! وكل كادح يلقي جزاء كدحه في الدارين! كادح الطاعة يلقي هذا الوعد الكبير ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) وكادح المعصية يلقي في النهاية ذلك الوعد المشؤوم ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا﴾ (١١) وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢).

٨ - من فقهك وكمال عقلك أن تستثمر طاقاتك ومهاراتك وقدراتك في مشروع وتعيش كادحاً في الطريق إلى الله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦).

٩ - حتى غبار قدمك في مشروع، وليلة سفرك، وبذل أوقاتك في سبيل الله تعالى ستأتي ضمن كدح الحسنات ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦).

١٠ - ملازمتك لأمك، وقيامك بدورك مع أبيك، والتزامك بمشروع طيلة عمرك كل ذلك كدح الخيرات ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦).



١١ - ملازمتك لصلاة الجماعة، وحرصك على تكبيرة الإحرام، وصدقتك الدائمة وقراءتك لكتاب الله تعالى سيأتي ضمن كدح الحسنات ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ﴿٦﴾.

١٢ - حتى ابتسامتك، وتسبحيتك، وعونك لجارك، وأخذك بيد عاجز في الطريق وقيامك على الأيتام من هذا الكدح الطيب ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ﴿٦﴾.

١٣ - حتى كلمتك الجارحة، وخطوتك في غير صالح، وتوقيعك على خطاب فاسد، وتوظيفك لمن لا يستحق، كلها في باب كدح السيئات ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ﴿٦﴾.

١٤ - لا تحتقر عملك أيّاً كان، سيأتي يوم القيامة محسوباً في الحسنات أو السيئات ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾.

١٥ - نافذة على النهايات ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ﴿٩﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ وكم من فائز مسرور بكدحه! وكم من حسير محزون من كدحه!

١٦ - كم من مسرور في أهله غير مدرك لعواقب زمانه! وكم من منعم يظن أنه مستريح من العناء، وفي النهاية تأتي الحقائق بغير ما أراد ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾.

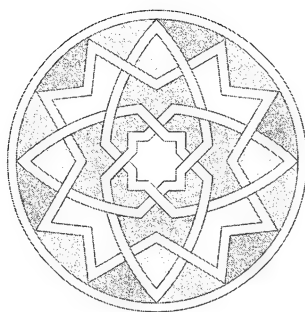
١٧ - لن يدوم الإنسان على حال، كم من شاب موفور الصحة عاد في النهاية شيخاً مسناً يعجز عن حمل قدمه! وكم من صحيح في جسده عاد عليلاً كسيراً من الأمراض! وكم من صاحب فكر وعقل عاد في النهاية لا يملك زمام كلمة، وكذلك



الزمان يكر في الخاتمة على الإنسان، فيورده إلى هذه الصور من النهايات، والله المستعان! وحال كهذه حقيق بصاحبها أن يبادر لحظاتها ويغتني فرصها، ويهب من شبابه لكبره، ومن حياته لموته، ومن صحته لسقمه، وفي الحديث: «إذا سافر العبد كتب له من العمل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً» ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ١٩.

١٨ - خلل الرؤية أخطر ما يوجه الإنسان في حياته ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ ٢٢.

١٩ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٢٥ دواء لليأس والألم والمعاناة وشقة الطريق الطويل.





سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
 ﴿٣﴾ قُلْ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
 قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعُلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
 مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
 عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
 رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو
 الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ﴿١٥﴾ فَاعَالِ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ الْجَنَّاتِ ﴿١٧﴾
 فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
 مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

التفسير

- ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾ الكواكب والنجوم، وإنما شبهت هذه بالبروج لعلوها.
- ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢﴾ أي يوم القيامة، الذي وعد الله فيه الخلائق لفصل القضاء.
- ﴿وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ الشاهد كل شاهد يشهد على آخر، والمشهود هو كل مشهود عليه من العوالم المشهودة كلها.
- ﴿قُتِلَ ۝٤﴾ أي لعن أصحاب الأخدود أو قتلهم الله وأهلكهم وانتقم منهم ﴿أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۝٤﴾ والأخدود: جمعه أخاديد، وهي الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى ما عندهم من المؤمنين بالله ﷻ، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً وأعدوا لهم وقوداً يسعرونها به فلم يقبلوا منهم فقتلهم فيها.
- ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۝٥﴾ ذات الحطب الكثير المتأجج.
- ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ على حافات أخاديدها قاعدون يتشففون من المؤمنين.
- ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ حضور يشاهدون عذاب المؤمنين.
- ﴿وَمَا نَفَعُوا مِنْهُمْ ۝٨﴾ ما أنكروا منهم ولا كان لهم ذنب ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ۝٨﴾ إلا إيمانهم بالله تعالى ﴿الْعَزِيزِ ۝٨﴾ الغالب على أعدائه بالقهر والانتقام ﴿الْحَمِيدِ ۝٨﴾ المحمود على إنعامه وإحسانه.



- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يخرج عن تصرفه أحد من العالمين ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٩﴾ مطلع على كل شيء.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بلوهم بالأذى ليرجعوا عن دينهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ عن كفرهم وفتنتهم للمؤمنين ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقٍ﴾ ﴿١٠﴾ لهم عذاب شديد ومحرق.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ﴿١١﴾ التام الذي لا فوز مثله.
- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ بطشه وانتقامه من أعدائه عظيم قوي.
- ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ﴾ ﴿١٣﴾ يبدئ الخلق فيخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم عند البعث.
- ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ يستر الذنب ويعفو عنه ﴿الْوَدُودُ﴾ ﴿١٤﴾ الحبيب لأوليائه يحبهم ويحبونه.
- ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ المجيد صاحب العرش، وعرشه هو الذي استوى عليه ﷺ استواء يليق بجلاله ﴿الْمَجِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ المجيد فيها قراءتان: بالرفع على أنه صفة للرب، والمجيد المتضمن لكثرة صفات الكمال وسعتها وعدم إحصاء الخلق لها وكثرة خيره ودوامه، وبالجر على أنها صفة للعرش فهو مجيد لسعته وحسنه وبهاء منظره.
- ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ لا يريد شيئاً إلا فعله.
- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ ﴿١٧﴾ قد أتاك يا رسول الله خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائها.
- ﴿فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ﴾ ﴿١٨﴾ حديثهم وما صدر عنهم من الكفر والضلال.

- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ (١١) ﴿لِلْحَقِّ مَعَ وَضُوحِ آيَاتِهِ وَظُهُورِ بَيَانِهِ.
- ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٢٠) ﴿مَحْصٍ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، قَادِرٌ عَلَيْهِمْ.
- ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ﴾ (٢١) ﴿عَظِيمٌ كَرِيمٌ فِي شَرْفِهِ وَبَرَكَتِهِ وَبَيَانِهِ.
- ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ (٢٢) ﴿أَيُّ أَنْ هَذَا الْكِتَابُ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

التَّدْبِيرُ

١ - رعاية الله تعالى لعباده المؤمنين ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (١) ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ (٢) ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ (٣) ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٤) ﴿يَقْسِمُ تَعَالَى بِهَذِهِ الْعَوَالِمِ الْكُبْرَى عَلَى طَرْدٍ وَلَعْنٍ كُلٍّ مِنْ عَرَضٍ لَهُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَذَاهُمْ، أَوْ حَالٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ دِينِهِمْ. وَأَنْتَ مِنْ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ تَعَالَى وَيُدَافِعُ عَنْهَا وَيَجْلُهَا وَيَرْعَى شُؤْنَهَا فِي الدَّارَيْنِ.

٢ - لا تتوقع من عدوك إلا مثل هذه الجرائم ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٤) ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ﴾ (٥) ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ (٦) ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧) ﴿إِلَى يَوْمِكَ هَذَا وَهُمْ يَقْتُلُونَ وَيَذْبَحُونَ وَيَشْرُدُونَ وَيَصْنَعُونَ كُلَّ شَيْءٍ.

٣ - العدو يعرف الفرص ويجهد في استثمارها في صالح فكرته المشؤومة ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٤) ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ﴾ (٥) ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ (٦) ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧) ﴿لَمَّا قَالَ الْحَاضِرُونَ قِصَّةَ الْغَلَامِ: (أَمَّا بَرَبُ الْغَلَامِ) اسْتَثْمَرَ جَمْعَهُمْ، ثُمَّ حَفَرَ الْأَخَادِيدَ، وَأَوْقَدَ النَّارَ، وَأَلْقَاهُمْ فِيهَا لِيَشْفَى غُلِيلَهُ.



٤ - الفكرة الحية كافية لطعن العدو، أحرقوهم في الأخاديد لأنهم اعتنقوا فكرة الحق وآمنوا بمنهج الله تعالى فحسب ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾.

٥ - ليس بالضرورة أن تحمل سلاحاً للعدو في أرض المعركة يكفي إيمانك الحقيقي بدينك جالباً لسخط العدو ونزالك في أرض المعركة ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾.

٦ - يطيش العدو حتى يتصرف كالأعمى لحظة انتصار الحق في مساحة من الأرض فقط حين قالوا: (آمنا برب الغلام) أوقدوا الأخاديد وأضرموها فيها النيران وقذفوهم فيها في الحال ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾.

٧ - فرق بين أن تردد الإسلام صورةً وشكلاً، وأن تعتنقه عقيدة ومعنى! الأول يصلحك العدو لدرجة أنك جزء منه لا فرق، والثانية يقوم في طريقك ولو خسر كل شيء ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾.

٨ - الإسلام حركة شعورية تملأ كيان الإنسان حرية فلا يرضى بالدون، وإذا لم يكن لك من ذلك شيء، فلا مفروح بك في أعداد المسلمين ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ لولا أن هذا الدين قام في نفوس هؤلاء عقيدة ومعنى لما رضوا بالنار في مقابل الحياة العاجلة.

٩ - رأيت المساجين من المسلمين في بلاد الغرب، فأدركت أن العدو لا يمكن أن يدع الأحرار في فجاجها دون رباط ﴿قُلْ أَصْحَبُ الْأُخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾.



١٠ - لم يكن مفهوم النصر حصراً على الانتصار في معركة، أو ساحة جهاد! وإنما ممتد إلى صور كثيرة يأتي على رأسها صبر المؤمنين على منهجهم وتحملهم تكاليفه وأعباءه، والطمأنينة به حتى لو كلف موت الإنسان ووداعه من الحياة. وهل رأى عاقل صورة مثل صورة هذا الشاب يدل الناس على الإيمان ويصنع من دمه حريات الشعوب! وفي الحديث: «فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَضْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ! وهل رأت أمة صورة أعز من صورة هؤلاء الأفراد يتقاذفون في النار واحداً تلو الآخر دون أن يلوي أحد منهم عنقه للوراء! وإذا بلغ دين الله تعالى في النفوس إلى مثل هذه الصور فتلك أروع صور النصر وأمثل صور الوفاء. لا تسلم عن الأرواح التي أزهقت، والنفوس التي استشهدت، وقد عاد دين الله تعالى أمثل ما يكون.

١١ - الموت من أجل الفكرة حياة للجماهير المنتظرة «ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ!»

١٢ - رأيت أناساً يموتون فتحيا بموتهم جماهير، ورأيت أحياء كالأموات لا فرق «ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.»



١٣ - العدو لا يقوم للإرهاب كما يدعي، يقوم لقمع راية الإسلام حين يراها بدأت تأخذ واقعها من الحياة ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

١٤ - إذا سمعت مديعاً يردد، أو رأيت صحفياً يكتب عن هدف عدو في معركة يقيمها لغير هذا الشأن ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ فكذبته فذلك من الاحتساب على المنافقين.

١٥ - إذا روج الإعلام زيفه وكذبه وسوق للعدو صورة الحرب التي يشنها في جزء من رقعة الإسلام، فقرأ عليه هذا المعنى الكبير ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

١٦ - احفظ هذه الآية واضبطها جيداً ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ حتى تستطيع أن تلجم بها الأفاكين في دبر الإعلام في مثل زماننا.

١٧ - لا تحاول أن تقنعني أن خيل العدو وعدته وأمواله في أرض الإسلام من أجل عيون المسلمين ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ كذبت، وصدق الله تعالى.

١٨ - إذا قمت تتدبر كتاب ربك، أو تقيم مشروعاً لفهمه، أو تفتح مؤسسة لإحياء معانيه فقد فتحت باباً للمعركة الكبرى مع العدو ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

١٩ - ﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الإيمان أثر لفقه الوحي، وتدبر كتاب الله تعالى وقراءته قراءة مشاعرية وجدانية بداية الطريق وقاعدته.

٢٠ - للإيمان ضريبة ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ﴾ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ شعاع القلب المتوهج في النفوس من أثر ذلك الإيمان لا يستوثق حتى تلفحه النيران.

٢١ - الابتلاء على قدر الإيمان ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْذُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ٥ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ٦ ﴿كَلِمَا زَادَ إِيمَانُكَ زِيدَ لَكَ فِي الْبَلَاءِ، مَسَاحَاتِ الرَّبِيعِ لَا تَتَوَسَّعُ حَتَّى تَجِدَ مَسَّ النِّيرَانِ.

٢٢ - الزمن ليس شاهداً حياً على نماء جذر إيمانك، يكفي الإيمان الصادق شواهد الحال ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْذُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ٥ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ٦ ﴿مِنْ لَحْظَةِ إِيمَانِهِمْ ثَبَتُوا عَلَى تَكَالِيفِ الطَّرِيقِ.

٢٣ - الإيمان لا يحتاج إلى مساحة تصنعه، يكفيهِ لحظة صدق في البدايات ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْذُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ٥ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ٦ ﴿هَذَا يَدْخُلُ النَّارَ لِيَمُوتَ فِي مَقَابِلِ أَنْ يَبْقَى دِينُهُ، وَذَاكَ يَخْصِرُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ شَهْوَتِهِ، مَا أَبْعَدَ الْفَرْقُ!

٢٤ - الدين لا يكون مساحات الربيع في قلب صاحبه حتى يجد مضى الأيام وشقة التكاليف ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْذُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ٥ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ٦ ﴿.

٢٥ - الابتلاء جزء من تكاليف الطريق لم تتخلف في عصر أو زمن، وكلما استوثق الإنسان من دينه زادت شقة الابتلاء في طريقه حتى يلقي الله تعالى أمثلاً ما يكون ﴿قِيلَ اصْحَبْ الْأَخْذُودِ﴾ ٤ ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ ٥ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ٦ ﴿.

٢٦ - هل مرَّ بك في حياتك مثل هذا المعنى في الرحمة! يقف هؤلاء المجرمون في طريق دينه، ويحاربون أوليائه، ويحرقونهم في أخاديد النار، وبعد كل ذلك يدعوهم للتوبة من جديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ١٠ ﴿مَا أَعْظَمَكَ يَا رَبُّ!

٢٧ - لم تبق هذه الآية مساحة من يأس ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ١٠ ﴿.



٢٨ - ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ دعوة لفك أغلال الوهم.

٢٩ - إلى كل اليائسين والقانطين من رحمة الله تعالى: خذوا من هذه السعة مع المجرمين مراكب للنهوض من جديد ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (١٠).

٣٠ - أياً كانت خطيئتك، وسيئتك، وجريمتك فما زالت مراكب التوبة فارغة في انتظارك ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنُّوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ (١٠) لا أعني التوبة تلك الكلمة التي ترجو بها الفكاك من الخطيئة لحظة أثر الذنب، كلا! أعني الانكسار والصدق والإقبال والعزم على عدم العودة والفكاك من ربق الذنب.

٣١ - الإيمان والعمل الصالح يصنع أمانى الإنسان ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١١).

٣٢ - كل معاني الفوز التي تتردد على مسمعك لا قيمة لها مقارنة بهذا الفوز الكبير ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١١).

٣٣ - هذا يبكي فرحاً لفوز فريقه، وذاك يبكي حزناً لهزيمة فريقه، وآخرون يفرحون ويكون لفوز عارض من أحلام الدنيا فأين هذه الأحلام من فوز الحقائق الكبرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (١١).

٣٤ - ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٣) رسالة لكل المسرفين في الأرض المخدوعين بأمد الحياة الطويل.



٣٥ - إذا رأيت مغلوباً على أمره فذكره بناصره ومعينه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٣.

٣٦ - مساكين الذين يظلمون الناس لقوتهم، أو جاههم أو مالهم أو مسؤولياتهم، نسوا ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٣.

٣٧ - إذا قل ناصروك في الأرض، فارفع بصرك إلى السماء، وتذكر القوة البالغة، وسله النصر ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٣.

٣٨ - في رحاب هذا المعنى ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ ١٣ حل بقوم ما لم يكن في الحساب.

٣٩ - ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ١٤ لمسة حنان وود للمرهقين من آثار الذنوب المجاهدين من تبعات المعصية.

٤٠ - المسألة فوق أنك وقعت في ذنب فغفر لك! إنها مسحة ود ومعروف وبر تلاحق جفاءك وتمسح لأواءك، وتأتي على آثار الألم فتبرئك من كل شيء.

٤١ - ما أكثر حاجة القلوب إلى القراءة في آيات الصفات ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ١٥ دعوة إلى التأمل في هذا الخلق العجيب، وفي حديث رسولك ﷺ (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام) فكيف بالعرش ذاته، فإذا ما قرأت قول ربك: ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ ١٦ أدركت كم تُخلف هذه الصفات في قلوبنا من معانٍ وآثار!

٤٢ - هذا الوصف العارض (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام) لملك واحد من ملائكة ربك، فما بالك بمن معه! فما بالك بالرب!

٤٣ - لو تخيل عاقل وصف الملك لما جسر على معصية صاحب الملك! ما أبشع صور الغفلة في حياتنا!

٤٤ - من فجر التاريخ والحق والباطل في صراع ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿ ١٨ ﴾ .

٤٥ - النصر للحق والغلبة له وإن طال الزمان ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿ ١٨ ﴾ هذا حديث القرآن عن صراع الباطل ومواجهته للحق، وحديث كذلك عن الهزائم التي منوا بها في تلك الأيام ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿ ١٨ ﴾ .

٤٦ - يكفي أن الدين دين الله تعالى، وهو ناصر دينه ومعلي كلمته ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿ ٢٠ ﴾ الله تعالى من ورائهم وليس أهل الحق، القوة الإلهية هي تواجه باطلهم لا قوة البشر، سلطان الله تعالى وملكه وجبروته في مقابل قوى بشرية لا تستمد أنفاسها التي تجري في أجسادها إلا من الله.



سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾
وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزْلٌ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ
يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَآكِيذُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُم رُوِيَ

التفسير

- ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ﴿١﴾ قسم من الله تعالى بالسماء وما يطررها من النجوم الشواقب.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ وفسر هذا الطارق بالنجم الذي يثقب ضوءه ظلمة الليل، وينفذ فيه فيبصر بنوره ويهتدي به.
- ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ﴿٤﴾ مطلع على أعمالها الصالحة والسيئة، مجازيهم بما يحصيه من أعمالهم يوم القيامة.



- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿٥﴾ فليتأمل الإنسان بداية خلقه.
- ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ ﴿٦﴾ المنى يخرج دفقاً ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ صلب الرجل، وهو كل عظم من الظهر فيه فقار.
- ﴿وَالْتَرَائِبِ﴾ ﴿٧﴾ يخرج هذا المنى من بين ترائبه أي عظام صدره، وقيل ترائب المرأة أي عظام صدرها.
- ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ ﴿٨﴾ على رجوع الإنسان إليه يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبْلَى﴾ تختبر لتظهر وتبدو.
- ﴿السَّارِبِ﴾ ﴿٩﴾ ما بين العبد وربّه في ظاهره وباطنه ﴿فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ في نفسه تدفع عنه عذاب الله تعالى.
- ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ ﴿١٠﴾ يدفع عنه عذاب الله تعالى.
- ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ﴿١١﴾ الغيث لأنه يرجع ويتكرر.
- ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّيْعِ﴾ ﴿١٢﴾ ذات الشقوق ليخرج النبات منها ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ﴾ أي القرآن.
- ﴿فَصَلِّ﴾ ﴿١٣﴾ حق وصدق بين واضح.
- ﴿وَمَا هُوَ بِهَزَلٍ﴾ ﴿١٤﴾ باللعب والعبث واللغو ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الكفار.
- ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ﴿١٥﴾ يمكرون بالناس في دعوتهم، ويصدونهم عن الحق.
- ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ﴿١٦﴾ وكيد الله تعالى هنا هو مكره بهم وإملاؤه إياهم على معاصيهم وكفرهم به استدراجاً لهم ومعاقبتهم على ذلك، وهذه الصفة صفة الكيد من الصفات الثابتة لله تعالى لكنها لا تثبت لله تعالى إلا على

وجه المقابلة، فلا يقال الله كائد، ولكن يقال يكيّد الله بمن يكيّد به،
ويمكر بمن يمكر به.

• ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ﴾ أنظرهم ولا تستعجل لهم ﴿أَمَهُلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ ﴿١٧﴾ قليلاً لترى
ما يحل بهم من العذاب والنكال.

التدبِير

١ - كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، فكل ما يجري في هذا الكون، فإنما هو بأمره
وتحت سلطانه وقدرته لا يفوت منه شيء عليه تعالى ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ﴿٤﴾.

٢ - رقابة الله تعالى، فكل ما يجري من الإنسان مرصود مكتوب لا يفوت منه على
الله تعالى شيء ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ﴿٤﴾.

٣ - لا تأخذك نفسك بعيداً عن الله تعالى أو عن المخلوقين ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿٥﴾
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ هذا هو أصلك وبدایتك وحقیقتك
فلا تبعد كثيراً. تعلّم كيف تتواضع للحق الذي يأتيك، وتُعظّم ربك وتقيم له شأنًا في
واقعك، وتعلّم في المقابل كيف تؤدي حقوق الله تعالى وترعى شأنها وأنت ترى من
كل حولك أفضل منك تقوى وصلاحاً وخلقاً وأدباً.

٤ - القلب أصل العمل، وكل عمل جوارحك إنما هو نتيجة لذلك الأصل
الكبير، وإذا صلح ذلك الأصل صلح سائر العمل، وإذا اختل كل شيء.
وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ
يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، وأول الأسئلة وأهمها سؤال السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلَى
السَّرَائِرُ﴾ ﴿٩﴾.



٥ - خلواتك وسرائرك هي وجهك الحقيقي، كم رفعت هذه السرائر من عمل! وكم حسنت من خاتمة! وما ينفع إنساناً ثوب يورق جمالاً وقلبٌ مظلمٌ حسداً ونفاقاً! وما ينفع حديث لسان وقلب منطوٍ على كبائر الخلوات ﴿يَوْمَ بُلَى السَّرَائِرُ﴾ ٩ وقد قال ابن الجوزي رحمه الله: «الله الله في السرائر، فما ينفع فسادها صلاح الظاهر».

٦ - كل الحقائق مردها لهذا الوحي ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ١٣ ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْلَزِلْ﴾ ١٤ وما عدا ذلك عارِيّة لا قيمة لها في واقع صاحبها.

٧ - ما قيمة هذا المعنى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ١٣ ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْلَزِلْ﴾ ١٤ إذا لم يتولّ صياغة أفكارنا، وإصلاح أرواحنا، وبناء مفاهيمنا وتصوراتنا. مؤلم أننا نتهافت على الكتب المترجمة - كمثال - وندفع فيها أموالاً وأوقاتاً، وندفع أعظم الحقائق بين أيدينا وبدون مقابل من الأموال.

٨ - كانت تلك الأجيال توقظها آية من هذا الوحي وتعود تكتب حظ الإسلام منها بأبلغ ما يكون ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ١٣ ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْلَزِلْ﴾ ١٤ سمع جبير بن مطعم قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] وهو مشرك فقال: كاد قلبي أن يطير! وكانت قريش تقنع كل من يفتد إلى مكة أن يحترز من هذا القرآن حتى يضع في أذنه القطن، ثم ما يلبث أن تهزمه آيات القرآن ويعود فألاً في الحياة. وما لم نستقبل هذا الوحي بمثل هذا الوعي وإلا فسيفوتنا كل شيء.

٩ - القرآن الكريم أكبر الأدلة الكاشفة لتزوير الإعلام ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ ١٣ ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْلَزِلْ﴾ ١٤ وفي زمان الفتن والظلام والأزمات لا تفتح أذنك لزور الإعلام، ضع بصرك بين طيات هذا الكتاب، وستأتيك الحقائق الفاصلة في أرض النزاع.

١٠ - كل تحليل أو رؤية لا تجعل هذا الكتاب أصلها ومقصدها فهي زور وبهتان

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ (١٤)﴾ ولذلك كل هذه التخبطات في رصد الواقع الذي نعيشه يأتي من أننا لم نجعل القرآن هو الأصل وما عداه لا شيء.

١١ - يمكنك أن تبحث عن الدجل والكذب والزور والخيالات في مؤلفات الرجال، أما هذا الوحي، فهو الحق الصراح ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ (١٣) وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ (١٤)﴾.

١٢ - الحقيقة التي يجب ألا تفارق ذهنك في ساعات الليل والنهار أن عدوك يستقطع كل أحلامه في سبيل الكيد لدينك والترصد له والوقوف أمام أحلامه وأمانيه بشتى الطرق والأساليب ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥)﴾.

١٣ - الذين ينتظرون صلحاً مع العدو ينتظرون سراباً عارضاً في الصحراء ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥)﴾ هذه هي الحقيقة التي يحدثك ربك عنها ويفتح عينيك عليها، فلا تغرَّك عنها الأيام.

١٤ - قبل أن تستعرض مواقف العدو الحربية التي يشارك فيها عدواناً على أرض الإسلام تأمل تاريخه في كل صناعة أو تجارة أو قضية، فالمسألة أبعد من حرب في مساحة من الأرض ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥)﴾ ومثلك أوعى بما يديره في الأسواق فضلاً عن ساحات الحرب الكاشفة.

١٥ - ﴿وَإِكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾ لا تقلق قلبك، أو تجهد مشاعرك، أو تتعب جسدك على ما تراه.

١٦ - عليك بذل السبب واستفراغ الجهد في مجاهدة عدوك وقد وعدك الله تعالى بالنصر في النهاية ﴿وَإِكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾.

١٧ - لا تيأس! وإن طال طريق الأماني ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤُودًا (١٧)﴾.

١٨ - كل قضايا الغلبة التي تراها تحدث للعدو مخلوفة بعون الله تعالى بانتصار أصحاب الحق ولو طال زمان ذلك الانتظار ﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِدًا ۝١٧ ﴾ .

١٩ - علينا أن ندير المعركة مع العدو، ونستنفذ كل أدوات النصر، ونجهد في تحقيق مراد الله تعالى وندع النهايات فهي موكولة لله تعالى في كل شيء ﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِدًا ۝١٧ ﴾ .

٢٠ - ﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِدًا ۝١٧ ﴾ دعوة للتفاؤل والأمل!

٢١ - ﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِدًا ۝١٧ ﴾ فالمسألة لا تعدو مسألة وقت وستدور رحى النهايات على رأس العدو.



سُورَةُ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنَقِرُكُنَاكَ ⑥
فَلَا تَتَسَوَّى ⑦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑧ وَيُخَوِّفُ ⑨
لِلْيُسْرَى ⑩ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ⑪ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ⑫
وَيَنْجَنِبُهَا الْأَشْقَى ⑬ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑭ ثُمَّ لَا يَمُوتُ ⑮
فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑯ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑱

التفسير

- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①﴾ نزه الله تعالى عما لا يليق بجلاله وعظمته.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ②﴾ خلق كل شيء فسوى خلقه في أحسن الهيئات.
- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③﴾ قدر لكل شيء ما يصلحه، وهدهد إليه، وعرفه وجه الانتفاع به.



- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ﴿٤﴾ أخرج من الأرض مرعى الأنعام من صنوف النبات.
- ﴿فَجَعَلَهُ عَئَاءً﴾ جافاً يابساً ﴿أَحْوَى﴾ ﴿٥﴾ أسود لأن النبات إذا يبس تغير إلى الحوة وهي السواد.
- ﴿سُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ﴿٦﴾ سنجعلك قارئاً فنلهمك القراءة فلا تنساها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أي لا تنسى إلا ما اقتضت حكمة الله تعالى أن ينسبك إياه لمصلحة وحكمة.
- ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ﴿٧﴾ يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه.
- ﴿وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ﴿٨﴾ نوفقك للطريقة اليسرى والشرعية السمحة ﴿فَذَكِّرْ﴾ ذكر بشرع الله وآياته وأيامه.
- ﴿إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ ﴿٩﴾ في محل تنفع فيه الذكرى.
- ﴿سَيَذَكَّرُكَ مِنْ يَخْشَى﴾ ﴿١٠﴾ سينتفع بهذه الذكرى من يخشى أيام الله وآياته.
- ﴿وَيَنْجَنِبُهَا الْأَشْقَى﴾ ﴿١١﴾ الشقي البعيد عن الهداية.
- ﴿الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ﴿١٢﴾ يوم القيامة.
- ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿١٣﴾ لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة السعداء.
- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ من طهر نفسه من رذائل الشرك.
- ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ﴿١٥﴾ تذكّر جلال الله وعظمته، فخشع وقام بما عليه، ومن ذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان والتقوى.

التدبير

١ - من علمك ووعيك وكمال دينك أن تنزه الله تعالى عن كل نقص ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

٢ - العلم موجب للخشية ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فهذا الذي يستحق التنزيه هو ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ٢ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ٣ ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ٤ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ٥ وحق هذا العلم أن يقوم بحقه ويتحول إلى تطبيق.

٣ - إذا أردت أن تغري الناس بعمل أو تحثهم عليه، فينبغي أن تستثير كوامنهم تجاهه، بدأت السورة بطلب ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ١ ثم أعقبته بإغراء كبير لتنفيذ ذلك الطلب ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ٢ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ٣ ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ ٤ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ ٥ حين نريد أن نغري الناس بعمل من الأعمال، فيجب أن نستثير كوامن تلك النفوس لآثار ذلك الطلب، وإلا ستبقى كثير من نفوس المستمعين جامدة لا تتحرك مشاعرها للعرض الذي قدمته في دعوتك مهما كان بليغاً واضحاً.

٤ - قراءة صفات الله تعالى دعوة لإجلاله وتعظيم شعائره ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى صفة، والأعلى قدراً، والأعلى حقاً ومنزلة جل في علاه، ما أحوج نفوسنا لقيام هذا المعنى الكبير فيها! وما يعطيك، أو يهبك، أو يمن عليك مخلوق وهو فقير! وما يصنع لك الأسفلون! وما يفعلون! إنهم حين يعطونك تقديراً، ومكانة، ورفعة، فكل ذلك قدر من الأعلى، وهبة منه وتوفيق.

٥ - لا تبلغ العقيدة مداها في قلبك حتى يبلغ الأعلى مداه في مشاعرك ﴿سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ١ الأعلى قوة وغيره ضعيف، والأعلى شأناً وقدراً ومكانة وما عداه مسكين، الأعلى ملكاً وتديراً وغيره لا يملك شيء.



٦ - إذا أردت شيئاً فعلق قلبك بالأعلى، وإذا دهمك اليأس والألم والظروف وعقبات الطريق فانظر ببصرك إلى السماء وقل يا الله! وإذا أوصدت دونك الأبواب في شيء، فاعلم أن بيده مفاتيح كل شيء، وأنه أقدر على فرجك من كل شيء ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ١.

٧ - كل هذه النعم التي تملأ عينك وقلبك ومشاعرك من الله تعالى، فلا يذهب قلبك بعيداً عن هذا المعنى ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ ٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ ٤ فَجَعَلَ غُثَاءً أَحْوَى ۝ ٥﴾ هو الذي صنع كل شيء.

٨ - من وسائل تعظيم الله تعالى التفكير في خلقه وإبداعه وملكه وسلطانه في هذا الكون ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ ٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ ٤ فَجَعَلَ غُثَاءً أَحْوَى ۝ ٥﴾ فهذه العوالم التي تراها تملأ هذا الكون هو الذي خلقها وهو الذي يدير شأنها وهو الذي هداها لكل شيء. ولو أبصر قلبك قبل نظر عينك لأصابتك الدهشة.

٩ - أما رأيت طائراً كيف يألف عشه، وحية كيف تعرف غارها، وحشرة كيف تهتدي لمكانها، إنه الله تعالى الذي هداها لكل شيء ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ ٣﴾.

١٠ - أما رأيت بقرة تخور لفقد ولدها، وشاة تشغو تبحث عن طعامها، وناقة تحن لمن حولها، من الذي هداهم لذلك؟ إنه الله ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ ٣﴾.

١١ - حتى هذه الطيور التي تخرج خماصاً كل صباح وتعود بطاناً في المساء، الله تعالى الذي هداها لكل شيء ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ ٣﴾.

١٢ - ﴿سُنُقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ۝ ٦﴾ تقال لأمي لا يفقه حرفاً من العلم، ثم يصبح بها عالماً في الحياة. سيتولى الله تعالى أمرك كما تولى أمر نبيه ﷺ، سيفتح لك نافذة مغلقة وباباً موصداً، وسيجري لك الأقدار فوق توقعك وخيالك.



١٣ - ﴿سُنْفَرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ٦ ﴿فلا تشغل بالك بمستقبلك، ولا تغتم لحالك، الله تعالى سيتولى عنك كل شيء.﴾

١٤ - إذا تعسر أمرك، وتأخر فرجك، وضائق بك السبل فلا تحتفل بهذه العوارض في شيء، الله تعالى سيتولى شأنك ويدير أمرك ويفتح لك أبواب الفرج والأمل ﴿سُنْفَرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ٦ ﴿.﴾

١٥ - ﴿وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ٨ ﴿رسالة في جمال شريعة الله تعالى، وأنها كلها يسر وتخفيف، وليس فيها شيء من العنت والمشقة، ومن قال غير ذلك لم يقرأ منها شيئاً.﴾

١٦ - ﴿وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ٨ ﴿اليسرى في قلبك ومشاعرك وروحك، اليسرى في بيتك وأسرتك، وذريتك وفي كل شيء، اليسرى في وظيفتك، وعملك، ومشروعك ورسالتك. لا تظن أن هذه اليسرى في شيء عن شيء بل هي في كل شيء.﴾

١٧ - الدعوة مشروع ويجب أن تأخذ حظها من نفوس أصحابها وأوقاتهم وأفكارهم، ولا تكون شيئاً عارضاً في حياتهم ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ٩ ﴿ليس من حق هذا المشروع أن تدفع به على آذان الناس في كل وقت ودون وعي بظروفهم وأحوالهم، بل من لوازم نجاحه وفلاحه وتحقيق مقاصده أن تختار له الوقت الذي يؤتي أكله، ويحقق ثماره ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ٩ ﴿إن رأيت الوقت مناسباً والمحل قابلاً وإلا فلا!﴾

١٨ - دعوتك دين، فلا تأخذ حظها إلا من قلوب الخاشعين ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ٩ ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ١٠ ﴿وكل من لم يشرف بها أو يقبل عليها أو تناله مواردها فليس من الخاشعين.﴾



١٩ - إذا استكملت شروط التأثير في دعوتك، فلا تغتم للمدبرين عن الدعوة، المتخلفين عن أحداثها ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ فهم لا يصلحون لأثارها في شيء.

٢٠ - إذا رأيت من نفسك إقبالاً على المواعظ وفرحاً بالذكرى وسؤالاً عن مواطن الخيرات فتلك موارد التوفيق ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ وإذا رأيت إدباراً من قلبك عن المواعظ فتفقد قلبك لعل مانعاً وقف حائلاً دون الذكرى.

٢١ - الإعراض عن الدعوة دلالة على شقاء صاحبها ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝١٢﴾ وإذا رأيت إدباراً عن مواطنها وفراراً من أحداثها فأدرك نفسك قبل فوات حظوظها.

٢٢ - فلاح الإنسان موقوف على قدر تزكيته ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ۝١٥﴾ ومن اقتفى أثر رسول الله ﷺ في هذا الشأن وعني بعبادته والتزم بورد ثابت لا يتخلف عنه، فقد بلغ حظه الكبير من هذا المعنى.

٢٣ - أصل هذا الفلاح المشار إليه في كتاب الله تعالى وقاعدته ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ۝١٥﴾ حديث: «وما تقرب إلي عبدي بأحب شيء مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» من خلال التركيز على الفرائض ثم الرواتب والنوافل كورد ثابت لا يتخلف عنه الإنسان في غالب وقته.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

التفسير

- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١٦﴾ إنما تؤثرون اللحظات العاجلة الفانية وتقدمونها على أمر الآخرة.
- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿١٧﴾ أي الدار الآخرة أفضل وأدوم من الدنيا.
- ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ أي المذكور في هذه السورة من الأوامر الحسنة والأخبار المستحسنة في الصحف السابقة على هذه الأمة، ومن هذه الصحف صحف إبراهيم وموسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

التدبر

١- فرق كبير بين الدنيا والآخرة! فرق لا يمكن أن يقيسه عقل بشر! مع كل ما في هذه الدنيا تظل بالنسبة للآخرة كما يضع أحدنا يده في اليم ثم ينزعها وما يعود منها بشيء، فرق يبين عنه حديث النبي ﷺ في آخر من يدخل الجنة يوم القيامة، وقد لقي من وعثاء الطريق ما لقي وفاته حظ المقدمات، ويقول له ربه: «ولك مثل



الدنيا عشر مرات» فرق لا يمكن أن يبين عن مسافته حرف على ظلال آية، وإنما يقربه حديث رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». وتعجب غاية العجب مع كل هذا البون الشاسع يأتي من يؤثر هذه الفانية على الباقية، ويستعجل شهوات عارضة على نعيم الخلود ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٦ ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ١٧ ﴿لو كانوا يعقلون...!﴾

٢ - إذا ألقيت ببصرك على واقع الحياة ستري هذه الآية ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٦ ﴿تخاطب كثيرين مشغولين بها للدرجة التي تركوا كل شيء من أجلها وبسببها.﴾

٣ - لا يتخرج من تخلفه عن صلاة الفريضة، ويتعامل بالربا، ويجري العقوق في حياته في كل حين، لا يكاد يعرف هدفاً ولا مشروع له في الحياة، صور من هذا الإيثار ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٦ ﴿.﴾

٤ - إلى كل الفقراء، والمحتاجين، والمعوقين، والأيتام، وأصحاب الحاجات: لا تنشغلوا بالفئات من هذه الحياة، بل انتظروا آمالكم التي ترجون! ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ١٧ ﴿.﴾

٥ - الدين حلقة واحدة تدار في فلکها كل أحداث الأنبياء ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ١٨ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ١٩ ﴿.﴾

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ②
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَابِتٍ ⑤
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ⑥ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑦
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ⑧ لِسْعِيهَا رَاضِيَةٌ ⑨ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑩ لَا
تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑪ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ⑬
وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ⑭ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ⑮ وَزَوَارِئُ مَبَثُوثَةٌ ⑯
أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ⑰ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ ⑱ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ⑲ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
سُطِحَتْ ⑳ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ㉑ لَسْتَ عَلَيْهِمْ
بِمُصْطَظِرٍ ㉒ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ㉓ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ
الْأَكْبَرَ ㉔ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ㉕ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ㉖



التفسير

- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) هل أتاك يا رسول الله خبر يوم القيامة وما فيه من الأهوال.
 - ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) ذليلة.
 - ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ (٣) مجهدة متعبة أي أنها تعمل يوم القيامة عملاً فيه تعبها ومشقتها، وذلك بما يلقونه في نار جهنم من النكال والويل.
 - ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ (٤) تقاسي ناراً شديدة الحرارة.
 - ﴿تُسْقَى﴾ (٥) هذه الوجوه.
 - ﴿مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ﴾ (٥) من عين بلغت غايتها من شدة الحرارة، وهذه هي صفة شراب أهل النار.
 - ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦) ليس لهم طعام إلا من شجر ذي شوك عظيم.
 - ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٧) لا ينفعها ولا يسد جوعها.
 - ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (٨) حسنة بما حصل لها من النعيم، وذلك يوم القيامة.
 - ﴿لَسَعِبًا﴾ (٩) لعملها الذي عملته في الدنيا ﴿رَاضِيَةً﴾ (٩) بما حصل لها من الثواب جزاء تلك الأعمال.
 - ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ (١٠) مكان جامع لأنواع النعيم ﴿عَالِيَةٍ﴾ (١٠) رفيعة المحل والقدر.
- والنعيم.

- ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ ﴿١١﴾ ﴿لَعَوًّا مِنْ الْكَلَامِ بَاطِلًا﴾.
- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿فِيهَا الْعَيُونُ الْجَارِيَةُ الَّتِي يَفْجَرُونَهَا وَيَصْرِفُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا﴾.
- ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعٌ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿مَجَالِسٌ مَرْتَفَعَةٌ فِي ذَاتِهَا، وَمَرْتَفَعَةٌ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الْفُرَشِ اللَّيْنَةِ الْوُطَيْئَةِ ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ الْأَوَانِي الْمَمْتَلِئَةُ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَشْرَبَةِ اللَّذِيذَةِ.
- ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَا يَعْزُوزُهُمْ تَفَقُّدُهَا﴾.
- ﴿وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَسَائِدٌ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ﴾.
- ﴿وَزَرَائِيْ﴾ ﴿بَسْطُ حَسَانٍ﴾ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿مَفْرُوشَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِهَا مَجَالِسُهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾.
- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿أَيُّ أَفْلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ وَخَلَقَهَا الْبَدِيعُ الْعَظِيمُ، وَكَيْفَ سَخَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْعِبَادِ وَذَلَّلَهَا لِمَنَافِعِهِمْ؟!﴾
- ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَهَا وَجَعَلَهَا مُسْتَقَرَّةً دُونَ عَمْدٍ؟!﴾
- ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿كَيْفَ جُعِلَتْ مَنْصُوبَةٌ قَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ رَاسِخَةٌ؟!﴾
- ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿كَيْفَ بَسَطَتْ وَمَدَّتْ وَمَهَّدَتْ؟!﴾
- ﴿فَذَكِّرْ﴾ ﴿بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى وَالرَّشَادِ﴾.
- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مَبْلَغٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْهُدَايَةُ بِيَدِهِ تَعَالَى لَيْسَتْ بِيَدِكَ﴾.

- ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (٢٢) بمتسلط عليهم تقهرهم على الإيمان.
- ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ (٢٤) الاستثناء هنا منقطع والمعنى: أن من تولى وكفر، فإن الله الولاية عليه فيعذبه العذاب الشديد على جحده للحق واستكباره عنه.
- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) رجوعهم ومعادهم بعد الموت والبعث.
- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦) فنجازيهم على أعمالهم.

التدبر

١ - لو لم يكن في هذا الوحي إلا بيان مستقبل الإنسان، وما ينتظره بين يدي الله تعالى لكان كافياً في الإقناع به والإقبال على قراءته وتدبره وامتنال ما فيه ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ (٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٤) وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٥) وَزَرَائِبُ مُبْتُوْنَةٌ﴾ (١٦).

٢ - قراءة المستقبل والإعداد له وبذل كافة السبل للنجاح فيه من أعظم مقومات الإنسان العاقل ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ (٤) تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٤) وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٥) وَزَرَائِبُ مُبْتُوْنَةٌ﴾ (١٦) ومن المؤلم أن يذهب وقت الإنسان في قراءات لا يعرف بها ولا من خلاها الطريق إلى ذلك المستقبل الكبير.



٣ - الجزاء من جنس العمل! هذا العذاب الذي نالوه والجزاء الذي وجدوه أثر من ذلك الفساد والتفريط الذي صنعوه في أيام الدنيا ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُشَقَّىٰ مِنْ عَيْنٍ أَيْنِقٍ ۝٥ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيرٍ ۝٦ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝٧﴾.

٤ - قراءة مشاهد النعيم يوم القيامة مفضية لسَلِّ تعب جسدك، وعناء روحك وقلق مشاعرك، وباعثة لأشواق الأمل في قلبك، ودافعة بك إلى مواصلة الطريق مهما كانت تكاليفه وعوائقه ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَمَنَاقِرُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ ۝١٦﴾.

٥ - العمل والجد وبذل الأسباب الكافية للتفوق هو الطريق إلى بناء مشاهد الأفراح في حياتك ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ (لسعيها راضية) لجدها وتعبها ومعاناتها مشاق الطريق بلغت تلك الأماني التي كانت تجهد في بلوغها.

٦ - الحقيقة الكبرى أنه كلما زاد سعيك في الدنيا زاد رضاك في الآخرة ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾.

٧ - الشعور النفسي والوجداني والمشاعري بالنجاح لا تعدله لذة ﴿لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ تخيل أنك تقف على أعمالك وجهودك ومشاريعك في أيام الجزاء وترى أنها هي التي زفَّتْكِ إلى عالم الأفراح!

٨ - اللغو في المجالس من مكدرات النعيم ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝١١﴾ ولذا جعل الله تعالى زواله وعدم سماعه من نعيم أهل الجنان. والقلوب الحية تعرف هذا النعيم وتجد لذته وتروق له، وكم من أماكن فيها كل شيء ولكن اللغو العارض فيها حرمه من لذاتها!



٩ - من مباحج الحياة العاجلة ألا تسمع لقنوت الرذيلة وأخبار الفسق وأحاديث المنافقين ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ ١١ ﴿وَمِنْ مَكْدَرَاتِ نَعِيمِكَ أَنْ تَصْمِ أذْنِيكَ هَذِهِ الْمَكْدَرَاتِ.

١٠ - تأملك في كون الله تعالى، ومشاهد خلقه مؤذنة لك بكمال تعظيمك وقيامك بحقه تعالى ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ﴾ ١٧ ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ﴾ ١٨ ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ﴾ ١٩ ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ﴾ ٢٠.

١١ - حسبك القيام بدورك وواجبك وليس عليك انتظار الثمار ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ٢١ ﴿وَهَذَا الدَّرْسُ يَعْنِيكَ مِنْ هُمُومِ الْإِعْرَاضِ الَّتِي تَرَاهَا فِي وَاَقْعِكَ، وَيَخْلَصُكَ مِنْ حِسَابِ عَوَائِدِ مَشْرُوعِكَ وَأَثْرِكَ فِي الْحَيَاةِ.

١٢ - لا يعفبك هذا المعنى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ٢١ ﴿مِنْ حَمَلِ هُمِ الْمَشْرُوعِ، وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ، وَالِإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَحَسَنِ صِنَاعَتِهِ وَإِخْرَاجِهِ فِي أَحْسَنِ صُورِهِ فَذَلِكَ أَمْرٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ لَشَرَفِ الْمَشْرُوعِ وَشَرَفِ حُمَالِهِ، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَتَلَقَّ تَنْتَظِرُ نَتَائِجَ، أَوْ تَحْسِبَ عَوَائِدِ الْمَشْرُوعِ! مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَقُومَ بِالِدَعْوَةِ (كَمَشْرُوعٍ) لَكِنْ لَيْسَ مِنْ حَقِّكَ أَنْ تَكْلِفَ النَّاسَ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَجَهْدِكَ وَتَعَبِكَ.

١٣ - لا تنظر لأعداد السامعين لموعظتك، أو المتابعين لك في وسائل التواصل الاجتماعي! يكفيك أداء أمر ربك ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ٢١ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ ٢٢.

١٤ - الالتفات الكلي لعدد قراء كتبك ورسائلك، وعدد متابعيك في وسائل التواصل الاجتماعي، والانشغال بذلك، وتأثيرهم على سيرك القادم في طريق مشروعك خلاف الغايات الكبرى لمشروعك ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ٢١.

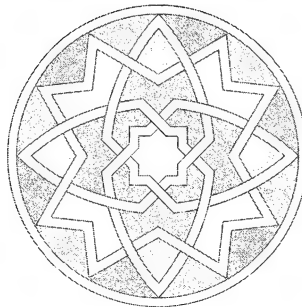
١٥ - الذي يسألك عن عدد حضور موعظته، ويغتم لقلتهم، ويتخلف فيما بعد لأجل ذلك، فلن ينفعك في شيء، يكفيه غفلته عن الوحي ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾.

١٦ - ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ تعفيك من القلق، والغضب، والعتبي على أحد، امض في طريقك، وابدل ما تقدر على بذله وتحقيقه، وإياك من حسابات لا علاقة لها بشيء في دينك. (ويأتي النبي وليس معه أحد)!

١٧ - من فقهك وكمال عقلك أن تدرك عقبات طريقك، وأن ثمة معرضين لا يمكن إقناعهم بشيء؛ فدعهم وأمرهم إلى الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ.

١٨ - لو قيل لك من مسؤول ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) ﴿لما وجد النوم إلى عينك طريقاً، فكيف والمتوعد الله!﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦).

١٩ - ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٢٦) دعوة لأن تستعد وتبلغ جهدك، وتبذل كل ما تملك من أجل بلوغك أمانيك في النهاية.





سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِمْرَ
ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ وَتُمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ
١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ١٤ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ
وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ
فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ١٦ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ١٧ وَلَا
تَخْضَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ١٨ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ
أَكْلًا لَّمًّا ١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ٢٠ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ
الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ٢٢ وَجِئَءَ
يَوْمِئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمِئِذٍ يَنذَكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ٢٣

التفسير

- ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ الصبح.
- ﴿وَالْيَالِ عَشْرِ ٢﴾ أيام عشر ذي الحجة.
- ﴿وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ أي الخلق كله إما شفع وإما وتر من المخلوقات والمأمورات، والوتر فيه قراءتان بفتح الواو، وكسرهما.
- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ٤﴾ إذا يمضي ويذهب.
- ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ ٥﴾ هل فيما أقسمت به من هذه الأمور مقنع لذي لب وعقل؟!
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ ألم تعلم كيف عذب ربك عاداً حين تمردوا وخرجوا عن طاعة الله تعالى؟! وعاد قبيلة من العرب البائدة، وتلقب بإرم أيضاً، وهم الذين بُعث فيهم هودٌ عليه السلام.
- ﴿وَإِرمَ ٧﴾ عطف بيان لعاد ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ ٧﴾ ذات الأبنية القوية.
- ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلَقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ٨﴾ في القوة والشدة.
- ﴿وَتَمُودَ ٩﴾ قوم صالح ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩﴾ الذين قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً.
- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠﴾ الجنود الذين يشدون له أمره، وقيل: أي الذي له أوتاد يعلق عليها الناس.



- ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ ﴿١١﴾ تجاوزوا شرع الله تعالى وأمره من الكفر والعنوة والتمرد والغى في بلادهم اغتراراً بالقوة وعظم السلطان.
- ﴿فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ ﴿١٢﴾ من الكفر بالله تعالى ومعصيته.
- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ﴿١٣﴾ أنزل بهم عذابه، وأحل بهم نقمته.
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِمُرْصَادٍ﴾ ﴿١٤﴾ لكل من طغى وتكبر واعتدى سوف يعاقبه ويؤاخذه.
- ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ﴿١٥﴾ بالغنى واليسار، فيقول الإنسان: ما حصل لي من ربي لما لي عنده من الكرامة!
- ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،﴾ ضيقه عليه وقتّره فلم يكثر ماله ولم يوسع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ ﴿١٦﴾ ربي أذلني بالفقر والحاجة.
- ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ﴿١٧﴾ لا تعطفون على اليتيم وترحمونه وتحسنون إليه وتبرونه.
- ﴿وَلَا تَخْضَوْنَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ﴿١٨﴾ لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين.
- ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ ﴿١٩﴾ شديداً لا تتركون منه شيئاً.
- ﴿وَتَحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ ﴿٢٠﴾ حباً شديداً كثيراً.
- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ﴿٢١﴾ دكاً بعد دك حتى تذهب جبالها، وبناءؤها ومن عليها ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿٢٢﴾ جاء الرب لفصل

القضاء والملائكة بين يديه صفوفاً، والمجيء صفة من صفات الله تعالى الفعلية ثابتة لله تعالى، على الصفة اللائقة به سبحانه.

• ﴿وَجَاءَ يَوْمَذِيْحَجَّتْهُمُ﴾ تقودها الملائكة بالسلاسل ﴿يَوْمَذِيْ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ تفريطه في طاعة الله تعالى وما يقرب إليه من الصالحات ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٣) قد فات أوانها وذهب زمانها.

التدبير

١ - هذا ميلاد الفجر عقب الظلام، وميلاد الفأل والأمل بعد زمان المحن والاضطهاد، وميلاد الفرح عقب حلول الآلام والأحزان. رسالة إلى كل مكلوم، أو مسجون، أو محزون، ومن يعيش ضائقة أو كرباً أو ألماً: سيأتي موعد الفجر ولو طال زمان الليل ﴿وَالْفَجْرُ﴾.

٢ - من مباهج الفجر البركة التي لو لم يكن فيها إلا دعاء النبي ﷺ لأمته بذلك: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» لكان كافياً في الفرح به واستثماره وتسجيل لحظات تفوق في لحظاته ﴿وَالْفَجْرُ﴾.

٣ - ثمة أوقات فاضلة في زمان كل إنسان تستدرك له ما فات من عمره، وتقرب له صور الفوز والفلاح، وتستثمر له أيام زمانه بأوسع ما يكون ﴿وَالْفَجْرُ﴾ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) ومن تلك الأوقات فجر كل يوم، والعشر الأول من ذي الحجة، وقد قال فيها ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ».

٤ - عادة التاريخ وسنته المستقرة أن الله تعالى يمهّل كل معارض لمنهجه أيًا كان فرداً، أو مجتمعاً، أو أمة، ثم إذا أخذه لم يفلته، وكانت في النهاية عاقبته عظة للمتدبرين ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ ٥ ﴾.

٥ - سنة الله تعالى التي لا تتخلف أنه إذا بلغ الطغيان مبلغه أخذه الله تعالى كانت نهاية صانعيه أفراداً أو جماعات ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ ﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ ﴿ أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ ﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ ﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ١٢ ﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبَاسِرٌ ١٤ ﴾ لَمَّا بَلَغُوا غَايَتَهُمْ فِي الْفُسَادِ حل بهم ذلك العذاب.

٦ - ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبَاسِرٌ ١٤ ﴾ في أي زمان، وفي أي مكان، حين تتكرر صور الفساد تتكرر صور النكال والعقاب.

٧ - كل صور الفساد التي تحدث في الواقع إنما تستمد فسادها من تلك الأمراض التي أصابت تلك الأمم الهالكة (القوة، والسلطان، والمال) وعادة الله تعالى أن من سار على ذات الطريق لقي ذات النهاية، نعوذ بالله تعالى من الخذلان ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ ﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ ﴿ أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ ﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩ ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠ ﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ١١ ﴿ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ١٢ ﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبَاسِرٌ ١٤ ﴾.

٨ - وما تصنع الحضارة العارية من قيم الإسلام بقومها! ألم يخلق مثلها في البلاد حضارة وعمراناً وليس قيماً ومثلاً وديناً فما أغنت عنهم شيئاً ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ ﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ ﴿ أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ ﴾.



٩ - مسافة طويلة ما بين بداية الطغيان وكثرته في زمان هؤلاء إلى نهايته ثم حل وعيد الله تعالى وجاء في ساعته ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ۞

١٠ - في مرات كثيرة لا تجدي العبر من قلوب أصحابها حتى يحل بها عذاب الله تعالى ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ۞

١١ - ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالْعِرْصَادِ ﴿١٤﴾ لكل طاغية أيًا كان فرداً أو جماعة وفي أي مساحة من الأرض، وفي أي زمان. كم من سادر في الغي وهو لا يدري! وكم من موعود بهذه النهايات وهو في الغفلات!

١٢ - ما أسوأ أدب الإنسان مع ربه تعالى! يكرمه وينعم عليه ويلبسه صنوف النعم ثم يقول متباهياً ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ، فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ ۞ لا على سبيل الشكر والمنة والاعتراف، وإنما على سبيل الاستكبار والإعجاب، إنما أعطاني الله تعالى لأنني حقيق بها، ويتلى عليه الله تعالى بقلة الرزق فيقوم معترضاً ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ ۞

١٣ - من أسوأ مشكلات الإنسان فساد التصورات! حين يكون العطاء والمنع دليلاً على الإكرام والمهانة، فإن ذلك من فساد التصور، وليس في كتاب الله تعالى، أو سنته أن ذلك دليل على كرامة أو سوء، وإنما هو ابتلاء يتلى الله تعالى به أصحابه ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ، فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ ۞

١٤ - من أكثر الرزايا في حياة إنسان أن يكرمه الله تعالى وينعم عليه ويمد له في السراء، ويقدر عليه في رزقه ويغفل أن هذا ابتلاء واختبار ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ



رَبُّهُ، فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ الأصل أن كل نعمة يهبها الله تعالى لإنسان إنما هي ابتلاء واختبار، وعلى العاقل أن يستقبلها بالشكر والعرفان، وأن يقوم بحققها من البذل والعطاء، وأن يوظفها في دين الله تعالى ويمد بها في منهجه ورسالته.

١٥ - قيم التكافل والتناصر من أعظم القيم في واقع مجتمع أو أمة ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ دين الله تعالى ليس تلك العبادة التي يؤديها في المسجد مفصولة عن معانيها وآثارها التي من أعظم مقاصدها.

١٦ - قيمة الإنسان ليست بكثرة ما في يده من مال، وإنما بقدر توظيفه لذلك المال في سبيل الله تعالى وتوظيف منهجه ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾.

١٧ - إذا لم تجد ما تدفعه لسد حاجة هؤلاء المساكين فلا يفتك دعوة الموسرين وأصحاب الأموال إلى إعانتهم وسد حاجتهم ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ فإن ذلك وسعك وطاقتك، ولا يكلف الله تعالى نفساً إلا وسعها.

١٨ - كثيرون مخفقون في التخلي عن هذه الحقيقة ﴿وَتَحْبُوتُ أَلْمَالُ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ وقلة أولئك الذين أغاثوا منها عالماً محتاجاً وأحالوا صحاري إلى ربيع أخضر.

١٩ - إذا أردت أن تسقط قيمة من نفس إنسان فانصب له مآلها، وأبِنْ له عن نهاياتها، وأره أين موقعها من الآخرة في أيام الجزاء والحساب، ترى ذلك في ختام السورة وهي تنقل الإنسان من بيان طبيعته في أكله للميراث، وتعلقه بالمال إلى عرض صور الآخرة، وما يبقى فيها وما يزول ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ

أَكَلًا لَمَّا ﴿١٩﴾ وَتُحْبَوْنَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾
وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ
وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرُ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾.

٢٠ - طول الأمل من أعظم الأمراض التي تطارد الإنسان حتى تلقيه في سراب
الأمانى ﴿ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرُ ﴾ ﴿٢٣﴾
يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾.

٢١ - يسافرون ويكتبون ويصورون ويضحكون، وهم سادرون عن الحقائق
الكبرى، وغداً يتمنى الواحد من هؤلاء أن لو طوت الذكرى موعدها ﴿ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرُ ﴾ ﴿٢٣﴾.





يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا
 ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ
 ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
 وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

التفسير

- ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ﴿٢٤﴾ حياته الباقية الدائمة في الآخرة يتمنى أن لو قدّم فيها عملاً صالحاً.
- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾ ﴿٢٥﴾ لا يعذب كعذاب الله تعالى أحد.
- ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ ﴿٢٦﴾ لا يوثق كوثاق الله تعالى أحد.
- ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ الأمانة التي لا يستفزّها خوف ولا حزن.
- ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى جواره وثوابه وما أعد الله لعباده في جنته ﴿رَاضِيَةً﴾ في نفسها بما أوتيت ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ ﴿٢٨﴾ عند ربها.
- ﴿فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ﴿٢٩﴾ في زمرة هم المؤمنون الآمنون المطمئنون.
- ﴿وَأَدْخُلِي جَنَّتِي﴾ ﴿٣٠﴾ دار كرامتي.

التدبُّر

١ - إذا تعلقَت نفسك بالدنيا، وأقبلت على شهواتها، وقعدت بك طالبة لتلك الملذات فكرَّ عليها بسوط الذكرى ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (٢١) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢) ﴿وَجِئَءَ يَوْمٍ يَمْضِيْ بِجَهَنَّمَ يَوْمٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَآنِي لَهُ الذِّكْرُ﴾ (٢٣) يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾.

٢ - ما حياتك التي يزداد عليها أسفك في ذلك اليوم ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤) ﴿ليس هذه التي نعبث فيها، وإنما تلك التي يجري فيها حساب الحسنات والسيئات، وخفة الموازين وثقلها.

٣ - تصوّر باكياً يردد في عرصات القيامة ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤) وشاكياً متأسفاً في مساحاته ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤) ومتندماً بعد فوات الأوان وضياح زمانها ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤).

٤ - من كمال رحمة الله تعالى أنه لم يُبق حجة لأحد من العالمين حتى أمانى المفلسين عرضها قبل أوانها ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤).

٥ - إذا زرت قبور حيك أو مدينتك، أو شاركت في جنازة قريب فتذكّر أن كثيراً من هؤلاء الذين تراهم في المقبرة لا يمكنهم استدراك هذه الأمنية ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤).

٦ - نافذة على الحسرات ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ هل رأيت موثقاً معذباً بعض مشاهد ذلك اليوم في حياة المفرطين والمعرضين.

٧ - من هنا تبدأ قصة الحياة الكبرى ﴿يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) وَادْخُلِي جَنِّي ﴿﴾ (٣٠).

٨ - إلى المتأسفين والباكين والمحزونين على وداع الصالحين من الدنيا ﴿يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) وَادْخُلِي جَنِّي ﴿﴾ (٣٠) إنما قدموا على الأفراح.

٩ - كل مسؤولياتك وترقياتك وشهاداتك العلمية وأيام أفراحك كلها لا تعدل شيئاً أمام هذه اللحظة المبهجة في عمر إنسان ﴿يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) وَادْخُلِي جَنِّي ﴿﴾ (٣٠).



سُورَةُ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَالْوَالِدِ وَمَا
وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ
عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبًّا ⑥ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ
يَرَهُ أَحَدٌ ⑦ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ⑧ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨
وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⑪ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الْعَقَبَةُ ⑫ فَكَ رَقَبَةً ⑬ أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯ ثُمَّ كَانَ مِنَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ⑰ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑱ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ
⑲ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ⑳

التفسير

- ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿ لا للاستفتاح: أي استفتاح الكلام وتوكيده وليست نافية، وتأتي في هذا الموطن للتنبيه والتأكيد. والبلد: مكة.
- ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٢ ﴿ أقسم بهذا البلد حال كونك حالاً فيه لأن حلول الرسول ﷺ فيها يزيد لها شرفاً ورفعة. أو وأنت تستحل هذا البلد فيكون الإقسام بمكة حال كونها حالاً لرسول الله ﷺ وذلك عام الفتح ﴿وَالِدِرْوَمَا وَلَدَ﴾ ٣ ﴿ كل والد ومولود.
- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ٤ ﴿ في نصب وشدة يكابد الأمور ويعالجها في أطواره كلها.
- ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ ٥ ﴿ يحسب ألن تقوم القيامة ولن يقدر على مجازاته وقهره وغلبته أحد.
- ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأٌ﴾ ٦ ﴿ مالا كثيراً من تلبد الشيء إذا اجتمع. والمراد ما أنفقه في ملذاته وشهواته.
- ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ ﴿ أيظن أن الله لم يطلع على تبيذره لهذا المال وصرفه في غير وجوهه المشروعة.
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿ ألم ننعم عليه بعينين ليبصر بهما، ولسان ينطق ويعبر به، وشفتين يضبط بهما نطقه وحديثه.
- ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠ ﴿ طريقا الخير والشر.
- ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعُقَبَةَ﴾ ١١ ﴿ فهلاً تجاوز مشقة الآخرة بإنفاق ماله فيما يرضي ربه بدل إنفاقه فيما يسخطه ويغضبه.



- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ (١٢) ﴿ مَا شَأْنُ هَذِهِ الْعَقَبَةِ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّشْوِيقِ وَالتَّفْخِيمِ.
- ﴿فَكَرَبَةٍ﴾ (١٣) ﴿ فَكَهَا مِنَ الرِّقِّ بَعَثَهَا أَوْ الْمَعَاوَنَةَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ فَكَأَكَهَا مِنَ الْأَسْرِ وَنَحْوِهِ.
- ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (١٤) ﴿ مَجَاعَةٍ.
- ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ (١٥) ﴿ يَتِيمًا لَكَ بِهِ قَرَابَةٌ.
- ﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ (١٦) ﴿ فَقَرَّ شَدِيدٌ قَدْ التَّصَّقَ بِالتَّرَابِ مِنَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ.
- ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَهُمْ ﴿وَتَوَّاصَوْا﴾ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَتَوَّاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (١٧) ﴿ بِالرَّحْمَةِ عَلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ.
- ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (١٨) ﴿ أَصْحَابُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ.
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ بِأَدَلَّتْنَا مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ (١٩) ﴿ أَصْحَابُ الشَّمَالِ أَهْلُ الْخُسَارَاةِ وَالْبَوَارِ.
- ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ (٢٠) ﴿ مَطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ كَنَايَةٌ عَنْ حَبْسِهِمُ الْمَخْلَدِ فِيهَا وَسَدُّ سَبِيلِ الْخُلَاصِ مِنْهَا.

التَّدْبِيرُ

١ - مكانة مكة وشرفها، ترى ذلك في قسم الله تعالى بها ولا يقسم ربك إلا بعظيم ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٢) ﴿ وما أنت ماكت اليوم في بقعة أكثر بركة منها على صاحبها وهي قبلة المسلمين، والصلاة فيها بمئة ألف صلاة، وفيها بيت الله تعالى الذي جعله الله تعالى مباركاً وهدى للعالمين ﴾ ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا



الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَأَنْتَ أَفْقَهُ بِمَا لِهَذَا الْمَعْنَى مِنْ وَاجِبَات ﴿٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٤﴾ [الحج: ٣٢].

٢ - مكانة رسول الله ﷺ عند ربه تعالى. ترى ذلك في هذا الإقسام بساعة حلوله في مكة، وإن أمة تعي هذا الشرف الكبير حقيقة بأن تتمثل سيرته، وتلتزم منهجه، وتقوم على دعوته ما بقيت الدنيا ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾﴾.

٣ - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ هذه هي الحقيقة التي يجب أن يفقهها كل إنسان، كل منا يغدو ويجهد ويتعب وينصب لا فرق في ذلك، الفرق الكبير في النهايات التي يصنعها ذلك الكدح العريض. هذا يكدح للذات الحياة وشهوات النفوس، وذاك يكدح في سبيل الله تعالى، ومن أجل رضاه، وفي توسيع نهجه، ويعيش لهذا المعنى ما بقيت الحياة.

٤ - الكبد والمشقة والعنت جزء من طبيعة الحياة، وفهم هذا المعنى مفضي إلى الرضا بكل ما يعرض للإنسان فيها، والطمأنينة بقضاء الله تعالى وقدره مهما كان ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾.

٥ - هذا المعنى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ يعلمنا أن النجاح لا يأتي عارضاً بنفسه في الطريق، وأن ثمة عقبات تقف دون تلك الأماني، وتحتاج إلى شيء من العناء.

٦ - في مرات كثيرة تكون النعم أوسع الطرق إلى الشقاء ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْذَرَعَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ ﴿٦﴾﴾ أعطاه الله تعالى مالا وذهب يردد مفاخرأ ومتكبراً وطاغياً ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ ﴿٦﴾﴾ أنفقت ودفعت وسافرت وصنعت، وكلها في غير طريق.

٧ - رقابة الله تعالى تجري على كل إنسان وفي كل حال ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ وكم من ظن في غير محله، وكم من أوهام أركست أصحابها في الضلال!



٨ - يسهرون، ويتعبون، ويجهدون ويعبثون بالقيم، ويظنون أنه لا يراهم في الواقع
أحد ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧.

٩ - يختارون وقت الظلام، ويخططون للفساد، ويكتبون، ويجتمعون،
ويتشاورون، وتمضي أوقاتهم في غير هدى، ونسوا أكثر الحقائق إلحاحاً
﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧.

١٠ - أغلق بابه، وأطفأ سراجَه، واستقبل شاشة جواله ظناً أنه لا طارق في
ساعة ظلام، ونسي أن الله تعالى يرقبه، ويرصد عليه كل شيء ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ
يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧.

١١ - كم من لحظة ظلام قام فيها هذا المعنى يصيح بأعلى صوته ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ
يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧ وكَم من ظن غدر بصاحبه، وأودى به في مهاوي الردى ﴿أَيَحْسَبُ
أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ ٧.

١٢ - كم لله تعالى من نعم على الإنسان لو فقه! ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ وَلِسَانًا
وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠ أعطاه بصرًا وهداه للطريق فأبى إلا
قصة العميان.

١٣ - كل نعمة لا تهدي صاحبها للنعيم لا قيمة لها في واقعه ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
عَيْنَيْنِ﴾ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وما تصنع بنعم تستكثر عليك من حجج الله
تعالى في أيام الحسرات.

١٤ - من علامة شقائك أن الله تعالى يهبك نعماً ولا تدلك على الخيرات ﴿أَلَمْ
نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩.

١٥ - كم مرة تكلم لغير الله تعالى، ولغير الحق، وخاض في الحرمات، وعارض
منهج الله تعالى في كل طريق، وفاته أن ذلك نكران لنعم الله تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ



عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وقد قال ابن القيم رحمه الله: (وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان، فجنايتهما متسعة الأطراف، كثيرة الشعب، عظيمة الآفات) اهـ.

١٦ - ليس لإنسان عذر في الاحتجاج بالقدر على معصية الله تعالى فإن الحجة قد قامت عليه بأصل فطرته وهدايته ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ﴿١٠﴾ والقدر يحتج به في المصائب لا في المعائب.

١٧ - ﴿فَلَا أَقْنَحُ الْعَقَبَةَ﴾ ﴿١١﴾ دعوة للنهوض، واستقبال عوارض الطريق بالبذل والعطاء، واستنفاد نعم الله تعالى في الخيرات، ودفع ما يمكن أن يحول بينك وبين تلك النهايات ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ .

١٨ - التكاثر والتناصر والتعاقد سيما المجتمعات الناهضة ﴿فَلَا أَقْنَحُ الْعَقَبَةَ﴾ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ وإذا تخلف هذا المعنى عن مجتمع فقد تخلفت عنه مباحج الحياة.

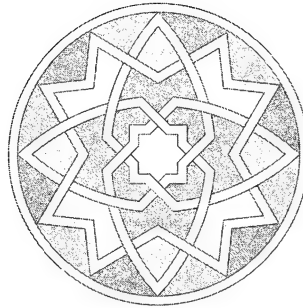
١٩ - تشوّف الشارع إلى الحرية، وحرصه عليها، إذ بدأ بها، وجعلها أول خطوة في الطريق إلى اقتحام العقبات، وإعتاق الرقاب كبير في الإسلام، ومثله فك الأسرى، وإعانتهم، والقيام بشؤونهم ﴿فَلَا أَقْنَحُ الْعَقَبَةَ﴾ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ .

٢٠ - التواصي بالحق والحض عليه والتناصر من أجله من أعظم ركائز النجاح في حياة الأمم والمجتمعات ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ ﴿١٧﴾

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ والوصية أكثر الطرق لإشاعة فضائل الخير بين الناس وجعل المعروف باسطاً.

٢١ - الإيمان حركة ناهضة في واقع صاحبه وليس ذلك الصلاح البارد الذي لا يجاوز حدود مسجده وبيته ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ والتواصي بعض مظاهر هذه الحركة وأثر من آثار ذلك الإيمان.

٢٢ - الحضارة الكبرى حضارة الإسلام، وكل حضارة لا تأتي من بابه ولا تنفذ للعالمين من طريقه فهي بوار ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَلَوْنَهَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾.





سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ
وَمَا طَغَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧
قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ
لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ⑬ فَكَذَّبُوهُ
فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ⑭
وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ⑮

التفسير

- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ①﴾ الضوء والنور الصادر منها.
- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ②﴾ إذا تبعها.
- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③﴾ جلى الأرض وأوضح ما عليها، وقيل جلى الشمس وأظهرها.



- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۖ﴾ يغشى وجه الأرض، وقيل يغشى الشمس ويعرض دون ضوءها، فيحجبه عن الإبصار.
- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۖ﴾ ومن بناها، فيكون قسماً بالسماء وبانيها، أو وبانيها، وذلك إشارة لعظمة البناء وقوته.
- ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ۖ﴾ بسطها وسواها من كل جانب وذلّلها للخلق.
- ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ﴾ خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القيومة.
- ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ﴾ فأرشدها إلى فجورها وتقواها، فبيّن لها ذلك وهداها إلى ما قدر لها، والفجور: ما يقابل التقوى من المعاصي والآثام، فهو عام في كل من خرج عن طاعة الله تعالى.
- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ خيّب نفسه وأخملها وأرداها في المهالك بارتكاب المعاصي والآثام.
- ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۖ﴾ بسبب طغيانها.
- ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۖ﴾ حين قام أشقاهم فعقر الناقة وهو قدار بن سالف.
- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ﴾ احذروا واتقوا ناقة الله تعالى أن تمسوها بسوء في يوم شربها.
- ﴿فَكَذَّبُوهُ ۖ﴾ في ما حذرهم به من حلول العذاب ﴿فَعَقَرُوهَا ۖ﴾ قتلوها ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ۖ﴾ أطبق عليهم، فأهلكهم بسبب كفرهم، وتكذيبهم لرسولهم، وعقرهم للناقة ﴿فَسَوَّاهَا ۖ﴾ ﴿١٤﴾ فجعل العقوبة عليهم على حد سواء، وقيل سوى قريتهم بالأرض.



• ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَهَا﴾ ﴿١٥﴾ ولا يخاف الله تعالى تَبَعَهُ ما أنزل بهم لأنه العزيز الذي لا غالب له.



١ - فلاحك معقود على تعبك وجهدك وركضك في الحياة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ﴿١﴾.

٢ - الزكاء وليد التربية، وثمره من ثمراتها، ومن عني بنفسه وحدد مشروعه وفكرته وكتب أهدافه ثم أقبل إليها راغباً في الحياة بلغها وصار زاكياً في الدارين ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ﴿١﴾.

٣ - قلّ أن ترى صاحب توفيق إلا وهو على صلة بربه يستلهم من ذلك مدارج الكمال. وقلّ أن ترى مخذولاً إلا وقد حيل بينه وبين ذلك الطريق ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ﴿١﴾ وقد قال ابن القيم رحمه الله وهو يتكلم عن سيد الأعمال لدى كل إنسان: ومنهم جامع المنفذ، السالك إلى الله تعالى في كل وادٍ، الواصل إليه من كل طريق، فهو من جعل وظائف عبوديته قِبَلَهُ قَلْبِهِ، وَنَصَبَ عَيْنَهُ، يُؤْمَهَا أَيْنَ كَانَتْ، ويسير معها حيث سارت، قد ضرب مع كل فريق بسهم، فحيثما كانت العبودية وجدته هناك، إن كان في علم وجدته مع أهله، أو جهاد وجدته في صف المجاهدين، أو صلاة وجدته في القانتين، أو ذكر وجدته في الذاكرين أو إحسان ونفع وجدته في زمرة المحسنين، أو محبة ومراقبة وإنابة إلى الله وجدته في زمرة المحبين المنيبين، يدين بدين العبودية أنى استقلت ركائبها، ويتوجه إليها حيث استقرت مضاربها. اهـ.

٤ - لم تفته صلاة الجماعة من أشهر، ولم يتخلف عن صيام الاثنين والخميس، وعلى علاقة متينة مع كتاب الله تعالى، ويهيج واقعه بالصدقة والإحسان، وله



برنامج أسبوعي مع رحمه وأقاربه، وله خبايا في الطريق، ولا يمل من ذكر الله تعالى، ويمد في آثار الخير في كل مكان. هذه قصة التزكية التي يرقى بها ومن خلالها الإنسان ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ٩ ﴿﴾.

٥ - المعصية أوسع طريق إلى الخذلان ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ ١٠ ﴿﴾ وقد قال ابن القيم رحمته الله: (ومن آثار المعاصي أن المعصية تورث الذل ولا بد)، وكان من دعاء السلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك، وقال الحسن رحمته الله: إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لا يفارقهم، أباي الله إلا أن يذل من عصاه. اهـ.

٦ - إخفاقك، وتعسر أمورك، وتعثّر مشاريعك، ومشكلات بيتك وعملك كلها فرع عن ما بينك وبين الله تعالى من سوء ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ ١٠ ﴿﴾.

٧ - الفوز والفلاح والنصر، والضلال والخسارة كلاهما من صنع الإنسان لنفسه وأثر من واقعه ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿﴾ وليس الإنسان مجبوراً على عمل، وإنما هو الذي يختار الطريق.

٨ - أصل الملكات منحة ربانية، فتفجير براكينها، وفتح مساربها، وتوسيع طاقاتها جهد كل إنسان ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿﴾.

٩ - لا تقوم البذرة بنفسها، ولا تستوثق من الواقع بمفردها هي كغيرها تحتاج إلى سقاء ﴿فَالْتَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿﴾.

١٠ - للنفوس طغيان يحملها على البغي والعدوان ما لم يتعاهدا صاحبها بوعي وتفكير ويزكيها بالعمل الصالح، وما من نفس عارضت منهج الله تعالى ووقفت دون الوحي إلا بداعٍ من ذلك الطغيان ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ ١١ ﴿﴾.



١١ - الطغيان شيء زائد عن الحد، إذا وجدته في نفسك، ورأيت في واقعك فيم وجهك إليه مصلحاً ومرتباً وموازناً حتى تكبح شهواته في بداية الطريق ﴿كَذَبَتْ ثُمَّ دُطِّعَتْ عَنْهَا﴾ ١١ ﴿﴾.

١٢ - عظم أثر خلق المبادرة في واقع إنسان! ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ ١٢ ﴿﴾ هذا قدار بن سالف يبعث القرآن قصة فجوره ويذكر بها؛ لأنه هو الذي بدأ قصة قتل آية الله تعالى الناقة.

١٣ - كم هم الذين بدؤوا قصة الفساد، ورتبوا لها، وتولوا شأنها، وصنعوا لها كل شيء، وفي النهاية تجري عليهم السيئات ما بقيت الدنيا ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ ١٣ ﴿﴾ ولأن تأتي ذيلًا في فضيلة أريح لك ألف مرة من أن تأتي رأساً في سوء!

١٤ - من فقهك وكمال عقلك ألا تبدأ مشروع فساد في واقعك مهما كانت الدواعي إلى ذلك أياً كان دورك ومسؤوليتك ووظيفتك التي تشغلها.

١٥ - مؤسف أن يتحمل هذا الشقي أعباء مبادرة السوء يُخزى بها في الدارين ولا يحمل مسلم مصلح هموم أمتة في توسيع أثر هذا المعنى في واقعه ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ ١٥ ﴿﴾ مات كثير من مظاهر الصلاح في كثير من المساحات لموت هذه الفضيلة في واقع الناس.

١٦ - الذي دفع بمشاريع الباطل اليوم وجعلها تأخذ حيزاً من واقع الأمة وجود أفراد ضحوا من أجلها وعرضوا أنفسهم للخطر، وأشعلوا فتيلاً من سوء في واقع بارد من المصلحين ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ ١٦ ﴿﴾.

١٧ - اقترح درساً في مصلى المدرسة، فبقيت هذه المساحة عشرين عاماً مكاناً للنور، وضيء للظلام. وكتب رسالة ينهى عن منكر من المنكرات، فتوقف المنكر



من تلك الليلة، وتوجه لفتح مؤسسة فكانت فواتح بر ما زالت تجري عليه بالحسنات ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ ١٢.

١٨ - ألم تلد الأمة بعد من يقاوم هذه الألعاب الإلكترونية بألعاب تحيي القيم وتربي على الفضيلة، ويسد فراغاً مؤثراً في واقع أجيال الأمة! أما في الأمة كاتب حاذق يتولى شؤون الفتيات ويغيرهن بمشاريع تسد مساحتهن ويأتين منها على مشاركة أمتهم من أوسع نطاق ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ ١٢.

١٩ - ليس بالضرورة أن تكون المبادرة في مثل هذه القضايا الكبار، يكفي الأمة أن تتحرك في مساحتك، وتحيي واقعك، وتمد في أثرك من خلال قدراتك ومهاراتك وإمكاناتك ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ ١٢.

٢٠ - لا تحتقر رسالة، أو جهداً، أو مشاركة في أي مجال؛ فالأفكار الكبيرة والمشاريع الضخمة كانت لا شيء في أول مبادراتها ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ ١٢.

٢١ - يأسرني الصحابي الجليل ثابت بن أقرم رضي الله عنه يوم مؤتة حين رأى راية المسلمين ساقطة في أرض المعركة قام يتناولها ويجمع عليها المسلمين دون أن ينتظر أمراً أو تكليفاً من الآخرين وجمع بيضة المسلمين، وبنى لهم شأناً بعد ذلك في الحرب.

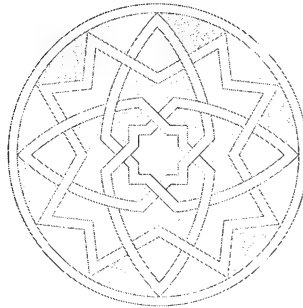
٢٢ - أقبح ما ترى في واقعك ذاك الذي يعترض، ويقترح، ويحلل، ويبين الأخطاء وهو لم يبرح سريره، فقط يوزع الأخطاء على الآخرين، ويحاكمها دون أن يتقدم بخطوة مبادرة في الإصلاح ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ ١٢.

٢٣ - إذا رأيت زحاماً على الأسيرة، وعوداً عن الفضيلة، وتخلفاً عن موارد التوفيق فصح في القوم قائلاً: أدرك شقي دوره، وقام يسهم في توسيع مساحته أما لكم في الخير راية؟! ﴿إِذْ أُنْبِثَتْ أَشْقَاهَا﴾ ١٢.

٢٤ - من أسوأ ما تراه في واقعك حين يتكاتف مجتمع أو حي على إشاعة المنكرات ويدفعون بالإصلاح جانباً ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۚ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥ ﴾ كذبوا رسول الله ﷺ وعقروا الناقة ولا ناصح في القوم؛ فكانت عقبى السوء.

٢٥ - رأيتهم يتقاسمون الرذيلة، أحدهم بماله، وآخر بجاهه، وثالث بتنسيقه، ورابع بسيارته، وخامس وسادس، وفي النهاية كونوا مجتمع الرذيلة ﴿ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ ﴾.

٢٦ - إن الله تعالى يمهل ويمد للإنسان إلى أبعد ما يمكن، فإذا لم يرع الإنسان عن الغي تولاه بالعقاب، وإذا عاقب سبحانه عاقب معاقبة كبير جبار! ولفظ (الدمدمة)، (والتسوية) في السورة يوحي بصور من العذاب لا يتصورها العقلاء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۚ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥ ﴾.



سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③
 إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى ⑤ وَصَدَقَ
 بِالْحَقِّنِ ⑥ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧
 وَكَذَّبَ بِالْحَقِّنِ ⑨ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا
 تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬
 فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭

التفسير

- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ①﴾ يَعُمُّ الْكَوْنُ بِظِلَامِهِ.
- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ②﴾ إِذَا ظَهَرَ بِزَوَالِ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ.
- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③﴾ وَخَالَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى فَيَكُونُ الْقِسْمُ بِنَفْسِهِ بِسْمِ اللَّهِ،
 أَوْ وَخَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى.



- ﴿إِنْ سَعَيْكُمْ لَتَشَقَّيْ﴾ متفاوت تفاوتاً عظيماً، مختلف في جزائه ومفترق في عاقبته.
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَقَ﴾ تفصيل لتلك المساعي الشتى وتبيين لمالها ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ ما أمر بإعطائه من الأموال كالزكوات والنفقات والصدقات ﴿وَانْفَقَ﴾ فعل ما أمر به من الأوامر، واجتنب ما نهى عنه من النواهي.
- ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى﴾ بالمشوبة الحسنة من وعد الله تعالى بالجنة وغيره.
- ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيسَرَى﴾ فسنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى من سلوك طريق الحق والصبر عليه، والوصول به إلى تحقيق أمانيه من دخول الجنة وغيره.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بالنفقة في سبيل الله تعالى ﴿وَأَسْتَفْنَى﴾ عن ربه تبارك وتعالى فلم يعمل بطاعته.
- ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ بالعاقبة الحسنة للمتقين.
- ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى﴾ للطريقة العسرى المؤدية إلى شقائه الأبدي من ترك طرق الخير، والوقوع في طرق الضلالة، والوصول إلى عاقبة الخسران نار جهنم.
- ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ وما يفيد ماله الذي تعب في تحصيله وأفنى عمره في حفظه، ولم يقربه إلى ربه إذا هلك ومات، قال قتادة: إذا تردى في النار.
- ﴿إِنْ عَلَيْنَا لِّلْهُدَى﴾ علينا أن نبين لهم طريق الهدى ليصلوا إليه.



- ﴿وَإِنَّا لَنَآءِلَآءِ لَآخِرَةٍ وَأَوَّلَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿خَلَقْنَا مَلَكًا وَتَصَرَّفًا، فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْ تَوَلِيكُمْ عَنْ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالَةِ مِنْ شَيْءٍ.﴾
- ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ﴿١٤﴾ ﴿حَذَرْتُكُمْ نَارًا تَسْتَعِرُّ وَتَتَقَدُّ.﴾

التَّـدْبِيرُ

- ١ - ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ ﴿٢﴾ ﴿طَالَ لَيْلُهُ وَامْتَدَّ زَمَانُهُ ثُمَّ عَادَ لِلتَّجَلِّيِّ، وَأَنْتَ كَذَلِكَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَجَلَّى مَهْمَا طَالَ ظِلَامُ لَيْلِكَ، وَكَثُرَتْ أَحْدَاثُكَ، وَقُلْتَ فَاعْلَيْتُكَ، فَكَمَا أَنَّ لَظْلُمَةَ اللَّيْلِ حَدَّ فَكَذَلِكَ لَظْلُمَةُ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ وَالْقُعُودِ وَالْكَسَلِ وَالتَّوَانِي حَدَّ.﴾
- ٢ - الْأَصْلُ فِي النَّهَارِ أَنَّهُ مَبْدَدٌ لِلظَّلَامِ، وَهُوَ ظَرْفٌ لِلْحَرَكَةِ، وَالْعَمَلِ، وَالْإِنْجَازِ، وَكَذَلِكَ الْوَحْيُ فِي مِقَابِلِ ظُلَامِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَالشَّرْكِ وَالْفُسُوقِ. وَإِذَا صَدَقَ أَصْحَابُهُ فِي حَمَلِهِ وَبَلَاغِهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ وَالتَّضْحِيَةُ مِنْ أَجْلِهِ أَتَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي وَقَعِ الْحَيَاةِ ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ ﴿٢﴾.﴾
- ٣ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ﴿٤﴾ ﴿رِسَالَةٌ فِي أَنَّ الْاِخْتِلَافَ بَيْنَكُمْ لَيْسَ فِي الصُّورِ وَالْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْوُظَائِفِ وَالْأَمْوَالِ وَالْمَهَارَاتِ وَالْإِمْكَانَاتِ بَلْ فِي الْعَمَلِ فَحَسَبَ.﴾
- ٤ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ﴿٤﴾ ﴿مُخْتَلَفٌ فِي أَصْلِ نَيْتِهِ وَإِخْلَاصِ صَاحِبِهِ، وَفِي نَضْجِ فِكْرَتِهِ وَفِي قُوَّتِهِ وَأَثَرِهِ.﴾
- ٥ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ﴿٤﴾ ﴿فِي زَمَانِهِ وَمَكَانِهِ وَرِعَايَتِهِ لِلأَوَّلَوِيَّاتِ وَتَخَلُّفِهِ عَنْهَا، وَفِي عِنَايَتِهِ بِالْمَقَاصِدِ وَبَعْدِهِ عَنْهَا.﴾
- ٦ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ﴿٤﴾ ﴿فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَنْ تَعْرِفُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الضَّخْمَةَ إِلَّا حِينَ



تردون على الله تعالى ويوزن ذلك السعي، وترون به ومن خلالها عواقب النجاح والفوز والفلاح، وعواقب الفشل والإخفاق.

٧ - ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ٤ ﴿﴾ لهذا المعنى دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أبواب الجنة الثمانية كلها يوم القيامة، وبلال رضي الله عنه مشى في الجنة وهو ما زال في الدنيا، وكبار قریش حطب لجهنم.

٨ - في معنى السعي ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ٤ ﴿﴾ إشارة إلى طبيعة الحياة، وصعوبتها، وأنها أحوج ما تكون إلى بذل جهد عقلي، وجسدي كبير حتى يصل الإنسان إلى أهدافه وأحلامه، وهذا تراه في كل شيء، ليس بالضرورة في أحلام الآخرة وأهداف الإنسان الكبرى، بل حتى في حياة الإنسان العامة في بيته، وعمله، ووظيفته.

٩ - نجاح كل إنسان وقف على الخطوة الأولى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ٦ ﴿﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيُسْرَى ٧ ﴿﴾ التيسير لليسرى هنا نتيجة لذلك العزم الجاد في الطريق، وكم من حلم موقوف على خطى البدايات!

١٠ - لا حدَّ لأثر الخطوة الأولى في حياة صاحبها ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيُسْرَى ٧ ﴿﴾ اليسرى في قلبه، وفي زوجه، وبيته، وذريته، وفي عمله، وماله، وكل شيء من حياته.

١١ - إخفاق كل إنسان موقوف على الخطوة الأولى ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨ ﴿﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٩ ﴿﴾ فَسَيُسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى ١٠ ﴿﴾.

١٢ - لا حد لسوء النهايات التي تحملها الخطوة الأولى لصاحبها ﴿فَسَيُسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى ١٠ ﴿﴾ العسرى في قلبه، وفي زوجه، وبيته، وذريته، وفي عمله، وماله، وكل شيء من حياته.

١٣ - العطاء والبخل خلقان متضادان، الأول يجلب خيرات السماء، والآخر يصنع



كل سوء ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ ٩ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ١٠ ﴿.

١٤ - على قدر عطائك ينمو مالك، وجاهك، وعلمك، وتزداد بركتك، وعلى قدر بخلك ينقص كل شيء حتى تعود في النهاية صحراء من كل نعيم ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ ٩ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ١٠ ﴿.

١٥ - هذا طالب علم يفتي، ويدرس، ويكتب، ويؤلف، ويسعى بالخير في العالمين في كل لقاء، وآخر يتسّم مراكز الكبار ولا يعرف له الناس أثراً، ولا تشعر أن له دوراً، محبوس في زاوية ضيقة، لا يُعرف بعلم، ولا يُؤلف في طريق. فكَذَلِكَ الْعَطَاءُ وَالْبَخْلُ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ ٩ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ١٠ ﴿.

١٦ - وذاك صاحب جاءه من الله تعالى عليه بحسن خلق، فأقبل يصلح شأن المختلفين، ويجمع فراق زوجين، ويؤلف بين متخاصمين، ويبدل في ساعات يومه ما يحمي به بيضة الاجتماع، ويقوم حارساً في الناس من طرقات الأباليس، هذا هو العطاء ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ٧ ﴿.

١٧ - وثالث من الله تعالى عليه بالمال فسلطه على هلكته في الحق، ورابع تجري شعاب حساباته من المال وهو لا يحسن إخراج زكاته الواجبة، فكيف يجود به على جوعى الطرقات؟! ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ ٩ ﴿فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ١٠ ﴿.

١٨ - وخامس يحسن الجوار، ويدرك فضائله، ويقوم بواجباته، ويصل رحمه، ويبر والديه، ويأتي على كثير من الخيرات، وسادس لا يحسن من ذلك شيئاً ﴿فَأَمَّا مَنْ



أَعْطَىٰ وَآفَقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِّيْهِ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِّيْهِ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴿١﴾

١٩ - وآخرون جعلهم الله تعالى منارات للحق والخير والهدى، ومثلهم في المقابل من لم يفتح لهم طريق توفيق. وهذه الأضداد المذكورة إنما هي نتائج لفضيلة العطاء ورذيلة البخل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَآفَقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِّيْهِ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِّيْهِ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

٢٠ - أهمية الأسباب، فإن الله تعالى جعل هذه الدنيا وسيلة لغايات الآخرة، وجعل لهذه الوسيلة سبباً يبقها حية وهو خلق الزوجين والتناسل وإعمار الأرض، وجعل لهذا السبب أسباباً أخرى من الشهوات التي تجعلها حية في قلوبهم إلى يوم القيامة ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَآفَقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِّيْهِ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِّيْهِ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾.

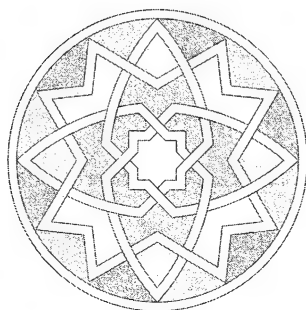
٢١ - الدين كله يدور على ثلاث قواعد: (فعل المأمور، وترك المحذور، وتصديق الخبر) قال ابن القيم رحمته الله: ولما كان الدين يدور على ثلاث قواعد: فعل المأمور، وترك المحذور، وتصديق الخبر، فقد تضمنت هذه الكلمات مراتب الدين أجمعها، فالإعطاء فعل المأمور، والتقوى ترك المحذور، والتصديق بالحسن تصديق الخبر، فانتظم ذلك الدين كله، وأكمل الناس من كملت له هذه القوى الثلاث، ودخول النقص بحسب نقصانها أو بعضها، فمن الناس من يكون قوة إعطائه وبذله أتم من قوة انكفائه وتركه، فقوة الترك فيه أضعف من قوة الإعطاء والمنع، ومن الناس من يكون فيه قوة التصديق أتم من قوة الإعطاء والمنع فقوته العلمية الشعورية أتم من قوته الإرادية، وبالعكس فيدخل النقص بحسب ما نقص من قوة هذه القوى الثلاث، ويفوته من التيسير لليسر بحسب ما فاته منها، ومن كملت له هذه القوى يُسر لكل يسرى. اهـ.

٢٢ - النعم إذا لم تجر في فلك دين الله تعالى ومنهجه وإلا كانت وبالاً على صاحبها ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١) ﴿﴾.

٢٣ - هدايتك وقف على جهدك وتعبك وإصرارك، وكذلك الضلال ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (١٢) ﴿﴾ لقد تكفل الله تعالى بالهدى فمن أقبل صادقاً يريد ما عند الله تعالى ناله وإلا فلا، وفي الصحيحين (إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً).

٢٤ - سوء مآل الأشقياء يوم القيامة وشدة عذابهم وسوء خاتمتهم ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٣) ﴿﴾ وفي حديث رسول الله ﷺ: «نَارُكُمْ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، قَالَ: «إِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا».

٢٥ - كان الصالحون - وما زالوا - يعتبرون كل خطأ مُقابل بهذا الوعيد ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٤) ﴿﴾ ولذا يتعففون قدر وسعهم عن صفائر الذنوب، ويجهدون في مغالبة تلك الخطايا بالتوبة.





لَا يَصْلَهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسِجْنَهَا
الْأَتَقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

التفسير

- ﴿لَا يَصْلَهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ لا يحترق بها إلا من قدر له الشقاوة ﴿الَّذِي كَذَبَ﴾ بالحق الذي جاءه.
- ﴿وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾﴾ عن أمر الله تعالى، فلم يقم به ﴿وَسِجْنَهَا﴾ يُجَنَّب الدخول فيها.
- ﴿الْأَتَقَى ﴿١٧﴾﴾ الاتقى اسم تفضيل من التقوى، يعني الذي اتقى الله تعالى حق تقواه وفسره بقوله: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى ﴿١٨﴾﴾ ينفق ماله يطلب زكاء نفسه وتطهيرها من رذائل البخل.
- ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾﴾ لا ينفق ماله ليد سابقة يكافئه عليها بهذا الفعل، فلا يعطي ماله مكافأة لأحد ومجازاة له.
- ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾﴾ إنما ينفق طلباً لرضوان الله تعالى والفوز بالجنة.
- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾﴾ سوف يرضيه الله تعالى بما يعطيه من الثواب الجزيل.

التدبير

١ - عظيم أثر الإخلاص على صاحبه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَنَى﴾ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) ! لقد تكفل الله تعالى بالنجاة لصاحبه من عذابه تعالى وضمن له الفوز في النهايات.

٢ - حين يكون المال وسيلة للغايات الكبرى في الحياة ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (١٨) درس في الوعي والتوفيق.

٣ - من كمال دينك ووعيك وعلو نفسك أن تتعقّف عن سؤال المخلوقين قدر وسعك، وألا يكون لأحد من الخلق عليك منّة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وإذا احتجت ووجدت من يعينك ويقف معك وأسدّى إليك معروفاً، فعليك أن تبادر برده وسداده، وهذه أخلاق الأنبياء، حتى إن نبينا ﷺ في حادثة الهجرة أخذ العون من صاحبه أبي بكر رضي الله عنه وكان يقول له: (بالمثل) ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَنَى﴾ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) .

٤ - ما أكثر ما تجد أيدي الكبار باسطة على إخوانهم وأقاربهم، وجيرانهم، وكل من يتعرّض لحاجة أو ظرف أو مصيبة! ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (١٩) هذا الشناء العاطر على أبي بكر رضي الله عنه لهذا المعنى.

٥ - كلما صدق الإنسان في توكله على ربه، وتوجهه إليه، وإقباله عليه، وعمل بالأسباب الممكنة كفاه الله تعالى كل شيء ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَنَى﴾ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) .



- ٦ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعد جاء على تاريخ صاحبه في مواقف متعددة وأحداث متكررة لم يتطرق الرياء إليها في شيء بشهادة العليم الحكيم.
- ٧ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ ليست رسالة من مسؤول، أو خبر في صحيفة، أو إعلان في قناة، كلا! وإنما وعد من الكبير المتعال.
- ٨ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعد من الله تعالى لعبد من عباده في الأرض. أرايتم ما تصنع الولاية في حق إنسان؟
- ٩ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ ما زالت باسطة واقعها لكل من سار على الطريق، وجاء على ذات المعاني ولو بعد حين.
- ١٠ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ لو قيلت لك لكان من حقك ألا تنام أياماً، ويمكنك عناقها إن أردت مع الأيام.
- ١١ - ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ يصنعها الصدق، والبذل، والعطاء، والتضحية، والإخلاص، ويأتي عليها موفورة كما يشاء.
- ١٢ - أرجو ألا تقف في منتصف الطريق مندهشاً من هذا الوعد، وقاصراً عن الوصول، تقدّم، واصنع الخطوات ذاتها، وابذل في سبيلها كل ما يمكن، وقد تتكرر مراراً في حياتك إذا كانت لديك ذات الأحلام ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.
- ١٣ - من كمال عقلك ووعيك أن تجمع كل ما يتعلق بسيرة أبي بكر رضي الله عنه لتلاحظ ملامح هذه القدوة التي صنع بها كل شيء ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.
- ١٤ - ولو أنك قَلَبْتَ طَرْفَكَ في سيرة نبيك ﷺ ووقفت على مواطن القدوة، واستلهمت دروسها المثيرة لكنت ذلك الأمل الذي يخطو في الأرض كما يشاء ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.



سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ①
وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ③
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَى ⑤ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا
فَهَدَى ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ⑧ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

التفسير

- ﴿وَالضُّحَىٰ ①﴾ أول النهار.
- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ②﴾ إذا اشتد ظلامه.
- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ③﴾ ما تركك ﴿وَمَاقَلَى ③﴾ ما أبغضك.
- ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④﴾ وللدار الآخرة وما أعد الله لك فيها خير لك من الدار الدنيا وما فيها.



- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾ يعطيك من فواضل نعمه في العقبى حتى ترضى.
- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ﴿٦﴾ وجدك يتيمًا لا أب لك ولا أم، فراك وهياً لك أسباب الحفظ والعون والتوفيق.
- ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ﴿٧﴾ غير عالم لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ووفقك كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].
- ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ فقيراً فأغناك ومنّ عليك.
- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ﴿٩﴾ كما كنت يتيمًا فأواك الله فلا تذلل اليتيم وتنهره وتقهره، بل عامله باللطف واللين.
- ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ﴿١٠﴾ ومن سألك حاجة من مال أو علم فلا تنهره وتزجره بل أعطه ما تيسر أو رده بمعروف.
- ﴿وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿١١﴾ بشكرها وإظهار آثارها سواء كانت نعماً دينية أو دنيوية.



١- في الصحيحين من حديث جُنْدُبِ بْنِ شَفِيَّانَ رضي الله عنه، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِيبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﻋَظِيمًا: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ﴿٣﴾ وفي لفظ لمسلم قال: أَبْطَأَ



جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَدْ وُدَّعَ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ ﴿١﴾ وَالْضُّحَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾.

٢ - امرأة يشغلها مشروع الباطل، وتهنأ بإبطاء الوحي، وتعود تبارك تأخر هدايا الرب عن رسول الله، فما يصنع أهل الحق لأفكارهم ومبادئهم ومشاريعهم في الحياة!

٣ - (الضحى) النور الذي يأتي على كل ليل، (والوحي) الضوء الذي يأتي على كل ظلام! فكما أن نور الضحى يقشع ظلام الليل من الكون، فكذلك الوحي يأتي على كل ظلام الجاهلية، وهذه السنة جارية في كل شيء، فما حل ظلام إلا صار إلى زوال، ولا عسر إلا جاء الفرج بالأفراح ولا مصيبة إلا كانت العواقب أكبر بكثير من فواجع البدايات ﴿١﴾ وَالْضُّحَىٰ ﴿٢﴾ وَالْأَيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٣﴾.

٤ - ﴿٣﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٢﴾ ما تركك وما أبغضك، وليس كل تأخير يحمل معه الألم، وكم من تأخير جاء حاملاً للأمل! ما أرى شيطانك إلا تركك مقولة امرأة شامته في عرض الطريق، و﴿٣﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٢﴾ قول ربك ومولاك يرد قولها، ويبعث مساحات الفأل في الحياة.

٥ - الرد على الأقاويل الباطلة، والحجج الواهية، والمقالات الكاذبة جزء من منهج القرآن، وقد جاءت هذه السورة كلها رداً على مقالة المشركين لرسول الله ﷺ في أن ربه قللاه وتركه ﴿٣﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٢﴾ لكن يجب ألا تأخذ أكبر من حجمها، وألا ينشغل بها الإنسان عن البناء والتمكين لسيرته ومنهجه، وإنما يأتي في بعض المواطن التي يورث التأخير فيها توسعاً للباطل، وتمدداً له.

٦ - قد تتأخر نعم الله تعالى على الصادق لكنها تأتي في النهاية بكل شيء ﴿٥﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٤﴾ وتأمل هذا الوعد الكبير ﴿٥﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴿٦﴾ وإلى أي حد! ﴿٦﴾ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ لا حد له إلا رضاك.



٧ - إذا رضي الله تعالى عنك فسيدهشك بعطاياه! وما بينك وبين هذا المعنى سوى ساحات العمل والصدق وحسن الصلة. لو أدركنا هذا المعنى وجهدنا في بنائه بوعي لاستقبلتنا عطاياه في عرض الطريق ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾.

٨ - ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٤﴾ وعد في زمن وحدته، وفقره، وظروفه البائسة، وعد من الذي يملك كل شيء، ويستطيع في كل شيء، وإذا أراد أمراً قال له: كن فيكون.

٩ - كل الدنيا لا شيء أمام أعطيات الآخرة الكبرى ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٤﴾ وفي حديث رسولك ﷺ: «وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».

١٠ - ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٤﴾ آخرتك خير لك من دنياك، وما فاتك هنا سوف يأتيك هناك. وآخر أمرك أفضل من أوله، وأيامك القادمة أعظم بكثير من أيامك السابقة. ماذا لو جرى هذا المعنى بشقيه في حياة إنسان؟!

١١ - ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾ رسالة ود في زمن الآلام والأحزان سترضى لنفسك، ولأمتك، رضاً عاماً في زمنك أو مستقبل أيامك وأيام أمتك لا فرق.

١٢ - إذا أراد الله تعالى أمراً أجرى له الأسباب، ما لأبي طالب ومحمد! هذا كافر لا يؤمن إلا بالجاهلية، وذاك عدو الجاهلية وصاحب الرسالة! من الذي جاء بخديجة صاحبة العقل والمال إلى محمد ﷺ صاحب الرسالة؟! ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾.

١٣ - ما أكثر نعم الله تعالى على إنسان! وكم هي نعمه تعالى على صاحب هداية! وكم هي مباهجه على صاحب رسالة ومشروع! إن الإنسان أعجز من أن يأتي على نعمة واحدة، فكيف يأتي على فيض تلك النعم كلها! ما أحوج هذه النعم إلى شكر! وهو قيدها من الزوال، وسبيلها للدوام والاستمرار! وإذا رزق عاقل معرفة

شكرها رزق كل خير وبر ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ٧ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ ٨ ﴿.

١٤ - في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ٧ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ ٨ ﴿ وعد بالنصر والتمكين، فكأنه يقول: الذي آواك لحظات اليتيم، وعني بك وقت الضلال، ورعاك وهذبك وأمدك بعونه وتوفيقه في تلك الحال لن يتركك وحدك، وسيعينك على طريقك حتى تصل فيه إلى الكمال، وقد كان.

١٥ - من كمال عقلك ووعيك ألا تنسى سالف دهرك والأيام الخوالي من عمرك، كم فيها من ذكرى تحتاج إلى إعادة! وكم فيها من بؤس يحتاج بعد النعيم إلى شكر! وكم فيها من مواقف ضعف وذلة تحتاج إلى وفاء! وفي قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ٧ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ ٨ ﴿ تذكير ببداية الطريق، وتعظيم لمنة الله تعالى عليه، وتذكير بواجب ذلك من الشكر والعرفان.

١٦ - تعلم أن تهب للمحتاجين من الفقراء، والمساكين، واليتامى من وقتك ومشاعرك ومالك، وذلك من تعظيم منة الله تعالى عليك، ووفاء حقه، والقيام بواجبه ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٩ ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ١٠ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ١١ ﴿.

١٧ - يا أيها الدعاة والمصلحون وحُمَاةُ راية المبادئ! لينوا في أيدي إخوانكم، وتقربوا إليهم، وهبوهم من نعيم أخلاقكم، وادفعوا لهم مما فتح الله تعالى به عليكم؛ كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ ٩ ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ١٠ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ١١ ﴿.

١٨ - لم تقف العوائق حائلة يوماً ما في طريق صاحب المشروع، ذلك لأن مثل هؤلاء يؤمنون أن النجاح في تخطي كل الظروف الحائلة دون مشاريعهم وأهدافهم. وكم من عائق حوّل همة صاحبه وأعاد له استلهاهم المجد من جديد. إن اليتيم في حياة نبينا ﷺ لم يكن عذراً مع أنه من أشد العوائق في بيئات الجاهلية، وقد صنع



منه ﷺ سلاله للنجاح. وكم من أعمى، ومشلول، ويتيم، ومريض كتبوا معالم من البناء قُصُر عنها غيرهم ممن هم أكمل منهم جسداً وأقل منهم إرادة وعملاً وطموحاً ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ① وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ② وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ③﴾.

١٩ - رعاية حقوق الآخرين جزء من بناء هذه الشريعة الكلية، فلا يمكن أن تجد فرداً إلا وقد رعت الشريعة حقه، وعנית به، واستكملت سبل حفظه، وفي قول الله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ① وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ② وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ③﴾ دليل هذا الكمال في شريعة الله تعالى.

٢٠ - التأكيد على بعض المعاني، أو الحقوق الخاصة، أو الطبقات الفقيرة والمحتاجة والعناية بها أكثر من غيرها يورثها تجزراً في حياة الناس، ويجعلها في بؤرة الاهتمام خاصة تلك القضايا والحقوق التي تكون مدعاة للغفلة عنها أو عدم الاهتمام بها ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ① وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ② وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ③﴾.

٢١ - التحدث عن نعم الله تعالى التي من الله تعالى بها عليك من شكر الله تعالى، سواء كان هذا التحدث بها على ظاهره بذكر ما أنعم الله تعالى به عليه من فضل، وهداية إذا كان في ذلك مصلحة ظاهرة، أو بالقيام بحق الله تعالى، والدعوة إلى دينه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ③﴾.

٢٢ - تحدث شاكراً لنعم الله تعالى عليك، دالاً على الطريق الموصل إليها، مبتهجاً بتفضله عليك، فذلك من عون الناس على معرفة ربهم، والقيام بحقه وشكره ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ③﴾.

٢٣ - إياك أن تتحدث عجباً وغروراً بهذه النعم، وأنها من أثر جهدك وعزيمتك وقوتك، فهذا تلبس بأخلاق الشياطين والظالمين، وما قول الأول: (أنا خير منه) وقول الآخر: (إنما أوتيته على علم عندي) بمنأى عن فكرك وعقلك وعلمك.

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي
أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧

التفسير

- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①﴾ نورناه وجعلناه فسيحاً واسعاً بإلقاء ما يسرُّه ويقويه من الحكم والأحكام والشرائع ومكارم الأخلاق والإقبال على الآخرة وتسهيل الخيرات.
- ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ②﴾ طرحنا ذنبك وعفونا وتجاوزنا عنك.
- ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③﴾ أقضه وآلمه وأتعبه.
- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④﴾ أعلينا قدرك وجعلنا لك الثناء الحسن العالي بالنبوة، وفرض الاعتراف برسالتك، وجعل ذلك شرطاً في قبول الإيمان.
- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤﴾ مع كل عسر يسر يفترجه، وهذه بشارة من الله تعالى لرسوله ﷺ ولسائر الأمة.



- ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تأكيد لمصاحبة اليسر للعسر.
- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، فاجتهد في العبادة والدعاء.
- ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ اجعل نيتك ورغبتك إلى الله تعالى في العبادة التي تنصب فيها.

التدبر

- ١ - ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ مئة من الله تعالى على رسول الله ﷺ تأتي في مواجهة المعرضين عن الدعوة. ليس أضر على صاحب المشروع من اليأس في الطريق، وهو أقعد به عن كل مصلحة، وأجبن به عن كل مواجهة، فإذا ما شرح الله تعالى صدرك منحك التفاؤل وأمدك بالتوفيق، وأعانك على مواجهة عوائق الطريق.
- ٢ - ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أصل هذا الانشراح في قلب نبينا ﷺ مئة من الله تعالى عليه ولأتباعه ﷺ من ذلك المعنى على قدر سعيهم في ذلك الطريق. وما حاجة الناس اليوم إلى شيء حاجتهم لهذا المعنى! كثيرون يرزحون في الظلام، ويشتكون من الضيق، ويكون من الأسى؛ لأنهم لم يجدوا هذه النعمة التي من الله تعالى بها على نبيه ﷺ. وكثيرون تكاد تعانق رؤوسهم السماء، ويكاد الواحد يختال من الفرح، ويجد نعيمًا يخالج قلبه وروحه، وسكينة تعمر فؤاده، وكل ذلك أثر من هذا المعنى الكبير.
- ٣ - انشراح الصدر وضيقة نتائج لما نصنعه في حياتنا من خير وسوء، وما رأيت إنساناً يتقلب في النعيم إلا لصلاح ما بينه وبين الله تعالى، وما رأيت من يتقلب في الشقاء إلا بسوء ما بينه وبين الله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.



٤ - لن يستطيع إنسان أن يبلغ هذا المعنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ إلا من خلال دين الله تعالى، ولو حاول الإنسان بكل ما يملك أن يفتح ثقب إبرة نحو هذا الطريق ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٥ - ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ صور هذه المنة على رسوله ﷺ كثيرة كصبره ﷺ على أتباعه، ورعايتهم، وتربيتهم، وصبره ﷺ على المخالفين، وثقته ﷺ بوعد الله تعالى، وشدة فأله وأمله، واتساع صدره لكل صور الخلاف، ومداومته على العمل، والدعوة، والطاعة، وعدم استعجال النتائج وقطف الثمار، ونحو ذلك مما أفاض الله تعالى بها على نبيه ﷺ، وهي معان حقيقة بالقراءة والإمعان في سيرته حتى تنتظم في سيرة أتباعه من بعده إلى يوم الدين.

٦ - ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ استفهام تقريرى زيادة في التنبيه والتقرير بهذه النعمة التي امتن الله تعالى بها على نبيه ﷺ لاستحضارها والقيام بشكرها، وكم من ممنون لله تعالى بفيض نعمه يحتاج إلى استحضار هذه النعم والقيام بواجبها! فمن شرح الله صدره للطريق، وحسن استقامته على المنهج، وفتح الله له في مشروع، وصلحت زوجه وذريته، واستقام بيته على الهدى، وتوسع ماله وفسح به الخيرات، وجعله الله تعالى مفتاحاً للفضيلة؛ فهو أحق باستحضار هذه النعم والقيام بحققها.

٧ - للذنوب أُنُقَال، وما يشعر بهذا إلا صاحب قلب حي! وما لجرح بميت إيلام! وكم من ثقل عن طاعة الله تعالى يحسب أن ذلك طبع وهي أثر ذنب! وإذا كان خلاف الأولى وصغائر الذنوب التي وقع فيها ﷺ كادت تنقض ظهره؛ فما بالك بالكبائر التي نخالطها كل يوم. وصدق ابن القيم حين قال: وكيف يقطع مسافة السفر مثقل بالحمل على ظهره؟! وكيف ينهض إلى الله تعالى قلب قد أثقلته الأوزار؟! اهـ.



٨ - من أثقال الذنوب أنها تغم قلبك، وتضيّق صدرك، فلا تكاد تجد للحياة بهجة كأنما تتنفس من ثقب إبرة، ومن أثقالها أنها تقعد بك عن الخيرات وتورث جسدك العجز، وتشعر بأثقال الدنيا كلها على ظهرك وقلبك ومشاعرك، ومن أثقالها أنك لا تكاد تخطو إلى فضيلة، ولا تمتد يدك إلى معروف، ولا تستطيع أن تحمل فكرة أو مشروعاً ينفعك في الدارين، وتبقى حسيراً قعيداً في بيتك لا تشارك في شيء.

٩ - الأنبياء بشر من الخلق، وتقع منهم صفائر الذنوب، وإن كانوا في الأصل معصومون من الكبائر، وسفاسف الأخلاق. والذنوب التي يقعون فيها كترك الأولى، وفعل الشيء باجتهاد كقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١، ٢] وكقصة الأسرى في بدر ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨] ونحو ذلك. وإذا كان الكبار غير معصومين من ضعف النفوس، والخطيئة، فغيرهم من باب أولى وأحرى ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۖ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ﴾.

١٠ - الخطأ جيلة في كل إنسان، وإذا أورث ذلك الخطأ ذلاً في النفس، وشعوراً بالخطيئة، وصدقاً في الإقبال على الله تعالى كان أعود على صاحبه بالخير والغفران ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۖ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ﴾.

١١ - حتى الكبار يخطئون، وحاجتهم إلى الإغضاء والإعذار حينها أكبر من كل حاجة ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۖ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ﴾ فلا يقف خطؤك عثرة في طريق توبتك، ولا تأسرك أحزانه وأحداثه عن القيام لحظوظك في الدارين.

١٢ - رفع الذكر من أعظم منن الله تعالى على رسوله ﷺ، كثيرة هي مظاهر قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ (٤)﴾ في حياة نبينا ﷺ، يكفي من ذلك هذا الأذان الذي يدوي في الأرض كلها ويعلي ذكره في العالمين.



١٣- إذا أحب الله تعالى عبداً رفع ذكره وأعلى شأنه ووسع في أثره، وجعل قبولاً لكلامه ومشروعه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤.

١٤- وما يضرك في الدنيا كلها إذا رضي الله تعالى عنك ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤ كم كان الساخطون على نبينا ﷺ تلك الحقبة من الزمن، وظل ذكره يملأ الدنيا كلها. وإذا سخط الله تعالى عليك، فما ينفعك من أثر المادحين شيء.

١٥- كل عسر مصحوب بيسرين، ذلك لأن الله تعالى ذكر العسر معروفاً مرتين، فهو عسر واحد لا ثاني له، وذكر اليسر منكراً مرتين فهما يسران، فالعسر محفوف بيسرين يسر قبله، ويسر بعده، ولن يغلب عسر يسرين. وهذه فواتح أمل لكل صادق في الطريق ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦.

١٦- من فالك أن يأخذ هذا المعنى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦ حظه من قلبك، وأن تمضي في كل طريق وأنت موقن أن عاقبته إلى خير، وأن ما ينتظرك من فال أعظم بكثير مما ينتظرك من سوء.

١٧- إلى الذي تأخر زواجه، وأبطأت عليه وظيفته، وضاق عليه حاله، وكثرت ديونه: تفاعل فعسرك محفوف بيسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦.

١٨- إلى المسجونين، وأصحاب الاحتياجات الخاصة، والمباعدن، والمحاصرين، وإلى كل صاحب حاجة طال انتظارها: تفاعلوا ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦.

١٩- رأيت بعيني جائعاً قد شبع، وظامئاً روي، ومخفقاً نجح، وضالاً اهتدى، ومدينياً اتجر، وعقيماً كثر له الولد، فما لنا وللأس! ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٦.



٢٠ - حتى الأمراض المستعصية في زماننا شفي أصحابها وعادوا كأن لم يكن بهم مرض ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑤ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑥ ﴿.

٢١ - لا أحصي المرات التي رأيت فيها الباكين من الآلام يضحكون بملء أفواههم فرحين مسرورين ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑤ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑥ ﴿.

٢٢ - مهما بلغت ظروف واقعنا، وحال أمتنا، وفجائع زماننا ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑤ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑥ ﴿.

٢٣ - حتى لو استشهد الرجال، ورُمِلت النساء، وشردت الأسر، وسُجِن الأولياء، وبلغ الباطل كل مبلغ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑤ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑥ ﴿.

٢٤ - كلما ولد اليأس في مكان نبتت معه في الوقت ذاته بذور الفرج والأمل والحياة ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑤ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑥ ﴿.

٢٥ - الصلة بالله تعالى تورث صاحبها فأل الحياة، إذا دهمك اليأس، وقل المعين فتوجه إلى ربك واسأله العون والتوفيق ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ⑦ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

٢٦ - حين تتفرغ من شغلك ونصبك عد إلى ربك تستلهم الحياة من جديد (من قال لك إن في الحياة فراغاً!) ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ⑦ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ⑧ ﴿.

٢٧ - الدنيا دار عمل ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ⑦ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ⑧ ﴿ ولا راحة للمؤمن إلا عند أول قدم يجوز بها باب الجنان.

٢٨ - من جميل حسن الظن بربك تعالى إيكال أمورك إليه ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ⑦ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ⑧ ﴿ وما يصنع لك الناس، وقد فتح الله تعالى لك بابه وأذن لك بالولوج ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ⑦ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ ⑧ ﴿.

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

التفسير

- ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ ﴿١﴾ ثمرتان معروفتان، قيل: التين إشارة للذي يؤكل، والزيتون إشارة للذي يعصر منه الزيت، وإنما أقسم الله تعالى بهما لكثرة منافعهما وثمارهما.
- ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ﴿٢﴾ طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﷺ.
- ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ﴿٣﴾ مكة المكرمة محل نبوة محمد ﷺ.
- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ في أحسن هيئة خلقاً وشكلاً وصورة.
- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ﴿٥﴾ أسفل سافلين قيل: في الخلقة بالكبر ورده



إلى أَرذل العمر، وتغيّر ذلك الحسن إلى حال آخر ويؤيده قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ④ وقيل: ﴿أَسْفَلَ سَفَلِينَ﴾ في المنزل، فيرد إلى النار، وهذا في حق العصاة، ويؤيد هذا المعنى الاستثناء الذي بعده في الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلا من اتصف بصفة الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ⑥ وإنما لهم ثواب غير مقطوع ولا ممنون به، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبدٍ لا يزول، ونعيم لا يحول.

• ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ ⑦ أي: أي شيء يكذبك بيوم الجزاء على الأعمال وقد رأيت من آيات الله تعالى ما يحصل لك به اليقين على إعادتك بعد موتك؟!

• ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ⑧ أليس الذي فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعاً وتديباً؟



١ - أقسم الله تعالى بذكر أماكن الرسالات ﴿وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونِ﴾ ① بأرض المقدس وهي محل رسوله عيسى عليه السلام ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ② محل عبده ورسوله وكليمه موسى، وهو الجبل الذي كلمه عليه وناجاه هناك ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ③ مكة أرض خاتم الأنبياء محمد ﷺ. فتأمل عظمة هذا القسم وانظر في جوابه لتعرف لم صار بهذا المعنى الكبير؟!

٢ - ترابط النبوات، والرسالات فيما بينها، وعلاقة الأنبياء ببعضهم البعض، وامتداد الرسالة، وفي الحديث قال ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى،



وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» وهذا المعنى يؤكّد صدق الرسالات وأنها من عند الله تعالى، وأن محمداً ﷺ خاتمها ونهاية مطافها في الأرض.

٣ - ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ هذه هي القضية الكبرى التي أراد الله تعالى تأكيدها من خلال هذا القسم الكبير ترى فيها إجلال الله تعالى للإنسان وتكريمه له سواء في اتساق خلقه، أو في التمازج بين حاجات جسده ومشاعره وعواطفه، أو في هذا التوازن بين حاجاته، أو في الغايات التي خلُق من أجلها، ويكفيه شرفاً وعزاً أنه مقصد الرسالات السماوية كلها.

٤ - من فقه هذا التكريم أن تقوم لله تعالى بأمره، وتعظم شعائره، وتجل مناهيه وتأتي على كل ما يصنع لهذا التكريم معناه وواقعه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤.

٥ - الإنسان بروحه لا بجسده، وبقلبه لا بجوارحه، وهذه الرسالات كلها جاءت تخاطب قلب الإنسان وروحه، وكم من صحيح قلب طاف في ملكوت الله تعالى! وكم من سقيم قلب أخلد إلى الأرض ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤.

٦ - تحوّل القوة إلى ضعف، والشباب إلى كبر، والحركة إلى قعود، والشهوة إلى فتور بعض ما يلقاه الإنسان في حياته الدنيا على أحد المعاني في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ وإذا كان كذلك، فعلى العاقل أن يهب من صحته لمرضه، ومن شبابه لهرمه، ومن حياته لموته، ومن حركته لقعوده حتى يمضي يزيد في أثره في الدنيا، وفي الحديث: «إِذَا مَرَضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» وعلى المعنى الآخر رجوعه إلى الشرك والمعاصي، وسافل الأخلاق، ولا يقي من هذه المعاني الدنيا سوى الإيمان والعمل الصالح.



٧ - ثمة غاية كبرى للخلق! فهذا الخلق البديع، وهذه الرسالة، وهذه الصلة بين الإنسان والرسالات كلها تدل على غايات كبرى، فكيف يكذب بها إنسان وهي أوضح ما تكون ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالْدِّينِ﴾ ﴿٧﴾ تسأول يأتي بعد تقرير النعمة، وإقامة الحجة، ويترك هكذا مفتوحاً دون جواب ليظل كذلك لكل قارئ لهذا القرآن إلى يوم الدين.

٨ - ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالْدِّينِ﴾ ﴿٧﴾ وقد اعتنى الله تعالى بخلقك، وبَعَثَ إليك رسله وأنزل إليك كتبه، وما تركك حتى أقام عليك حججه وأبان لك كل شيء.

٩ - ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالْدِّينِ﴾ ﴿٧﴾ وقد أراك الله تعالى من سير الأولين والآخرين وما صنع لأوليائه، وما صنع في أعدائه.

١٠ - ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالْدِّينِ﴾ ﴿٧﴾ وقد رحمك وغفر لك ذنبك وأراك من قدرته وحكمته في خلقه ما يبين لك عن كل شيء.

١١ - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ دعوة لقراءة حكمة الله تعالى في خلقه تعالى وشرعه، ودعوة في ذات الوقت لتقرير هذه القضية في عقل كل مكلف وأن الله أحكم الحاكمين.

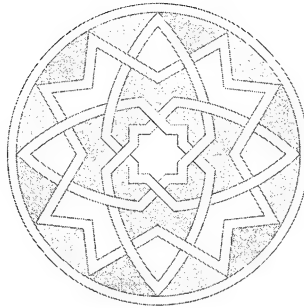
١٢ - كل قضية قررها الشرع فلحكمة أرادها الله ﷻ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ وهي أوضح ما تكون لذي عينين.

١٣ - إذا ثبت التحليل والتحريم من طريق صحيح، فمن أدب الإنسان مع ربه ألا يعارض ذلك بظنونه وآرائه، بل يجري في كل شؤونه على أمر التسليم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾.

١٤ - ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ دعوة لفقه باب الأسماء والصفات والإيمان بها والتسليم بما تقتضيه، فإذا علم العبد حكمة الله تعالى فيما يخلق ويقدر في

هذا الكون ازداد طمأنينة واستسلاماً، وعلم أن مقتضى هذه الحكمة ألا يأمر الله تعالى عباده بشيء ويحثهم عليه إلا لكمال أثره عليهم، ولا ينهاهم عن شيء ويحرمه عليهم إلا لكمال ضرره وأثره عليهم.

١٥ - ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ ﴿٨﴾ تذكير بنقص الإنسان وفقهه لمصالحه وإدراكه لما يضره أمام قدر الله تعالى وحكمته التي تجري في الكون، فكم من مكروه للإنسان يحمل في طياته خيراً ولو بعد حين! وكم من محبوب فيه عطفه وحتفه، والله المستعان!





سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ⑥ أَن رَّاهُ اسْتَفْعَى ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ⑧ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَى ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ⑩ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِنْ
لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ⑮ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِفَةٍ ⑯ فليَدْعُ نَادِيَهُ ⑰
سَدْعُ الزَّبَانَةِ ⑱ كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ⑲

التفسير

• ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ اقرأ يا محمد ما أنزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك الذي خلق.

• ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②﴾ من دم، جمع علقه، والعلقة الدم الجامد.

• ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③﴾ كثير الصفات وواسعها من الكرم والإحسان.



- ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ﴿٤﴾ عِلْمُهُ الْخَطَ وَالْكِتَابَةَ الَّتِي تَحْفَظُ بِهَا الْعُلُومَ، وَتَضْبِطُ بِهَا الْحَقُوقَ.
- ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ﴿٥﴾ عِلْمُهُ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا.
- ﴿كَلَّا﴾ ﴿حَقًّا﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِغٍ﴾ ﴿٦﴾ لِيَتَجَاوَزَ حَدَّهُ وَيَسْتَكْبِرَ عَلَى رَبِّهِ.
- ﴿أَن رَّاهُ أَسْتَفْغَى﴾ ﴿٧﴾ إِذَا رَأَى نَفْسَهُ وَكَبُرَتْ فِي عَيْنِهِ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ﴾ ﴿٨﴾ الْمَرْجِعُ فِي الْآخِرَةِ، فَهِيَ تَهْدِيدٌ لِلطَّاغِي وَتَحْذِيرٌ لَهُ مِنْ عَاقِبَةِ الطَّغْيَانِ.
- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ أَبِي جَهْلٍ حِينَ نَهَى النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْعَهُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالْمَعْنَى أَخْبَرَنِي إِخْبَارٌ تَعْجِبُ مِنْ حَالِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَنْهَى نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَعَبَّدَ لِرَبِّهِ.
- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ لَهْدَىٰ﴾ ﴿١١﴾ أَخْبَرَنِي أَيُّهَا النَّاهِي لِلْعَبْدِ عَنِ الصَّلَاةِ، هَلْ هُوَ فِيمَا يَفْعَلُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بِالْحَقِّ وَمَعْرِفَةٍ بِهِ؟!
- ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ﴾ ﴿١٢﴾ أَوْ يَأْمُرُ غَيْرَهُ بِالْتَّقْوَىٰ وَيُحِثُّهُ عَلَىٰ فَعْلَاهَا. وَمَنْ كَانَ هَذَا فَعْلُهُ هَلْ يَحْسُنُ أَنْ يَنْهَى؟!
- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ﴿١٣﴾ يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ، كَذَبَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ.
- ﴿الَّذِي عَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ﴿١٤﴾ عَمَلُهُ وَفَعْلُهُ.
- ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ﴾ ﴿١٥﴾ أَيُّ أَبُو جَهْلٍ عَنْ أَذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿لَسَفْعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ، وَهِيَ مُقَدِّمَةُ الرَّأْسِ نَاصِيَةُ الْكُذْبِ وَالْإِعْرَاضِ.



- ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ﴾ في قولها ﴿خَاطِئَةٍ﴾ ﴿١٦﴾ في فعلها.
- ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿١٧﴾ ليدع أهل مجلسه وقومه وعشيرته، ليستنصر بهم.
- ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ﴿١٨﴾ ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب.
- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ﴿١٩﴾ لا تطعه يا رسول الله فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة، وصلِّ حيث شئت، وتقرّب إلى الله تعالى بالسجود ولا تبال به في كل ما نهاك عنه، فإن الله تعالى حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس ﷺ.

التدبر

- ١ - ﴿أَقْرَأْ﴾ أول كلمة في كتاب الله تعالى، وأول حرف يقرع أذن النبي ﷺ، وأمتن كلمة في تاريخ إنسان! وما رأيت عاقلاً مدركاً لآثارها إلا وقد وهب لها من سنام وقته، ودفع لها من أولويات حياته ما يجعله كبيراً في الدارين ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾.
- ٢ - كل مربٍّ إنما يؤتى من حظ الاستجابة على قدر حظ العلم من حياته! ما كان لتلك الأمة التي بعث فيها محمد ﷺ لتقرأ قراءة معرفة وتطبيق إلا بعد قراءته وتطبيقه للوحي الذي جاءه في الغار. أياً كان المتعلمون في بيت، أو مدرسة، أو مجتمع، أو أمة لا يصغون في العادة بوعي إلا لمن له حظ من تلك الرسالة التي يحملها ويدعو إليها. وهذه سنة جارية في الأمم والتاريخ شاهد ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾.

- ٣ - ليس كل قراءة تبني حظ الإنسان من التأثير في الواقع، وليس كل كتاب قادر على أن يقود قارئه إلى تحقيق هذا المعنى في التاريخ، وإنما تلك معاني مبناها



على الوحي كتاب وسنة فحسب. وعلى قدر علاقة الإنسان بوحى الله تعالى تأتي الأحداث الكبار في تاريخ أمة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿﴾.

٤ - كم هو أثر الوحي في حياة الإنسان! ولن تعرف هذا الأثر ومساحته في الواقع حتى تتعرّف على مساحة الجاهلية في أفكار وعقول تلك الأمة التي نزلت عليها هذه السورة أول وهلة لترى كم هو الفرق بين إنسان الأمس في جاهليته، وإنسان اليوم في إسلامه وقيمه ومبادئه ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿﴾.

٥ - كلما ضعف الوحي في حياة إنسان عاد إلى درك الجاهلية الأولى، وكلما زاد ارتباط الإنسان بالوحي رقى في مفاهيمه وأفكاره وأدواره حتى أصبح مثلاً صالحاً للبناء في واقعه ومساحته ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿﴾.

٦ - كم هي حاجة الإنسان إلى عبادة ربه تعالى! هذا النبي ﷺ وقبل أن يتلقى أي شيء من الوحي كان يشعر بشعث الجاهلية في قلبه، فاحتاج إلى أن يأوي إلى شيء يغيثه، وظل يتردد على غار حراء بعيداً عن مظاهر الجاهلية وشعثها ليروي قلبه ويزكّي نفسه، ويلقى المعنى العريض الذي تبحث عنه قلوب الأتقياء ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ١ ﴿﴾.

٧ - الغطة التي لقيها ﷺ في بداية الطريق مشعرة بأثر العلم وعظمته، وكلفته، ومشعرة كذلك بعظم الرسالة التي جاء بها اللقاء، وأثر الدعوة، وطول الطريق، وشُقة المشروع، والمشاريع الكبار يجب أن تأخذ حظها من النفوس أولاً حتى تستقبل أيامها القادمة، وتصبر على طول الطريق. وقد رأيت أن المشاريع التي ينتابها الضعف في العرض والتقديم لا تلقى من أصحابها القدرة المثلى على القيام بحققها على خلاف تلك المشاريع التي تلقى في بداية الطريق قدراً من الهم والاستعداد والمسؤولية. من الأصلح للمشاريع، والأُنفع لأصحابها أن يدركوا أثر مشروعهم من بداية الطريق، وحجمه في الواقع، وكلفته الكبيرة، فإما أن يأخذوها



بذات القدر من الهم وإلا يدعوها لغيرهم. وخير لكثير من المشاريع ألا تبدأ باردة، فإما أن تبدأ مشرقة وإلا تبقى حتى يفتح الله تعالى من يأخذها بحقها في قادم الأيام ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾.

٨ - العلم رأس الدعوة، وجذرها، وذروة سنامها، ولن تقوم دعوة صحيحة مؤثرة في الأرض إلا على جذر العلم وساقه. وقد تلقى النبي ﷺ هذه الرسالة في أول لقاء (اقرأ) وأصحاب الدعوة من هذا المعنى مثلها تماماً، وعلى قدر علم الداعية، ومعرفته بالواقع، وعلاقته بالوحي تكون آثاره في الأرض ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾.

٩ - الأصل أن يقوم ساق العلم على جذر الدين ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾ وليس أخطر على الأمة من انفصال العلم عن الدين، وكل رقي لقيته البشرية في ماضيها أو حاضرها كان بفضل ذلك الترابط بين العلم والدين. إن العلم الذي يرفع حق الدين، ويقوم على بنائه ينفع الأمة، ويكتب عزها ومجدها، ويخلق لها فرصاً كبيرة في واقع الحياة، وحين ينفصل عن هذا المعنى يُحدث شيئاً مهولاً من الأخطار في واقعها.

١٠ - العلم منحة وتوفيق من الله تعالى ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ وإذا فتح الله تعالى قلبك لهذا المشروع، فقد فتحه على خير عظيم، وكم من صاحب قدرات ومواهب لم تنفعه مواهبه وقدراته في شيء. وهكذا كل إنسان هو أحوج ما يكون إلى لطف الله تعالى، وعونه، وتوفيقه في كل شيء في حياته، فإذا ما وفق للعلم، وهدي إليه، ويُسّر له سبيله، وأعين، فقد أفاض الله تعالى عليه من نعمه ما يستحق الشكر والامتنان.

١١ - حاجة العبد إلى عون الله تعالى وتوفيقه أعظم من كل حاجة ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١﴾ أي مستعيناً به، لا تعتد بقوتك، وذكائك، وقدراتك، ومواهبك، فكم من مخذول في الطريق! توكل على الله تعالى، واستعن به، وسله من فيض



نعمه ما يعينك به على مشروعك الكبير في الحياة. ومن أدرك ضعفه، وفقره، وحاجته إلى ربه أحسن التوكل عليه، وصدق في الإقبال حتى يفتح الله تعالى ما يريد. إن تبعات العلم، والدعوة، والمشروع كبيرة في الواقع، وهي أحوج ما تكون إلى توفيق الله تعالى، وعلى الإنسان أن يحسن الوقوف بين يدي الله تعالى حتى يصل إلى مراده في الحياة وتتحقق له أحلام مشروعه في الدارين.

١٢ - منّة الله تعالى على جنس الإنسان، فقد خصه الله تعالى بالعقل، وامتن عليه بالوحي، وكرّمه بالرسالة، وجعله هادياً في الحياة. وهذا الاصطفاء الذي خص الله تعالى به الإنسان حري بالعمل به والإجلال له ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

١٣ - التدرج سنة من السنن الإلهية، وما من شيء في الدنيا كلها إلا وهو وفق هذا المعنى، وإذا كان الله تعالى لم يخلق الإنسان في مرحلة واحدة مع قدرته تعالى، وإنما جعله على مراحل حتى استوى خلقه فكذلك كل بناء في الأرض يبدأ صغيراً ثم ما يزال يكبر مع مرور الأيام حتى يصبح كبيراً عظيماً. إن في ذلك دعوة إلى إدراك هذه السنة ومفاهيمها، وسيظل كل مشروع في بداية أمره صغيراً لا قيمة له ثم يكبر مع العمل وتتابع الأيام حتى يشار إليه بالبنان، فلا تستعجل على أصل لم يكتمل أو على خطوة في بداية الطريق، أو على ثمرة لم يكتمل حظها من البناء حتى تمر بكل الخطوات الممكنة في الواقع ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.

١٤ - ضعف الإنسان فهذا الخلق الكبير إنما أصله من نطفة وعلقة ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وما أكبر نعم الله تعالى عليه، خلقه من تلك العلقة (الدم الجامد) ثم سواه إلى أن كان كبيراً بهذه الخلقة، ثم علمه وأرشده حتى صار كبيراً صاحب رسالة. وكلما تأمل الإنسان في خلقه أدرك فيض نعم الله تعالى عليه، وألطافه التي تترى في حياته وبين عينيه. وعلم أن ثمة واجبات مقابل تلك النعم تحتاج إلى عون وتوفيق.



١٥ - ليس من شيء كبير على الله تعالى، وما نعمة يشتهيها الإنسان إلا وهي بتوفيق الله تعالى وكرمه أقرب ما تكون إليه، وكلما وثق الإنسان بربه، وتعلّق به، وأقبل عليه أفاض الله تعالى عليه من الأسرار والمكارم ما لم يكن له على بال، وقوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٢ ﴾ تأكيد لهذا المعنى الكبير في كتاب الله تعالى.

١٦ - مكانة القلم ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ فلولاه ما كان أثر! القلم أداة العلم ووسيلته الكبرى، وأثره في الواقع، ورسمه على مر السنين والأزمان! ومن رأى أثره اليوم أدرك هذا التباين العريض في حياة الناس. كم من مقبور في الثرى تقطّع أوصالاً ما زالت أنفاسه حيّة في العالمين! وكم من حي لا تكاد تجد له أثراً!

١٧ - ما كل أثر ممدوح! وهذه المنة بالقلم ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ ﴾ ليست مطلقة، فكم من حبر هو دين في حياة صاحبه، وغداً يستوفى بين يدي الله تعالى في مواطن الحساب! وما رأيت شؤماً في حياة إنسان مثل ما رأيت من شؤم قلم الكفر، والنفاق، والفسوق، والعصيان، وها هو في أزماننا يتطاول به صاحبه حتى على مقام ربه الذي خلقه!

١٨ - الإعراض عن ذكر الأسماء مهما بلغ سوؤها منهج القرآن، وفي الصحيح أن أبا جهل لما رأى النبي ﷺ يركع ويسجد قال: (واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب)، ومع ذلك أبهم في السورة، ولم تتعرض لاسمه وهذا هو الأصل، وعلى الكبار أن يركزوا على الأفعال فذلك أدوم للأثر، وأصلح للدعوة ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ ۝١٤ كُلَّ شَيْءٍ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا طُغْيَاءَ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝١٩ ﴾.



١٩ - أسوأ ما يواجهه الإنسان في حياته اعتداده بنفسه والإعجاب بها والإغضاء عن الأخطاء، والسلبيات المتفشية فيها، وهذا أحد الأخطاء الجسم التي يقع فيها الإنسان ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۖ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ۖ ﴿٧﴾﴾ فرق كبير بين رؤية الإيجابيات وجعلها متكافئاً لنجاحات قادمة، والاستفادة من ذلك في علاج الأخطاء والقصور والسلبيات التي تلاحقه في حياته، وبين رؤيتها على سبيل الإعجاب والفخر والخيلاء. وجملة من الهالكين الأولين إنما كان سبب هلاكهم تلك النظرة الخيالية لأنفسهم والاعتداد بها، والالتكاء على جوانب العظمة فيها، والله المستعان!

٢٠ - على الإنسان أن يلاحظ نفسه، ويجهد في متابعة عيوبها، ويعتني بتقويمها غاية الاعتناء، فإن ذلك أدعى لمحاصرة عيوبها والحيلولة دون تفشيها في حياته وأقرب إلى الترقى والفلاح. علينا أن نُعنى بمساحة المجهول في أنفسنا على حساب المعلوم، ونوسّع في دائرة النظر إلى الأخطاء والسلبيات والنقائص أكثر من غيرها ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۖ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ۖ ﴿٧﴾﴾.

٢١ - مشكلة الطغيان أنه يمنع من قبول الخير، ورؤية الأخطاء، ومعالج الجهل، ويظل مستكبراً عن كل فضيلة، وإذا وجد الإنسان من نفسه عوارض هذا المرض فليتعرف على نعم الله تعالى، وليمعن في قصوره الذاتي فإنه موشك بإذن الله تعالى على الفلاح ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۖ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ۖ ﴿٧﴾﴾.

٢٢ - حاجة الإنسان إلى ربه أعظم من كل حاجة، وأصحاب المشاريع لن يجدوا أعون لهم على النهوض بمشاريعهم من توفيق الله تعالى وعونه لهم في الطريق، وعليهم أن يحذروا غاية الحذر من الاستغناء. إن الافتقار إلى الله تعالى، والخضوع بين يديه، واستشعار توفيقه والإلحاح عليه في الدعاء معانٍ كبيرة تأتي بالمنن على أصحابها في قادم الأيام ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۖ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ ﴿٤﴾ عَلَّمَ

الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۖ ﴿٥﴾﴾.



٢٣ - ما رأيت أصلح للنفس من سماع النصيحة، واستقبال النقد بالفرح، والتربّي على ذكر الأخطاء والعيوب، وإدراك مثالب النفس، فإن ذلك يخلق في العادة وعياً بواقع الإنسان، ومكانته الحقيقية. إن للنفس صولة في الواقع تحتاج إلى مقارعة، وزهواً في المشاعر يحتاج إلى معرفة بالضعف المقابل، وما لم تتدارك نفس الإنسان بمثل هذه المعاني وإلا يتوقف في منتصف الطريق ﴿أَفَرَأَىٰ وَرَبَّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾.

٢٤ - من توفيق الله تعالى لإنسان أن يعظّم قلبه نعم الله تعالى، ويسبل لسانه في شكرها والثناء عليها، ويسعى بها في واقعه رسالة ومنهجاً وتاريخاً. وما عدا ذلك فهو حرمان وسوء توفيق ﴿أَفَرَأَىٰ وَرَبَّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾.

٢٥ - لن تُعظّم نعم الله تعالى في عينك وتكون سبباً لفلاحك في الدارين حتى تزدري الدنيا كلها، وتعلم أن كل نعيم مهما امتدت صورته في الواقع هو في النهاية إلى زوال، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ٨﴾ درس يجب أن يتلى حين تبدو صورة كل نعيم زاهية في عين إنسان.

٢٦ - ما أضعف الباطل وأهله أمام منهج الله تعالى! هذا أبو جهل يصاول بالأمس الرسالة، ويقف في وجه الدعوة، ويجهد في إيذاء صاحب المنهج وهو اليوم أثر بعد عين، ولا عبرة بباطل مهما بلغ أثراً وسوءاً ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ١٠﴾.

٢٧ - كل تعب مخلوف مهما بلغت أعراضه! هذا رسول الله ﷺ يجهد في إيصال الحق وتبليغ دين الله تعالى بكل ما يملك ويلقى من يمنعه، ويصدّه، ويقف في طريقه، وينهاه حتى عن التعبّد لربه، وتنتهي القصة بفصولها عبر ثلاث وستين سنة، وينتهي معها كل شيء، ولا تبقى سوى الذكريات ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ١٠﴾.

٢٨ - لن يخلو زمن من مناوئين! ولن تأتي لحظة خالية من الصراع بين الحق والباطل! وعلى آثار أبي جهل أمم في كل عصر ومصر، والأيام حبالى بغيرهم



في الواقع، وهذه سنة الله تعالى في العالمين، وغداً يزول كل شيء وتبقى أفراح الصادقين ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۙ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۙ﴾ ﴿١٠﴾.

٢٩ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ ليست مشكلة هذا الشقي فحسب! بل مشكلة كل المتدسسين بالمنكرات كانت تغيب عنهم هذه الحقيقة زمن طوفان المعاصي.

٣٠ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ تكفي درعاً واقياً عن كثير من خطايا الخلوات.

٣١ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ في مال مغشوش يشاركك في تربية بيتك وأسرتك، وفي وقت مبخوس من وقت مؤتمن عليه، وفي ساعة خلوة في ظلام ليل تعارك فيها شهوة، وتتلذذ فيها بمسحوط.

٣٢ - لو كنا نستشعر هذه الآية ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ لحظة قيامنا للصلاة لتبدلت أحوالنا، ولذقنا فيها وعد نبينا ﷺ: «أرحنا بها يا بلال».

٣٣ - مهما تحصنت لخلوتك تأكد أنه لا يفصلك شيء عن هذه الحقيقة التي تلاحقك ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾.

٣٤ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ يرى ما في قلبك من الحسد والأحقاد وسوء الظنون والشهوات.

٣٥ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ يرى ما في جوالك من الخبايا، وحساباتك من الربا، وبيتك من الخطايا، ومسؤولياتك من نقص حقوقها وضياع واجباتها فلا تغتر.

٣٦ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ حتى في نيتك، وهم قلبك، ومراد نفسك، فكيف بما يتحدث به لسانك، أو تكتبه يدك، أو يديره فكرك ومشاعرك!

٣٧ - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۙ﴾ ﴿١٤﴾ كانت تطارد الصالحين في كل مكان، وما لم تصنع لها شأنًا في حياتك فلن تصل لشيء.



٣٨ - النصر للإسلام! وكل هذه الصور التي تدار في واقع المسلمين إنما تدار بحكمة الله تعالى ومشيتته، وقد تولى الله تعالى الدفاع عن نبيه بالأمس أمام أبي جهل ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ لَنْسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ١٥ ﴿وسيتولى الله تعالى أوليائه، ودعاة الحق وأعوانه في كل زمان ومكان.

٣٩ - ما كل كبير في الأرض مصحوباً بعون وتوفيق! هذا أبو جهل كبير قومه وسيدهم، وقد بلغ درجة السفه في فعله حتى أنه انشغل بمصاولة الحق والوقوف أمام دين الله تعالى. وإذا لم يمدك الله تعالى بعون وتوفيق فلا راد لسوء التوفيق ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ١٣ ﴿الرَّيْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ١٤ ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ لَنْسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ١٥ ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ١٦ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٧ ﴿سَدِّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ ١٨ ﴿.

٤٠ - كل الطغاة على موعد مع الجزاء سواء كان في عرض الدنيا أو ساحات القيامة، ويكفي هؤلاء لو كانوا يعقلون هذا التهديد العريض لشخص أبي جهل في تلك الحقبة من الزمن ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْهَ لَنْسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ ١٥ ﴿ومثله من كان على ذات الطريق.

٤١ - للأصحاب والقرناء سهم كبير في النجاح والإخفاق! هذا أبو جهل لم يكن ليتحرك في وجه الدعوة بنفسه لولا ذلك النادي الذي يعج بصحبة السوء ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٧ ﴿وغالباً لا تجد مشؤوماً في واقعه إلا وصحبة طريق دلته حتى وصل إلى تلك النهايات.

٤٢ - علينا أن نعي أن لأعداء الدعوة، والمعارضين أنديسة تجمعهم يرتبون فيها لمشروع الباطل ويجهدون فيها لتعويق الدعوة، ويقفون من خلالها لمواجهة دين الله تعالى في الأرض، والمسألة لديهم ليست اعتباطاً، أو جهوداً لا رابط بينها، وإنما تسعى نحو غاية، وأهل الحق أولى بالاجتماع والائتلاف على الحق الذي معهم، والقيام بواجباته، ورعاية حقوقه ومفاهيمه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٧ ﴿.



٤٣ - على أصحاب الدعوة أن يمشوا في الطريق غير أبهين بعوائقه، وغير ملتفتين للناعقين على جنباته، وفي قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُهٗ وَأَسْجُدْ وَأَقْتَرِبْ﴾ (١١) ما يبين عن المنهج أمام هؤلاء السفهاء الرعاع.

٤٤ - الطاعة من أعظم العون على تحديات واقعك! وعلى المصلحين أن يدركوا أن هذه الفتن العارضة أحوج ما تكون إلى حسن صلة بالله تعالى، ولن يواجه عدو بمثل هذا المعنى العظيم في حياة كل إنسان ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُهٗ وَأَسْجُدْ وَأَقْتَرِبْ﴾ (١١).

٤٥ - القرب من الله تعالى فرع عن كثرة السجود، وأقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد، وإذا صحب هذا السجود بخشوع وإجلال وخشية وتضرع لله تعالى كان أول ما يكون على التوفيق ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُهٗ وَأَسْجُدْ وَأَقْتَرِبْ﴾ (١١).

٤٦ - بقدر ما تعفّر وجهك في التراب تضيء لك مصابيح السماء ﴿كَلَّا لَا نُطِيعُهٗ وَأَسْجُدْ وَأَقْتَرِبْ﴾ (١١) هنا في هذا الموطن بالذات أدركت سر القيام الطويل الذي كان يقومه ﷺ في ساعات الليل حتى تفطرت قدماه.





سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُكُ وَالرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ أنزلنا القرآن الكريم في هذه الليلة، وذلك مبتدأ النزول كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وهي هذه الليلة ليلة القدر من شهر رمضان.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ تعظيماً لشأنها.
- ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ أي أن العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر فيما سواها، وهي ما يعادل ثلاثاً وثمانين سنة وثلاث العام.
- ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ يكثُر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والروح جبريل، وإنما نص الله تعالى عليه هنا



لشرفه وفضله ﴿يَا ذُن رَّبِّهِمْ﴾ بأمره وإذنه الكوني ﴿مَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ بكل أمر يأمرهم الله تعالى به من الخير والرحمة والبركة والفضل

• ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥﴾ سالمة من الآفات والشور، جالبة للخيرات والبركات والأمن حتى يطلع فجر ذلك اليوم.

التدبِير

١ - ثمة صلة كبرى بين القرآن ورمضان، وبين القرآن وليلة القدر منه على ذات الخصوص ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾ وهذه الصلة تستوجب عناية الإنسان بالقرآن في هذا الشهر، وهو هدي نبينا ﷺ، فقد كان يدارسه جبريل بالقرآن في رمضان من كل عام، ودارسه في العام الذي توفي فيه مرتين.

٢ - تعظيم القرآن وإجلاله حق على كل مؤمن، ذلك لأنه كلام الله تعالى، ووحيه إلى هذه الأمة، و ﴿إِنَّا﴾ في بداية السورة، وإسناد الإنزال إليه تعالى دليل على تفخيم شأنه، وتعظيم أمره، وجلالة قدره، وقد اجتمع لإجلاله أن الله تعالى هو المنزل، وجبريل هو الواسطة، ومحمد ﷺ هو المتلقي، والليلة التي نزل فيها ليلة القدر ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾.

٣ - تشريف الله تعالى لنبيه ﷺ لأنه هو الذي تلقى وحيه تعالى في ليلة كريمة عظيمة الشأن، وقام به ﷺ في العالمين على أتم وجه وأكمل حال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾.

٤ - عظمة ليلة القدر وشرفها الكبير تقرأ هذا المعنى في هذا الاستفهام ﴿وَمَا آدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢﴾ فإذا ما جاء في خاتمتها هذا الإجلال ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥﴾ وتكرار اسمها صريحاً ثلاث مرات في السورة، وتنزل الملائكة فيها وجعل للعمل فيها



مزية آذن ذلك بشرفها الكبير، وإن ليلة تصل فيها العبادة إلى ثلاث وثمانين سنة وبضعة أشهر فهي حقيقة بالإجلال والعمل والاستثمار، والله المستعان!

٥ - سميت ليلة القدر بهذا الاسم؛ إما لعظم قدرها وشرفها ومكانتها عند الله تعالى، وإما لأنها تقدر فيها الأشياء، فتنقل فيها آجال السنة من اللوح المحفوظ في هذه الليلة المباركة، أو لكلا الأمرين ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾.

٦ - الزمان ظرف للعمل، ولم يعظم الله تعالى مكاناً، ولا زماناً إلا لما فيه من آثار العمل الصالح، وإن ليلة واحدة يصل العمل فيها إلى أن يكون بمثابة عمر إنسان من المعمرين في الأرض فهي حقيقة بالإجلال والتعظيم ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٢﴾.

٧ - يسر هذا الشريعة، فليلة واحدة في العام كله يأتي منها الإنسان على أحلام ثلاث وثمانين سنة وبضعة أشهر من العمل، وهي في شهر واحد، وفي العشر منه، وفي الأوتار بالذات ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣﴾.

٨ - جمال وإبداع أسلوب القرآن الكريم في الدعوة، ترى هذا في الإغراء الكبير بالعمل، وحشد هذه الخيرات المترتبة على شهود هذه الليلة من عمر إنسان ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ فِيهَا بِالْإِذْنِ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ ٤ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥﴾.

٩ - رحمة الله تعالى بالإنسان يحضه على العمل، ويقرب له الخيرات، ويعينه على استدراك الزمان الفارط منه ببعض الأعمال، وتقريب مسافة العوض، وكل هذا من كمال رحمته وسعة فضله ورزقه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ٢ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ فِيهَا بِالْإِذْنِ مِنْ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ ٤ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ٥﴾.



١٠ - في السورة احتفاء بكتاب الله تعالى حيث أنزل في ليلة القدر، ومعنى إنزاله في ليلة القدر إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في تلك الليلة، ثم نزل مفزقاً بعد ذلك حسب الوقائع ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾.

١١ - الأوقات المصروفة في تعلم كتاب الله تعالى، وتعليمه، وتلاوته، والعمل به من أفضل الأوقات وأجلها سواء في شهر رمضان أو في ليلة القدر منه بالذات، أو فيما عداها من أوقات ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾.

١٢ - في خاتمة السورة دعوة إلى إجلال هذه الليلة، والاجتهاد فيها بالعمل ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ ۝٤ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ وإن ليلة تخطو فيها الملائكة مع الناس في الأرض، وتسير في المكان ذاته لهي ليلة حرية بالعمل والاجتهاد.

١٣ - في السورة دعوة إلى تعظيم وإجلال مواسم الخيرات والطاعات التي ورد فضلها من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلَ الْمَلَكُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ ۝٤ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾.

١٤ - في إخفاء هذه الليلة عن العلم دعوة للمنافسة في الخيرات، والمكاثرة في العمل الصالح، والاجتهاد في الطاعات إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلَ الْمَلَكُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ ۝٤ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥ وصفها ولم يخبر بوقتها وزمنها من العشر.

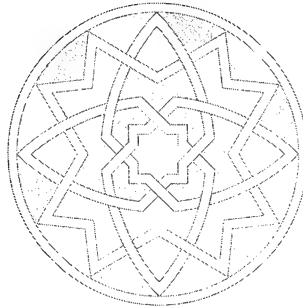
١٥ - جمال هذه الشريعة وتكاملها؛ حيث جمعت بين تقريب مساحة العمل لليلة القدر، في شهر واحد من السنة، وفي العشر الأواخر منه، وفي الأوتار بالذات،



وبقيت مخفية تحتاج إلى تحرّ، وترقّب، وعمل، واجتهاد ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾.

١٦ - شؤم الخصام والتنازع وسوء أثره على الأمة، فقد خرج النبي ﷺ ليخبر بزمان هذه الليلة فتلاحى رجالان فرفع خبرها، فانظر كم حرمت الأمة من فضل كبير بسبب خصومة!

١٧ - كثيرة هذه الخصومة في واقع المسلمين اليوم، تراها في بيوت كثير من المسلمين وبين الإخوة، وأخذت حظها من الجيران والأرحام، ثم امتدت إلى أن كونت فرقاً وأحزاباً وجماعات. وما حاجة الأمة اليوم إلى اجتماع الكلمة وائتلاف الرأي ووحدة الكلمة، بدءاً من أنفسنا ومن خلال بيوتنا وجيراننا وأرحامنا، ثم إلى كل مساحة يمكن أن نكتب فيها حظاً من هذا المعنى الكبير.





سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى
تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ② فِيهَا
كُتِبَ قِيمَةٌ ③ وَمَا نَفَرَكَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ⑤
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦

التفسير

- ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ من عبدة الأوثان والنيران وما شاكلهم ﴿مُنْفَكِينَ﴾ منتهين زائلين عن كفرهم وضلالهم حتى يبعث إليهم رسول الله ﷺ ، وهذا حكاية عن قولهم الذي



كانوا يرددونه، أنهم لن ينتهوا ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) حتى يبعث النبي الموعود في التوراة والإنجيل.

• ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ (٢) صحفاً: جمع صحيفة، وهي ما يكتب فيه من القرآن الكريم.

• ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ (٣) مكتوبات قيمة مستقيمة لا عوج فيها لما فيها من الحق والبرهان البين الواضح.

• ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (٤) من بعد ما جاءتهم البينات والحجج الواضحة على هذا الدين تفرقوا واختلفوا؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ومن ذلك إيمانهم برسول الله ﷺ ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ وما أمر هؤلاء الكفار في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يوحدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه ﴿حُفَاءً﴾ معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ وإنما خص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلتان في قوله: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.

• ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٥) التوحيد والإخلاص في الدين هو دين القيمة أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون منها ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (٦) شر الخليقة.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٧).

التَّدْبِيرُ

١ - شدة تمسك الكافرين بعقائدهم ومبادئهم مع وضوح الحق لهم ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ وإن كانت الآية هنا تبين أن تمسكهم ينتهي بوصول البينة إليهم إلا أن في قول الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ ما يبين لك عن هذا الأصل في نفوسهم، وعدم قبولهم الحق مع إتيان الحجج والبيانات، وهذا وإن كان أصلاً فيهم إلا أن في بعض أفرادهم من يكون بخلاف ذلك. وهذا المعنى يوجب على المصلحين أن يستعدوا لدعوتهم، وأن يأخذوا بكافة الطرق والسبل الممكنة في إقناعهم للطريق.

٢ - أثر الإلف والعادة على الإنسان. فإن هذا التمسك والإصرار على الباطل نتيجة لإلفهم له، والزمن الطويل الذي قطعوه كفيل بالوقوف أمام كل شيء جديد. وهذا شيء طبيعي في حياتنا كلها، فإن الشيء الذي تستمر معه طويلاً وتألفه يصعب التخلص منه، وتقع أسيراً فيه مع كل الدلائل المثبتة لأثره السلبي في حياتك، وتحتاج إلى زمن طويل حتى تقتلعه ويصبح شيئاً لا أثر له في واقعك. وعلينا ونحن نتعامل مع الآخرين أن ندرك أثر هذا المعنى في حياتهم، وألا ننتظر منهم إجابة عاجلة في كل دعوة، وإنما نعطيهم من الوقت ما يكفي لزوال أثر هذه العادات ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ①.

٣ - يجب أن نحاكم عاداتنا إلى الحق، وأن تكون البيئات الصادقة والحجج الدامغة فاصلاً في كثير من هذه العادات. إن الشيء البين يكفي لدحض الوهم، والتصورات الخاطئة. وعلى كل واحد فينا أن يحاكم عاداته وأفكاره وتصوراتهِ إلى الوحي، فما كان منها صحيحاً أمضاه، وما كان خلاف ذلك غيرهِ وبدلَهُ، وفي



قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ما يشير إلى هذا المعنى ويؤكدده.

٤ - الحق بيّن واضح لا يحتاج إلا إلى قلب صالح يتقبله، ورجل صادق يأتي إليه ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ❶ كم من منقاد لهذا الوحي جاءت به آية! وكم من معرض تلي عليه القرآن كله وما زال مصراً على الغواية!

٥ - صدق رسالة رسول الله ﷺ، وأن كل شيء جاء به ﷺ فهو من عند الله تعالى، وليس له من ذلك شيء ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ❷.

٦ - النبي ﷺ، وسنته بعد وفاته من أعظم البينات، وما زالت هذه الحقيقة تسري في العالمين إلى هذه اللحظة. إن الزمن يتقدم في صورة مذهلة وغير مسبوقة، ومع كل ذلك تزيد السنة جلاءً ووضوحاً في الواقع، ولم يتعارض هذا العلم مع إمكاناته مع سنة النبي ﷺ في شيء، وإنما يأتي مقررّاً لها، مبيناً عن صدقها، مكتشفاً لحقيقتها، وأثرها الواقعي في الحياة ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ❷.

٧ - فرق كبير بين كتاب الله تعالى المطهر، المصون من التحريف والتبديل، وبين صحف أهل الكتاب من التوراة والإنجيل التي اعترها كثير من التغيير، وفي قول الله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ❷ وصف لهذا القرآن بالطهر، وخلوه من كل ما يعارض هذا المعنى، وفيه إشارة من جانب آخر إلى ما وقع أو يقع من تحريف وتبديل في كتب أهل الكتاب.

٨ - (الوحي) أعظم البينات والحجج التي يجب أن يتحاكم إليها الناس، وكل بيّنة وحجة غير هذا الوحي فهي وهم لا حقيقة له ولا أثر له في البيان إلا بقدر صلته بهذا الشأن ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ ❷.



٩ - سوء القصد نقص في حياة كل فرد أو جماعة. إن هؤلاء تفرقوا في الوقت الذي بانت لهم الحجج ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ④ وهذا يدل على سوء نيتهم ومقصدهم. وكم من عمل وقف سوء النية والمقصد حائلاً دون نجاحه.

١٠ - فهم عقلية المخاطبين وخلفياتهم الفكرية مهم في إيصال الرسالة، ولعل في تكرار (البينة) في هذه السورة إشارة إلى حاجة هؤلاء المخاطبين إلى الحجة والدليل والبرهان أشد من حاجتهم إلى التذكير. وقد جمعت السورة بين الخطاب العقلي والخطاب العاطفي، والداعية أحوج ما يكون إلى فقه هذا المنهج، والاستفادة منه في إدارة الحوار والنقاش، أو الكلمة والخطبة ونحو ذلك.

١١ - التفرق والاختلاف من أخطر الأمراض التي تصاب بها الأسر، والمجتمعات والأمم، وما وقع هذا المرض إلا أورث فشلاً، وخلف نزاعاً وشقاقاً وتحاسداً وتباغضاً، وفي التعريض به في حال أهل الكتاب دعوة لتجنبه والبعد عن أسبابه ومكوناته ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ④.

١٢ - الأصل في العلم أنه يجمع الكلمة، ويؤلف بين قلوب الناس، ويزيدهم وعياً بأثر الخلاف فيما بينهم، فإذا ما كان العلم هو سبب الفركة، والاختلاف، وحصول النزاع والشقاق كان ذلك من أعظم الأدلة على سوء أثره وعدم صلاحيته، وفي قول الله تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ④ إشارة إلى سوء ذلك العلم في حياة أصحابه. وفي واقعنا اليوم بعض العلوم التي تركز هذه المفاهيم وتوسع في أثرها، وتخلق نوعاً من التحيزات. والعقل أوعى من أن يكون بوقاً باسم العلم، ولا حظ له منه سوى اسمه. والله المستعان!



١٣ - كل تحزُّب لشيخ أو جماعة أو منهج فهو عالة على العلم، وحرب عليه، ونَفْسُ سوء فيه، وهي فجاج الطريق إلى الخلاف ﴿٢﴾ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾.

١٤ - عبادة الله تعالى القائمة على جذر الإخلاص والخالصة من نوازع الشرك، أعظم ما أمر الله تعالى به عباده ﴿٥﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾.

١٥ - وصف كل إنسان، أو أمة بما هم عليه منهج حق ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ والدعوات التي تنأى بالأشياء عن مسمياتها الحقيقية دعوات ضالة عن الطريق، لا حظ لها في الحق.

١٦ - أهل الكتاب كفرة بنص كتاب الله تعالى ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ وما من أمة كانت على كتاب إلا لزمها وجوباً الإيمان بمحمد ﷺ، وبما يدعو إليه من حق، وإلا صارت ضالة كافرة لا علاقة لها بالإسلام في شيء.

١٧ - الكفار أعظم الناس شراً، وأكثرهم بلاء في الواقع! وما أنت آت على وصف أصدق من وصف خالقهم لهم، فلا كرامة في الدنيا ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٨﴾ ولا عاقبة حسنة في الآخرة ﴿٩﴾ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿٩﴾ وأي خير ينتظر من أمة هذا وصفها في كتاب ربها تعالى.

١٨ - لا قيمة لكل معاني الحياة التي يعيشها الكافر! وأي قيمة لمباهج لا تملك لصاحبها الطمأنينة التي ينشدها، والحياة التي يأملها، وهو في الآخرة من وقود

السعير! ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦).

١٩ - دناءة هذه الحياة وقصرها، فهي لم تملك أهلها شيئاً، وتفضي بهم إلى الزوال، كم هي أجيال الكفر التي تستمتع بها، ثم في النهاية إلى عذاب الجحيم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦).

٢٠ - الإيمان أعظم مباحج الحياة كلها! يكفي أهل الإيمان هذا الوصف الشجي من ربهم تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٧).

٢١ - دعوى الإيمان المجردة من العمل لا حقيقة لها في دين الله تعالى، فلا تستطيع أن تظفر بمدح لأهل الإيمان إلا وهو متبوع بأثره وفضيلته وحقيقته في الحياة (العمل الصالح) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٧).

٢٢ - لا تستمد التصورات الكبرى للحياة إلا من خلال الوحي، وكل تصور لا يبنني على الوحي، فهو خدعة لعقول الناس، وكذب عليهم وافتراء على التاريخ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٧).



جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

التفسير

• ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ بلا انقطاع ولا انفصال ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدنيا وخلصوا من عقابه ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فيما منحهم من النعيم المقيم والفضل العقيم ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ هذا الفضل والجزاء والرضا حاصل لمن خاف الله تعالى وخشيه واتقاه حق تقواه.

١- ما أكثر أثر الرؤية على نجاح الأعمال الكبيرة في النهايات ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ حين تكون الرؤية مغرية تأتي الأعمال على قدر ذلك الإغراء! إن العامل يكدح، ويتعب، ويبني، ويصبر على كل المشاق على أمل تلك النهايات. وكذلك كل مشروع في حياة إنسان، أو مؤسسة، أو مجتمع، أو أمة حين تنصب له رؤية كبيرة الآمال تأتي الأحلام به واقعاً مشاهداً في الحياة.

٢ - أثر الرؤية وحجمها في التأثير مبني على قدر وضوحها، وإمكان تحقيقها، ولم يلق الإنسان رؤية هي أشد إغراءً من نعيم الجنان في ذلك اليوم ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾.

٣ - لا يجلب رضا الله تعالى ما يجلبه الإيمان والعمل الصالح! وكلما أوعب الإنسان في العمل، وصدق في الإقبال زادت مساحة الرضا عنه ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾.

٤ - ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ﴿٨﴾ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ هنا ليست حرفاً مكتوباً، بل حقيقة يُدفع من أجلها كل شيء.

٥ - ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ سبب لتلك النتائج التي بلغوها. وما قامت في قلب إنسان إلا تركت أثراً كبيراً من نتائج التوفيق. وعلى قدر ساق هذا المعنى تجنى الثمار.

٦ - ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ سبب في كثير من أحداث التوفيق التي ينالها الإنسان في حياته.

٧ - ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ حاجز عن كثير من الدنيا التي تعرض للإنسان في واقعه.

٨ - ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ إذا وُجِدَتْ في واقع إنسان أهامت عليه الحياة، وكانت وراء كثير من النعيم الذي يلقاه في الطريق.



سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②
وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ④
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧

التفسير

- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾ حُرِّكَتْ مِنْ أَصْلِهَا.
- ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②﴾ أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى.
- ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③﴾ اسْتَنْكَرَ أَمْرَهَا، بَعْدَ مَا كَانَتْ قَارَّةً سَاكِنَةً انْقَلَبَ حَالُهَا فَصَارَتْ مَتَحَرِّكَةً مُضْطَرِبَةً.
- ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ④﴾ تَحْدِثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى ظَهَرِهَا.
- ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤﴾ أَذِنَ لَهَا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَتِلْكَ الْأَخْبَارِ.



- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ من مواقف القيامة ﴿أَشْنَاءًا﴾ فرقاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد ﴿لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ (٦) ليريههم الله تعالى أعمالهم وجزاءهم.
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) الميثقال وزن ذرة، وهي صغار النمل يراه يوم القيامة مبالغة في جزاء الخير والشر.

التدبُّر

١ - (الزلازل) من أعظم الأحداث التي تصيب الأرض، وإلى تاريخ هذه اللحظة لم يجد أهل العلم وسائل وقائية لدفعه، وما زالوا يقفون أمام هذا الحادث مستسلمين لقدرة الله تعالى، وهو آية من آيات الله تعالى في آخر الزمان ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)﴾.

٢ - لو فطن قارئ هذه السورة إلى ما فيها لما ترك مساحة ممكنة من فعل الخيرات، وقد فقه محمد بن كعب هذا المعنى فقال: (لئن أقرأ في ليلة حتى أصبح (إذا زلزلت) أتردد وأفكر فيهما أحب إلي من أن أهد القرآن هذاً) ما أكثر ما نردد سورة الزلزلة وما أقل ما نفقه فيها من معنى! كم من فائت يستحق العتبي! وكم من تفريط يستوجب البكاء! ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)﴾.

٣ - ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ (٣) سؤال ذعر وهول واستغراب وفجعة، وليس سؤال استعلام، الحدث أكبر من يأتي عليه سؤال بارد كهذا.



٤ - لا حدود للغفلة! وإذا استعمرت إنساناً لم تبق له عقلاً، ألا ترى لحديث السائل هنا ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ﴿٣﴾ مع أنه في وجه الأحداث. ما أكثر من يستقبل فجر يومه لا يدري ما يصنع فيه، ويأتي ظلام الليل وقد بلغ منتهاه في الفوضى وهو لا يشعر!

٥ - كم من أحداث كبرى تنتظر الخلق! هذه القبور الساكنة، والأرض الهامدة، والأشلاء الممزقة من سنين طوال تعود حية، وتبدأ رحلة الحساب من جديد! ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُورَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَتَلْتُ. وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي. وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدْعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئاً».

٦ - المسؤولية الكبرى للإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة، يصور هذا المعنى حديث الأرض عن أخبارها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ كل ما وقع عليها ستنتطق به خبراً، وتشهد عليه حديثاً، وهذا السكون الذي تراه اليوم يتحول غداً إلى حوادث شاهدة ماثلة في مواقف العرصات.

٧ - من فقهك وكمال وعيك وتوفيقك إذا وصلت إلى أرض أن تكاثرها بالخيرات، وألا يكون لك فيها موقف سوء ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ وإذا كانت الأرض ستتحديث يوم القيامة عن كل مشهد صار عليها فمن توفيقك أن تكتب حظك من كل مساحة تكون فيها مع الأيام.

٨ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ رسالة فال لكل صاحب مشروع وفكرة حية، ونية صالحة بأن كل عملك وجهدك التي ثارت بها غبار قدمك مع الأيام ستأتي ضمن حديث الأرض شاهدة لك بالخيرات.



٩- كل موقف أقمت فيه حقاً، وأعلنت فيه فكرة حية، ورسمت فيه منهجاً للقيم ووقعت فيه خطاباً للفضيلة، ودعمت فيه رأياً خيراً فقد استكثرت من شهودك بين يدي الله تعالى. وفي المقابل كل مساحة سوء ستأتي شاهدة بالحسرات ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

١٠- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تتحدث بأسرار سفرك، وخلواتك، ومشاهد عينك، وحديث لسانك، وكل شيء جرى في أيام الخلوات.

١١- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تفشي أسباب توقيعك على معاملة في الظلام، ومكالماتك التي تتخفى بها عن رفاق الدرب والخلان، وأحاديث ليلك التي حاولت أن تدسها في عتمة الظلام.

١٢- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ صور جوالك، ولحظات خيانتك، ودقائق فسادك، وكل مشاهد الرذيلة التي كانت يوماً في مساحة من الأرض.

١٣- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ القرارات التي كتبتها، ووقعتها، وعارضت بها دينك، ووقفت بها أمام الفضيلة في موقعك.

١٤- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ عن المظلومين، والمسجونين، والمطرودين من ساحات العدالة إلى ساحات الظلم.

١٥- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ عن الشهادة التي أدليت بها زوراً، والأيمان التي حلفتها كذباً، والمواقف التي زورتها من خلال موقعك.

١٦- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أخبار التقارير التي خرجت بها من سؤال الناس كذباً وزوراً، واستقبلت بها موارد الظلام.



١٧ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ فتحصى جهدك وأثرك وعملك الذي كنت تمده في سبيل دينك ورسالتك.

١٨ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ الكلمة الطيبة، والرسالة الإيجابية، ومواقف التفاؤل، وأحاديث الأمل، وساعات السفر والغربة في سبيل دينك وهموم أمتك.

١٩ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ حتى البسمة لإسعاد الآخرين، والكلمة للإصلاح بين المتخاصمين، والخطوة التي تعين بها محتاجاً أو مسكيناً، والصدقة التي تفك بها كروب المعدمين.

٢٠ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ ليلة لقائك بأمك، وعون أهلك، وصلة رحمك، وأحاديث الجيران، ولقاء الصحب والخلان.

٢١ - ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ كل شيء، وفي أي مكان، وفي أي زمان، وتحت أي ظرف.

٢٢ - لا تحتقر عملاً في الخيرات، فكم من يسير يأتي فارجاً للكرب، ومخرجاً من لحظات الضيق ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ ولا تحتقر في المقابل عملاً سيئاً، فكم من يسير أورث ذلاً في النهايات ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾.

٢٣ - إذا لوّث مساحة أرض بالخطيئة، فإياك أن تبرحها حتى تمد فيها بالصالحات ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾.

٢٤ - استحب بعض أهل العلم تغيير موضع النافلة عن الفريضة لهذا المعنى في قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ وفي سنن ابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه - وصححه الألباني - قال النبي ﷺ: «لا يصلي الإمام في مقامه الذي صلى



فيه المكتوبة حتى ينتحى عنه»، وله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أيعجز أحدكم إذا صلى أن يتقدم أو يتأخر أو عن يمينه أو عن شماله» والله تعالى أعلم.

٢٥ - تعدد الشهود يوم القيامة، وكم من شاهد ينتظر دوره في البلاغ! هذه الأرض تضج بأخبارها ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾ والجوارح تقف شاهدة على خطيئة أصحابها ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] والملائكة ثالث الشهود، وما من شيء يضيع، والفطن من استدرك زمانه قبل الفوات.

٢٦ - ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِّرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ هذا صدور القوم فعلام يردون! كم من مغبوط برؤية عمله ومشروعه ورسالته! وكم من متحسر على فوات الأرباح!

٢٧ - ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِّرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ يصدرون ليروا تاريخهم الذي خلفوه، ونتائجهم التي حققوها، وبشائر الفرح، وأحداث الحزن التي كفنوها في صحف الأعمال.

٢٨ - ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِّرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ كم من منتظر لهذه اللحظة! وكم فار منها وقد آن أوان اللقاء!

٢٩ - كم من ليلة عاد فيها إلى بيته مجهداً من مشروعه وهدفه ورسالته وها هو يصدر لرؤيتها ومشاهدة لذتها ونعيمها! وكم من ليلة عاد فيها إلى بيته مجهداً من مواقع الرذيلة، وساحات الأخطاء وها هو يصدر لرؤيتها ومعينة بؤسها وألمها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِّرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾.

٣٠ - ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ دعوة لاستثمار الفرص العارضة، وصناعة حكايات النجاح من خلالها.



٣١ - ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ إذا كان هذا في مثاقيل الذر فأين المكائثرين في الخيرات!

٣٢ - إذا استطعت أن تشارك في تأسيس عمل خيري أو إنشاء وقف لدينك فإياك أن تفوتك فرص البدايات ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾.

٣٣ - لا تتبرم من طلب الآخرين لك، احتاجوك اليوم وستحتاج لأثر هذا الطلب في يوم المثاقيل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾.

٣٤ - المثلقال يؤول في النهايات إلى مثاقيل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ فاجهد غاية وسعك، واكتب حظك من العمل قدر استطاعتك، ولا تتخلف عن الفضائل في مساحة من الحياة.

٣٥ - ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ في مثل هذه المساحة لا تسئل عن نوع العمل ولا كثرته! امنحه وقتك وسيأتيك شاخصاً في يوم الحاجات مبهجاً في موازين الحسنات.

٣٦ - وقف في الطريق ليركب واقفاً، وأخذ بيد أعمى لحافة الطريق، وسعى في تزويج محتاجين، وأصلح بين متخاصمين، وأخذ عوداً ساقطاً في وسط الطريق، وفي كل مرة يقول لنفسه حاضاً: لعل يوماً نرى فيه هذه المثاقيل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾.

٣٧ - يذهب للمسجد في باكر الوقت، ويصلي ما شاء الله تعالى، ويتلو من كتاب ربه ما تيسر، وما يزال مرابطاً من سنوات، وكل ذلك وعي بأيام المثاقيل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾.



٣٨ - لِيَأْتِيَنَّ يَوْمَ تَرَى فِيهِ حَتَّى كِتَابَةِ إِعْلَانِ الدَّرْسِ، وَتَعْلِيْقِهِ، وَإِعَادَةِ نَشْرِهِ فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، وَدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧.

٣٩ - مَهَارَتِكَ الَّتِي فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْكَ يُمْكِنُ أَنْ تَجْمَعَ بِهَا مِنْ مِثَاقِيلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا تَكُونُ بِهِ سَبَبًا فِي النِّجَاةِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧.

٤٠ - ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨ في أي مساحة من أرض وساعة من زمن. غداً تقف ماثلة للشهود.

٤١ - لَوْ أَنَّ هَيْئَاتِ مَكَافَحَةِ الْفَسَادِ جَهَدَتْ فِي تَعْمِيقِ هَذَا الْمَعْنَى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨ وَبَيَانِ أَثَرِهِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ، فَقَدْ تَبْلُغُ مِنْهَا وَأَهْدَافَهَا مِنْ أَقْرَبِ طَرِيقٍ.

٤٢ - الظَّلَامُ لَا يَحْمِي سَارِقًا، وَلَا يَسْتَرْ مَفْسُدًا، وَلَا يَقِفُ فِي وَجْهِ الْعَابِثِينَ! حَسِبَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨.

٤٣ - هُمْ لَا يَأْكُلُونَ مِثَاقِيلَ الذَّرِّ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا يَهْدُمُونَ مِيزَانِيَاتِ دَوْلٍ، فَمَا لَهُمْ وَلِلْعَذَابِ! ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨.

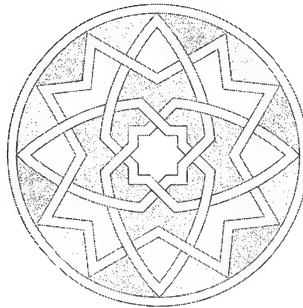
٤٤ - الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْأَبْرِيَاءَ، وَيَسْتَرْخِصُونَ الدِّمَاءَ، وَيَثِيرُونَ الْفِتْنَ أَمَا تَعْظُمُ هَذِهِ الْآيَاتُ! ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨.

٤٥ - حَتَّى الْكَلِمَةُ الَّتِي تَشْتُمُ بِهَا عَامِلًا، أَوْ تُشِيرُ بِهَا فِتْنَةً، أَوْ تُلْقِي بِهَا فِي وَجْهِ مَكْلُومٍ سَتَأْتِي ضَمْنَ تِلْكَ الْمِثَاقِيلِ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨.



٤٦ - الجزاء من جنس العمل! وكل من عمل عملاً فهو لاقٍ جزاءه بين يدي الله تعالى، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾.

٤٧ - تقرر السورة ضرورة العناية بالسلطة الإيمانية، وأثرها في النفوس. إن النفوس حين تخلو من هذه الزواجر تسطو على كل شيء ولا تبالي، مهما كانت السلطة الرقابية شديدة، وتعجز كل النظم التي يسنها البشر في الوقوف أمام جبروت الإنسان وفجوره، وتأتي الموعظة الإيمانية فتعيد ترتيب الإنسان وتقومه في الحياة من جديد ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾.



سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

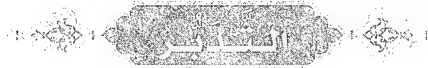
وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

التفسير

- ﴿وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْحًا﴾ ﴿١﴾ الضبح: هو صوت الخيل حين تعدو، وهذا قسم بخيل الغزاة حين تعدو نحو العدو.
- ﴿فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا﴾ ﴿٢﴾ التي توري النار بحوافرها، وذلك من شدة سعيها وقوتها.
- ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ﴿٣﴾ التي تغير على العدو صباحاً، وهذا في الغالب الأعم، وإلا قد تغير في غير ذلك الوقت.



- ﴿فَأَثَرُنَا بِهِ نَقَعًا﴾ ﴿٤﴾ بعدوهن وغارتهن تثير غباراً ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ﴿٥﴾
توسطت براكبهن جموع الأعداء التي أغارت عليهم.
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ﴿٦﴾ لكفور بنعم الله تعالى، يكفر بها ولا يشكرها.
- ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ أي الله تعالى يشهد على العبد لكفرانه بنعم الله تعالى، وقيل الضمير عائد على الإنسان يشهد على نفسه بعناده وكفره لله تعالى.
- ﴿وَإِنَّهُ﴾ ﴿٨﴾ أي الإنسان ﴿لِحَبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٨﴾ يحب المال حباً شديداً.
- ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿٩﴾ ألا يعلم إذا أخرج الأموات من قبورهم.
- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿١٠﴾ ظهر وبان ما فيها.
- ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ عالم بسرائرهم وضمائرهم، مُطلع على أعمالهم.



- ١ - ما أكثر أثر الخيل على أهلها في صدر الإسلام! ترى هذا في القسم بها في أعز مواقفها، وأكثرها أثراً في حياة الأمة ساحات المعارك، وكم من رقعة طوتها حافر خيل وصهيل جياذ في تلك الأيام! ﴿وَالْعَدِيدَتِ ضَبْحًا﴾ ﴿١﴾
﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ ﴿٢﴾ ﴿فَالْمُغِيرَتِ ضَبْحًا﴾ ﴿٣﴾ ﴿فَأَثَرُنَا بِهِ نَقَعًا﴾ ﴿٤﴾ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ﴿٥﴾.
- ٢ - كل آلة، أو دابة إنما تنال حظها من الثناء على قدر دعمها لرسالة الإسلام، وإنما كانت الخيل حقيقة بهذا الاحتفاء؛ لأنها دابة الجهاد في الإسلام في صدر



الإسلام، ومعلم من معالم العز والشرف في تلك الأيام، ولا خيل أشرف من خيل المعارك، وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «مَنْ اخْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيْمَانًا بِاللَّهِ وَتَصَدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شَبْعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي الطبراني من حديث سهل بن الحنظلية قال: قال ﷺ: «إِنَّ الْمُنْفِقَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَالْبَاسِطِ يَدَيْهِ بِالصَّدَقَةِ، وَلَا يَقْبِضُهَا». وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وَزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وَزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنَوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وَزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظَهْرِهَا وَلَا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدُ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ وَكُتِبَ لَهُ عَدَدُ أَرْوَائِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طَوْلَهَا، فَاسْتَنْتَّ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ أَثَارِهَا وَأَرْوَائِهَا حَسَنَاتٍ وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدُ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ» ﴿وَالْعَدِيدَتِ ضَبْحًا ١﴾ ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢﴾ ﴿فَالْمُعِيرَتِ ضَبْحًا ٣﴾ ﴿فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾.

٣ - كل فعل، أو جهد، أو مال، أو مشروع يقدمه الإنسان لدينه، ويمد به في مساحته فهو من الجهاد الذي يحبه الله تعالى، ويثني على صاحبه، وإذا كانت مشاركة دابة أوجبت لها هذا الإجلال، فكيف يجهد مسلم في ساحات الأرض من أجل الله تعالى!

٤ - الإنفاق في باب الجهاد، وتحصين المسلمين بآلات الحرب، ومدهم بما يمكنهم من التصدي لعدو من أعظم أوجه البر والقرب في سبيل الله تعالى ﴿وَالْعَدِيدَتِ ضَبْحًا ١﴾ ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا ٢﴾ ﴿فَالْمُعِيرَتِ ضَبْحًا ٣﴾ ﴿فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾.



٥ - يحب الله تعالى الجهاد وأهله، ودوابه، وكل ما يتعلّق به، وهذا العرض لصور الخيل، وهي في ساحات المعارك دليل على حب الله تعالى لكل مظاهر الجهاد التي تعرض في الأرض، حتى إن رسول الله ﷺ أخبر أن من الخيلاء التي يحبها الله تعالى اختيال الرجل عند القتال ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبَحًا ١﴾ ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا ٢﴾ ﴿فَالْمُعِيرَتِ صَبَحًا ٣﴾ ﴿فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾.

٦ - الجهاد مشروع بالنفس والمال، وهذا المعنى يتطلب بذلاً وعطاء، وطبيعة الإنسان المجبولة على الكنود لا تتوافق مع هذا، فيجد الإنسان عسراً كبيراً في فعل محبوبات الله تعالى، وإذا استطاع أن يتجاوز هذا الكنود، ويقدم محاب الله تعالى وطاعته على هوى نفسه دل على عظيم حظ الإيمان في حياته ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ٦﴾.

٧ - أكثر ساحات المعارك التي تخوضها الأمة اليوم ساحات الأفكار والمفاهيم والنزال فيها يحتاج إلى رجال، والنصر فيها مؤذن بتوسّع مساحات الربيع، فكم من حرب قامت على فكرة، ووقفت من أجلها، وما مساحات الدماء المتدفقة والمشاهد المتكررة إلا من أجل تلك الأفكار. فأين أنتم يا حمال سرج الظلام؟!

٨ - للنجاح عادات تُمثّلها الخيل في ساحات المعركة، فكوّنت هذه الصور المثيرة في واقعها: (المسارعة، والقوة، والمبادرة، والفاعلية، والقيادة والتأثير) وكل إنسان يمسك بعنان هذه العادات، ويتمثلها في واقعه تشرف به على مباحج النجاح ﴿وَالْعَدِيَّتِ صَبَحًا ١﴾ ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا ٢﴾ ﴿فَالْمُعِيرَتِ صَبَحًا ٣﴾ ﴿فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا ٤﴾ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ٥﴾.

٩ - الناجحون عبارة عن مجموعة من العادات الإيجابية، والمخفقون في المقابل عبارة عن عادات سلبية، وكم من عادة أشرفت بصاحبها على مساحات الربيع!



وكم من عادة قعدت بصاحبها عن الخيرات! ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُغِيرَتِ صَبَحًا﴾ ٣ ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ ٤ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ٥.

١٠ - الأصل في الإنسان الجحود، ونكران نعم الله تعالى، ونسيان فضله، وهذا القسم الكبير من ربك تأكيد لهذه القضية المتأصلة في نفس كل إنسان ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ قال ابن عاشور رحمه الله: وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوتٍ فيه، ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكُمُل أهل الصلاح، لأنه عارض ينشأ عن إثارة المرء نفسه، وهو أمر في الجبل لا تدفعه إلا المراقبة النفسية وتذكُّر حق غيره. وبذلك قد يذهل أو ينسى حق الله، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفسه والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبتها. اهـ وعلى العاقل أن يغالب هذا الطبع، ويرتفع عن هذا الخلق، ويجهد في تحقيق غايات الفالحين.

١١ - رأيت أناساً كأن الله تعالى لم يخلق فيهم هذا الطبع ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ جاوزوا القعود والخنوع، وذهبوا يخلدون في التاريخ ذكريات الكبار. ورأيت آخرين يلهجون لله تعالى بالثناء على ما أعطاهم وكأن هذا المعنى لم يخلق فيهم قط. وكذلك الكبار، وفي واقعك اليوم من هذا المعنى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ كثر ناكرون لنعم الله تعالى، جاحدون لفضله، معترضون على قضائه.

١٢ - عند العقلاء كل حيلة تحتاج إلى مغالبة، وكل عادة سيئة قابلة للتغيير إذا وعى صاحبها واجبه تجاهها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦.

١٣ - كل إنسان يعرف أخطائه، ويدركها، ويعرف كل ما يتعلق بتخلفه في الجملة وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ٧ ما يبين عن ذلك، وهي دعوة



أن يلتفت إليها، ويجهد في تسليط الضوء عليها، ومحاولة الخلاص والفاك منها قدر الوسع.

١٤ - أثر العلم في كل مشروع، وأنه سبيل لفلاحه وكماله، وفي هذه الإشارة إلى طبع الإنسان ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ لفئة علمية مهمة لأصحاب المشاريع الدعوية والتربوية والاجتماعية أن يدركوا طبع الإنسان الذي يخاطبونه، وأن ثمة أخلاقاً جُبل عليها يجب أن تستوعب حتى تؤتي المشاريع حقها من التأثير.

١٥ - يجب ألا نحاصر الناس بأخطائهم، وتخلّف أدوارهم، فإن جزءاً كبيراً من قصورهم ناشئ عن طبيعة وجبلة وخلقته من عند الله تعالى، وقد يتأخر الإنسان في علاج بعض الجوانب فيتخلّف في الخير بقدر تخلّف هذه المعاني في حياته، وعلينا أن نكشف للناس هذه النقائص، ونعينهم على سبل تخطيها وتجاوزها ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾.

١٦ - المال من أعظم محبوبات الإنسان ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٨ وهذه جبلة ملازمة له ما بقي في الدنيا، وكم من ناقص من آثارها! وكم من متأخر عن مكارم الأخلاق من خلالها! جُبلت النفس على الفرح بالمال والتعلق به، وليس الشأن كم تجمع! وإنما الشأن أن تفتح به قلباً أغلف عن الحق، وتهدي به ضالاً في الطريق، وتفرج به هم أرملة بلا معين، وتسد به حاجة يتيم، وتدفع به في دروب الخير ومسالك الحق أجود ما تكون. وعلى مثل هذه المعاني يكبر القوم. والله المستعان!

١٧ - كلما ازداد إيمان الإنسان وتعلقه بالله تعالى قلّت في المقابل جوانب القصور والنقص في حياته، وبالعكس، وفي قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي

الْقُبُورِ ﴿٩﴾ إشارة إلى أنه لو كان يعي هذه الحقيقة لما تعلّق بالمال لدرجة الحرمان. وفي ذكر حال الإنسان وما جبل عليه في حياته في بداية السورة، وتذكيره بمصيره وعاقبة أمره مناسبة لطيفة تدعو للتذكر والاعتبار قبل الفوات.

١٨ - كم من غريق في ساحات القيامة من أثر سوء قلبه! وكم من فرح بهيج بصلاح قلبه ﴿٩﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ يمكنك أن توافي كل ما في صدرك من فساد لكن من يحول بينك وبين الفضائح في ساحات ذلك اليوم.

١٩ - صلاح الأعمال منوط بصلاح القلوب، وفي الحديث: «وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله» قال ابن القيم رحمه الله: فواجبات القلوب أشد وجوباً من واجبات الأبدان، وأكد منها، وكأنها ليست من واجبات الدين عند كثير من الناس، بل هي عندهم من باب الفضائل والمستحبات، فتراه يتحرّج من ترك فرض أو من ترك واجب من واجبات الدين، وقد ترك ما هو أهم من واجبات القلوب وأفرضها، ويتحرّج من فعل أدنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريماً وأعظم إثماً. اهـ.

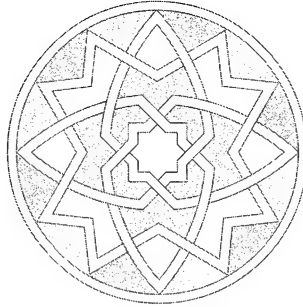
٢٠ - النية.. النية، فكم من عمل بهيج ضاع في زحام الرياء! ﴿٩﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾.

٢١ - يمكن أن نقنع من حولنا في الدنيا بضرورة الإخلاص، ونجيب عن كل التساؤلات المشككة في نقاء ذلك العمل لكن من يجيب عند بعثرة القبور عن تلك الصور التي زاحمها الرياء ﴿٩﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾.



٢٢ - كتب خطاباً ووقع أسفل منه، وكتب مذكرة وأشار إلى اسمه، وشارك في رسالة ومشروع وذيله باسمه، ما لك ولرسوم الرباء! ﴿٩﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿١٠﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١٢﴾.

٢٣ - في أيام التواصل الاجتماعي وانتشار التصوير سل الله تعالى أن لا يضيع عملك ويبدد جهودك في غير طريق ﴿٩﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿١٠﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١٢﴾.



سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

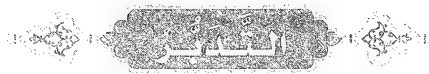
الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ
 ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④
 وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ فَأَمَّا
 مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ
 ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ
 ⑨ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ⑩ نَارٍ حَامِيَةٍ ⑪

التفسير

- ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ②﴾ من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ②﴾ تفخيم لشأنها وتعظيم لأمرها.
- ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④﴾ كالفراش المبعوث في الكثرة، والانتشار، والضعف، والذلة والاضطراب.



- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ ﴿٥﴾ كالصوف المنفوش الذي أوشك على الذهاب والتمزق.
- ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ موازين حسناته ورجحت على سيئاته.
- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿٧﴾ في الجنة.
- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾ موازين حسناته ورجحت سيئاته على حسناته.
- ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ﴿٩﴾ مأواه ومسكنه النار التي من أسماؤها الهاوية، فتكون له بمنزلة الأم الملازمة له لأنه لا مأوى له غيرها. وقيل المعنى: فأم دماغه هاوية في النار، يلقي في النار على رأسه.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ ﴿١٠﴾ تعظيم لأمرها، وتهويل لشأنها.
- ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ ﴿١١﴾ شديدة الحرارة.



١- ﴿الْقَارِعَةُ﴾ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ كم تحتاج هذه القوارع إلى إمعان! رأيت من يقرأها كأنه يقرأ حرفاً مبتوراً عن معناه، ورأيت من يتدفق دمعاً بمجرد قراءتها أو سماعها.

٢- إذا أردت أن تعرف قدر هذا القسم ومعناه، فتأمل صورته وأحداثه التي تجري في ساحات القيامة ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ الناس كالجراد المنتشر في الأرض، والجبال كالصوف في رقتها وضعفها.



٣ - تَخَيَّلْ أَنَّكَ تَرَى خَلْقَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْذُ خُلِقَ آدَمُ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ يَرْقُبُونَ مَوْعِدًا، وَيَنْتَظِرُونَ جِزَاءً ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ④.

٤ - كَمْ فِي هَذِهِ الْأَفْوَاجِ مِنْ صَاحِبِ نَعِيمٍ! وَكَمْ فِيهَا مِنْ صَاحِبِ جَحِيمٍ! كَمْ فِيهَا مَنْ كَانَ يَنْتَظِرُ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ بِشَغْفٍ! وَهَذَا مَوْعِدُ الْجِزَاءِ، وَكَمْ فِيهَا مِنْ مَكْذَبٍ فَجَعَلَتْهُ الْأَحْدَاثُ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ④.

٥ - إِلَى كُلِّ الْمَكْذِبِينَ، وَالْمَعْرُضِينَ، وَالْغَافِلِينَ عَنْ مَشَاهِدِ هَذَا الْيَوْمِ: هَذِهِ هِيَ الْحَقَائِقُ كَمَا تَرَوْنَ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤.

٦ - مَاذَا يَصْنَعُ أَصْحَابُ الشَّهَوَاتِ فِي عَرْضِ هَذِهِ الْمَشَاهِدِ الَّتِي تَخْتَطِفُ الْأَلْبَابَ وَتَطِيرُ بِمَكَامِنِ الْعُقُولِ! ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤.

٧ - وَانْتَهَتْ آمَادُ الدُّنْيَا الطَّوِيلَةِ، وَبَقِيَتِ الْحَقِيقَةُ رَأْيَ عَيْنٍ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤.

٨ - هَذِهِ هِيَ سَاحَاتُ الْقِصَاصِ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ وَعَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَدْلِيَ بِحُجْجِهِ وَمَعَازِيرِهِ عِنْدَ السُّؤَالِ.

٩ - الْوَعِيدُ مِنْهَجُ قُرْآنِي، وَأَسْلُوبُ مِنْ أُسَالِيبِ الدَّعْوَةِ لَكِنَّهُ لَيْسَ بِمَعْزُولٍ عَنْ مِنْهَجِ الْوَعْدِ، وَالْقُرْآنُ وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ وَفِي سُورٍ كَثِيرَةٍ وَعَدٌ عَرِضٌ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ﴿الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③﴾.

١٠ - التَّكْرَارُ أَحَدُ أُسَالِيبِ الْإِقْنَاعِ، يَأْخُذُ مِنْهُ السَّامِعُ فِي الْبَدَايَةِ نِسْبَةً ضَعِيفَةً، ثُمَّ مَا تَلَبَّثَ أَنْ تَزْدَادَ هَذِهِ النِّسْبَةُ وَتَتَضَاعَفَ مَعَ التَّكْرَارِ حَتَّى تَصِلَ لِأَعْلَى نِسْبَةٍ



ممكنة. إن الخطاب الدعوي أياً كان سواء الموعظة في المسجد، أو خطبة الجمعة ينبغي أن يعنى بهذه اللفظة، وأن يؤكّد على مضامين المعنى الذي يريده بأكثر من طريق، وألا يذهب المقصود والهدف الكبير والمعنى المراد في مجموع الخطاب دون تأكيد.

١١ - فن الإلقاء، وطريقة الخطاب لها أثرها الكبير في إقناع السامع وإمتاعه، وينبغي أن يأخذ الموضوع قدره من الكلمة، والصوت، والحركة حتى يأتي ممتعاً مقنعاً لمن يصل إليه. إنك حين تقرأ قول الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾ تمتلئ أذنك من أثر صوت الكلمة وقرعها، وتأخذ حجماً كبيراً من الحركة في قلبك ومشاعرك وواقعك، وكذلك ينبغي أن يكون خطاب المصلحين.

١٢ - للأمثلة حظ كبير في تقريب أثر خطابك إلى أذهان السامعين، وهي وسيلة مهمة في إيصال الرسالة من أقرب طريق ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾.

١٣ - مواظ القرآن كافية في إيصال الرسالة التي يريدها المصلحون، ولن يستقبل قلب موعظة أكثر عمقاً وأثراً من موعظة القرآن، وعلى الدعاة والمصلحين أن يعنوا بهذا الجانب حتى يجد حظه من قلوب السامعين ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾.

١٤ - يجب أن تقتصر الموعظة على كتاب الله تعالى، وما صح من سنة النبي ﷺ،

وَأَلَّا تَحْمِلُنَا الشَّفَقَةَ عَلَى النَّاسِ فِي ابْتِكَارِ قِصَصِ ضَعِيفَةٍ، وَرَوَايَاتِ بَاطِلَةٍ لَتَخْوِيفِ النَّاسِ وَإِعَادَتِهِمْ لِلْحَقِّ، وَالْمَشَاهِدِ الَّتِي عَرَضَتْهَا السُّورَةُ جُزْءًا مِنْ مَشَاهِدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَقَدَرِ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاحَةِ الَّتِي سِيرَاهَا كُلُّ إِنْسَانٍ ﴿أَلْقَارِعَةُ ١﴾ مَا أَلْقَارِعَةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَلْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾.

١٥ - قيمة العمل وأثره في فوز الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ ﴿إِنْ الْمَوَازِينَ لَا تَثْقُلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَكَمْ مِنْ مِيزَانٍ خَفَ لِجَهْلٍ صَاحِبِهِ بِهَذَا الْمَعْنَى الْكَبِيرِ! وَإِذَا نَظَرْتَ فِي سِيرِ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْرَكَتَ أَنَّ لِكُلِّ حَظٍّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَقُلِ الْعَمَلِ وَخَفْتِهِ.

١٦ - سوء عاقبة التفریط والتسويف، وما خف ميزان عبد يوم القيامة إلا من آثار ذلك! وكَمْ مِنْ خَاسِرٍ نَادِمٍ تَلْظِي قَلْبَهُ الْحَسَرَاتُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَنْفَعُهُ بَعْدَ الْفَوَاتِ شَيْءٌ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴿.

١٧ - شدة عذاب النار، وسوء عاقبة أهلها، ومن أعطى هذه السورة قلبه ومشاعره أدرك كل حرف من هذا الوعيد، وعاد إليه بالخيرات قبل الفوات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴿.

١٨ - ما أبشع صور العذاب! يهوي في النار على رأسه سبعين خريفاً في الطريق إلى قعرها ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ ﴿نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾.

١٩ - حق هذا الجسد المترف بالنعمة التارك لحقوق الله تعالى أن يهوي على رأسه



إلى جهنم وبئس المصير ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۙ نَارُ حَامِيَةٍ ۙ﴾ ﴿١١﴾ مشهد من مشاهد الخسارة في نهاية الحياة.

٢٠ - كل عقل لا يبلغ صاحبه تلك الغايات التي أرادها الله تعالى حقه أن يرتكس في سواء الجحيم ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۙ نَارُ حَامِيَةٍ ۙ﴾ ﴿١١﴾.

٢١ - رأيتهم يفكرون، ويخططون، ويجهدون في إغواء العالمين عن الطريق! واليوم تدور دوائر الجزاء والحساب ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۙ نَارُ حَامِيَةٍ ۙ﴾ ﴿١١﴾.

٢٢ - مؤلم جداً يهبهم الله تعالى عقولاً ويستخدمونها في نشر الإلحاد، وروايات الفساد، والفسق والمجون، وينسون مواقف الجزاء والحساب ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۙ نَارُ حَامِيَةٍ ۙ﴾ ﴿١١﴾.

٢٣ - كم من عقول لم تسمع لداعي الله تعالى دارت عليها دوائر الحساب وسقطت على رؤوسها في حمأ الجحيم ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۙ نَارُ حَامِيَةٍ ۙ﴾ ﴿١١﴾.

٢٤ - أنت الذي تكيل في ميزانك، وأنت الذي تستوفيه في ذلك اليوم! ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۙ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۙ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۙ نَارُ حَامِيَةٍ ۙ﴾ ﴿١١﴾.

٢٥ - مَنْ فَهَى هذه السورة ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۙ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ۙ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۙ ﴿٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۙ نَارُ حَامِيَةٍ ۙ﴾ ﴿١١﴾ استفرغ وسعه في الصالحات، وباعد بينه وبين الموبقات.

٢٦ - مرد علم الساعة إلى الله تعالى، وهذه السورة أشارت إلى بعض مشاهد ذلك اليوم وما فيه من أحداث، وتركت الحديث عن أجلها وموعدها لله تعالى ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ ﴿نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾.

٢٧ - كل معرفة لا أثر لها في العمل فلا حاجة إليها؛ لأن السورة أشارت إلى بعض أحداث الساعة وتركت موعدها ﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠ ﴿نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾ وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: «مَتَى السَّاعَةُ؟» قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». وهذا المعنى أصل ينبغي أن يمتد في حياتنا في ظل هذه المعارف التي تتدفق بصورة غير مسبقة على واقعنا، وباتت ربما تحول بين الإنسان وبين غاياته الكبرى.

٢٨ - عدل الله تعالى، فإن ثقل الموازين وخفتها راجع لجهد الإنسان وعمله لا إلى شيء آخر ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦﴾ فهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ١١ ﴿إن الجزاء والحساب لا تقدره مكانة أو منزلة، أو جنس، أو لون، وإنما يقدره العمل فحسب. وكل عاقل مسؤول اليوم عن تمديد هذا المعنى في حياته بأقصى ما يمكن.

٢٩ - الخطاب الدعوي يجب أن يأخذ حقه من التنوع، ولا يصبح قالباً واحداً في كل وهلة، ترى هذا في منهج القرآن وأسلوبه الدعوي بأوضح صورة، وتراه هنا في هذه السورة وهو يقصر صورة النعيم ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ ﴿٧﴾ ﴾ على مشهد واحد، ويمد في صورة الشقاء في أكثر من صورة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ۖ ﴿١١﴾ ﴾ ومن فقه أسرار وأساليب القرآن تحقق له ما يريد في مشروعه الدعوي.



سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَكُمُ التَّكْوِيْنُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِيْنِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا
عَيْنَ الْيَقِيْنِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ ⑧

التفسير

- ﴿أَلْهَكُمُ التَّكْوِيْنُ ①﴾ أشغلكم التباهي بالدنيا وما فيها من نعيم زائل.
- ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②﴾ حتى هلكتم وصرتم من أصحابه.
- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ وعيد عن الاشتغال بهذه المكاثره، والمعنى ستعلمون مغبة ما أنتم عليه في ذلك اليوم.
- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ ⑤﴾ لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة والفوز بها دون غيرها بها ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيْمَ ⑥﴾
- النار يوم القيامة رأي عين.



• ﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ٧ تأكيد لهذه الرؤية.

• ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ٨ عن النعيم الذي تنعمتم به في دار الدنيا، والسؤال عن أداء حق الله تعالى فيه من الشكر.



١ - الأصل أن يقتصد الإنسان من دنياه قدر الوسع، وأن يأخذ منها ما يبلغه غايات الآخرة فحسب! إن الله تعالى يُعَرِّضُ عَاتِباً وَلَئِماً عَلَى أَوْلَئِكَ المَكَاثِرِينَ في أمر الدنيا على حساب آثار الآخرة ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾.

٢ - يجنح طبع الناس إلى الكم في كثير من أفعالهم على حساب الكيف، فترى كثيرين يشتغلون بجمع المال على حساب نقائه وصفائه من شوائب الحرام، ويجهدون في الحصول على ذرية ولا ينشغلون بتربيتهم وإعدادهم للأمة، وتحولت المسألة العددية حتى في أذهان كثير من أهل الفضل والصلاح وطلاب العلم، فينشغلون بعدد وردهم من الصلاة والصيام والقرآن والذكر على حساب الكيف. والأصل أن يُعْنَى الإنسان بالكيف، ويجهد في إتمام العمل، ويتحرى صدقه وموافقته للسنة، وعليه في المقابل أن يزيد في الكم بالقدر الذي يمكنه الجمع بين الفضيلتين ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾.

٣ - جزء من مشكلاتنا المزمنة على مستويات كثيرة التركيز على الكم على حساب الكيف، وهو مرض أصاب الأمة في جزء كبير من مشاريعها، وقل أن تجد من يلتفت إلى الكيف، وقوله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ رسالة في ذم هذا السلوك، وتوجيهه إلى تصحيح المسار.



٤ - (تصحيح التصورات) من القضايا الكبرى التي ركّز عليها القرآن، وأولاهها عناية واهتماماً في كثير من قضايا الحياة. والعناية بالكم على حساب کیف أحد التصورات الخاطئة التي شلّت جزءاً من أثر مشاريع الأمة وواقعيتها في كثير من الأحيان ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝٢﴾.

٥ - غالباً ما يغيب مفهوم (إدارة الأولويات) وسط العناية بكثرة الأعمال، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝٢﴾ ما يبين عن ذلك، فإن الكثرة في مجالٍ ما سبب في ضياع هذا المفهوم في مجالات أخرى.

٦ - مشكلة المكاثرة أنها لا تقف بصحابها عند حد، وما تزال به حتى يفجأه الموت، وتزيه القبور، وهو مشغول بها منهمك في تبعاتها مضيع لقضايا كبرى أهم وأولى ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝٢﴾.

٧ - من الحرمان لإنسان أن يُحرم من النظر والتأمل في عمله، ومحاسبة نفسه قبل الفوات، وهذا العتاب واللوم في السورة موجّه إلى قوم انشغلوا بالتكاثر عن الحساب والنظر والتأمل حتى فاتوا من الحياة ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝٢﴾.

٨ - (التسويق) من أعظم الأخطار التي تواجهنا! وكم ظل هذا المرض يطارد قوماً حتى أوردتهم المقابر دون استعداد ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝٢﴾.

٩ - كتابة الوصية، وتنظيم أمورها، والعناية بالأوقاف، وإعطاء الناس حقوقهم أو تدوينها ضرورة تحض عليها السورة من خلال هذا العتاب واللوم الموجه للمفرطين ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝٢﴾.

١٠ - التخطيط، وإدارة الحياة للمستقبل من كمال عقلك وفقهك، واستثمارك لوقتك واستعدادك لرحلتك، فهؤلاء المكاثرون إنما ساءت نهاياتهم لضعف التخطيط وإدارة مستقبل حياتهم ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۖ ۝٢﴾.



١١ - التكاثر في الخير والعمل الصالح أمر محمود، وهو داخل ضمن المسارعة التي حث الله تعالى عليها، وفي الآية إشارة إلى ذم التكاثر الملهي عن الطريق، الصاد عن الحق، ومدح للمكاثرة التي توصل طريق الإنسان بالآخرة ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ٢﴾.

١٢ - الكثرة قد تكون سبباً وطريقاً للخذلان، وعلى كل من أوتي فضلاً من مال، أو علم، أو ولد أن يتقى الله تعالى فيها، وأن يدرك أنها ابتلاء واختبار من الله تعالى له، ويجهد في القيام بحقها ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ٢﴾.

١٣ - شدة خطر النعمة على صاحبها! ألا ترى أن الله تعالى يهدد المكاثرين بالنعم المنشغلين بها عن طاعة الله تعالى بقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ٤﴾ وكم ممن أنعم الله تعالى عليه بجاه وسلطان، أو مال، ومكانة وهو يصرفها في غير طريق، ويجهد بها في معارضة دين الله تعالى.

١٤ - تدحض السورة (الوهم) المستلقي في عقول هؤلاء الغافلين، فإن الذي أشغلهم عن الاستثمار الأخروي نوع من العلم الوهمي الذي خيل لهم طول الحياة، أو نفع هذه الأموال، أو غير ذلك، وفي قول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ۚ ٥ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ ٦ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ٦﴾ ما يكشف عن حقيقة ذلك الوهم الذي عاشوه في حياتهم.

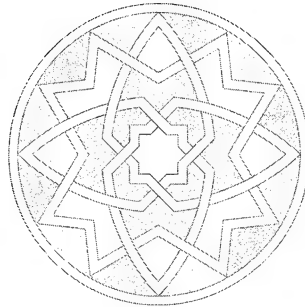
١٥ - القبر أول منازل الآخرة! والناس فيه ما بين مغبوط ومغبون! والأفراح والحسرات فيه على قدر كدح الإنسان وقعوده في عرض الدنيا ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ٢﴾.

١٦ - شدة أهوال يوم القيامة ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ٤﴾ ولو عقل إنسان معنى هذا الوعيد أدرك ما بعده من حسرات، وبذل كل ما يملك للنجاة.

١٧ - شدة عذاب جهنم! وفي قول الله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ﴿٦﴾ ما يدللك على آثار هذا العذاب في ذلك اليوم. ومن فقهك وكمال وعيك أن تأخذ لهذا المعنى قدره من الاستعداد حتى ترد سالماً من التبعات يوم القيامة.

١٨ - كم من نعيم سيجري عليه سؤال الله تعالى يوم القيامة! ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨﴾ أيأ كان هذا النعيم في مال، أو ولد، أو علم، أو فكر، أو جاه ومنصب، وعلى كل مؤمن أن يقوم بحققها من خلال توظيفها في مصالح الأمة ومشاريعها حتى يأتي يوم القيامة مستكثراً من الخيرات متخففاً من سؤال التفريط.

١٩ - ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨﴾ سؤالك هناك على قدر نعيمك هنا ومن توفيق الله تعالى لك أن تستعمل كل نعيم آتاك الله تعالى في تحقيق مراده ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨﴾ ولو فطن كل واحد منا إلى هذه النعم في حياته ثم استثمارها في دعم منهج الله تعالى لجاء رابحاً في الدارين.





سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ③

التفسير

- ﴿وَالْعَصْرِ ①﴾ قسم بالزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم.
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②﴾ أي أن جنس الإنسان في خسارة ونقصان وهلاك.
- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ③﴾ آمنوا بالله تعالى بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم ﴿وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ ④﴾ أوصى بعضهم بعضاً بفعل ما أمر الله تعالى، واجتناب ما نهى ﴿وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ⑤﴾ على طاعة الله تعالى، وعن معصيته، وعلى أقداره.

١ - هذه السورة عظيمة، تمثل منهج الحياة كما يريده الإسلام، ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يتخذونها شعاراً في ملتقياتهم، وإذا التقى اثنان منهم لم يفترقا حتى



يقرأها أحدهما على الآخر، وقد قال الشافعي: لو تدبّر الناس هذه السورة لوسعتهم، وفي رواية أخرى: لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم.

٢ - قيمة الزمن في حياة الإنسان! ترى ذلك من خلال قسم الله تعالى به هنا، وقد بلغك أن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم! وهو ظرف للأعمال، وعلى كل عاقل أن يدرك قيمة زمانه، ويستثمره في كل ما من شأنه أن يرفعه في الدارين ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾.

٣ - أول القيم وأكثرها أثراً في حياتك استثمارك للوقت، وما تيجان الفضيلة التي تراها على رؤوس الناجحين إلا أثراً لتلك الفضيلة ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ استثمار وقتك تزامم الناجحين في معترك الحياة! وقد قال الأول: أدركت أقواماً شحّ الواحد منهم بوقته أعظم من شحه بديناره ودرهمه. وقيل لآخر: كلمني قال: أمسك الشمس. ومن عرف هذه الحقيقة أدرك حظوظه كما يريد، ومن تغافل عنها بقي عمره في الهوامش ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾.

٤ - ثلاث دقائق كافية لصلاة ركعتين بطمأنينة، وعشرون دقيقة كافية لقراءة جزء من القرآن، وسبع دقائق تختم فيها أكثر الأوراد أثراً في حياتك: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير (مئة مرة). وكل هذا يدلك على أن أعظم موارد الإنسان وأكثرها أثراً في حياته الوقت ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾.

٥ - الأصل في الإنسان الخسارة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ وإذا كان الأمر كذلك فعلى الإنسان أن يستوثق من دينه، ويجدد إيمانه، ويجهد في التمسك بعروته الوثقى قدر وسعه. وغالب من حولك يعيش في تيه الخسران فإياك وضياح الخاسرين. ومن أدرك حقائق الواقع عاش مستلذاً بما فيه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢﴾.



٦ - حين لا تجد مشروعك في الحياة، أو لا تجد فكرتك التي تعيش من أجلها، أو لا تجد هدفاً مثيراً تطارده كل صباح، فتلك بعض مظاهر الخسارة في حياتك في الدارين ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢).

٧ - الخسارة الحقيقية خسارة الدين، وكل خسارة دون هذا المعنى لا قيمة لها، ومن بقي له دينه بقي له كل شيء، ومن فاته دينه فاتته كل شيء ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (٣).

٨ - لا تستوحش من قلة السالكين معك في الطريق ذاته، فإن هذا هو الأصل وما عداه عارض لا يعتد به. وكما قال ابن القيم رحمه الله: وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك. اهـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣).

٩ - وطمّ نفسك على استقبال العثرات، والعوائق، وتأخر المشاريع، واستعلاء الباطل في كثير من الفترات، فإن الغلبة كثيراً ما تكون للكثرة. وإن كان هذا ليس غالباً بفضل الله تعالى لكنها سنن تلقى حظها من الواقع ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (٣).

١٠ - القلة لا يمكن أن تحقق نصراً على الكثرة المقابلة إلا باستجماع قوى النصر الأخرى التي تسهم في الغلبة على الكثرة كحسن الصلة بالله تعالى، والتوكل عليه، والصدق في الطريق، فعلى الأمة أن تعي هذه المسألة، وتفقه الطريق الموصل إليها، وتخطط لبلوغ تلك الغايات، وتبذل من أجل ذلك كل الأسباب

الممكنة، فإن ذلك عادة ما يقلب الموازين ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾.

١١ - الإسلام لا يستمد قوته من كثرة الأتباع، وإنما يستمد ذلك من قوة تمسكهم بدينهم وقيمهم ومثلهم في الحياة، وتراه يمتد ويمضي مع قلة الأعوان والأنصار ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾.

١٢ - كل المناهج والنظم والأديان المنتشرة سوى الإسلام باطلة لا قيمة لها في الواقع حتى لو كانت عند أهلها وأصحابها كل شيء، يقرر هذه الحقيقة الضخمة قول الله تعالى في ظلال هذه السورة: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ٢ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾.

١٣ - الإيمان حركة كبرى في واقع الحياة، وليس معنى جامداً في قلب إنسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾ فالإيمان لا يكون مبهجاً في واقع صاحبه إلا من خلال العمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وما عدا ذلك فلا قيمة له في واقع صاحبه.

١٤ - كمال الإنسان بمراتب أربع: معرفة الحق، والعمل به، وتعليمه، والصبر على الأذى فيه، وهذه منازل الكبار والشرفاء، وهي غايات الإسلام ورسالته الكبرى في الحياة، وكم من عارف بالحق غير عامل به! وكم من عارف وعامل على حدود نفسه! وكم من عارف وعامل ومعلم لكنه قليل الصبر في الطريق، فإذا ما توافرت هذه المراتب الأربع كلها في حياة إنسان عظم شأنه وارتفع ذكره في العالمين ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ٣﴾.



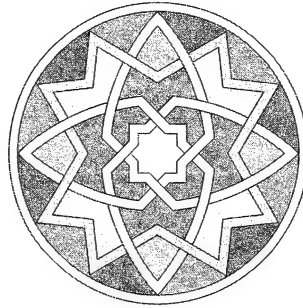
١٥ - الدعوة مرتبطة بالأذى! وعلى سالك الطريق أن يدرك أن تكاليف الطريق باهظة، وشاقة، وتحتاج إلى توضيحات، وفي قول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ ما يبين عن ذلك.

١٦ - أثر الجماعة في دين الله تعالى، ترى ذلك من خلال صور التشريع في العبادات كالصلاة، والصيام، والحج ونحوها، مما يدل على أهمية الجماعة في الإسلام وأثرها الكبير في البناء. وعلى سالك الطريق أن يمد في هذه الغايات قدر وسعه، وأن يجهد في تكامل دوائرها حتى تؤتي حقائقها التي أراد الله تعالى. إذا كان الأصل في أهل الطريق القلة، فإن اكتمال معاني الجماعة ضرورة لتحقيق غايات الدين. وأهل الإسلام أحوج ما يكونون إلى الاجتماع، والائتلاف، ومد يد الإخاء والعون لكل واحد في سبيل تحقيق ذلك المعنى، وأن نجهد قدر الوسع في رتق الخلاف، وردم فجوته، ونتجاوز عن كل ما يمكن أن يجعل عشرة في الطريق. ومسألة الجماعات الإسلامية، والأحزاب حرية بفقها هذا المعنى إذا ما أرادت تحقيق الأهداف التي تحلم بالوصول إليها ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾.

١٧ - ضرورة (المشروع) في حياة الأمة، إذا كان أصحاب الحق قلة، ويواجهون كثرة الباطل فهم في أمس الحاجة بعد اجتماع كلمتهم إلى استثمار طاقاتهم في مشاريع تخصصية تستبق كثرة الباطل، وتستحوذ على دوائر التأثير، وتأتي على تحقيق غايات الجماعة المسلمة قبل الكثرة الهادرة. إن هذه القلة لن تكون في مستوى التحديات حتى تأتي على إدراك هذه المعاني، واستثمار قدراتها قدر الوسع، وتمكين طاقاتها من العمل كل فيما يخصه ويحسنه. وفي كل خير.

١٨ - أهمية الصبر، فإن قيام الإنسان بدوره في الحياة من خلال الإيمان والعمل الصالح والمرابطة على دينه تحتاج إلى صبر ومعاونة، وكذلك إشاعة فضيلة

التواصي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء روح الجماعة سيكون
عرضة للخلاف والمشكلات التي تحتاج إلى صبر ومجاهدة حتى تبلغ ثمارها
وتؤتي أكلها، وتأتي على أمانها مع الأيام ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٣.





سُورَةُ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ②
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ③ كَلَّا لَيُبَدَّنَ فِي الْخُطْمَةِ ④
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطْلُعُ
عَلَى الْأَفْعَدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ ⑨

التفسير

• ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة وعيد ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①﴾ من يعيب أعراض الناس ويطعن فيها. همزة: من الهمز بالفعل، وهو عيب الناس والطنع فيهم بالفعل؛ كالإشارة وما شابه ذلك، واللمز: بالقول وهو عيب الناس والطنع فيهم بالقول.

• ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ②﴾ يجمع ماله، ويحصيه عدداً.

• ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ③﴾ يظن أن جمعه للمال يخلده في دار الدنيا.

- ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر أي ليس الأمر كما زعم ﴿لِيُبْدَنَّ فِي الْخُطْمَةِ﴾ ﴿٤﴾
لِئَلْقَيْنَ وَلِيَقْذِفَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْطُمَ كُلُّ مَا
يَلْقَى فِيهَا أَيْ تَكْسُرَهُ.
- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ﴾ ﴿٥﴾ استفهام عنها لتهويل أمرها.
- ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ النار التي أعدها الله تعالى ﴿الْمُوقَدَةُ﴾ ﴿٦﴾ الملتهبة.
- ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ ﴿٧﴾ التي يطلع ألمها ووهجها إلى القلوب.
- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ ﴿٨﴾ مغلقة مطبقة.
- ﴿فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ﴾ ﴿٩﴾ عليها أعمدة ممدودة لا يتمكن أحد من فتحها
والخروج منها.

التدبير

- ١ - التعامل مع الناس مسؤولية عظيمة بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وعلى كل
عاقل أن يفتن لهذه المسؤولية ويقوم بواجبها قبل لقاء الله تعالى، وإذا أردت أن
تعرف خطر هذا، فتأمل هذا الوعيد ﴿وَيْلٌ﴾ في بداية السورة، ولم يستفتح الله
تعالى به إلا سورتين الهمزة والمطففين، وكلاهما في حقوق الآخرين.
- ٢ - ﴿وَيْلٌ﴾ للمتشدقين بالأعراض! العابثين في الحقوق! المتسلقين على عورات
الآخرين ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ﴿١﴾.
- ٣ - يصوم ويصلي ويتلو كتاب ربه ويتصدق، ثم يأتي مجالس الفراغ ليضيعها
كلها في لحظة غفلة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ﴿١﴾ وقد تراه يعدد، ويصنّف،



ويمدح، ويذم في أعراض المصلحين، ثم إذا التفت إليه قال: المصلحة تستدعي هذا الكلام. سوء فقه وساعة خذلان! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

٤ - لا يُولي القرآن الكريم في العادة الاهتمام بالأشخاص! وإنما يركّز على الفعل الصادر ويقومه، وهذا الأصل في المنهج، إذ لا فائدة من ذكر الأشخاص، فإنهم يزولون مع الأيام، وإنما المقصود الفعل الحاصل وكيف ينظر له الإسلام ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ توعد على الفعل وأهمل ذكر الفاعل.

٥ - رحمة الله تعالى، وشفقته بعباده، فإن الله تعالى لم يتعرّض لأحد بشخصه في القرآن الكريم إلا في قصة أبي لهب، وقد بلغت عداوته لدين الله تعالى ما يمكن أن يكون درساً بيناً لغيره، وما عدا ذلك أغفلت الأسماء المعارضة مع شدة كرهاها وعداوتها للإسلام وتعويقها لطريقه رحمة بهم وشفقة عليهم لعلمهم يعودون في قادم الأيام. وعلى الدعاة والمصلحين أن يتجنبوا الأسماء قدر وسعهم مهما بلغ جهدها في الباطل فلعل منهم عائداً في قابل الأيام، وما يدريك!.. وفي هدي النبي ﷺ (ما بال أقوام..!).

٦ - الإسلام أكبر من أن يخلق عدوات له في الطريق، وأكبر من أن يشيّد أشخاصاً بذكر أعمالهم المعارضة، وإنما يسير وفي نظره أن هؤلاء جزء من السنن الإلهية التي يجب أن تأخذ حظها، وفي النهاية تزول ويمضي الإسلام شاقاً طريقه لا يلتفت إلى المعوقين. وهو منهج للدعاة والمصلحين ألا يقفوا على ترديد بعض الأسماء المناهضة فيصنعون لها زهواً في الباطل وهم لا يشعرون.

٧ - حين تكتب كتاباً فضع في ذهنك أن تكتب حرفاً قادراً على الصمود والبقاء والتأثير مع تطاول الزمان، وألا تكتب محبوساً في واقعك لغةً وأثراً، فإن ذلك يعيق أثر حرفك، ويتجاوز الزمان، وإذا قرأت خطاب القرآن كله، وهذه السورة منه بالذات أدركت معجزة هذا الكتاب في البقاء حياً إلى قيام الساعة.



٨ - (الهمز، واللمز) الهمز: عيب الناس والطعن فيهم بالفعل؛ كالإشارة والتمثيل ونحو ذلك، واللمز: عيبهم والطعن فيهم بالقول، وهي من رذائل الأخلاق التي يجب أن يتنزه عنها الكبار والفضلاء، وهي دليل على رقة دين صاحبها في الواقع، وهذا الوعيد من الله شاهد على سوءها. وأياً كانت صورة هذا القول والفعل فهو داخل في الوعيد، وفي قول الله تعالى (لكل) ما يدل على ذلك.

٩ - غالباً لا تأتي هذه الأخلاق إلا من متكبر! وعقدة العلو التي يصاب بها بعض الخلق تجعل الإنسان في مثل هذه المنازل الخطيرة، وقول الله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾﴾ يدل على ذلك.

١٠ - الواطئون لأعراض الناس مصابون بعقدة النقص، وقل أن ترى مشغولاً في الواقع بغيره إلا وهو يبحث عن تعويض نقصه، وستر عيوبه، ودثار مثالبه من خلال الآخرين.

١١ - الحياة دين! ومن ابتلي بأعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى، ألا ترى هذا المشغول بأعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى بتفاصيل البخل والشح، فيطارد هُم المال في كل لحظة، ويستفرغ أيامه في حساب عوائده كل حين ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾﴾.

١٢ - المال من أكثر أسباب الانحراف في حياة الناس! فغالباً ما تُذهب سكرته عقل الإنسان وبصيرته، وإذا كثر طال معه الأمل ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ﴿٣﴾﴾.

١٣ - حرمة المؤمن، ترى هذا الوعيد العريض فيمن تعرّض له هامزاً أو لامزاً، فما بالك بمن تعدّى على عرضه أو ماله، أو نفسه! ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، ﴿١﴾﴾.

١٤ - أثر الكلمة، وكم من كلمة أعاق حركة إنسان في الواقع! إن الكلمة السيئة تمثّل أثراً نفسياً خطيراً في قلب من يتلقاها حتى لو كانت في صورة مزح عارض. وكم من كلمة أطاحت بإنسان وأعاقته دون وعي ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، ﴿١﴾﴾.



١٥ - الكبر لا يأتي عادة إلا من الغفلة عن لقاء الله تعالى، وقل أن تجد متكبراً إلا وهو معتد بنفسه غير آبه لآخرته، وفي قول الله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ﴿٢﴾ ما يبين عن هذه الحقائق.

١٦ - من سوء التوفيق لإنسان أن يهبه الله تعالى نعمة ثم يذهب يعارض بها شرع الله تعالى! ترى هذا في نعمة هذه الجوارح التي يهبها الله تعالى لعبده ثم يذهب يتخطى بها على أعراض الآخرين، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» وتراه في هذا المال الذي يمنحه لإنسان ثم يزيد في كبره وسوء عاقبته وخذلانه.

١٧ - دحض الشبه والظنون الخاطئة منهج من مناهج القرآن ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ ﴿٢﴾ أحد الظنون الخاطئة التي جاء القرآن باجتثاثها من فكر أصحابها، وما أكثر الأفكار التي تعلق بعقول الناس في كل زمان، وإذا لم يُنتبه لها وتوضع لها الحلول الكفيلة وإلا كانت سبباً في انحراف صاحبها عن الطريق.

١٨ - حين تريد علاج مشكلة من المشكلات المتفشية فعليك أن تصف هذه المشكلة وصفاً دقيقاً ثم تتولى عرض أسبابها، ومن ثم نتائجها وأخطارها في الواقع، وهذه السورة أتت على كل ذلك، وصفت المشكلة، وأبانت عن الأسباب ثم ختمت بالنتائج ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالاً

وَعَدَدُهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٢﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْخُطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾.

١٩ - رقابة هذا الدين على كل شيء. تراه هنا يرصد حركة لسان الإنسان ويقومها ويبين عن أخطارها، ويهدد صاحبها بالخلاص منها قبل الفوات ﴿وَلَوْلَا لِكُلِّ هَمْزٍ لَمَزَةٍ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدُهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾.

٢٠ - الجزاء من جنس العمل، هذا الذي لم يكثر بالناس كان جزاؤه النبذ وعدم الاهتمام ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْخُطْمَةِ﴾ ﴿٤﴾.

٢١ - سوء عاقبة ما ينتظر هؤلاء بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْخُطْمَةِ﴾ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ لو كان للطامسين في أعراض المخلوقين عقول!!





سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ①
 أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
 فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③
 تَرْمِيهِمْ
 بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤

التفسير

- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تعلم يا رسول الله ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ①﴾ كيف كانت نهاية هؤلاء القوم الذين يريدون هدم بيت الله تعالى؟!
- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ②﴾ ألم يجعل مكرهم وسعيهم لهدم الكعبة في ضياع وإبطال؟!
- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③﴾ جماعات متفرقة.
- ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④﴾ من طين متحجّر.
- ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤﴾ كزرع أكلته الدواب ووطئته بأقدامها حتى تفتت.

التدبِيرُ

١ - هدم الأصول (فكرة قديمة) لدى الأعداء، وهذه الهجمة على سنة النبي ﷺ اليوم بضعة من فكرة أبرهة في قصة هدم الكعبة (وما أكثر أمثال أبرهة في زماننا..!) لقد رأى أبرهة أنه لا حيلة لإيقاف زحف الدين، وتمكنه من قلوب الخلق إلا بإزاحة الأصل الذي تنهادى إليه قلوب المسلمين من كل مكان، فسير جيشه الكبير لتحقيق هذه الأمنية، وذات الفكرة اليوم تتجدد في عقول الأتباع فيجهدون في هدم وتشويه أصول المسلمين (الكتاب، والسنة) في صور كثيرة تتجدد مع تجدد الواقع من أهمها: التركيز على المتشابه، وإثارة نقاط الخلاف، ومعارضة النصوص ببعضها، ونحو ذلك مما هو ظاهر في عصرنا، ولا يحتاج إلى كبير تنبيه، وقد حفظ الله تعالى بيته ورد عدوه بنفسه، وكتاب الله تعالى محفوظ بوعده الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ومثل ذلك سنة نبيه ﷺ فقد هيأ الله تعالى لها من عباده من يحررونها ويصفقونها من كيد هؤلاء، وما زالت معينا صافيا يتأبى على جهود المغرضين. وفي هذا المعنى من بقاء الإسلام ما فيه.

٢ - على الأمة أن تدرك أن أعظم أصولها، ومقدراتها (الكتاب، والسنة) وليس لدى أي أمة في الدنيا قيمة كبرى كقيمة هذه الأصول في هذه الأمة، ولن يضر الأعداء ويأتي على كل أفكارهم مثل هذه الأصول، فعليها أن ترعاها، وتوليها الاهتمام من خلال الدراسة، والبحث، وتوجيه شباب الأمة واللامعين إلى التخصص فيها، والإمعان بالقدر الذي يجعلها حية في قلوب أفراد الأمة.

٣ - إذا تأملت واقعك جيداً، رأيت المنافقين والأعداء كل مرة يغيرون على أصل من الأصول ويثيرون خلاله الشبه، وكل ذلك من أجل إسقاطه من قلوب المسلمين، وكم مرة أغار عليهم الوحي وبدد تلك الخطط وأجهض على تلك المشاريع.



٤ - حاولوا أن يسمعوا صوت المرأة الناعم كَرَّ عليهم القرآن واعظاً: ﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وجهدوا أن يستلذوا بجسدها، ومفاتيح الجمال فيها فوقف لهم القرآن في عرض الطريق: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَنْهُنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وكتب مذكرة يبين فيها حاجة المرأة للخروج وقضاء حوائجها، ورزق بيتها، وإعانة أسرتها فجاء محكم القرآن واعظاً ومذكراً: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣] وصنعوا لهم تمثالاً في صورة شيخ فخرج يرقق لهم دينهم، ويسوِّغ لهم خروج نسائهم، ويدعوهم لترك التشدد فقام القرآن يردد: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وما عداه فارموا بعمته في وحل الطين وعظوه. فما يصنعون بهذا الوحي، كلما حاولوا أن يستدروا عواطف الناس لقضاء شهواتهم زجرهم القرآن وأنكر عليهم. إذاً لا حيلة لديهم إلا أن يرفعوا شعار إسقاط هذا الأصل الكبير من حياة الناس ويتخلصوا من خصامه ونزاعه.

٥ - كل من يؤدي دوراً في الحرمين سواء من المسؤولين، أو العلماء وطلاب العلم أو حتى العمال يُتمون هذه الأصول، ويوسعون في أثرها، ويواجهون بهذه الجهود أعداء الدين، فهم على ثغرة، ويجاهدون في سبيل الله تعالى بذلك، فإن هذه النية كمال إلى كمال، ومثل ذلك المشاريع التي تعنى بهذه الأصول (كمشروع تعظيم بيت الله الحرام، أو مشاريع التدبر لكتاب الله تعالى، ومشاريع حفظ السنة وتعليمها) مشاريع مباركة، وهي ترعى أعظم أصول الدين وقضاياها الكبرى فينبغي أن تشجع، ويدعى لأصحابها حتى تأخذ دورها الكبير في الواقع.

٦ - الكعبة بيت الله تعالى، وقد تولى الدفاع عنها، ولم يكلها لمخلوق، وفي ذلك من الإجلال والتعظيم لها ما فيه، وكل باغ على بيت الله تعالى فهو متوعد بالعذاب، وإذا كان هذا واضحاً في اعتداء أبرهة فهو كذلك جارٍ في أي اعتداء سواء كان حسياً، أو معنوياً.



٧ - لن تفلت يد السارق في الظلام، وصاحب الفاحشة في الزحام، ومروّجي الفتنة في أي مساحة من مساحات الحرم من رقابة الله تعالى، وكل ستجري عليه سنة أبرهة وتجري عليه أحداث السنن بإذن الله تعالى.

٨ - إذا كان الله تعالى تولى حماية بيته، والذود عنه، وإيقاف زحف الباغين إليه، فكيف بالمؤمنين الصادقين في الطريق! ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] وعلى قدر إيمان الإنسان وصدقه وإقباله ومحض إخلاصه تأتي هبات التوفيق إليه من كل مكان.

٩ - عناية الله تعالى برسوله ﷺ، وتأنيده وحبّه وتشريفه، ترى ذلك من خلال الإغراء برؤية تلك الحادثة والاعتباط بمشاهدتها، وما صنع الله تعالى فيها من نصر لنبه ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ كأن الحادثة صورة حية مشاهدة لحظة تنزل السورة مع أنها وقعت قبل المبعث بزمان طويل و﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ تأكيد على تلك العناية حتى كأنه ربه وحده دون غيره.

١٠ - الإسلام دين الله تعالى! وهو المتكفل بنصره وتأنيده، حين لا يكون للحق نصير يقف في وجه الطغيان فإن الله تعالى يتولى نصر دينه والدفاع عنه، وهذه الواقعة دليل على هذا المعنى الكبير.

١١ - العاقبة لدين الله تعالى. إن ديناً ظل حياً من آلاف السنين على قلة معين قادر بتوفيق الله تعالى أن يسط آفاقه على كل شبر في الأرض، ويمضي يكتب تاريخه في العالمين رغم أنوف الحاقدين. مع كل هذه الصور التي نرى فيها الباطل يستنفر قواه، ويستعين بقوى الأرض في مواجهة هذا الدين علينا أن نؤمن أن النصر لدين الله تعالى، وإنما يتبلي الله تعالى عباده لحكم جليلة ومعان كبيرة.

١٢ - عظيم قدرة الله تعالى، ترى ذلك في تصديّه لهذه الحشود من خلال طير صغيرة وعاقبة المعذبين فيها جليلة كبيرة! وما ناظر إلى هذا الحدث بعين البصيرة إلا وهو



مدرك مظاهر تلك القدرة من أبسط طريق. إن الذي تولى التصدي لهؤلاء بعض جند الله تعالى، طير في أفق السماء، وترك من العواقب ما يفوق تصوّر كل بصير.

١٣ - إقامة الحجة على كل معارض، ترى هذا الإمهال والإمداد لهذا العدو وهو يكيد لبیت الله تعالى حتى يصل إلى المكان ذاته. إن الله تعالى يمهل كثيراً، وكم من معرض معارض أطل الله تعالى له في زمن الإمهال حتى إذا ما أصرّ على الطريق لقي عواقب الخذلان.

١٤ - إن جند الله تعالى أكبر من أن يحصروا! وما أكثر خلق الله تعالى في الكون! وما أجهل الإنسان بها في الواقع! من كان يظن هنا أن طيراً صغيراً يتولى تلك المهمة الكبرى، وفي كل حادثة يأتي جند آخر يدير رحي المعركة ويكتب فيها مشاهد الخذلان على العدو.

١٥ - سوء عاقبة المعصية، وخطرها على أصحابها، وعاقبة شؤمها في حياتهم، وليس أدل على ذلك من منظر الطغاة وهم صرعى على الأرض بعد أن كانوا في أنعم حال، وقد قال الله تعالى: ﴿الْمَ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ولم يقل (ماذا فعل) كأن الصورة لهولها تحتاج إلى إمعان نظر وتفكير! من قال إن فرداً، أو قوماً توردهم المعاصي إلى هذه المشاهد الكبرى من الهلاك!

١٦ - إن الله تعالى يمهل ولا يهمل، يمد للظالم أملاً طويلاً، وحين يصير على ورود موارد الهلاك ويأبى إلا الطغيان يريه الله تعالى عواقب الإمهال. كم عاش هؤلاء على الكفر! وكم قطعوا من المسافة إلى مكة في أمن! وفي النهاية كان لا بد أن تنتهي قصة الإمهال في حياتهم ويبدأ زمن العقاب، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُؤْمِلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].



١٧ - غالباً لا يستفيد المعرضون من آيات الله تعالى وعبره! لقد رأت قريش من صور نصر الله تعالى لدينه، وحمايته لبيته، وعذابه لأعدائه ما لم تره في حياتها كلها ولم يدلهم هذا على تعظيمه والقيام بحقه، وما زالت الأجيال المعرضة تقرأ هذا الخبر، وتروي هذه القصة لكنها لم تلق في قلوبهم حظاً ورواجاً للذكرى.

١٨ - عظيم ما في نفوس الأعداء من كيد لدين الله تعالى! إن خروج هؤلاء يريدون بيت الله تعالى ما هي إلا صورة مما في نفوسهم من صور الكيد الكبار، وكذلك كل عدو يكيد للإسلام في صور، ويترجمها الواقع لأحداث، ولذلك عبر الله تعالى هنا بمواجهة ذلك الكيد مع أنه لم يكن إلا صورة من صوره ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ۖ﴾.

١٩ - ستظل مكة المكان الذي تأوي إليه أفئدة المؤمنين! لقد أراد الله تعالى لهذه البقعة في الأرض أن تبقى روحاً تسري إليها قلوب المؤمنين، فجعلها قبلتهم فلا تصح الصلاة إلا إليها، وجعلها مكاناً لحجهم وعمرتهم، وهذه الجموع المتعلقة اليوم بهذا البيت أعظم الأدلة على بقاءه مهما كانت توجهات الأعداء ومكرهم وكيدهم.

٢٠ - إذا أردت أن تتعرف على بعض قدرة الله تعالى في المجرمين فتأمل صورة تلك الأفواج العازمة على هدم بيته، وتكسير جدرانها، وتشويه صورته كيف كانوا في آخر المطاف! ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُولٍ ۝٥﴾ وتحولت في النهاية صور البغي والعدوان إلى صور زرع محطّم ممزق متناثر في مساحات الأرض.





سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① إِلَّا لَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
 ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
 مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ④

التفسير

- ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① إِلَّا لَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ②﴾ أي لائتلاف قريش واجتماعهم في بلدهم آمنين، واللام لام التعجب، كأنه يقول: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.
- ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③﴾ ليوحده، ويخلصوا له بالعبادة.
- ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ④﴾ تفضل عليهم بالإطعام بعد جوع شديد، وآمنهم بعد خوف عظيم.

التدبر

١ - ظل هذا البيت وما يزال مكاناً للأمن والطمأنينة والسكينة والرخاء حتى حين انحراف الناس عن الحق، وإشراكهم بالله تعالى، وعبادتهم لغيره، إنها إرادة الله تعالى لهذا الدين.

٢ - كم من دعوة صادفت ساعة إجابة فأفاضت على الأرض مباحج الربيع! هذه دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [إبراهيم: ١٢٦] كونت هذا الواقع مع الأيام.

٣ - إذا أمضك الواقع، وكلت نفسك من السير، وضعف جهدك، ولاحت لك بوارق اليأس فيمم وجهك إلى مشاهد بيت الله تعالى ترى الحياة تجري في ربوعه كأبهج ما تكون.

٤ - إيلاف قريش واجتماعهم على بعض ورحلتهم آمنين مطمئنين في الصيف والشتاء كل ذلك أثر لنعم الله تعالى عليهم ببيته، جعلهم آمنين مطمئنين يجتمعون على مصالحهم ويألفون الطرق إليها وفيها كل حين ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (٢).

٥ - في السورة رسالة إلى كل مسؤول أياً كانت مسؤوليته أن يرضى حاجات من بين يديه، ويقوم على واجباتهم الضرورية، ويعلم أن استقرار الحياة وقيام الإنسان بواجباته وقف على هذه المعاني الكبار، مع أن هذا الأمن الحاصل لقريش فضل الله تعالى عليهم هو كذلك دعوة لشكرهم وقيامهم بواجبهم، فكذا كل مسؤول عليه أن يوقر البيئة الصالحة لنجاح مشروعه، وأهدافه ومسؤوليته.



٦ - (الوحدة والاجتماع والاتلاف) في أي أسرة أو مجتمع أو دولة أو أمة نعمة يجب أن تأخذ حظها من الشكر والعرفان! فإن الله تعالى يذكّر قريشاً بهذا المعنى ويدعوهم لعبادته لهذه النعمة الظاهرة عليهم في ذلك الزمان ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١﴾.

٧ - على كل مسؤول أو فرد أياً كان موقعه أن يجهد في جمع الكلمة، واتلاف الرأي حسب الوسع، ومن شاهد آثار الخلاف في الواقع أدرك ضرورة هذا المعنى وأثره في الواقع.

٨ - من سنن الله تعالى أنه إذا أقام مسؤول، أو جماعة، أو أمة قيم الأخلاق من العدل، والإخاء ونحوهما أقام الله تعالى لهم واقعهم وأصلح شأنهم ويسر لهم سبل الفلاح والتوفيق، ترى ذلك في هذه المكانة التي وهبها الله تعالى لقريش بين العرب، وأمنهم من عدوان المعتدين، وغارات المغيرين نظير حفظهم لهذه الأخلاق، وقد ذكر ابن عاشور جملة من أخلاقهم وتعاونهم، وقيام غنيهم على فقيرهم حتى قال قائلهم:

يا أيها الرجل المحوّل رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافي

ويقابل هذا المعنى انتشار فوضى الظلم، والبغي، والعدوان في حياة مسؤول أو مجتمع، أو دولة، أو أمة مؤذن بسوء حالها، وخراب واقعها مع الأيام، ولذا قال ابن تيمية رحمه الله: (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة).

٩ - العبادة أعظم معاني الشكر، إن الله تعالى ذكّر قريشاً بموفور نعمه عليهم، ودعاهم إلى القيام بشكرها عن طريق عبادته ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٢﴾.



١٠ - ليست العبادة صور تتكاتف عليها الأمة وتحيتها ظاهراً فحسب، العبادة قيام بأوامر الله تعالى والوقوف عند حدوده، وتعظيم شعائره مع الاعتراف في كل حين أن ذلك فضل الله تعالى وتوفيقه ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ وفي كل حين تشتد حاجة الأمة إلى تحويل مفاهيم العبادة إلى صور تطبيقية واقعية في شأن كل فرد، وذلك هو بداية العز والتمكين لها في واقع الأحداث.

١١ - العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة وحين تتحوّل في حياة كل مسلم إلى هذا الوعي ستقام حينها للدين دولة وكيان وأمة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾.

١٢ - هذا بيت الله تعالى، وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ دليل على مكانته الكبرى، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ حَرَامٌ بِحُزْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَجَلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَجَلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُزْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُغْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ، وَلَا يُلْتَقِطُ لُقْطَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا» وبيت بهذه المكانة حقيق بالإجلال والتعظيم! وإذا هيا الله تعالى لك زيارته فتذكّر أنك في مدارج الشرف والتكريم فليقم بقلبك ما يفيض على جوارحك من التعظيم والتكريم والإجلال.

١٣ - منّة الله تعالى على هذه البلاد بهذين الحرمين! وما من مجتمع أو أمة اليوم تلقى تشريفاً كوجود هذين المعلمين بها، وهي شرف، ومن توفيق الله تعالى لحكامها ومسؤوليها القيام بواجبها الحسي المتمثل في توسعتها، وتهيئتها بكافة وسائل الراحة الممكنة، وتمكين المتعبدين منها في كل وقت، والمعنوي في القيام بواجب الدعوة لهذا الدين في أقطار الأرض، وتبني كل ما من شأنه مد مساحة الإسلام في العالمين ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ﴾ وهذا جزء من العبادة المشار إليها.



١٤ - لا يمكن أن تكتمل نعمة الأمن في حق إنسان أو مجتمع أو دولة أو أمة في ظل الجوع، ولا يمكن أن تأخذ نعمة الطعام حقها في زمن الخوف. فإذا جمع الله تعالى بين النعمتين لفرد أو جماعة فقد امتنّ عليهم بأعظم النعم ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

١٥ - إذا أردت أن تعرف قدر نعمة ربك عليك، فتأمل هذه الأرزاق التي تجلب إليك من كل مكان بأرخص الأسعار وأقل التكاليف ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

١٦ - أما رأيتم ذلك الذي ينام في عرض الطريق ولا يوقظه أحد من نومه؟ تلك بعض نعم الله تعالى الوارفة في هذه البلاد! ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

١٧ - مشكلتنا أننا نعيشنا مع النعم للدرجة التي لا نشعر بوجودها إلا حين الذكرى ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ كم من مشرد هذه اللحظة عن دياره، وفاقد لأسرته وأهله وأقاربه، وينتظر ممن الآخرين وأنت تأكل وتشرب وتنعم في وارف الأمن.

١٨ - بقاء النعم مرهون بالوعي بها أولاً أنها نعمة، وبالقيام بحقها من اعتراف وشكر قولي وعملي في حياة كل إنسان ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

١٩ - كثيرون يتحدثون عن الأمن ويروجون لفكرة الحفاظ عليه، وهم في الوقت ذاته الذين يسعون في تقويضه وإسقاط نظامه من خلال عدم قيامهم بحقوق الله تعالى، وجراتهم على سرقة مقدراته وتقويض أمنه من خلال البغي والفساد ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

٢٠ - كم مرة أضج آذاننا من الولاء لوطنه وهو الذي يقيم زواج أولاده على المنكرات، ويشيع الرذيلة، ويمد في حل الفساد ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

٢١ - إذا أصبح باكر يومه كتب لنا عموداً في فقه الأمن، وسطر لنا نظماً وشعراً في وعي المسؤولية، وإذا استوى في قناة حدثنا عن نعمة الأوطان، وإذا فرغ من كل ذلك نافق، واختلس، وسرق، وصنع للعورات مهرجانات ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

٢٢ - كل المفسدين في الأرض أياً كانت صور فسادهم هم جزء من خصوم النعم في أوطانهم، نسوا أن كل ذلك فيض الكريم المنان ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

٢٣ - إذا استطعنا أن نوقف زيف النفاق، ومساحات الفسق والفجور في أي رقعة من الوطن، فقد بنينا نصف المسافة إلى أحلامنا. فقط لم يبق بعد ذلك إلا نصف البناء ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.





سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي
يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُحِصُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

التفسير

- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾﴾ يكذب بثواب الله تعالى وعقابه، فلا يطيعه في أمره ولا نهيه.
- ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ يدفعه فلا يطعمه، ويقهره ويظلمه.
- ﴿وَلَا يُحِصُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ لا يحس غيره من ذوي اليسار على إطعام المحتاج وسد خلته.
- ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ وعيد شديد للاهين المتغافلين المتشاغلين عن صلاتهم.

- ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرْءَاوْنَ﴾ (٦) يقصدون بأعمالهم مدح الناس وثناءهم.
- ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (٧) يمنعون إعارة غيرهم ما لا حاجة لهم به كالإئناء والدلو والقدر والفأس وغيرها.

التدبير

١- الإسلام كما هو علاقة بين الخالق والمخلوق هو كذلك علاقة مع المخلوقين بعضهم البعض. وهذا الفصل الشائع في حياة الناس اليوم ولّد خصومة سافرة في الواقع، فترى الحريص على شعائر الله تعالى من الصلاة والصيام ونحوها لا يتحرّج في الاعتداء على الآخرين، وأكل أموالهم، والسطو على أعراضهم وبخس حقوقهم، وكأن ذلك لا علاقة له بدين الله تعالى، وقد لا ينقضي عجبك من رجل يتصدق ويبذل أمواله في سبيل الله تعالى راغباً فيما عند الله تعالى، ويتسلّط في ذات الوقت على أموال الناس، ويأخذ حقوقهم دون أدنى حرج أو غضاضة، وهذه السورة تؤكّد على أن التعامل مع الخلق دين يجب أن يأخذ حقه من العناية والاهتمام.

٢- كل تخلف في حقوق الآخرين إنما هو نتيجة لتخلف حقيقة الإيمان الكبرى في قلب صاحبه. وقل أن تجد مؤمناً صادق الإيمان عارفاً بربه إلا وهو يقوم بحقوق الآخرين، وفي قول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْأَيْمَنِ﴾ (١) ما يؤكّد ذلك ويبيّنه، فلولا تكذيبه بحقيقة هذا اليوم لما وقع في كل ذلك.

٣- يؤمن بيوم الدين ويناكف يتيماً على حقه! لا تلتقيان في طريق إلا في الدين الذي نردده على ألسنتنا ولا نتمثله في واقعنا، وما أكثره في مثل زماننا! ما لم



تختلط معاني هذا الدين بنفوسنا ومشاعرنا وقلوبنا وكل شيء في حياتنا وإلا بات صوراً ظاهرية لا حقيقة له في واقع الحياة.

٤ - جمال هذا الدين، أنه ليس صورة خاصة بالمسجد، وإنما منهج حياة يأتي على حياة الإنسان كلها، وينظم له شأنه، وحدوده، وحقوقه، وواجباته وكل من يقرأ الإسلام بوضوح لا يملك إلا أن تصيبه الدهشة على هذا الكمال والجمال الذي يأخذ بالألباب ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ (١) (٢).

٥ - رعاية الإسلام لحقوق الآخرين، والقيام بواجباتهم، والإنكار على التعدي عليهم بأي وجه، وتحت أي عذر ومسوغ، ولن تجد ديناً في الأرض أقام للإنسان كرامة ظاهرة كما هو الإسلام ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ (١) (٢).

٦ - رعاية الإسلام للضعفاء والمعوزين، وأصحاب الحاجات على وجه الخصوص، والوقوف معهم وتجرим التعدي عليهم بكل وسيلة، ومناصرتهم حتى يعيشوا كما يعيش غيرهم سواء بسواء، حتى إن الإسلام جعل جزاء كفالة اليتيم وعونه على العيش رفقة النبي ﷺ، وجعل الساعي على المسكين والأرملة كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وأكد في هذه السورة على رعاية حقوق الأيتام على وجه الخصوص ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْذِّينِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ﴾ (١) (٢).

٧ - لن يموت فرد في مجتمع والإسلام ظاهر فيه! وإذا كان الإسلام جعل من مقتضيات عدم الإيمان بالله تعالى ترك التكافل والتحاض على إطعام المسكين فكيف بتركه والتأزر على عدم معونته حتى يموت جوعاً! إن الإسلام جرم الاعتداء على هرة، وجعل التي حبستها حطباً لنار جهنم فكيف بمسلم من



المسلمين، وشَجَّع على كفالة الأيتام كما في البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمَ النَّهَارَ» ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ❶ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ❷ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❸.

٨ - لا بد أن يكون الإحسان إلى اليتيم في أجمل صورته وأرقى معانيه، ومهما بلغت قيمة الإحسان إذا لم تأت في صورة رحمة وشفقة وود ورجاء فضل وبر، وإلا قتلت ذات الإحسان وكفنته قبل ورود أول صورته على قلب ذلك المحتاج ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ❶ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ❷ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❸.

٩ - عظيم شأن التكاتف، والتعاون، والتآزر على مصالح المسلمين! وما تقوم به الجمعيات الخيرية من واجب تجاه هذه الفئات تحقيق بالإجلال والتقدير، وقد يرفعون الإثم عن الأمة في واجب كفائي قد يلحقهم الإثم بتركه بالكلية ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ❶ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ❷ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❸.

١٠ - من أسوأ الصور في حياة إنسان أن يمسك ماله عن هؤلاء المساكين، ويقف بخيلاً به عن مواقف الجود والإحسان، ثم يقف يشكك في جهود الباذلين والعاملين والكافلين! وهي صورة تدلك على عظيم حرمان هؤلاء من التوفيق ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ ❶ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ❷ وَأَنْحَرَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❸.



١١ - فرق كبير بين الإسلام وهو يشرع حقوق الإنسان ويجرم الاعتداء عليها ومنظمات حقوق الإنسان التي تشرع أنظمة لغاياتها وأهدافها، ثم ما تلبث أن تعبت بها وقت حاجتها ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ﴾.

١٢ - الفرق بين الإسلام وغيره من الأنظمة في حقوق الآخرين أنه يجعلها ديناً وعبادة ومسؤولية فيما بين الإنسان وربه ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ﴾ وغيره من الأنظمة تجعلها حضارة ومسؤولية دولية تُعنى بالحريات وتخاصم من أجلها فحسب.

١٣ - كم من معاملة في المحاكم لم تنته بشأن إرث اليتامى، لا لضعف النظام وإنما لجشع الوكيل الذي يرتب للاستمتاع بأموالهم في شأنه الخاص ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ﴾.

١٤ - لم يوزع الأراضي الزراعية بين الورثة، أبقاها كما هي دون قسمة وتولى بنفسه حرثها وزراعتها والبيع والشراء منها، واليتامى يموتون جوعاً أو يتضورون ألماً ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ﴾.

١٥ - كل صور الاعتداء التي يحكيها الواقع في شأن اليتامى من الذكور، أما المرأة فلا حظ لها أصلاً حتى في القسمة الكاذبة ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ﴾.

١٦ - كم من يتيمة خلف لها والدها إرثاً وضاع في عادات الجاهلية وتقاليدها فلا ترث المرأة شيئاً ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ﴾.



١٧ - الصلاة أعظم أوامر الله تعالى وشعائره بعد التوحيد، وهي الفريضة التي جرى وجوبها في السماء بخلاف غيرها من الفرائض، وهي أول سؤال يُسأله العبد بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وهي وصية رسول الله ﷺ في آخر حياته ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ﴿ وفريضة بهذا القدر تستحق الإجلال والتعظيم.

١٨ - مشكلة كثيرين أنهم يصلون ولكن صورة وشكلاً ولا علاقة لهذه الصلاة بقلب صاحبها، ولا يجري تعظيمها في قلبه ومشاعره، فتأتي باردة لا قيمة لها في واقعه ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ﴿ وهذا الوعيد على من يصلي ولكن بلا خشوع.

١٩ - يتأخرون عن الصلاة، ويسهون عنها ويغفلون ويأتون متأخرين، ويعتذرون بالنوم مراراً ولم يحدث أن تأخروا عن مواعيد دراستهم أو سفرهم أو ارتباطاتهم، وهذه الآية تخاصمهم كل حين ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ﴿.

٢٠ - كل شأن يقيمه صاحبه بعد الأذان فهو إلى الخيبة والخسران أقرب منه إلى الربح والكسب ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ﴿.

٢١ - أذن المؤذن وهم مجتمعون على فضيلة، فقام عند بداية الأذان معتذراً أن كل عمل بعد هذا المعنى لا يبارك الله فيه. ما أروع الفقه! ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ④ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ ﴿.

٢٢ - خطورة الرياء، وأنه ماحق لبركات العمل، وآتٍ على كل خيراته، وكم من عمل كبير أخذ من وقت صاحبه وجهده وماله، وفي النهاية لم يورث له سوى الحسرات! ﴿الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ﴾ ⑥ ﴿.



٢٣ - كلما دخل في مشروع أرصد لنا صورته، وبعث إلينا بمشاهدته، وضبط كل شيء فيه لا من أجل مد أثره، وتمدد فكرته، كلا! وإنما لينال حظاً عاجلاً من الدنيا، وفاته بذلك كل شيء ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦.

٢٤ - ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦ فيصرون للمشاهدين صورهم وهم محرمون، وبعثون في وسائل التواصل الاجتماعي بصور تصريح الحج، ومواقفه ومشاهدته.

٢٥ - حتى وهو يطوف ويسعى بالبيت، ويدعو في عرفة، ويرمي الجمار أرصد لنا صورها، وبعث إلينا بتقرير عنها ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦.

٢٦ - لبس إحرامه، وبدأ دعاءه، وصلى سنته وطلب من صاحبه في السفر أن يرصد كل ذلك، ثم بعث بها في النهاية إلى القراء والمشاهدين يكاثر بدينه، ويرائي به، ونسبي ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦.

٢٧ - أعان مسكيناً، ووقف بجوار محتاج، ودفع بمشروع للنهوض ثم وظف ذلك لصالحه فما يجلس مجلساً إلا ويحاول جاهداً أن يبين عن ذلك، ثم يسأل الله تعالى بعد ذلك الإخلاص ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦.

٢٨ - كم من خيرات دفع بها صاحبها لا هو الذي استثمرها في الدنيا ولا هو الذي لقي أثرها في الآخرة! محققا الرياء ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦.

٢٩ - في واقع اليوم ثمة خيط يسير بين صور وشعائر تعبدية مبنوثة في وسائل التواصل الاجتماعي تفصلها النية عن مظاهر الرياء، وكل إنسان في النهاية موكول إلى سريرته ونيته وما بينه وبين الله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦.

٣٠ - كل عمل لا ترجو به دعوة غيرك إلى تمثله، ونهوض فكرته، وتوسع دائرته فلا تضع أثره بتصويره، ورصد أحداثه ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ﴾ ٦.



٣١ - صَوْرُوهُ وَهُوَ يَصْلِي، وَصَوْرُوهُ وَهُوَ يَدْعُو، وَصَوْرُوهُ وَهُوَ يَبْكِي، وَصَوْرُوهُ وَهُوَ يَتَصَدَّق، ماذا أبقوا له؟! وماذا ترك لنفسه؟! يا الله كم من جهود أضاعها الرياء ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ٦.

٣٢ - طارت في الآفاق صورة إنسان وهو يسقي حاجاً، أو يعين طفلاً، أو يقبل يد أمه، أو يأخذ بيد مسن فتحوّلت جماهير في الطرقات تعيد ذات الصورة، وتكرّس مفاهيمها من أجل الإعلام. ولم يبق منها في النهاية شيء لله تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ٦.

٣٣ - من هم هؤلاء ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ٧ طالب علم ضنّ بمذكراته التي كتبها على زميل محتاج لها، وصاحب علم لم يقعد في رحاب مسجد أو بيت للإتفاق من علمه رغم حاجة من حوله.

٣٤ - من الله تعالى عليه بجاه ومسؤولية ومكانة كبيرة، ولم يستثمرها في دعم مشروع لدينه أو يخدم بها مسكيناً، أو جاراً، أو محتاجاً لها في عرض الطريق ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ٧.

٣٥ - تغيب عن مدرسته لعذر، وفاته من درس المعلم، وجاء يسأل زملاءه عن الفئات، فلم يلتق شيئاً يعوّضه ذلك الغياب ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ٧.

٣٦ - وجدت مجموعة من أسئلة الاختبارات لأعوام ماضية استفادت منها في معرفة طريقة أستاذتها وخبأتها في مكان لا يراه غيرها لتنجح وحدها ويشار لها في الختام بالبنان ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ٧.

٣٧ - من الله تعالى عليه بمال، واحتاج صاحبه منه جزءاً يسيراً يستعين به على قضاء حاجته، فاعتذر منه رغبة في كثرة مخبوء ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ٧.

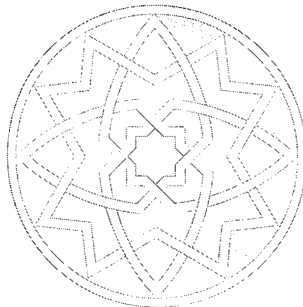


٣٨ - معه سيارتان لا حاجة ملحة على إحداهما، وجاره وقع على سيارته حادث، ويحتاج سيارة تنقله إلى وظيفته، ولم يتمكن من مدها إليه ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾.

٣٩ - زميل يفقه في الفرائض أكثر من زميله، وآخر فتح الله تعالى عليه في قوانين رياضية، وثالث في ضبط القرآن، ورابع في تخصص الهندسة، وخامس في الطب، وسابع وثامن غير أن كل هؤلاء رأوا ذلك فرصة للتفوق على الأقران، ولم يوسعوا دوائر أثرهم شحاً بما أعطاهم الله ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾.

٤٠ - معها فستان للفرح زائد عن حاجتها، وخبأته ليلة فرح تلك اليتيمة، ومعه عدة مشالح بللها بالماء ليلة فرح ذلك الفقير المسكين، وحين بلغه أن جوال زميله سرق خبأ جواله الآخر ظناً به عليه ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾.

٤١ - الماعون في الأصل في منع الدلو على البئر، والقدر في البيت، وهو هنا في كل شيء منحك الله تعالى إياه وهو زائد عن حاجتك، ويمكن أن تدفعه لمحتاج أو تعين به آخر، فإياك أن تكون ضمن عداد هؤلاء المتهمين ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾.



سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

التفسير

- ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ أعطاك الخير الكثير، والفضل العظيم، ومن ذلك النهر الذي اسمه الكوثر في الجنة.
- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ فأخلص لربك صلاتك ونحرك ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك وذامك.
- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، ومقطوع الذكر.

التدبر

١ - هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كما هي الشرح والضحى، وفي هذا من الإناس له ﷺ، والاحتفاء به، ورعايته من كيد المعارضين ما فيه، وحظ كل



مصلح من هذه الرعاية حظه من القيام بواجب الحق والرسالة والدعوة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿﴾ دليل هذا المعنى البهيج.

٢ - ما ألطف رعاية الله تعالى لصفيه، وخليله! فقد تولى الرد على أعداء صفيه بنفسه، وبين له شرف هذا الكوثر، وأنه عطاء؛ فكأنه ملكه يتصرف فيه كيف شاء، وصيغة الجمع ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿﴾ تحمل دفناً في ثناياه عظمة المعطي ومكانته، حتى أنه ﷺ فرح بهذا وسر غاية السرور وضحك حتى بدت نواجذه ﷺ، وهذه المعاني وإن كانت خاصة به ﷺ إلا أنها عامة لكل المصلحين ممن هم على طريق الأنبياء.

٣ - ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿﴾ في مواجهة كل العواصف التي تدار حولك، والأحداث التي تختلق في طريقك.

٤ - ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿﴾ يكفي هذا العطاء أنه بدأ بـ«نا» الفاعلين واختتم بكاف التملك. نحن الذين نعطي وأنت الذي تملك بعد عطائنا كل شيء.

٥ - فعلاً الموصول من وصله الله تعالى، والمحروم من حرمة الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿﴾.

٦ - ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿﴾ فهل يستطيع أحد في الأرض من هؤلاء رغم قوته أن يمنع عطاء الله تعالى إليك! مساكين لم ينفعوا أنفسهم فكيف يمنعون غيرهم!

٧ - إذا رضي الله تعالى عنك أعطاك كل شيء ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ﴿﴾ وإذا حرملك لم يبق لك أي شيء.

٨ - رأس مواجهة الباطل وقاعدته العمل الصالح ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ دعوة إلى عدم الالتفات للناعقين عليه ﷺ، والانشغال بالعمل الصالح في مواجهة ذلك الكيد العريض، وهي دعوة لكل مصلح إذا وقف له الأعداء في الطريق، وحاولوا أن يحولوا بينه وبين الحق الذي يحمله أن يمضي إلى ربه من خلال العمل الصالح، وأن يتعلّق بربه تعالى فإنه كافيه تلك العوائق مهما بلغت.

٩ - قيمة أوقات المصلحين كبيرة، ويجب ألا يستفرغ ذلك الوقت في المعارك الجانبية مع العدو، وأن يستثمر في الصلة بالله تعالى، والتوجه والتضرع إليه وفي ذلك من التقوي على العدو، والتحصن منه ما فيه ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾. إن الانشغال بالعدو، والرد عليه في كل ما يطرح، والتصدي له في كل صغيرة وكبيرة ليست من شأن الكبار، وستذهب أوقات كثيرة على حساب الصلة بالله تعالى، ونضوج المشروع، واكتمال بنائه، فعلياً أن نستثمر الوقت غاية الوسع فيما يكون أعود على المشروع من هذا الخصام السافر على أشياء هامشية.

١٠ - ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ دعوة لإدارة الأولويات. إن ثمة أشياء كثيرة تواجه النبي ﷺ، ويحتاج فيها إلى توجيه، فوجهه الله تعالى إلى أهم عمل وأولاه في تلك اللحظة، ودله على طريق العبادة والصدق فيه والإخلاص له؛ فالانشغال به وقت الخصومة أولى وأفضل وأهم من الانشغال بغيره.

١١ - أثر الصدق والإخلاص في نجاح المشاريع، والنصر على الأعداء ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ في مقابل الكيد، والاستهزاء، والسخرية التي يلقاها ﷺ في طريق الدعوة، ولا على الكبار من هذه الأوهام العارضة إذا صدقت النيات، وصلحت الأعمال! إنها دعوة عريضة للتجرد لله تعالى رغم كل عقبات الطريق العارضة.



١٢ - دين الله تعالى ليس صورة مجردة من الواقع، ليس عملاً قلبياً، أو دعوة فكرية لا علاقة بها بواقع الحياة! ليس كافياً هنا تعلق القلب بالله تعالى وهتافه بذكره، كلا! وإنما النزول إلى واقع الحياة، وممارسة شعائر العبادة، وتحقيق الإخلاص فيها ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

١٣ - الشكر قيد النعم، وما قيدت نعمة بمثل شكر الله تعالى! وقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ دعوة لشكر العبادة، والقيام بحقها في مقابل العطاء الكبير والخير العميم الذي أعطاه الله تعالى. وعلى العاقل أن يعرف قدر نعم الله تعالى، ويعلم كذلك أن دوام هذه النعم معقود على قدر شكرها والقيام بحقها. وما ولت نعمة عن صاحبها بعد وصول إلا لنكران لها أو عدم قيام بحقها.

١٤ - المصلحون وصنّاع الحياة وحاملي رايات التغيير يدركون كم هو أثر هذا المعنى في الطريق ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

١٥ - إذا أفلقتك الواقع، وأمضت الانتظار فتوجه إلى محراب مسجدك وأقم الحياة في واقعك من جديد ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

١٦ - قبل أن تخوض معركتك في الواقع اشحذ قلبك في محراب مسجدك، وأرقّ دماء الجزور قربةً لربك ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

١٧ - المسجد هو بداية الثورة الفعلية، ثورة الروح التي تضخ في جسدك كل شيء ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.

١٨ - عظم أثر الصلاة في واقع صاحبها ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ حين تنداح العقبات والمشكلات والأزمات، فليس لها إلا محراب مسجد! ييمّم فيه الإنسان وجهه إلى ربه، ويقبل عليه ليث شكواه، وينزل به حاجته، ويروي له قصة تلك المشكلات التي لاقاها في طريق مشروعه. إن الصلاة صلة وحديث شجن،



ورواية حب بين مخلوق ضعيف عجز عن لأواء الحياة فأقبل إلى ربه يروي قصة عجزه ويث شكواه وهمومه وأحزانه. إن الله تعالى يدعو نبيه ﷺ وقت هجوم الأعداء، وتطاول السفهاء، وعقبات الطريق أن يقبل مخلصاً للصلاة لتنقش كل تلك الغيوم.

١٩ - لا ينبغي أن يتحول مقصود عبادتنا إلى قضاء حوائجنا الشخصية، فالعبادة أرفع من هذا المعنى بكثير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ ﴿٢﴾ لا لقضاء حاجتك، وانتهاء مشكلتك، وانقشاع همومك وأحزانك. بل ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ ﴿٢﴾ وهذا المعنى يأتي على كل ما تريد من آمال وأحلام.

٢٠ - سنن الله تعالى ثابتة لا تتغير، ولن يقف الدعاة والمصلحون يدأبون في طريق الدعوة آمنين في الطريق، سالمين من المعارضين، خالين من الشبه والتهم التي تكدر سيرهم، وتعرض طريق دعوتهم، ولو صفا لأحد طريق لصفا لمحمد ﷺ، لكنها السنن!

٢١ - العقبات جزء من نجاح أي مشروع! وعلى قدر مشروعك وأثره في الواقع تأتي العقبات العارضة في الطريق. إن الإسلام ماض إلى طريق النصر الكبير دون توقف، وفي قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ﴿٢﴾ ما يبين عن ذلك. لقد مضى يشق الطريق أيام قلة المعين والنصير، ومضى غير آبه بأعباء الطريق وما زال، ودين استطاع أن يقف على قدميه تلك الأيام قادر أن يمد في طريق النصر والتمكين. لقد كان الأمل شاهداً على أن المناوشة كانت بين صاحب الحق وحده، وأصحاب الباطل مجتمعين ومضى يشق طريقه باقتدار، واليوم وإن كان الباطل كبيراً فالحق برجاله كثرة، وهم قادرون بإذن الله تعالى على الوصول إلى نهايات الطريق.



٢٢ - ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]

هذه هي الحقيقة التي تقررها سورة الكوثر في نهاية المطاف ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ كم بين دعوى تلك التهمة لرسول الله ﷺ أنه أبتَر، وبين هذه الحقيقة التي تملأ الأرض اليوم! كم بين وعد الله تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وهذه اللحظة من زمن! وهكذا كل باطل فإنه إلى زوال، والحق أكبر من أن يقف لقطاع الطريق، وأهل الباطل مهما كان لهم من السلطة والقوة والقدرة على الوقوف أمام قوة الحق إلا أنهم في النهاية إلى زوال.

٢٣ - ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يوقظك في عتام الليل يخبرك أن سيل الفأل قد حل فما لك وللأس!

٢٤ - ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ حتى لو كان فرداً، جماعة، جيشاً مدججاً بالسلاح، قوة عالمية.

٢٥ - ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ حتى لو كان العالم كله في صف العدو مقابل الحق الوحيد.

٢٦ - إن مشكلة الأعداء الكبرى ليست مع المسلمين، وإنما مع دينهم، وكل من يحمل دين الله تعالى، ويسعى به في العالمين فسيلقى من الكيد والصد والعدوان شيئاً كبيراً، وليس هذا لذاته، وإنما لأنه يحمل المشروع الذي يغيض به الأعداء.

٢٧ - سفه هؤلاء الأعداء! إنما كانوا يعيرون النبي ﷺ بالأبتر بالنظر إلى ولده وأنه لا يبقى له عقب، ونسوا أن الولد جزء من تلك المشاريع الكبرى في واقع الأرض! كم بين ولد ظل عقبة كأداء في طريق والده، وربما تعثر مشروع والده زمناً من أجل عقابيله ومشكلاته، وبين مشروع ظل يسقى قبره من لا ولد له وما زال! إن الحياة تكبر وتتوسع بقدر مشاريع صاحبها وكم من مشروع كان أثمن من أولاد الدنيا كلهم!

٢٨ - الرد على الأعداء فن! إن الله تعالى افتتح الرد على هؤلاء ببشارة تأخذ بقلب نبيه ﷺ، وتكفيه إحباطات الواقع، وجراح المشاعر، وشقة الطريق. لا عليك من كل ما يقال لك فنحن راضون عنك، شاكرون لك، واهيون لك الكوثر. ماذا بقي لك! وماذا تنتظر! قم إلى مشروعك فما ينتظرك عند الله تعالى أكبر من هذه العقابيل التي تعترض طريق سيرك، ورحلة مشروعك في واقع الأرض. كانت هذه البشارة كافية في إزاحة كل العقابيل التي تعترض سيره ﷺ. كانت كافية في مسح كل الأحزان، والآلام، والمشكلات، وهيشات السفهاء! وفي الخاتمة ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ﴿٢﴾.





سُورَةُ الْكَافِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾ قل للكافرين معلناً ومصرحاً.
- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ من الأصنام والأنداد.
- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾ ولا أنتم عابدون الله تعالى.
- ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾ ولا أعبد عبادتكم، فلا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه. وأنتم لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، وهذا على القول بأن في السورة تكراراً وعلى القول بأنه ليس في السورة تكرار تكون الآية الثانية في القبول بمعنى: ولن أقبل عبادتكم، وأنتم كذلك لن تقبلوا عبادتي. فتكون الجملة الأولى

عائدة على الفعل، والجملة الثانية عائدة على القبول والرضا يعني: لا أعبدُه ولا أرضاه، وأنتم كذلك لا تعبدون الله ولا ترضون بعبادته.

• ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الذي أنتم عليه وتدينون به ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ﴿٦﴾ فلا أدين دينكم.

التدبير

- ١ - ﴿قُلْ﴾ دليل على أن مسألة الإيمان بالله تعالى، وترك عبادة ما سواه من محكمات العقيدة، ومسلمات التوحيد، وليست مجالاً للاجتهاد والتشهي.
- ٢ - تجديد الرسالة، وأن النبي ﷺ رسول الله تعالى إلى الخلق، ويبلغ ما أمره الله تعالى فحسب، و ﴿قُلْ﴾ دليل ذلك.
- ٣ - الحق أكبر من أن يتسؤل المعرضين والكافرين في منتصف الطريق، وهذه المفاصلة التي يصنعها النبي ﷺ بالقرآن في بواكر تاريخ الدعوة - رغم الحاجة إلى المهادنة - دليل على قوة سلطان الحق مهما كانت الظروف التي تحيط به ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾.
- ٤ - مسافة طويلة بين الحق والباطل، ولا سبيل للتلاقي في منتصف الطريق. ولا يمكن أن يبنى الحق على شيء من الباطل. وكل من ظن أن هناك نقطة يلتقي فيها الطرفان فقد وهم، وقول الله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢﴾ دليل هذه المفاصلة الكبرى.

٥ - الحق كله من عند الله تعالى، وليس للرسول منه سوى البلاغ، (وقل) هنا تذكير بهذا المعنى وتأصيل له.



٦ - وصف الإنسان بما هو فيه منهج شرعي، وقد وصف الله تعالى القوم هنا بالكافرين، وهو وصف مطابق لما هم عليه تماماً، وكل ملة ليس لها حظ من هذا الدين فهي ملة كفر، وأهلها كافرون، وكل دعوى تخالف هذا المعنى فهي دعوة جاهلية ليس لها في الشرع اعتبار ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١.

٧ - ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ هذا وصفك ولكن لا يعني هذا ضياع حقك، وسفك دمك، ونشوء الخصومة معك. إن رأيت هذا في مشهد فذلك من خلل المفاهيم.

٨ - يجب علينا بلاغك، ولسنا مسؤولين عن قيادك إلى حياض الفضيلة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ٦.

٩ - لا تضاد بين بلاغ الرسالة، ووصف الإنسان بما فيه، فقد خاطب النبي ﷺ هذه الأمة بمنهج الله تعالى بما فيه من وصف كاشف لحقيقة القوم، وكان مثلاً في ذات الوقت على الرقي الأخلاقي الكبير، وليس بين الدعوة والأخلاق تضاد، ولم ينشأ التنازع إلا في أوساط تختلط عليها مفاهيم هذا الدين وأهدافه الكبرى في الحياة.

١٠ - بيان حقيقة الكافرين، وأنهم متمسكون بعقيدتهم الباطلة، غير قابلين للتفاوض من أجل الوصول للحقيقة مطلقاً، وهذا في الأعم الأغلب، وإلا ففي أفرادهم غير ذلك. وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ٢ برهان ذلك ودليله.

١١ - بناء المفاهيم والتصورات حقيقة ضخمة يجب أن تأخذ حقها من أوقات الدعاة والمصلحين، والناظر في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ يجد هذا المعنى واضحاً جلياً.

إن تحرير قضايا الكفر والإسلام ومكانتها من الشرع حقيق ببذل الأوقات والأموال. وجزء كبير مما تحرره هذه السورة هو تصحيح التصورات، وهو الذي

يجب أن يأخذ حقه من الإصلاح ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٣ ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبِدْتُمْ﴾ ٤ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٥ ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ ٦ ﴿﴾.

١٢ - تأكيد قضية البراءة من المشركين في نفوس المسلمين، وأنها قضية كبرى في دين الله تعالى، ولا يستقيم دين الإنسان في الواقع إلا بها، مهما بلغت المصلحة المتوهمه يجب ألا تتجاوز هذه المعاني الكبار. إن المسألة هنا مسألة عقيدة، ويجب أن تفصل من البداية، وأن يظل قلب المسلم يهتف حباً بولاء المؤمنين، ويهتف بغضاً وكراهية بالبراءة من المشركين، ولن يستقيم دين عابد لله تعالى إلا بذلك ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٣ ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبِدْتُمْ﴾ ٤ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٥ ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ ٦ ﴿﴾.

١٣ - خطورة الكفر والشرك على العقيدة، فقد يخرج الإنسان من العقيدة كلها بمجرد قول أو فعل وفي لحظة من الزمن، وتكرار السورة مع سورة الإخلاص في باكر كل يوم، وخاتمته في صلاتي الفجر والمغرب تأكيد على خطورة الشرك ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٣ ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبِدْتُمْ﴾ ٤ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٥ ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ ٦ ﴿﴾.

١٤ - هذا التكرار في السورة إما دليل على خطورة موضوعها، وأنه من أصول الدين، والمساس به خطير ومؤثر على توحيد الإنسان، أو أنه موائم لكثرة عرضهم وتكرارهم ومحاولاتهم في النبي ﷺ فجاء ليقطع تلك الأوهام والمحاولات من أصلها ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٣ ﴿وَلَا اَنَا عٰبِدُ مَا عٰبِدْتُمْ﴾ ٤ ﴿وَلَا اَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا اَعْبُدُ﴾ ٥ ﴿لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ﴾ ٦ ﴿﴾.



١٥ - بطلان دعوة (وحدة الأديان) وأنه لا سبيل للالتقاء بين الحق والباطل، والإيمان والكفر إلا على أساس قبول أحكام هذا الدين وتمثلها في الواقع، وهذه الدعوى دون قيد أو شرط دعوة لاختلاط المفاهيم ببعضها دون وعي ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦﴾.

١٦ - الكفر ملة واحدة، وهذا النداء شامل لكل ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ وليس لمخلوق أو ملة بعد إتيان هذا الإسلام من رأي، إما الالتزام بالحق، أو الكفر.

١٧ - وضوح الهدف والطريق، وأنه لا يمكن أن يحصل لقاء بين الكفر والإيمان في عرض الطريق. إن هذا الرفض ليس للزمن الحاضر الذي تُعرض فيه هذه المطالبة بل هو ممتد في حياة الإنسان كلها دون فرق ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦﴾.

١٨ - الثبات على القيم والمبادئ، وعدم التنازل عنها بحال مهما كانت الحاجة ماسة، والظروف داعية. إن قضايا القيم والمبادئ يجب أن لا تمس لدعوى عارضة، أو لمصلحة متوهمة، ويجب أن تحرس من كل فكرة قد توهنها أو تأتي على أصولها فتضعفها ﴿قُلْ يَتَأَيَّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢﴾.

١٩ - إن منهج المصلحين إيضاح الطريق، والهداية في النهاية بيد الله تعالى! إن النبي ﷺ هنا وضح للقوم الطريق، وجهد في بيانه، وترك لهم الخيار، وعلى المصلحين أن يبلغوا جهدهم في إيصال قيم الدين ومبادئه إلى كل إنسان، وليس



عليهم أن يأتوا بكل من يتوجهون إليهم بالدعوة إلى حياضها. وهذا يريحهم من عناء الاستجابة أو تأخرها، أو التنازل عن شيء من القيم والمبادئ من أجل الإقبال بهم. إن الهداية بيد الله تعالى، وعلينا أن نبين الطريق ونترك الناس فيها بعد ذلك بالخيار ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾.

٢٠ - يجوز أن تنسب إنساناً أو جماعة إلى ما يعتقدون حتى لو لم يكن ذلك الاسم أو النسبة شرعية في دين الله تعالى، وفي قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ ﴿٦﴾ دليل ذلك مع علم الله تعالى ببطلان ما هم عليه.

٢١ - ثمة حاجة وفطرة في نفس كل إنسان للدين، وأنه لا يمكن أن يستغني إنسان في الأرض عن إله، ولذلك إذا ضل الإنسان عن ربه تأججت هذه الحاجة في نفسه للبحث عن إله ومعبود من جنسه، فترى منهم من يعبد البقر، والشمس وبوذا، وأشياء كثر، بما يدل على عظيم الحاجة والفطرة في قلوب الخلق إلى معبود.

٢٢ - ضرورة الدعوة في بلاد الغرب، وأن حاجة تلك الأمم إلى التعرف على الحق تفوق كل حاجة، ولن تستقر قلوب أولئك على وهم، وستظل تشعر أن فراغاً كبيراً يطاردها لغياب الغاية الكبرى من حياتهم، فعلى أصحاب الحق أن يجهدوا في سبيل الوصول إليهم وبيان الحق لهم.

٢٣ - كل الأديان التي ينتسب إليها الناس غير دين الله تعالى أديان ضالة باطلة، وفي قول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ ﴿٦﴾ إشارة إلى هذا البطلان، وأنه دين من عندكم لا علاقة له بالوحي والحق.

سُورَةُ النَّصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

التفسير

- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ لدينه الحق على الباطل ﴿وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾ فتح مكة.
- ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ﴿٢﴾ جماعات.
- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي نزهه تعالى عما لا يليق بجلاله ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ اطلب مغفرته ورحمته ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾ أي كثير القبول للتوبة.

التمهيد

- ١ - ما مهمتك في الحياة؟! ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ كأن السورة تخاطب نبينا ﷺ وتقول



له: إذا تحقق هدفك وانتهت مهمتك وتيسرت قضيتك، فقد انتهى كل شيء. رتب علاقتك مع ربك وأحسن خاتمتك ووداعك لم يبق شيء بعد مجيء هذا النصر الذي كنت تنتظره.

٢ - السؤال لك أنت: ما المهمة التي جئت لها وتنتظر نهاياتها؟ ما دورك؟ ما عملك ورسالتك ومشروعك الكبير الذي تجهد في بنائه، وقطعت فيه شوطاً أو أوشكت على نهايته ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ ٢) كأنه ﷺ ينتظر أمنية وإنجاز مشروع كبير وتحقيق هدف عظيم وها هو ما كنت تنتظره وتؤمله يأتي بعد طول انتظار.

٣ - النصر من عند الله تعالى، وليس لصاحب المشروع من ذلك إلا بذل الأسباب المشروعة فحسب! لقد وصف الله تعالى النصر الذي تحقق لنبيه ﷺ بأنه جاء منه وحده وليس منه شيء للنبي ﷺ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ ١) وإذا كان النصر من عنده فيجب ألا يطلب إلا منه، وألا ينسب في النهاية إلا إليه، وألا يصار إليه إلا من الطريق الذي ارتضاه تعالى. إن هذه الصورة التي تحققت لبنينا ﷺ يتحقق منها شيء لأصحاب المشاريع في كل وهلة، وعليهم أن يدركوا هذا المعنى في حياتهم، فليس جهدهم ولا إراداتهم التي صنعت هذا مجرداً من أسباب التوفيق، وإنما لقوا من توفيق الله تعالى ما ورد بهم إلى ذات النهايات. ومثل ذلك كل ما يلقاه الإنسان من نعمة سواء في نفسه أو بيته وأسرته أو عمله، إنما هي محض نعم الله تعالى وتوفيقه.

٤ - نصر الله تعالى، وتوفيقه لإنسان أو مجتمع، أو أمة لن يأتي معزولاً عن أسبابه المادية، كلا! وإنما هي خطوات وأواصر يأخذ بعضها ببعض حتى تأتي في النهاية بتلك الأماني. إن علينا أن ندرك أن هذا النصر الذي جاء لبنينا ﷺ وهو من الله تعالى بداية ونهاية لم يأت معزولاً عن أسبابه، وإنما جاء في خاتمتها، بعد أن



استنزفت تلك الأسباب دماء جسده ودموع عينيه، وتاريخ حياته كلها، وفي النهاية جاء ذلك الوعد ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١.

٥ - أهمية الهدف والمشروع في حياة كل إنسان! لقد بعث النبي ﷺ بهذا الهدف الكبير، وحمل أعباء هذا المشروع (مشروع الرسالة) وظل ﷺ يعيش لحظات ذلك الهدف والمشروع في كل جزء من حياته حتى تحقق له في النهاية ذلك الحلم الكبير، وقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ تأكيد على عناق النهايات. إن مهمة الكبار كبيرة في كل زمن، ويجب أن تظل رهناً على حجم الأهداف والمشاريع التي يختطونها لحياتهم، ويعيشون لها لحظاتهم، ومن الغبن الكبير أن يعيش الإنسان فارغاً من الأهداف والمشاريع، فيعيش لا أثر له في الواقع، ولا قدرة له على التأثير. وإذا كانت الجنة درجات فإنها على قدر هذه المعاني من حياة إنسان.

٦ - عيش المشروع، وتلهف النبي ﷺ للحظات نهايته، وانتظاره الكبير للحظات، ترى ذلك في تصوير هذا النصر بالقادم بعد طول انتظار ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١ وكل من أراد ذات اللحظة فعليه أن يعيش مشروعه، وهدفه، ويبذل له كل ممكن حتى يصل إلى ذات النهاية التي عانقها النبي ﷺ بعد زمن من انتظار.

٧ - النصر يحتاج إلى زمن كافٍ للوصول إلى نهايته، ومشروعك كذلك، وعلينا أن ندرك أن ثمة مسافة زمنية فاصلة بين البدايات والنهايات! فاصلة بين الأماني والواقع، وكل من ينشد النصر لمشروعه أو واقع أمته فلا بد أن يدرك هذه المسافة الفاصلة بين البداية والنهاية، ويعمل في ضوئها حتى تأتي في يومها الموعود.

٨ - إن قناعة الناس بالحق لا تأتي مبكراً، وقد يطول زمان انتظارها! وقد تحتاج إلى صور من العمل والبناء والتضحية والتطبيق حتى تأتي إليه رغبة في اعتناقه

بهيجة به في الحياة، وفي قول ربك: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ٢ ما يصور تلك الأفواج القادمة لعناق الإسلام، وقد طال زمان انتظارها. إن علينا أن نبذل كل ما يمكن لتحقيق غايات دين الله تعالى، وعلينا في المقابل أن نحسن تقديم دين الله تعالى، وألا نقف للعوارض مهما كانت، وستأتي لحظات النهاية بأروع ما يكون.

٩ - الدين دين الله تعالى، ويجب أن تصاغ مشاريع الأمة كلها باتجاه هذه الغاية الكبرى، وأن تحمى من الهوى، والانتماءات الباطلة، والحزبيات، وأن يتحرك الإنسان في مشروعه أو هدفه أو حزبه وجماعته على ضوء هذا المعنى، وألا يخالطه شيء من أغراض النفس البتة ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ٢.

١٠ - ثمة صلة كبرى بين الشكر والتوفيق! الأول ساق وجذر، والثاني ورق ومورق بالثمار! سبب ونتيجة لم يفترقا في لحظة زمن، ويمضيان سنة إلهية إلى قيام الساعة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ٢ وما حق تلك النعم الوارفة عليه ﷺ إلا هذا الإجلال من الشكر والعرفان! وإذا كانت هذه الرسالة لأعظم الخلق فغيره أخرى بها وأولى.

١١ - حاجة الإنسان الكبرى إلى ربه تعالى! وما من نعمة ينالها إنسان إلا وهي فضل من الله تعالى، ومنة على عبده، وعلى الإنسان أن يعي واجبها، ثم يعي في المقابل تقصيره عن أداء شكرها والقيام بحقها، ولذا أمر ﷺ مع كل ما كان يقوم به من حق بالاستغفار، والاستعتاب من ربه تبارك وتعالى في نهاية الطريق.

١٢ - حين تواجهك مشكلة، أو تعرض لك في الطريق محنة، أو تلقى عقبة، فعُدْ إلى ربك، وانطرح بين يديه راجياً منه التوفيق والعون، وتعلم مسائل التضرع والخشية والفقر قبل أن تتوجه لمخلوق في الأرض يهبك من عونه وتوفيقه. إذا كان الله تعالى يعلم نبيه ﷺ هنا إحسان العمل والإقبال عليه وقت النصر شكراً



للنعمة، فكَذَلِكَ وَتِ الْمَشْكَلَاتِ وَالْعَوَاقِقَ أَحْوَجَ وَالْطَّفِ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾.

١٣ - عناية الله تعالى بنبيه ومحَبته له، ورعايته له في كل طريق ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ بعض من ذلك المعنى الكبير الذي
كان يلقاه وهو يقوم بهذا الواجب الكبير.

١٤ - إذا تحقق لك نصر، أو أتم الله تعالى لك مشروعك، أو قَرَّبَ لك مسافات
النهاية في قضيتك، فجمِّل ذلك بخلق التواضع والخضوع لربك تعالى، وفي قول
الله تعالى: ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ ﴿١﴾ دعوة لهذا المعنى، فليس لك منه شيء، وتأصيل له
في نفس النبي ﷺ، وقد تجمِّل بذلك ﷺ في تلك اللحظة فدخل مكة مطأطأً رأسه.
١٥ - قد يتأخر النصر على الجماعة المؤمنة في جزء من أرض الله تعالى إما لأن
أدواته لم تستكمل في حياة المؤمنين بعد! أو لعدم تمايز الصف بين الفريقين، أو
لحكم يشاؤها الله تعالى من اتخاذ الشهداء، أو تمحيص المؤمنين فلا يجزع
المؤمنون من طول الطريق وشقته، وإنما عليهم أن يستمروا دون نظر إلى عاجل
العواقب أو جني الثمار.

١٦ - للنصر صور كثيرة، هذا الذي حصل للنبي ﷺ هو أحدها، وثبات المؤمن
على الحق، وتسمكه به زمن الفتن، والمضي في مشروعه الذي اختطه لنفسه رغم
العقبات العارضة نصر عاجل يستلذ به المؤمن في عرض الطريق.

١٧ - سمو هذا الدين وجماله وأثره على أصحابه، ترى ذلك في فرحهم بالنصر
ودخول الناس في دين الله تعالى دون اعتبار لمواقف سابقة مهما كان رصيدها في
الطريق. بل ترى الواحد منهم يلقى أخاه بعد إسلامه فكأنه يلقى أقرب الناس منه،
وأحبهم إليه، وهذه صور تتكرّر إلى زماننا هذا، وكل ذلك بعض معاني الإيمان
في نفوس أصحابه.



١٨ - رحمة الله تعالى بعباده، وشفقته عليهم، ترى ذلك من خلال ما شرع لهم من العبادات التي تسد خللهم ونقصهم في القيام بواجب ربهم تبارك وتعالى ﴿٢﴾ فسَيِّحٌ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ ﴿٣﴾ وهذه الرحمة شريعة ممتدة في كثير من العبادات كالصلاة، والحج، وقيام الليل، وكفارة المجالس، ونحو ذلك مما تراه في شريعة الله تعالى.

١٩ - ضرورة العناية بالطاعات، والأعمال الصالحة، والمشاريع المباركة، والحرص على استيعاب رحلة الإنسان كلها في طاعة الله تعالى حتى إذا ما رحل الإنسان من الدنيا رحل وهو على خير وبر، وفي الترمذي قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» فقل كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت».

٢٠ - أثر الكبار في عمارة الأرض، وفوات حظ الأمة منهم على قدر مشاريعهم فيها، ترى هذا من خلال الإجلال والاحتراف والتوديع لرسول الله ﷺ، حتى إن السورة كلها سميت سورة التوديع كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه.

٢١ - لا يحملك الفوز والنصر وبلوغ النهايات في مشروعك على الكبر والعجب، فليس ذلك من خلق الكبار، ولذلك جاءت الدعوة إلى التسبيح والاستغفار من الذنب، فإنه حري بأن يذكره بواقعه، ويريه منن الله تعالى عليه ﴿٢﴾ فسَيِّحٌ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ ﴿٣﴾.

٢٢ - لا تستبطئ أحداً في عرض الطريق، فكم من إنسان قادم يحتاج إلى صبر حتى يلحق بركب المؤمنين! كم بين هذه الأفواج الداخلة هذه اللحظة في دين الله تعالى، وبين بداية الدعوة! مسافة طويلة ظلوا فيها عقبة كبيرة في طريق الحق حتى شاء الله تعالى أن يأتوا إليه مدعين.



٢٣ - إن مهمة الجهاد الكبرى وغايته إزاحة العقبات العارضة في طريق المؤمنين، ولم يكن مقصود الجهاد من لحظة تشريعه إزهاق الأرواح، وإنما كان وسيلة لفتح المنافذ حتى يتمكن الناس من رؤية الإسلام على حقيقته.

٢٤ - الاستغفار استعتاب من الله تعالى على التقصير في حقه، وقد أمر به من غفر الله تعالى له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، فحاجة غيره من باب أولى. علينا أن ندمن هذا المعنى في سائر حياتنا، وأن نستوثق منه لكثرة خطايانا وذنوبنا، وأن نمثل أمر الله تعالى ونحقق مراده في الأرض ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ (٢).

٢٥ - الدعاء عبادة من العبادات، وينبغي ألا يجري على لسانك في كل وهلة وأنت ترقب به حظك منه، وتحقيق مقصودك فيه، وإنما عبودية لله تعالى، تفعله وأنت تشعر أنك تتعبد لله تعالى به، ترى هذا المعنى في الدعوة إلى التسبيح والاستغفار وقت النصر ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ (٣).

٢٦ - الإكثار من التسبيح والاستغفار من أعظم ما يعين على تحقيق مطلوبك في الدارين! إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بهما في أعظم أوقات الحاجة لديه وهو وداعه من هذه الدنيا واستقبال الدار الآخرة، ولذا كان كثيراً ما يردده ﷺ في آخر حياته كما أخبرت بذلك زوجته عائشة رضي الله عنها ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ (٢).

٢٧ - سعة رحمة الله تعالى، وجميل عفوه، ترى ذلك في وصف نفسه تعالى بالتواب ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٢) وهذا المعنى كبير في قلوب المتقين، وهو دعوة إلى كمال القرب والتعلق، وبذل الوسع والجهد، وعدم اليأس من غفران الذنب مهما كان حجمه وأثره.

٢٨ - ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٢) دعوة لمكارم الأخلاق، فلولا أن الله تعالى يحب العفو والصفح لما كانت هذه الصفة على سبيل المبالغة، وإذا كان الله تعالى يحب



هذه المعاني فجميل أن يتمثل بها عبده، وأن يعيش معانيها في حياته، وأن يعفو ويصفح عن كل إنسان بادره يوماً بسوء، وأن يظل يرفع هذه الصفات التي يحبها الله تعالى ويتدبر بمعانيها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢٩ - هذه البشائر التي يزفها الله تعالى في هذه السورة هي خواتم كل مشروع قام جذره على الصدق، والإخلاص، واستوعب كافة الوسائل والأسباب الممكنة للنجاح، وكل مؤمن صادق في الطريق إذا تحقق في مشروعه هذه المعاني كان موعوداً بذات النهايات.

٣٠ - ينبغي أن يخبر المريض بخطر مرضه، أو قرب نهايته لكن في ثوب رائق من الأسلوب بما يمكنه من الاستعداد والامتنال، ولا يحمله على الخوف والضجر والجزع، والسورة كلها جاءت لهذا المعنى، وقد فقهاها الحبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما من بين كبار الصحابة رضي الله عنهم.

٣١ - دعوة للاستعداد بالعمل قبل الموت، وإن كان هذا عاماً في كل لحظة من حياة الإنسان لعدم معرفة زمن موته، إلا أنه حقيق بالعناية بعد طول عمر الإنسان أو وجود ما يعرض من الأمراض، والله المستعان!

٣٢ - دعوة للتفاؤل! وإذا قرأ الإنسان سيرة هذا النبي ﷺ وقرأ لحظات البداية في أفياء مكة، أو ساحات الطائف، وقرأ المؤامرات والحروب التي شنت، والخيانات التي حيكت له ﷺ وقرأ اليوم هذه السورة وهو يحتفي بالنهاية أدرك أن الحق يمضي لا يمكن أن يعيقه شيء في الطريق.



سُورَةُ الْمَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا
كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَأَتُهُ
حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

التفسير

- ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خسر وخاب وضل عمل وسعي أبي لهب ﴿وَتَبَّ ①﴾ فلم يربح، وهي خبر بمعنى أنه تأكد خسارته.
- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ ما نفعه ماله الذي حصله ﴿وَمَا كَسَبَ ②﴾ وما نفعه ما كسبه في الدنيا من شرف وجاه.
- ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③﴾ سيحرق بنار ذات لهب وشرر عظيم، وذلك يوم القيامة.
- ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ زوجته وهي أم جميل، أروى بنت حرب ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④﴾ تحمل الحطب وتلقيه في طريق النبي ﷺ.

- ﴿فِي جِيدِهَا﴾ فِي عُنُقِهَا ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ مِنْ لَيْفٍ مَفْتُولٍ، وَكَانَتْ تَخْرُجُ بِهِ إِلَى الصَّحْرَاءِ لِتَرْبِطَ بِهِ الْحَطَبَ الَّذِي تُؤْذِي بِهِ النَّبِيَّ ﷺ.

التدبير

- ١ - أعظم خسارة يلقاها الإنسان في تاريخه كله حين يصنع من نفسه خصماً لدوداً لدين الله تعالى في الأرض. ماذا بقي لأبي لهب من ذلك الجاه الكبير الذي كان يسير به في مكة حين وقف في طريق الإسلام إلا هذه الخسارة الكبرى للدارين؟!
- ٢ - أخطر ما يواجه الإنسان في حياته نفسه التي بين جنبيه، وكم من هوى وعجب وكبر أغار على صاحبه في لحظات فأذاقه الخسارة للدارين، ما لهذا الشقي ولدين الله؟! خاف أن يذهب ذاك الشرف وتلك المسؤولية معارضاً مستوثقاً من الباطل بكل ما أوتي من قوة.
- ٣ - غالباً ما تكون المسؤوليات، والمناصب سبباً في انحراف الإنسان عن الحق، ذلك أن شهوات النفوس تغلب أصحابها، وتكتب عليهم هذه المسؤوليات واجبات وهمية تعارض الحق وتقف في طريقه إلا من وفقه الله تعالى وهداه للطريق ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.
- ٤ - كثيرة هي الانتصارات الوهمية التي يصفق لها الإنسان، وتذهب في النهاية لحظاتها دون شيء! حين وقف أبو لهب أمام تلك الجموع قائلاً: (تباً لك ألهذا جمعتنا؟! صفق كثيرون، وها هو في النهاية يكتشف وهم الانتصار الذي كان يعيشه تلك اللحظات.
- ٥ - الأموال، والمسؤوليات التي يهبها الله تعالى لإنسان إذا لم تكن عوناً له على الحق، وإلا كانت سبباً كبيراً في خسارته للدارين. لا ينفع إنساناً مالٌ لا غاية له،



ومسؤولية لا هدف لها في الحياة! ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

٦ - جزاء كل إنسان على قدر عمله ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ دليل على كبير ما يلقاه هذا الهالك غداً بين يدي الله تعالى، وما ذلك إلا لكبر عداوته للحق، وإفساده في الأرض.

٧ - حقائق القرآن لا تقبل التغيير ولا التبديل، أخبر الله تعالى هنا عن مصير أبي لهب وماله ولم يتمكن أبو لهب من تكذيب هذه الحقيقة رغم أنها عاشت معه زمناً طويلاً ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾.

٨ - (عيش المشروع) كان واضحاً جلياً في سيرة هذا الهالك، عاش لمشروعه وبذل له كل ما يمكن من حياته، يصوّر هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد من حديث ربيعة بن عبّاد الديلمي رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تُفْلِحُوا، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا مِرَاراً وَالنَّاسُ مُتَصَفُّونَ عَلَيْهِ يَتَّبِعُونَهُ، وَإِذَا وَرَاءَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ وَضِيءُ الْوَجْهِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِيٌّ كَاذِبٌ، مَرَّتَيْنِ فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا، فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ. وعلى ذات الطريق صحب وأعوان لهذا الهالك يعيشون مشاريع، ويجهدون أن يحولوا بين الناس وبين دين الله تعالى، وأهل الحق أولى بأن يعيشوا مشاريعهم كما عاش هذا الهالك لمشروعه وأعظم.

٩ - تحزيب البيوت لصالح المشروع، ترى ذلك ظاهراً في سيرة زوج أبي لهب وهي تقف في الطريق ذاته، وتنصب نفسها لذات المشروع، وتجهد بكل قوة في إعانة زوجها على بلوغ غاياته ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤﴾ ليس عملاً عارضاً، وإنما جهد مشروع تحمل به طموح زوجها، وتعيّنه على عناق النهايات.



لم تكن المسألة في بيت أبي لهب مسألة شكوى من انشغال زوجها عنها، وسيطرة مشروعه على وقته وفكره فضلاً عن الوقوف دونه ومعارضته، وإنما تحولت إلى ولاء ظاهر، وخروج عن جدران البيوت إلى ممارسته في الواقع، وبذل كافة ما يمكن من جهد لتحقيق غايات ذلك المشروع.

١٠ - سوء مآل كل المتعاونين على الإثم والعدوان، هذه امرأة أبي لهب حين كانت عوناً على الباطل، ومساعدة في العدوان صارت في النهاية إلى الخذلان ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ④.

١١ - هذا هو طريق الدعوة، سيظل مليئاً بالعقبات، والآلام، ولن تأتي اللحظة التي تستقر فيها راحه، ترى هذا من تلك اللحظات التي بدأ فيها ﷺ أول خطوات الدعوة، وما زالت إلى يومنا هذا على ذات الطريق، وهذه السنة ستظل باقية ما بقيت الدنيا، وعلى أهل الحق أن يدركوا ذلك، وأن يفقهوا هذا المعنى، وألا يقعدوا حين يرون عدواً مستبدّاً، أو جولة لأهل الباطل؛ فتلك سنن ستأخذ حظها من الواقع، ثم تزول مع مرور الأيام ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤.

١٢ - سيظل الإسلام يملأ الدنيا بواقعه، وقد استطاع أن يقف على قدميه أيام النزر اليسير، وأن يغير على الواقع المظلم فيبدد ظلامه، ويهدد استقراره، ويمضي رغم قلة المعين، وظروف الطريق، وكلما مر الزمان زاد ثقة وكثرة! ودين هذه طبيعته وهذا واقعه يجب أن يملأ قلوب أصحابه ثقة وتفاؤلاً، وهذه السورة نافذة على هذا الأمل الكبير، فما صنع أبو لهب! وما صنعت قريش! وما صنع النفاق! باءت كل المحاولات التي حاولت أن تقف في عرض الطريق بالفشل، وعاد أصحابها عبرة، وهذا هو الإسلام آخذ في المضي إلى حين لقاء رب العالمين.



١٣ - رعاية الله تعالى لأوليائه، وحفظه لهم، ودفاعه عنهم، ترى ذلك في هذه السورة التي رد الله تعالى بها عن رسوله ﷺ صولة هذا الكافر وعدوانه عليه، ومواجهته له. وللمصلحين من بعده ﷺ هذا المعنى على قدر متابعتهم، وإخلاصهم، وقيامهم بمشاريعهم في الحياة ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) ﴿١﴾.

١٤ - تسلية قلب النبي ﷺ، وقلوب الدعاة، والمصلحين وأصحاب المشاريع من بعده إلى يوم الدين أن الله تعالى معهم ضد كل عدو في الطريق، يدفع عنهم مكر الماكرين، ويصد عنهم عدوان الكافرين والمنافقين ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) ﴿١﴾.

١٥ - عظيم حق النبي ﷺ، لقد تولى الله تعالى الدفاع عنه، وجعل سورة من كتابه تتلى على رؤوس الأشهاد تسب من تعرّض له إلى يوم القيامة، وكل من تعرّض للنبي ﷺ اليوم بعد وفاته، فهو موعود بأسوأ النهايات. وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ، فكيف بالتعدي على جناب الكبير المتعال جلّ في علاه! ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) ﴿١﴾.

١٦ - الهداية بيد الله تعالى، وقد هتفت الدعوة بقلوب كثيرين، ولم تلق رواجاً وقبولاً لدى أقرب الناس إلى صاحبها ﷺ، فهذا عم النبي ﷺ شرق بها ولم يقبلها، وراح يقف في طريقها بكل ما يملك ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] وما أخرجنا اليوم إلى فقه هذا الدرس الكبير! كم من مستفيد ومهتدٍ من آثار الدعاة! وبيوتهم وأقرب الناس إليهم لم تلق ذلك الرواء الذي لقيه الآخرون. إن علينا أن نمنح بيوتنا حقها من الدعوة، والعناية، والاهتمام، وعلينا مع ذلك أن نؤمن أن الهداية شيء بيد الله تعالى ولا نملك سوى الدلالة.

١٧ - الجزاء من جنس العمل! وقف أبو لهب أمام الدعوة، وخرج لها سافراً في كل مكان، وصاح بأعلى صوته: (تباً لك إلهذا جمعتنا)، وجاء الجزاء على قدر تلك



الأعمال، فجعل الله تعالى له راية سوداء تهتف به في كل زمان ومكان، وهذا يدل على خطر المبادرة وأنها حاملة الراهية، فإما أن تكون في الخير وتجري على صاحبها النعيم مدى العمر، أو في السوء وتجري على صاحبها السوء ما بقيت الحياة.

١٨ - كل معارض للدعوة، واقف في طريقها، حائل بينها وبين بلوغ غاياتها الكبرى موعود بذات النهاية التي لقيها أبو لهب، والتاريخ شاهد، وصدق القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
وما يصنع عود أمام جبل، وحفنة تراب أمام سيل هادر، لكنها سوء النهايات ﴿تَبَّتْ
يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

١٩ - لا عبرة في دين الله تعالى إلا بالعمل! هذا شريف قريش وكبيرها وسيد من ساداتها حين وقف في طريق هذه الدعوة، ورفض أن يشرب من هذا المعين لم يعبأ به الإسلام ولم يقم له وزناً، وذهب حكاية سوء في عرض التاريخ ﴿تَبَّتْ
يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

٢٠ - دين الله تعالى لا يحابي أحداً لجاهه، أو سلطاناً، أو أسرته، ومسؤوليته، وإنما يعامله بمقتضى عمله وفعله، فهذا أبو لهب من رؤوس قريش، وصاحب مقام وسلطان، ومن بيت النبي ﷺ وتذهب السورة تنادي بنهايته، وتبين عواره في الدارين ﴿تَبَّتْ يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

٢١ - كشف المنافقين، وفضحهم منهج شرعي، وسيرة هذا الضال جاءت في سورة كاملة تقرأ في مجالس المسلمين، ولقاءاتهم، وفي كل مكان. على أن هذا المنهج يجب أن ينضبط بضوابط الشرع، وألا يكون سبيلاً لاتهام الخلق، وتسويق الشائعات، ونقل الأخبار المكذوبة، والتقوّل على الخلق بغير حق، وأن يتحرى الإنسان فيه قدر وسعه لأن المسألة مسألة دين، وهي كذلك مبنية على قضية المصالح والمفاسد، فعلى الإنسان أن يرعى حقها وحدودها ﴿تَبَّتْ يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.



سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

التفسير

- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا شبيهه ولا عديل.
- ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ②﴾ الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم.
- ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ③﴾ لكمال غناه.
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④﴾ لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله تبارك وتعالى.

الأسئلة

- ١ - الحجة لا تقارع إلا بالحجة، والشُّبه لا ترد إلا بالعلم. (قُلْ) هنا رد على سؤال الكافرين (انسب لنا ربك)، وهذا هو الأصل أن تقارع الحجج ببعضها، وأن يأتي العلم



على مظان الشبه. ونحن في زمان كثرت فيه الفتن، وأثيرت فيه الشبه، ورُكِّز على المتشابه محاولة لخلخلة مفاهيم النص الشرعي، وإضعاف مقوماته، وعلى طلاب العلم أن يدركوا شأن العلم والتحصن به، ورعاية مقامه حتى يتمكنوا من الوقوف أمام هذه الفتن والتصدي لها. ولا أقل من أن تضبط هذه المسائل التي يروج لها الإعلام، وتفقه بفقهاء الشرعي، ويتحصن بها أصحاب الحق للرد على أصحابها حين تثار.

٢ - كمال الله تعالى وعظيم سلطانه، ترى ذلك من خلال اشتمال السورة كلها على وصف الله تعالى، ومقتضيات هذه الصفات تعظيم الله تعالى، وإقامة شعائره، والقيام بحقوقه، والوفاء بواجباته، ألا ترى كيف رعى الصحابي حقها، فكان يختم بها في ركعته من كل صلاة، ولما سئل عن ذلك قال: (إني أحبها) فقال له ﷺ: (حبك إياها أدخلك الجنة)! ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

٣ - ما أخرجنا إلى قراءة هذا الوحي قراءة مشاعرية! وما نصنع بحرف نرده دون وعي! ويأسرني في هذا المعنى فقه الصحابي لهذه السورة التي يختم بها كل ركعة، ويوجب على سؤال نبيه ﷺ أن الحامل له على هذا المعنى الشوق لربه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

٤ - إذا قام في قلبك مخلوق رغبة أو رهبة فَرِّدْ على هذا الشرك الخفي بوحى سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

٥ - إذا تواعدوك في طريق، أو عرضوا لك في قضية، أو اجتمعوا عليك في مكان، فعلق نفسك بهذا المعنى الكبير ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.



٦ - إذا رغبت في مدح أو ثناء أو كرم مخلوق فَأَرْقِ نفسك مراراً بسورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

٧ - لا توقع أسفل الورقة التي كتبتها، أو الخطاب الذي حررته، أو المسألة التي شاركت فيها، فالله يعرف تفاصيل الحكاية كلها ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

٨ - حين تصوّر نفسك في أي وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي راقب نيتك، وتنبه لتوجه قلبك، فالله أولى بك من كثيرين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

٩ - إذا رأيت من يطوف بالقبور، أو يعظم الأولياء، أو يمدح في مسؤول أو يعدد في مناقب منافقين فناده بسورة الإخلاص علّه أن يكون من الموحدين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

١٠ - يجيب دعوة أخيه في الزواج، ويسافر لها سفرراً تُقصر فيه الصلاة، ويدفع آلاف الريالات، وكل ذلك لغير الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

١١ - يحضر صلاة الجنازة، ويشارك في دفنها، ويعزي صاحبها وتغيب عنه مباحج النية، كل ذلك من أجل أن يشكره صاحب الجنازة ويثني عليه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

١٢ - في أوساط النساء ترى صوراً كثيرة ومثيرة في الوقت ذاته من المشاركة في مناسبات بعضهن، والمؤسف أن كثيراً منها لغير الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١)

اللَّهُ الصَّكْمُ ② لَمْ يَكِلْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا ④.

١٣ - حضرت زواجه ولم يحضر زواجي، وعزيتة ولم يعزيني، وزرت مريضه ولم يزرنني! هذه مظاهر الرياء تتكاثر في أوساط كثيرين، وإمامهم يقرأ شبه يومي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّكْمُ ② لَمْ يَكِلْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدٌ ④﴾.

١٤ - حتى مركوبه، وبيته، وثوبه باتت تتسابق على غير الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّكْمُ ② لَمْ يَكِلْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدٌ ④﴾.

١٥ - إذا مرض استنفذ كافة خيارات العلاج عند الخلق، فإذا لم يجد براءً عاجلاً توجه من جديد إلى الرب ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّكْمُ ② لَمْ يَكِلْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدٌ ④﴾.

١٦ - يعرف كثير من عناوين المستشفيات، وأرقام الرقاة، وجهات المعالجين بالطب الشعبي، وقد لا يبذل من وقته للعلاج الشرعي إلا النزر اليسير، والله يردد على مسمعه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّكْمُ ② لَمْ يَكِلْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدٌ ④﴾.

١٧ - باب الأسماء والصفات من أعظم ما يبيني قضايا التوحيد في النفوس، وقد جعل الشارع هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وليس فيها سوى صفات الله تعالى. وهي الطريق التي يتعرف بها العباد على ربهم تبارك وتعالى، فكيف لو علم العبد حق العلم وفقه حق الفقه أن الله تعالى هو الحي الكبير العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد، وعلم مقتضى ذلك، وأنه لا ينفع إلا هو، ولا يضر سواه، وأنه لا مانع لما



أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وأن ما أراد الله تعالى كان، وما لم يرد لم يكن، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه! وكيف لو علم أنه يسمع ويبصر، وأن ما يحدث في الكون مهما دق أمره وقل شأنه فإن الله تعالى يراه ويبصره، وأن سمعه وبصره وعلمه يبلغ ما خفي وما بطن ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

١٨ - جعل الشارع قراءة هذه السورة سنة راتبة في راتبة المغرب، وراتبة الفجر، وركعتي الطواف تذكيراً بهذا المعنى الكبير فيها، وسورة أولها الشارع هذه العناية حقيقة بالعناية، وهذا المعنى أعني (باب التوحيد) من أعظم ما ينبغي أن يركّز عليه في دعوة الناس إلى الحق فإن من صح له توحيده صح له كل شيء، ومن تعلّق بالله تعالى ثبت أمام عوارض الفتن، والشبهات، والشهوات. وكل أبواب الدعوة هي فرع من هذا الأصل الكبير ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

١٩ - فقر العبد، وغنى الخالق، ألا ترى أنه لا سبيل لغنى المخلوق إلا بالاستعانة بربه تعالى، واللجوء إليه، والاعتصام به، ومن معاني الصمد صمود الخلائق إليه، وتعلقهم به، وحاجتهم إليه فهم مفتقرون إلى ربهم في كل شيء، وهذا من أعظم الأدلة على غناء الله تعالى وكماله جل في علاه ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢)﴾.

٢٠ - إثبات كمال الله تعالى، ترى ذلك من خلال إثبات صفاته في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢)﴾، ونفي النقائص عنه في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾.

٢١ - الدعوة للحرية، والتحرر من القيود التي تكبل الإنسان من التعلق بالمخلوقين، ورجائهم، والتوسل إليهم، والرغبة فيما عندهم، ومن قرأ هذه

السورة وأعطاهما حقها من التدبر في صفاته تضاءل في عينه الخلق، وتعلق قلبه بالله تعالى، وأدرك أنه حر من كل قيد يفرضه الخلق على عباد الله تعالى في الأرض. ومن صفا له التوحيد صفا له كل شيء ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ (٢) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤).

٢٢ - تأجير العقول مشكلة أزلية، لقد جاءت هذه السورة كلها في وصف الله تعالى، وكمال سلطانه، وعظيم قدرته، وعدم مساواة أحد من الخلق له، ومع ذلك لم يسمح كثير من عباد القبور والأولياء لعقولهم بالتأمل في معنى هذه السورة وما أرشدت إليه ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ (٢) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤).

٢٣ - كمال شفقة الله تعالى بخلقه، وهذه السورة التي يصف الله تعالى فيها نفسه، ويبين لخلقه عن قدرته وكماله تعليم لهم بصفات جلاله، ودعوة لتعظيم شعائره، والقيام بحقه، وأداء واجباته على أكمل الوجوه وأتمها ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ (٢) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤).

٢٤ - الصدق والإخلاص مع الله تعالى في كل شيء، فإذا كان الله تعالى أعظم مطلوب ومرهوب، فما ينفع إنسان توسله بغير ربه! وما يغنيه رضا مخلوق أو غضبه:

إذا صح منك الود فالكل هيّن

وكل الذي فوق التراب تراب

وفي حديث نبيك ﷺ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

٢٥ - الرد على اليهود، والنصارى، والمشركين؛ فكل هؤلاء نسبوا لله تعالى الولد، فقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون: الملائكة بنات الله تعالى، فتولت السورة القضاء على هذه الأفكار

والأوهام والمعتقدات ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ ٢ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤.

٢٦ - جلاء منهج التلقي، وأنه لا يمكن أن ينضبط للإنسان سيرة وسلوك إلا حين يكون التلقي من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، (وقل) هنا إشارة إلى هذا المعنى، وكل انحراف أصاب الأمة فإن أصله من هذا الطريق ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١.

٢٧ - الرد على أهل البدع، والشركيات، فكون الله تعالى واحداً أحداً يدفع كل وهم يتعلّق به أهل الشرك من الأعوان والنصرء والأولياء ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١.

٢٨ - إن الله تعالى ليس كمثله شيء، وعلى هذا؛ فكل صفة صحت لله تعالى في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ وتتحد مع المخلوق في الاسم، فلا يتأتى على بالك أو علمك أو فكريك شبهها بصفة المخلوق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١.

٢٩ - كل ما دون الله تعالى فهو ضعيف فقير محتاج مهما بلغ ملكه وسلطانه ومسؤوليته، وفي قول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤ بيان لهذا المعنى وتأكيده.

٣٠ - حين تقرأ هذه السورة، فهي حديث الخالق عن نفسه، ووصفه لها، فهب لها من قلبك، ومشاعرك، وتفكيرك ما يبعث فيك إجلاله تعالى، والقيام بحقه واستشعار عظمته وسلطانه في واقع الأرض، وحين تأوي إلى فراشك فانث بها مع أخواتها الفلق والناس؛ فإن رسولك ﷺ قال: «ما تعوذ بمثلهن أحد» ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ٢ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ ٢ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤.

سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ
شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي
الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

التفسير

- ﴿قُلْ﴾ متعوذاً ﴿أَعُوذُ﴾ ألجأ وألوذ وأعتصم ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ بفالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.
- ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ من شر جميع المخلوقات ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ أي الليل وما يكون فيه من الشرور.
- ﴿إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾﴾ إذا دخل.
- ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ ومن شر السواحر اللاتي يستعنّ على سحرهن بالنفث في العقد التي يعقدنها على السحر.
- ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ ومن شر الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود.



التدبر

١ - قيمة العلم في العمل به، وما ينفع إنساناً يعرف أثر العلم ولا يعمل به، ولا يطبّق ذلك في حياته! والاستعاذة هنا نوع من العمل بالعلم وإثراء لحقيقته، وتطبيق لآثاره في الواقع.

٢ - كل علم لا يترتب عليه عمل فاربأً بوقتك أن تبذله في قراءته أو تعلّمه، وما يصنع إنسان بركام حرف لا قيمة له في واقع الحياة! ما رأيت كثرة للعلم مثل ما رأيت في زماننا، وما رأيت إدباراً عن قيمه ومعانيه ومثله وتطبيقه في الحياة كما رأيت في مثل هذا الزمان. ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ دعوة لتحويل هذا العلم إلى ساحات العمل والتطبيق.

٣ - رأيت في وسائل التواصل الاجتماعي من يدفع المعارف والمعلومات كما يدفع أبنائنا الكرة في الملاعب، كل يود أن ينفع بها غيره، والحقيقة أن كلاً منهم يود أن يتخلّص منها، ويخرج من تبعاتها، وإذا لم تُسعد نفسك بالعلم فلن تستطيع أن تُسعد به غيرك.

٤ - كان أحدهم يربي نفسه على العمل، فلا تمر به معلومة حتى تأخذ حظها من التطبيق في حياته ولو لمرة واحدة، وعلى مثل هذا المعنى تنداح ذكريات العاملين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١).

٥ - ما أشد حاجة الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى! وإذا كان الأنبياء مع عظم شأنهم ومكانتهم عند الله تعالى علّمهم ما يقيهم الشرور، ويدفع عنهم غوائل السوء فكيف بغيرهم من العباد! ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴿قُلْ﴾ هنا لرسوله ﷺ وهي في الوقت ذاته لكل فرد من أمته.



٦ - الوقاية منهج شرعي، ومن كمال عقلك أن تحول ما بينك وبين الشرور العارضة في الطريق بالأسباب الواقية منها. وكم من تفريط في هذا المعنى أوجب نهاية سوء! توقف بعض طلاب العلم عن القراءة مع شغفه بها سنة كاملة لا يستطيع أن يمد يده إلى كتاب، وآخر توقف مشروعه من أصله، وثالث ساءت ظروفه، ورابع وخامس وعاشر، وقد قال نبيك ﷺ: «العين حق» وأثبت أن في العالم شروراً تحتاج إلى توقٍّ واحتراس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤.

٧ - التوكل على الله تعالى ليس معنى قلبياً مجرداً عن الأسباب، وإنما هو بذل للأسباب الشرعية مع توكل القلب، وتعلقه بالله تعالى في كل شيء، و﴿قُلْ﴾ هنا دعوة لفقه الأسباب وأثرها في دفع غوائل السوء ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ①.

٨ - في مخلوقات الله تعالى شر، ولذلك شرعت الاستعاذة بالله تعالى منها، وهي من كمال حكمة الله تعالى وقدرته، ويترتب عليها من حُكْمِ القضاء والقدر شيء كبير؛ فهي شرور نسبية، فلولا هذه الشرور لما عُرف الإيمان من الكفر، والصبر من الجزع، والإيمان بالقدر من سوء الظن بالله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤.

٩ - من دلائل علمك، وكمال أدبك مع ربك ألا تنسب الشر إليه كما في دعاء نبيك ﷺ: «والشر ليس إليك» وإن كان هو من قضاء الله تعالى وقدره.

١٠ - الشرور مختلفة ومتباينة، منها ما هو ظرف لها كالليل، ومنها ما هو من فعل الإنسان سواء كان سحراً، أو حسداً، وإنما خصت هذه الثلاثة بالذكر لشدة ملابستها للناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ



غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾.

١١ - ظلام الليل شر يُستعاذ منه، ويُستعد له، ويُتعوذ منه ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وظلام الجهل، والشدة، والمشكلات، والأزمات، والمصائب التي تلقاها في طريقك كالليل أو أشد، وحاجتك في هذه المواطن للجوء إلى الله تعالى، والإقبال عليه، وسؤاله الفرج والتوفيق كحاجتك للنور في ظلام الليل لا فرق.

١٢ - في السورة دعوة للتفاؤل، وأن الظلام العارض في الأرض مهما بلغت ظلمته فهو إلى زوال ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ في مواجهة تلك الشرور الممتدة في الأرض ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ فإذا كان فلق الصبح، وهو بعض خلق الله تعالى يبدد صور الظلام الحسي من الأرض، فكذاك خالقه ومدبره أقدر على تحويل الظلام المعنوي من حياتك وواقعك إلى أبهج ما يكون.

١٣ - تختلف الشرور في تأثيرها على الإنسان، وفي تخصيص (الليل، والسحر، والحسد) ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ بعد عموم ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ما يدل على ذلك، فتنبه وعُد لها ما يدفعها من طريقك قبل الوقوع.

١٤ - من القواعد المقررة: ما أنزل الله تعالى داءً إلا أنزل له شفاءً، فهذه الشرور والأدواء التي تنزل بالناس لها أسباب وقائية كصلاح النفوس وتزكيتها، أو حفاظها على الأذكار المشروعة، أو التداوي بالقرآن، أو بغيره من الأدوية التي هي سبب في مواجهتها، وزوالها بعد الوقوع.



١٥ - إذا عَرَضَتْ هذه المشكلات لإنسان فعليه أن يقابلها بالتوكل، والصبر، ويستعين عليها بالأدوية الشرعية، ويقوم بقلبه تعظيم الله تعالى، والإيمان بقضائه وقدره أولاً وآخراً.

١٦ - كم من مشكلة عرضت لإنسان في الطريق فكانت سبباً في إقباله على الله تعالى، وإصلاح سيرته، وتدارك زمانه، وهذه الشرور مع شدة خطرها وأثرها على الإنسان قد تكون بوابة يلج منها الإنسان إلى الله تعالى فلا تكون باباً للتشاؤم، والخوف والقلق، والتوجس، بل يمضي الإنسان متوكلاً متوقياً محتسباً ما يناله منها في الله تعالى، مستفيداً منها في تكفير خطاياها، وإصلاح واقعه، وتصحيح مساره في مستقبل الأيام.

١٧ - كل نعمة أعطاك الله تعالى، فهي مهددة بهذه الشرور، ولا سبيل للحفاظ على هذه النعم إلا بشكرها، وشكرها ليس صورة مجردة باللسان، وإنما حسن صلة بالله تعالى بالقلب، واللسان، والجوارح.

١٨ - أثر المعرفة في التوقي من هذه الشرور، وهذا البيان في كتاب الله تعالى عن هذه الشرور وأخطارها دليل على أثر المعرفة في خلق حصانة تجاه الشرور، وكم من جهل أوقع صاحبه في مهاوي الردى وهو لا يشعر!

١٩ - كفاية منهج الله تعالى، فما من خير إلا أبانه، وما من شر إلا كشفه ووضحه ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۖ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۖ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۖ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۖ (٥)﴾.

٢٠ - رأيتُهُ إذا صلى الفجر والعصر مكث قاعداً يتلو أذكار صباحه ومساءه، ولا يمكن أن يتحرك إلا بعد تمامه عملاً بتوجيه الوحي، وحفاظاً على ما آتاه الله تعالى من نعم، وتوقياً للشرور العارضة في الطريق. وكذلك يصنع العلم.



٢١ - ما أكثرهم الذين يدفعون أموالاً باهظة في سبيل التأمين على أنفسهم وأهليهم ومركوباتهم، وينسون في المقابل التأمين على هذه الأنفس بأعظم أسباب وقايتها في الدارين ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ .



سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾
إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

التفسير

- ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ﴿١﴾ التَّجَوُّعُ وَالْوُدْ وَأَعْتَصِمَ بِاللَّهِ.
- ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِي يَنْفِذُ فِيهِمْ أَمْرَهُ وَحُكْمَهُ وَقَضَائِهِ وَمَشِئَتِهِ.
- ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ ﴿٣﴾ مَالُوهُمْ وَمَعْبُودِهِمْ.
- ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ مِنْ شَرِّ مَا يَلْقَى فِي الْقَلْبِ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْأَوْهَامِ وَالتَّخِيلَاتِ ﴿الْخَنَّاسِ﴾ ﴿٤﴾ الَّذِي يَخْنَسُ وَيَنْهَزِمُ وَيُولِي عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ﴿٥﴾ بِالْإِلْقَاءِ الْخَفِيِّ فِي نَفْسِهِمْ.
- ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ﴿٦﴾ أَيُّ أَنَّ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ تَكُونُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.



التدبر

١ - ﴿أَعُوذُ﴾ أكبر من كلمة تأتي على لسانك، إنها هروب بقلبك، ومشاعرك، وفكرك، ووجدانك، وكل شيء منك إلى خالقك، ولك منها ذات القدر الذي تقبل منه إلى ربك ومولاك. ما أحوج الإنسان إلى ربه وقت الرخاء والسعة! فكيف به في وقت الخوف والشدة والبأساء؟! فرق كبير بين دعوة يرددها لسان محتاج، ودعوة تخرج من فجاج القلب وتعانق فضاء السماء رغبةً وأملاً ورجاءً ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾.

٢ - ﴿أَعُوذُ﴾ اعتراف منك بضعفك وإجلال منك في الوقت ذاته لربك، وإذا فقه الإنسان ضعفه وفقره تدرج في مدارج العبودية، ونال من توفيق الله تعالى على قدر ما في قلبه من تواضع وإذعان. ما أكثر ما كان يردد رسولنا ﷺ هذا المعنى كثيراً في حياته: «اللهم لا تكني إلا نفسي طرفة عين».

٣ - الإنسان أضعف من أن يقف أمام عدوه من الإنس فكيف بعدو لا يراه! وقد سلَّطه الله تعالى عليه، ومكنه منه، ولا حيلة له منه إلا باللجوء إليه والاستعاذة به، والتوكل عليه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

٤ - ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ دعوة وتعليم للإنسان بأن لا يمل سؤال الله تعالى، والتوجه إليه والإقبال عليه، والإلحاح في سؤاله كل حين. وإذا كانت هذه الدعوة للإنسان على سبيل التوقي من شرور الشياطين، والسلامة من كيدهم، فكيف بالداعي وهو في أحلك الظروف، وأسوأ المشكلات، وأصعب الأحوال!

٥ - الشيطان أعظم عدو يطارد الإنسان، وقد أقسم قائلاً ﴿فَعِرَّكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] وتوعد قاصداً ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١٦) ثُمَّ لَا يَبْتَنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿[الأعراف: ١٦، ١٧] وعدو هذه غايته، وهذه طرقه ووسائله لا ملجأ لك منه إلا بالله تعالى.

٦ - لا عليك من كل عوارض الطريق إذا آمنت أنك تقرأ عقيدة وتحتمي من خلالها بجلال الله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (٢) إِلَهِ النَّاسِ﴾ (٣).

٧ - أصل كل بلية تلقاها في طريقك إنما هي من وسوسة عدوك، وهي أعظم طريق للوصول إليك، وما من فتنه وبلاء وشر يصيبك ظاهراً إلا بعد جولة هذا المعنى في قلبك وفكرك باطنياً، قال ﷺ: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ» وقال ﷺ: «إِذَا تُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأَذُّينَ، فَإِذَا قُضِيَ النَّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا تُؤْبَ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّوْبُّبِ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرْ حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى». وقال ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلَيْسَتْ عِذُّ بِاللَّهِ وَلَيْتَنَّهُ». قال ابن القيم رحمته الله تعالى: (فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه ويخطر الذنب ببالة، فيصوره لنفسه ويمنيّه، ويشهيه، فيصيره شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها في خياله حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة). اهـ وكل الأحداث التي تراها في واقعك هي في الأصل خواطر تحولت في النهاية إلى أفعال.

٨ - (الوسوسة) بذر الشيطان الذي ينثره أمام جوارحك كل يوم، وهي كالحب الذي يُلقى للطير من أجل قتله، والصيد الذي يلقي للسّمك في البحر من أجل



صيده، وكم من إنسان لقي حتفه من خلال ذلك البذر ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ٤ الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾.

٩ - كل النهايات التي تقع فيها تبدأ جولتها الأولى في قلبك ومشاعرك، وما يزال يرعاها عدوك، وينثر فيها مباحج الشهوات والشبهات حتى يُلقي بك في مدارك السوء ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ٤ الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾.

١٠ - من فقه نفسك أن توقف سيل هذه الخواطر في بدايتها، وأن تحول بينك وبين خيالاتها ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ٤ الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾.

١١ - بداية شرارة الخلاف: مزاح، وبوابة الزنى خيانة عين، وأول خطوات الخذلان رؤية مشهد، وتجربة طريق مجهول، وعلى مثل هذه البدايات تُسفك القيم، وتذبل معارج التوفيق، وتتصحر قلوب الأتقياء وتموت مباحج الاستقامة، وينتهي في النهاية كل شيء. وكل القابعين خلف القضبان في سجون الحريات لم يدركوا مآلات تلك البدايات، وما زال بهم الخطو حتى غابت عنهم شمس الحريات ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ٤ الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ وإذا أردت أن تعرف خطر هذه الوسوسة فتأمل في حشد هذه الصفات للمستعاذ به من شرها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ١ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾.

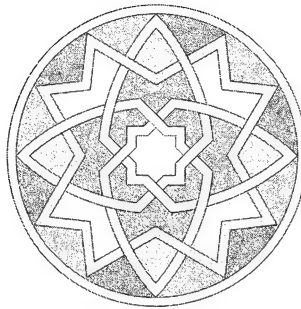
١٢ - أمامك عدوان: عدو من الجن، وآخر من الإنس، وكلاهما يجهد من ذات الطريق، غير أن الأول يأتي إليها في صورة باطنة لا تراها، والثاني في صورة ظاهرة ولا فرق، فكل يجهد لإقناعك في النهاية بالخدلان وسوء التوفيق ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ٦.

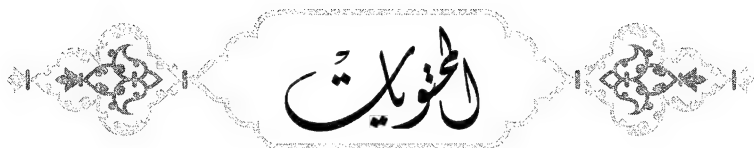
١٣ - لقيت كثيرين في السجون كلهم يعترف أنه سبق هذا المكان حديث طويل عريض في قلبه ومشاعره، وما زال ينمو حتى خرج في صورة سجين ينتظر نهايته ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾﴾.

١٤ - لا سبيل للخلاص من عدوك إلا بالإقبال على ربك من خلال تزكية نفسك بالطاعات، والإدبار عن مواطن الخذلان، والمحافظة على الأوراد الشرعية، وبذل كافة الأسباب الواقية لدفع شرهما والتخلص منهما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾.

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى

في مساء الجمعة ١٦/٣/١٤٤٣هـ





٥	سورة ق
٢١	سورة الذاريات
٤٢	سورة الطور
٥٧	سورة النجم
٧٨	سورة القمر
٩٦	سورة الرحمن
١١٥	سورة الواقعة
١٣٤	سورة الحديد
١٥٩	سورة المجادلة
١٨٢	سورة الحشر
٢٠٢	سورة الممتحنة
٢١٦	سورة الصف



- سورة الجمعة ٢٢٨
- سورة المنافقون ٢٣٩
- سورة التغابن ٢٥٠
- سورة الطلاق ٢٦٢
- سورة التحريم ٢٧٣
- سورة الملك ٢٨٥
- سورة القلم ٣٠٢
- سورة الحاقة ٣٢٥
- سورة المعارج ٣٣٩
- سورة نوح ٣٥٢
- سورة الجن ٣٦٦
- سورة المزمل ٣٨٠
- سورة المدثر ٣٩٤
- سورة القيامة ٤١٢
- سورة الإنسان ٤٢٤
- سورة المرسلات ٤٣٨



٤٤٨.....	سورة النبأ
٤٦٥.....	سورة النازعات
٤٨٠.....	سورة عبس
٤٩٣.....	سورة التكوير
٥٠٣.....	سورة الانفطار
٥٠٩.....	سورة المطففين
٥٢٢.....	سورة الانشقاق
٥٢٩.....	سورة البروج
٥٤٠.....	سورة الطارق
٥٤٦.....	سورة الأعلى
٥٥٤.....	سورة الغاشية
٥٦١.....	سورة الفجر
٥٧٢.....	سورة البلد
٥٧٩.....	سورة الشمس
٥٨٦.....	سورة الليل
٥٩٦.....	سورة الضحى



- ٦٠٢ سورة الشرح
- ٦٠٨ سورة التين
- ٦١٣ سورة العلق
- ٦٢٥ سورة القدر
- ٦٣٠ سورة البينة
- ٦٣٩ سورة الزلزلة
- ٦٤٨ سورة العاديات
- ٦٥٦ سورة القارعة
- ٦٦٤ سورة التكاثر
- ٦٦٩ سورة العصر
- ٦٧٥ سورة الهمزة
- ٦٨١ سورة الفيل
- ٦٨٧ سورة قريش
- ٦٩٣ سورة الماعون
- ٧٠٢ سورة الكوثر
- ٧٠٩ سورة الكافرون



٧١٥.....	سورة النصر
٧٢٣.....	سورة المسد
٧٢٩.....	سورة الإخلاص
٧٣٦.....	سورة الفلق
٧٤٢.....	سورة الناس
٧٤٧.....	• المحتويات

